

المقاومة الكردية للاحتلال

١٩٥٨-١٩١٤

أيوب بابو بارزاني
المقاومة الكردية للاحتلال
١٩٥٨-١٩١٤

- إسم الكتاب: المقاومة الكردية للاحتلال
- المؤلف: أيوب بابو بارزاني
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٢
- الطبعة الثانية: ٢٠١٨
- الطبعة الثالثة: 2025
- الترقيم الدولي: ISBN:2-940325-00-6
- عدد النسخ: ١٠٠٠
- جميع حقوق الطبع محفوظة

دار نشر حقائق المشرق - جنيف
Editions Orient-Réalités-Genève

المقاومة الكردية للاحتلال

١٩٥٨-١٩١٤

أيوب بابو بارزاني

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

٢٠٢٥

دار نشر حقائق المشرق- جنيف

Editions Orient-Réalités-Genève

المحتويات

الجزء الأول: النقشبندية في مواجهة الاحتلال	٥
مقدمة	٦
تمهيد	١٧
بداية الاحتكاك البريطاني الكردي	٢٣
الانحسار والنهوض (بارزان - الفراغ)	٣٦
حكومة جنوب كردستان	٥٢
ملاى ملا محمود (إغتيال المرشد)	٥٧
تجدد المعارك في السليمانية	٧٦
التآمر. مخطط القضاء على شيخ بارزان	٨٦
إحتلال أراضي بارزان.....	١٠٣
الاحتلال خطوة إثر خطوة.....	١٢٠
بارزان بعد الإحتلال	١٣٧
تفاقم الضغوط	١٥٢
حكم المخافر وفصائل المقاومة	١٦٣
النفير العام، عمليات المطاردة المشتركة. بغداد - أنقرة.....	١٧٤
الجزء الثاني: الحقبة القومية	١٩٧
الهجوم على المخافر	١٩٨
هدنة لكسب الوقت	٢١٦
وعود بلا تنفيذ	٢٢٦
إنهيار المقاومة	٢٤٠
نزوح وموت جماعي ودفاع عن الجمهورية الكردية	٢٤٩
إنهيار الجمهورية الكردية	٢٦٤
من التشتت الى التجمع عبور نهر Gader	٢٨٨
السنوات العجاف	٣٠٨
بارزان: الأرض المستباحة	٣٢٤
العودة الظافرة الى بارزان. نهاية العهد الملكي	٣٥١
الملاحق	٣٦٩
نص الاتفاق الكردي الأرمني	٣٧٠
ملحمة JUL	٣٧٤
خرائط الاحتلال	٣٧٧
الصور	٣٨٣

الجزء الأول

النقشبندية في مواجهة الاحتلال

المقدمة

المجتمع الكردي هو أحد المجتمعات الشرق أوسطية، لذلك فهو يتأثر ثقافياً وسياسياً ونفسياً بالمجتمعات الجارة التي تحيط به من تركية وعربية وفارسية كما يؤثر فيها. ويتمتع جزء من كردستان الجنوبية باستقلال نسبي منذ عام ١٩٩٢ أو بصورة أدق (المنطقة الآمنة والتي تشكل من محافظات دهوك وأربيل والسليمانية) وذلك بفضل الحماية الدولية. وقد ساعدت الأموال المخصصة بموجب القرار رقم ٩٨٦ والمعروف بـ (النفط مقابل الغذاء) البالغ حجمها (١٣٪) من عائدات النفط، إضافة إلى واردات الجمارك، ساعدت الإدارة الكردية على تنشيط الحياة الثقافية والنشر وكتابة التاريخ الكردي. ورغم وجود إدارة كردية، فيبدو ان آثار عقود من الحكم الدكتاتوري لنظام صدام حسين وممارسات حزبه قد طبعا بصمات عميقة تنعكس في عدد من ممارسات هذه الإدارة، وما يهمنها هو اسلوب كتابة التاريخ. فالكل: وزراء وصحفيون، وكتاب ومؤرخون وشعراء وحتى الانسان العادي مطالبون بكيل المديح وتعظيم شخص صدام حسين، ومن أجل ذلك تصرف أموال الشعب بسخاء وتخصص أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة براجمها لإحاطته بهالة غير معقولة من العظمة، ولا يذكر اسمه إلا وتتبعه عبارة (حفظه الله) وكل هزيمة منكرة هي انتصار تاريخي ساحق وهو القائد الرمز... الخ. أي أصبح التاريخ كله يختزل في شخص واحد وكل شيء منسوب إليه وبفضله. ومن يخالف هذا النهج يوصم بالانحراف والخيانة. وما زاد من خطورة هذا النهج هو صمت النخبة المثقفة في المجتمع بدافع الخوف أو ضعف الالتزام بالقيم والأخلاق والتغاضي عما يسببه من مخاطر على مستقبل الشعب والحياة الديمقراطية. تنعكس آثار هذه النزعة المستوحاة من الانظمة الفردية في بعض الكتب الصادرة في كردستان. ولو تفادى أصحاب هذا المنحى منذ البداية تقليد (صدام حسين وحزبه) في مصادرة التاريخ لقدموا خدمة كبيرة للشعب الكردي بإقامة قاعدة سليمة تتأسس عليها الثقافة الديمقراطية والبحث المنهجي العلمي في تدوين

التاريخ. وليس من شك أن كتابة تاريخ العراق ستعاد بصورة مختلفة تماماً بعد زوال نظام صدام حسين.

وما أريد قوله هنا، هو أن المجتمع الكردي كباقي المجتمعات الجارة، يملك تربة خصبة لنشوء الحكم الفردي أو العائلي وليس هناك ضمان من خطر الانزلاق نحو نظام استبدادي شمولي يدوس كرامة الشعب، لذلك ينبغي رصد كل المظاهر الثقافية والسياسية التي تنشأ في مجتمعاتنا وتشخيص مواطن الخطر فيه وعدم قبول فرض الرأي الواحد وثقافة عبادة الفرد. وهذا لا يتحقق بتواطؤ نخبة المثقفين المخلصين ولا بمبالاتهم.

وهنا لابد من التنويه بأن هذا الكتاب والذي سيليه سيكون بصدد الفترة بين (١٩٥٨ — ٢٠٠٠) هما إمتداد لكتابي الأول (بارزان وحركة الوعي القومي الكردي) ويتناول بدايات ظهور وتطور الطريقة النقشبندية على يد مولانا خالد في بداية القرن التاسع عشر وإلى عام ١٩١٤. ولا يندرج الكتاب الحالي بتاتا في إطار (حرب الزعامات) التي دارت بين الأحزاب الكردية الرئيسية في كردستان. كما انه لا يؤيد حزبا معينا ضد حزب آخر. فالهدف الأساسي من هذا الكتاب هو سرد وقائع لها أهمية تاريخية جرت فعلا في كردستان وتجاهلها لن يعني سوى التحايل على التاريخ ومن ثم على أنفسنا. كما ان هذه الأحداث التاريخية الهامة التي جرى ذكرها بالتفصيل في هذا الكتاب، جزء من تراث الشعب الكردي ونضاله من أجل التحرر والعدالة والتي يجدر ان توثق بتفاصيلها لتظل حية في ذاكرة شعبنا الكردي والتاريخ العراقي والشرق أوسطى.

لقد تعرض تاريخ بارزان الى التشويه. وجاء هذا من طرفين: من المناوئين ومن أعداء حقوق الشعب الكردي، وكذلك من المنتفعين بنضال البارزانيين أيضا. والفرق هو أن الأعداء شوهوا الحقائق هجاء وانتقاصا من بارزان. أما المنتفعين بنضال البارزانيين فقد حرفوا الحقائق مدحا وتعظيما للحفاظ على مكاسب معينة. وكلاهما مدفوع بمصالحه، دون احترام للعقل والامانة في العرض التاريخي.

وبين هذين التوجهين المتناقضين يتيه القارئ ويصعب عليه تكوين فكرة أقرب الى حقيقة الأشياء.

وعندما تحقق الدعاية غير المسؤولة المكاسب تزداد الحاجة الى المزيد، وتزداد الضغوط على عدم إثارة الشكوك حول مصداقيتها ويأتي العنف والقمع والابتزاز لإسكات الأصوات التي توقظ الوعي. فيبقى الناس يتعاملون مع الاوهام والاساطير وليس مع الوقائع. وتتأخر المعرفة. وعندما يجهل الشعب حقيقة تاريخه لا يتقدم، إنما يتعرض لتكرار الأخطاء.

وما حصل للبارزانيين حافل بالدروس والعبر السياسية، فهو يكشف الإطار الذي تفاعلت فيه العلاقات بين قوميتين، وكيف أساء الحكام الى هذه العلاقة بإتباع سياسة معادية للقومية الأضعف وما ترتب على هذه السياسة من معاناة وانتكاسات طوال القرن الماضي. كما ان موقف الدولة المنتدبة — بريطانيا — كان موقفاً معادياً للطموحات الكردية وداعماً لسياسة الانصهار ومنطق الاحتلال العسكري وإخماد الانتفاضات الكردية بالقنابل والارهاب.

وأكثر الظن انه لو اعترفت أي من الدول التي تقسم كردستان بحقوق الشعب الكردي، فإن مجرى تاريخ الشرق الاوسط كان سيأخذ مساراً آخر أقل عنفاً وأكثر ديمقراطية. فلو تم صرف ما أنفقته الدول المقتسمة لكردستان من أموال على شراء الاسلحة لمحاربة الحركة الكردية طوال القرن الماضي، لو صرفتها على قطاع التعليم والصحة والاعمار والمواصلات لأصبحت هذه المجتمعات مزدهرة إقتصادياً ومتقدمة إجتماعياً ولأستتب الاستقرار فيها ولساعد ذلك على تفادي الانقلابات العسكرية في هذه البلدان.

بعد نفي البارزانيين الى الجنوب والتجاء الآخرين الى آذربيجان السوفيتية عام ١٩٤٧، تأسست عام ١٩٤٨ دولة اسرائيل، وفي ٢٩ مايو ١٩٤٩ خصص مؤسس الدولة في اسرائيل دافيد بن جوريون، وهو اول رئيس وزراء فيها، في الجلسة المخصصة لمناقشة السياسة العامة وطبقاً لمحضر الجلسة التي جرت في مقر الحكومة المؤقت في تل ابيب، ذكر: "ان اسرائيل عليها ان تحاول العثور على صداقات خاصة، أو حتى علاقة مصلحة متبادلة بينها وبين عدد من العناصر المكونة للـ "موزاييك" الانساني في الشرق الاوسط. ويتسائل بن جوريون هل نستطيع اقامة علاقات مع الاكراد في العراق وإيران وتركيا؟ ثم يشير الى الدروز والموارنة في لبنان والعلويين في سوريا والاقباط في مصر.... الخ

يعتري المرء الدهول، عندما يقارن العقل الاستراتيجي للنخبة الإسرائيلية بالنخب السياسية الحاكمة في الدول العربية، واخص هنا حكام بغداد، وسياستهم تجاه الاكراد من تنكيل وقمع وظلم فبقصر نظرهم كم سهّلوا مهمة اسرائيل في بناء علاقات مع القوميات المضطهدة. والانكى هو ان هؤلاء الحكام لم يتعلموا دروس التاريخ طوال القرن الماضي. وبقي العنف الوسيلة الوحيدة التي تمسكوا بها في التعامل مع الكرد.

تنبع صلابة بارزان من الطريقة النقشبندية ونظامها الدقيق وما يولده من توحيد في المشاعر والمساواة بين البشر وما تحمله من تعاليم في مناهضة الظلم. إنه إتحاد إختياري بين قبائل وفق نظام الطريقة الصوفية النقشبندية.

وقد دأب المجتمع الكردي احياناً على تسمية العقيدة التي يؤمن بها ايماناً راسخاً بإسم محلي. فمولانا خالد كان من اتباع الطريقة النقشبندية، وعندما عاد الى كردستان من الهند ونشر مبادئ الطريقة في ارجاء الامبراطورية العثمانية، بالأخص في كردستان، عرفت بـ (الخالدية) نسبة اليه. وعندما إنتشرت في الوسط البارزاني، وخاض البارزانيون بسلاح هذه العقيدة حروباً كثيرة ضد ظلم الاغوات في المنطقة والتصدي للمحتلين الأجانب، أخذت الطريقة الخالدية تعرف لدى البارزانيين بـ (الطريقة البارزانية). وأياً كانت التسمية التي لصقت بها فهي في الجوهر لاتعني غير الطريقة النقشبندية.

هناك أسئلة كثيرة تفرض نفسها عند تناول تاريخ بارزان في عهد الاحتلال البريطاني. إذ يلاحظ المتتبع الأهمية القصوى التي منحتها بريطانيا لإخضاع بارزان. هل كانت المجاهدة أمراً حتمياً بين الطريقة النقشبندية وسلطات الاحتلال؟ وهل كانت صراعاً بين نظامين لا يلتقيان؟ هل أن أتباع الطريقة النقشبندية كانوا مقتنعين بأن نظامهم الديني أرقى وأكثر عدلاً وأخلاقاً من النظام الذي فرضته السلطات العراقية والبريطانية؟ وهل كان الهدف من الحملات العسكرية الواسعة براً وجواً يهدف الى القضاء على العقيدة النقشبندية ؟ أم كانت مجرد حملات إحتلال استعمارية هدفها الأرض؟

لماذا تبنت لندن وبغداد سياسة القوة في مواجهة بارزان؟ ولماذا لم يتعظوا بفشلها طوال ما يقارب القرن من الإخفاق المتكرر؟ حتى وإن بدت الحملات العسكرية العراقية وكأنها حققت

نجاحاً على الأرض، فإنها فشلت سياسياً في كل مرة. فهي لم تستطع أن تكسب قلوب البارزانيين طوال فترات الاحتلال المباشر لأراضي بارزان. لقد وضعت السلطات العراقية ثقلها في القوات المسلحة آملة إنها ستحل المشكلة، ولكن الأحداث أثبتت أن الانتصار العسكري لا يؤدي إلى انتصار سياسي.

يتناول هذا الكتاب وقائع تاريخية لكردستان الجنوبية بين اعوام ١٩١٤ — ١٩٥٨ لعبت بارزان دوراً هاماً في صيرورتها. وقد قامت قوات الاحتلال البريطانية وحكومات بغداد بممارسة العنف لإخضاع الشعب الكردي وإلحاق هذا الجزء من كردستان بالعراق الذي كان عندئذ قيد التكوين. وقد أثبتت الأحداث ان هذه العملية لم تنجح وكلفتها كانت باهضة في الأرواح والأموال وفي التخلف الحضاري.

إقترب البارزانيون من الانقراض في مناسبتين، الاولى بين أعوام تشرين الاول/أكتوبر ١٩٤٥ — نيسان/أبريل ١٩٤٧ إذ حصد مرض التيفوس والمعارك الدفاعية ٤٩٪ من المجموع الكلي للسكان. وكان عدد البارزانيين الذين نزحوا عن قراهم نحو كردستان — إيران يناهز الـ (١٠٠٠٠) بارزاني — حسب ما ذكره William Eagleton Jr ولم يعد منهم حسب المصادر العراقية في ١٧ و ١٨ من شهر نيسان/أبريل عام ١٩٤٧ الى العراق غير (٤٥٦٥) إضافة إلى (٥٦٠) بارزاني غالبيتهم من الشباب رافقوا في البداية ملا مصطفى للإلتجاء إلى أذربيجان السوفيتية.

وتعرض الذكور البارزانيون الى حملة الإبادة العرقية Genocide على يد نظام صدام حسين في (قوش تبه) و (بحركي) و (حرير) و (ديانا). وكان الهدف هو إذلال وتخطيم المجتمع البارزاني بأسره. وقد برر دكتاتور العراق جريمته هذه بموقف ولدي ملا مصطفى (إدريس ومسعود) الذي كان يتمثل في حوار سري مع نظام بغداد وتعاون عسكري مع القوات الإيرانية في إحتلال حاج عمران في صيف عام ١٩٨٣. فأمر قوات الحرس الجمهوري

بالانتقام من البارزانيين المدنيين الذين كانوا في حماية السلطة، فأحاطت المدرعات بالمجمعات البارزانية في ٣١ من شهر تموز ١٩٨٣، وقبضت على ما يناهز (٣١٨٦)^١ بارزاني وضاعت كل آثارهم منذ ذلك التاريخ.

وقد حاولت جهدي ان انظر الى الاشخاص بعد خلع رداء الدعاية الكثيف عنهم والألقاب الضخمة التي وصفوا بها، ان أراهم كما هم وليس من خلال عمليات ماكياج مكررة لتجميل السلبات او العكس من خلال التشكيك وإنكار الأعمال الإيجابية. وكما نوهت سابقاً تفاديت احتكار ومصادرة التاريخ وتسجيله باسم رجل واحد أو عائلة واحدة، أي بالأحرى (شخصنة التاريخ) أو — سرقة التراث — وبهذا يلغى أوتوماتيكياً دور الآخرين أو يصار الى تقييدهم، وهذا تجني على الحقيقة وتجني على المناضلين الذين تحملوا المخاطر أو وهبوا أرواحهم لعقيدتهم ووطنهم.

فمن حق الجماهير ان تعرف زعمائها الذين منحتهم الثقة، ان تعرف ماضيهم كاملاً وليس مبتوراً ودرجة تفانيهم وكيف تصرفوا ساعة المحنة ومدى اخلاصهم لقضية الحرية ومبدأ العدالة وذلك ليس فقط استناداً الى أقوالهم وانما الى أعمالهم؟

فاذا ما أمعنا النظر في قيادة شيخ عبد السلام بارزاني ومطالبه من الحكومة العثمانية والاتصالات التي أجراها مع القوى العظمى آنذاك: روسيا وبريطانيا، ونظرته الى العدالة الاجتماعية لبني قومه. نجد انه كان معادياً للهيمنة الأجنبية ولنمط حكم الأغوات وظلمهم في كردستان واستغلالهم للفلاحين والقرويين. وهو نفسه قضى على هذا الاستغلال كلما استطاع.^٢ وكانت زعامة عبد السلام تجسيدا للسلطة الروحية والسياسية معاً، وكان كثير الحساسية في كل ما يتعلق بالظلم والغدر. وشعاره المفضل الذي كان يردده دائماً هو: "Zewala zalima me, Babê faqîr u jara me" ما معناه: "مهمتي هي

^١ قم الضحايا هذا توصل اليه مجموعة من البارزانيين بعيداً عن المبالغات والتهويل الحزبي لمعرفة العدد الدقيق، وهم الذين زودوني بالرقم المذكور مشكورين. وبعد اختيار نظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣ تم العثور على مقابر جماعية للبارزانيين في الصحاري العراقية.

^٢ للمزيد من التفاصيل راجع كتاب (بارزان وحركة الوعي القومي الكردي). ١٨٢٦. ١٩١٤. الكتاب يتناول بداية انتشار الطريقة النقشبندية على يد مولانا خالد في كردستان والتغورات الاجتماعية التي أحدثتها في المجتمع الكردي. طبع الكتاب عام ١٩٨٠، تحت إسم (بى ره ش) وثم أعيد طبعه عام ٢٠١٨ تحت الاسم الحقيقي للمؤلف (أيوب بابو بارزاني).

القضاء على الطغاة، أنا أب الفقراء والمظلومين". وقد ترك إنطباعاً عميقاً لدى الكاهن الانكليكاني الدقيق الملاحظة W.A. Wigram الذي زار كردستان وبقي فيها لسنوات، وأكد على دور شيخ بارزان في إستتباب الأمن والاستقرار للمواطنين المسلمين والمسيحيين، وفي إحدى جولاته في كردستان التقى الكاهن الانكليكاني شخصياً بالشيخ وحاوره، وعندما عاد الى بريطانيا خصص له في كتابه (مهد البشرية. الحياة في شرق كردستان) فصلاً كاملاً لا يخلو من الاعجاب به وعنون الفصل المتعلق بشيخ بارزان بـ *An Oriental Vich* (Ian Vohr. The Sheikh of Barzan) فيك أيان فور الشرق. شيخ بارزان) وهو بطل اسطوري. وشبهه بـ (Brian Boru) ملك ايرلندا في الأزمان الغابرة إذ قيل عنه "بامكانك ان تترك حلية ذهبية في دغل على مقربة من الطريق ضمن أملاكه وانت آمن عليها تماماً".

لقد تغيرت نوعية قيادات البارزانيين مباشرة بعد رحيل شيخ بارزان (أحمد) عام ١٩٦٩. فمن أجيال قيادية ملتزمة بمبادئ الطريقة وروح التضحية والزهد والامانة وتقاسم شظف العيش مع الشعب، جاء جيل متاجر، يدخر المال ويشيد القصور الفخمة في محيط لا تجد فيه غير الأرامل والأيتام، ويتعامل مع (السياسة) كأداة تضمن (الزعامة) وتحقق (الربح المادي). ومع مضي الزمن وتطور الظروف أصبح ملا مصطفى رئيساً لحزب قومي ذي جهاز دعاية جيد وتخطى نفوذه مناطق بارزان مع المد القومي الذي إجتاح الشعوب المستعمرة في النصف الثاني من القرن العشرين، ليشمل معظم أجزاء كردستان الملحقة بالعراق وظل قائداً للحركة الكردية منذ عام ١٩٤٥ الى وفاته في واشنطن عام ١٩٧٩. ولكنه لم يجسد في شخصه الزعامة الروحية للبارزانيين، اذ كان يجسدها شيخ أحمد الذي كان ضمان وحدة البارزانيين والعائلة البارزانية، إنهارت هذه الوحدة بعد وفاته مباشرة. وقد عرف عنه موقفه الرافض في جعل المشيخة وراثية محذراً البارزانيين مراراً من الطاعة العمياء ومن إيمان بلا عقل. وفيما يخص ملا مصطفى فقد ولدت بعض مواقفه من الأغوات وردعه الفلاحين من الانتفاضة ضدهم رغم دوره الذي كان بلا منازع في قيادة الثورة الكردية، ولّد موقفه هذا خيبة أمل لدى العديد من البارزانيين والوطنيين الكرد الملتزمين. وكان لذلك أثر سلبى على تقدم المجتمع

الكرد. إذ لُجِمَ الثورة الكردية في حدود ضيقة وشدّها الى مصالح القوى الرجعية وبعض المرتزقة وله دوره في تشجيع الفساد وكان هذا انحرافاً عن مسيرة شيخ عبد السلام النضالية. وهذا الموقف لقائد الثورة كان مناقضاً لروح الثورة ورسالتها. وقد ذكر لي نجله إدريس البارزاني بوقت قصير بعد وفاة والده وهو في زيارة الى لندن، أن موقف والده هذا كان واحداً من عوامل سقوط الثورة الكردية في عام ١٩٧٥. في حين يذكر Gerard Chaliand الخبير في شؤون ثورات العالم الثالث عن قيادة ملا مصطفى والنخب السياسية القيادية التي عملت معه بين أعوام (١٩٥٨ - ١٩٧٥) ما يلي:

« كان ينقص القيادة الكردية أيديولوجية ثورية وشيء من الروح العصرية، ويعود هذا الى الجيل الذي ينتمي اليه قائدها الرئيسي... " ويزيد: «فالحركة الكردية في العراق من ١٩٥٨ الى ١٩٧٥ بقيت انعكاساً لتخلف المجتمع الكردي. إذ لم تنجح القيادة الكردية أبداً في الارتفاع فوق مستوى تخلف مجتمعهما وتجر معها الجماهير، مثلما فعلت بنجاح قيادات ثورية في أماكن أخرى. يضاف الى ذلك الشلل المتأني من الوضع الجيوسياسي، ان هذه نقطة هامة تدخل ضمن العوامل الرئيسية في ضعف الحركة الوطنية الكردية: فنخبها كانت متخلفة. وكان لهذا الارث التاريخي مفعول إدامة أزمة المجتمع الكردي ضاعطاً بثقله على مجرى المصير الوطني. فقيمها وعقليتها وسلوكها بقي تقليدياً ولم تبدل بغيرها. هناك شيء من الأخذ بمظاهر العصرية، لكن طريقة فهم واستخدام هذه المظاهر العصرية لم تحدث تغييراً. فالقيم الاساسية بقيت تلك التي تعود الى الأمس، خداع تكتيكي بدل التحليل السياسي، تفشي المحسوبية والمنسوبية بدل تعبئة الجماهير والإكتفاء بعدد من الشعارات الثورية بدل ممارستها الراديكالية الحقيقية.»

وأزاء جرائم الإبادة التي نفذها نظام صدام حسين في قوش تبه ضد الاكراد البارزانيين (١٩٨٣) وحملة الإبادة ضد الذكور من الاكراد الفيليين (١٩٨٧) واستخدام السلاح الكيميائي في كردستان وعمليات الانفال الواسعة التي شملت كافة الناس من ذكور واناث وشيوخ واطفال (١٩٨٧ — ١٩٨٨) وجرائمه ضد الشعب العراقي بأجمعه، خصوصاً ضد

الشبيعة، لم يتصرف القادة الكرد كما تصرفت قيادات شعوب أخرى في مواجهة نفس الحالة. فالأرمن لم يقبلوا القتل تحت أية ذريعة كانت، إنما لاحقوهم وقضوا على عدد من رموز الطورانيين المسؤولين عن مجازر الأرمن عام ١٩١٥. كما إنهم لم يتصرفوا كما تصرف اليهود تجاه رموز نظام هتلر، فقد لاحقوهم أينما كانوا ليحاكموا وينالوا عقاب جرائمهم في الإبادة الجماعية. بل قاموا بعمل أدهش الجميع، فقد شاهد العالم على شبكات التلفزيون العالمية القادة الكرد وهم مصطفون مبتسمون، كل ينتظر دوره ليقبل صدام حسين على وجنتيه. وقد عبر أحدهم عما كان يخالج ضمير الشعب الكردي وهو يشهد قاداته يهرعون إلى بغداد ويقبلون الدكتاتور المبتسم لهم، فوصفوها بـ (قبلة الذل). كان هذا مشهداً مؤلماً للشعب الكردي، ولكن الأكثر إيلاماً هو ماتبع ذلك من خلافات دموية بين القادة الكرد وطلب العون من صدام حسين للتدخل عسكرياً في نزاع كردي — كردي. وبذلك نجح الدكتاتور في تخفيف الضغط الدولي وإطالة عمر نظامه مستغلاً قصر نظر الزعماء الكرد.

أمل أن يساعد هذا الكتاب والكتاب الذي سيليه في لفت الانظار الى الاشكالية المزمنة المتمثلة في التزاوج والطلاق المتكرر بين المثقفين وزعماء القبائل في المجتمع الكردي. كانت الحرب العالمية الاولى قد انتهت باستسلام الامبراطورية العثمانية واحتلال جيوش الحلفاء لمنطقة الشرق الاوسط وتقسيمها الى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية من منطلق الاستغلال الاقتصادي ونهب ثروات هذه البلاد المتخلفة صناعياً وثقافياً، دون مراعاة لمصالح الشعوب، وفي تشكيل دولة العراق وفرضها بالقوة المسلحة مثال واضح على هذه السياسة التي ألحقت أفدح الاضرار بشعوب المنطقة منذ تأسيس هذه الدولة وحتى يومنا هذا.

فبعد احتلال المناطق العربية من العراق الحالي، تابعت القوات البريطانية التقدم نحو منابع النفط في كردستان. ومنذ البداية كان التناقض واضحاً بين تطلعات الشعب الكردي وإدارة الاحتلال البريطانية. الكرد يريدون دولة كردية اسوة بالشعوب الجارة، في حين كانت بريطانيا تهدف الى السيطرة على منابع النفط في كردستان والحقه بالعراق. وفي مجرى الصراع بين الارادتين لجأ الاثنان الى القوة، واخيراً تغلبت كفة الأقوى فنجحت بريطانيا وحكومات بغداد

في فرض الدولة العراقية وفق مشيئتهما.

لقد أوليت المقاومة الكردية في بارزان جل اهتمامي، إذ تناول العديد من الكتاب انتفاضات السليمانية، وإشارتي السريعة إليها هو لإعطاء صورة أكثر تكاملاً عن الأوضاع الكردية من جهة والعلاقات مع السلطات الانكليزية والعراقية من جهة أخرى. قاد هذه الانتفاضات شيخان تمتعا بنفوذ ديني وقبلي كبيرين. فالشيخ محمود الحفيد كان من اتباع الطريقة القادرية في السليمانية، بينما كان أحمد، شيخ بارزان، من أتباع الطريقة النقشبندية.

وقد توفرت في انتفاضات السليمانية سمات العنصر المدني والطابع القومي التحرري. في حين مثلت مقاومة بارزان للاحتلال، سمات الريف الكردستاني وعزم جيش الطريقة على العيش الحر وفق نظامهم الخاص وخارج أية وصاية اجنبية. وقد واجهت سلطات الاحتلال مصاعب أكثر ووقت أطول في مواجهة المقاومة البارزانية من القضاء على انتفاضات السليمانية. إذ في كل الاحوال لم تتوقف المقاومة البارزانية إلا لفترات معينة لتنهض من جديد، ويعود هذا الى طبيعة التضاريس الجبلية الوعرة لمناطق بارزان وللالرادة الفولاذية لجيش الطريقة النقشبندية الراض للظلم ولكل تسلط اجنبي.

اعتمدت على الأرشيفات البريطانية في سرد الاحداث وتثبيت التواريخ. وتبقى هذه الارشيفات انعكاساً لسياسات الامبراطورية البريطانية في المنطقة. وهي مناهضة لحركات التحرر الوطنية في العالم. وتصف الثوار بقطاع الطرق وبالخارجين على القانون وما إلى ذلك من نعوت مضللة. لكن مع هذا وعلى ما أعتقد وجدت أن معلوماتها تتسم بالدقة وتفهم سياسي وثقافي واجتماعي وسيكولوجي جيد لأوضاع المجتمعات التي حكموها وأكثر تفهماً وعمقاً من الأمريكيين والفرنسيين للمجتمعات الشرق أوسطية. أما الأرشيفات الروسية فهي أقل دقة، في حين تبقى الارشيفات والوثائق التركية والايرانية والعراقية قيد الكتمان والقليل الذي استقيناه من مصادرهم يتسم بالمبالغة والتشويه وعدم الدقة ويغلب عليه الطابع الدعائي مما يستوجب الحذر في الاعتماد على مصداقيتها.

كما اعتمدت بحذر على كتابات عدد من العسكريين العراقيين ممن اشتركوا مع البريطانيين في حملات مشتركة لاحتلال كردستان. واعتمدت ايضاً على ما نقله لي عدد من البارزانيين أخص بالذكر حسين خال ملا بابكه ي ومحمد عيسى وكاظم شانديري والشخصية البطولية النادرة صالح كانيا لنجي المعروف بـ (ساكو) وجميعهم ساهموا في وقائع أحداث الكتاب. وشكري لهم بلا حدود. كذلك إمتناني إلى Jordi Tejel الذي زودني بأرشيفات ثمينة. وحيد إبراهيم بارزاني، جهاد اسماعيل بارزاني الذي تحشم عناء ترجمة الفصل المتعلق ببارزان من كتاب أبو الحسن تفرشيان الى العربية. وأقدم شكري لما قدموه من مساعدات جمة لكل من شيركو عابد (مدير شركة B. Plan) والدكتور محمد أمين هماوندي وآخرون فضلوا عدم ذكر أسمائهم لأنهم يعيشون في الوطن.

لا بد من التنويه بأنني إستخدمت في أحيان كثيرة الحروف اللاتينية نظراً لصعوبة إيجاد التلفظ الكردي الصحيح للمناطق الجغرافية أو أسماء الأعلام، أو استعنت بالحرفين (عربي - لاتيني) معاً في أحيان أخرى، وحاولت تفادي تعريب الأسماء الكردية.

أخيراً أمل ان اكون قد وفقت في تقديم صورة اوضح للأحداث التاريخية في بدايات تكوين الدولة العراقية وضم جنوب كردستان اليها وحتى إختيار الحكم الملكي عام ١٩٥٨.

تمهيد

خلال اعوام ١٨٧٨ - ١٨٨٠، اتجهت الدول الأوروبية الى تطوير حركتها التوسعية الامبريالية للسيطرة علي العالم وبدأت هذه النزعة أولاً في بريطانيا التي كانت أكبر دولة في تصدير الفحم وفي استخراج وصناعة المعادن والمنسوجات وفي منتصف القرن التاسع عشر، كان لديها أكبر اسطول بحري قادر على حماية وتأمين جميع الممرات البحرية الاستراتيجية في العالم. وكانت لندن العاصمة من اهم المراكز المالية العالمية. وكانت آفاق السياسة البريطانية عالمية الطابع، ولم تتوقف مسؤوليتها عند حد منع الدول الأوروبية الاخرى من التأثير على مصالحها بل تعدت الى صيانة امتيازاتها فيما وراء البحار، تلك الامتيازات التي حصلت عليها في آسيا^٣ بين اعوام ١٨٨٠ - ١٨٩٠ وكانت بريطانيا شبه حامية لأفغانستان ولحدود الهند محتفظة بتجارها النامية في الصين وفي الامبراطورية العثمانية الى جنب مصالحها في افريقيا وامريكا الوسطى.

وفرنسا هي الاخرى شهدت نشاطاً اقتصادياً كبيراً، بالأخص بين أعوام ١٨٧١ - ١٨٧٥، وازداد عدد قواتها المسلحة بنسبة ٣٠٪. وكانت تتطلع في توسعها نحو تونس وافريقيا الغربية ومدغشقر والهند الصينية^٤.

اما المانيا فقد كانت قوية ديموغرافياً، اذ بلغ عدد سكانها ٤١ مليون نسمة عام ١٨٧١. وبلغ هذا العدد ٤٩ مليون نسمة عام ١٨٩٠ وكانت الصناعات الثقيلة وطيدة بين اعوام ١٨٥٠ - ١٨٧٠ بالأخص في بروسيا، وكانت قواتها العسكرية تزداد باطراد، اذ بلغ عدد القوات المسلحة ٤٠٠ ألف في عام ١٨٧٤. وبلغ هذا العدد ٤٢٧ ألف عام ١٨٨٠ وثم بلغ ٤٧٩ ألف عام ١٨٨٤ هذا دون الاخذ في الحسبان القوات الاحتياطية... وقد دخلت

³ Pierre Renouvin. Histoire des Relations Internationales. Tome 6. P. 156. Hachette 1955 Paris.

⁴ Ibid. P. 17

المانيا حلبة التوسع الاستعماري متأخرة نسبياً، وكانت تتطلع في توسعها نحو أفريقيا والجزر الواقعة شمالي استراليا. °

اما روسيا القيصرية فقد كانت تملك القوة البشرية. اذ بلغ عدد سكانها ٧٥ مليون نسمة عام ١٨٧١. لكنها كانت اقل تطوراً صناعياً من الدول الغربية^٦. وكان ٩٠٪ من مجموع سكانها مزارعين. ومنذ عام ١٨٨٠، بدأت تظهر صناعاتها الثقيلة والحديثة. وكانت تتطلع الى الاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية العثمانية ومنافذ البحر المتوسط.

وفيما يخص ايطاليا فقد كانت تتطلع في توسعها نحو أفريقيا الشرقية والبحر المتوسط لكن كانت تعوزها القوة المادية والمعنوية.

بعد عام ١٨٨٥، اظهرت الولايات المتحدة الامريكية نزعة للتوسع الاستعماري، ودعى جون فيسك John Fiske في كتابه Manifest Destiny الينكي الى توسيع نفوذه وتجارته ونشر فكره السياسي في ارجاء المعمورة. في حين دعى Josiah Strong في كتاب بيع منه 170 000 نسخة، الولايات المتحدة الامريكية الى احتلال امريكا اللاتينية وجزر البحر. وفي عام ١٨٩٠ اوصى John Burgess قائلاً: «ان واجب الانكلو سكسون هو تمدين الشعوب غير المتمدنة»^٧

اما اليابان فقد ركزت جهودها على النهوض الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وكانت منهمكة في بنائها الداخلي، علما ان نزعة التوسع كانت موجودة لديها، وكانت تتحرك بسرعة لكي تقوم بدور توسعي استعماري كبير.

تبنّت الدول الأوروبية بعد عام ١٨٨٠ — عدا بريطانيا — اجراءات وقائية لحماية انتاجها الوطني (نظام جمركي وقائي) وهنا زادت الحاجة الى البحث عن اسواق جديدة خارج أوروبا. حتى الصناعات الحديثة لم يكن بوسعها التطور او حتى الحفاظ على نسبة الانتاج الموجودة

⁵ Ibid. P. 15

⁶ Ibid. P. 20

⁷ Ibid. P. 43

دون العثور على أسواق جديدة لتصريف منتجاتها، وعلاوة على ذلك كانت هذه الدول تملك أموالاً طائلة، وكانت تريد استثمارها في دول لا تملك صناعة ولا زراعة متطورة ولا مواصلات جيدة مثل سكك الحديد. وحيث يكون بمقدور الدول الصناعية استغلال المواد الخام المتوفرة في الدول غير المتطورة. وضافة الى كل ذلك فإن الرغبة في التوسع هي وليدة روح معنوية عالية تجسيدا لهيبة الدولة والقناعة بأن شعباً (عظيماً) يحمل رسالة عالمية يجب تحقيقها، ومن المعروف ان موضوع الاحترام والهيبة مرتبط بمدى تطور القومية، فلدى البريطانيين اعتبر التوسع الاستعماري صراعاً من أجل الحياة^٨ حيث يخرج ظافراً الشعب الاكثر أهلية جسدياً وعقلياً. ولقد كان هذا التوسع في ذات الوقت صراعاً على الممرات الاستراتيجية والبحرية العالمية. وفي هذا المضمار كان لإنكلترا اليد الطولي، كانت قد بسطت سيطرتها على هونك كونك، سنغافورة، جبل طارق، مالطة، سانت هيلانة وبرمودا، لكن كل ذلك لم يكن كافياً لإشباع اطماعها الاستعمارية.

مهدت الدول الأوروبية الصناعية تدريجياً سبل السيطرة على العالم، كانت العوامل مساعدة تماماً في المناطق المستهدفة للاحتلال، فقد كانت هذه متخلفة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً، ولم تتمكن شعوبها من ابداء المقاومة الفعالة امام تغلغل وسيطرة القوى الاستعمارية.

فيما يخص الامبراطورية العثمانية، فقد تمكنت بريطانيا عام ١٨٣٩، تحت ستار تحديث وتمدين الامبراطورية، ان تفرض عليها اتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة. وجراء إفلاس الامبراطورية وتراكم الديون عليها. خضعت منذ عام ١٨٧٨ لسيطرة (اللجنة الأوروبية لقروض الامبراطورية) وكان يمثل اللجنة ممثلون عن الدول المانحة للقروض وهي بريطانيا وفرنسا والمانيا واستراليا وإيطاليا. فالبنك العثماني كان يعمل بالأموال الانكليزية والفرنسية، كما وضعت التجارة الخارجية تحت اشراف اوروبي وفرض مستشارون اجانب على الجيش والإدارة

⁸ Ibid. P. 38

المدنية.

استغلت شعوب البلقان ضعف الامبراطورية العثمانية فشنت سلسلة حروب تحرير، ثم اعقبتها ثورات الشعوب الاسلامية في الاجزاء الآسيوية والافريقية من المناطق التابعة للإمبراطورية المريضة. ولم تكن الامبراطورية في نظر الشعوب سوى أداة للاضطهاد والقمع وجمع الضرائب. واستغل الاستعمار الاوروبي نقمة الشعوب المضطهدة ضد الباب العالي لصالح اطماعه التوسعية، وتبنى زيفاً شعار تحرير الشعوب من النير التركي.

عند اقتراب القرن التاسع عشر من نهايته، ظهرت بوادر منافسة وخلاف بين بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية من جهة وبين فرنسا والمانيا من جهة اخرى، وكانت كردستان ضمن المناطق التي يدور حولها الصراع الاستعماري، وفيها نشط عملاء جميع هذه الدول. فالروس والانكليز ركزوا على جنوب كردستان، بينما الالمان والفرنسيين اهتموا بشمال كردستان، وأدى عامل اكتشاف النفط في جنوب كردستان الى زيادة حدة التنافس الامبريالي على كردستان.

وفي شهر آب من عام ١٩٠٧ تم الاتفاق بين الروس والبريطانيين على تقسيم مناطق النفوذ في الامبراطورية الفارسية الى قسمين، الشمال تابع الى روسيا بينما تستولي بريطانيا على الجنوب الشرقي، وتفصل هذين الجزأين منطقة محايدة.^٩

ولعل ما يثير الاستغراب، هو ان الامبراطورية العثمانية رغم ضعفها وتفسخها، كانت تحمل اطماعاً أكبر بكثير من قدراتها. فدخلت الحرب وهي تحلم بالتوسع، وأعلن السلطان رشاد الحرب الدينية (الجهاد). هذا النداء رفضته قبائل جنوب كردستان واكراد ديرسم، بينما حاربت عدد من قبائل شمال كردستان مع الجيش الروسي ضد العثمانيين، ولبي البعض الآخر نداء الجهاد.

^٩ Ibid. P. 205

كانت انكلترا حتى قبل ظهور قواتها الهندية في وادي الرافدين قد عززت علاقاتها مع أقطاب الخليج العربي - الفارسي واستمالتهم الى جانبها، وفي ٣١ من شهر تشرين الاول عام ١٩١٤، أعلنت لبعض أقطاب العرب في منطقة الخليج ان تركيا دخلت الحرب لتدمر نفسها وانه بات من المستحيل بقاء الامبراطورية العثمانية.^{١٠}

وفي وقت مبكر من عام ١٩١٦ غزت الجيوش الروسية شرق الاناضول وتقدم الروس خلال نفس العام الى ماوراء أرزنجان في حين استمر زحف القوات البريطانية من الجنوب والتي لاقت مقاومة شديدة من القوات التركية في كوت العمارة، والتي تبعد عن بغداد حوالي ٤٠٠ كم. لكن البريطانيون اعادوا الهجوم فتمكنوا من احتلال بغداد والتقدم نحو الشمال باتجاه ينابيع النفط في كردستان،^{١١} وكان الهدف ايضا الالتقاء بالجيوش الروسية في الشمال، والجدير بالذكر ان شركة النفط الانكليزية الفارسية التي كانت تحت اشراف بريطاني، قد لعبت من خلال ما وفرته من مال، دوراً هاماً في تغطية حاجات الامبراطورية في ذلك الوقت.

وفي شهر حزيران من عام ١٩١٦، وقع وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا على الاتفاقية التي عرفت بـ اتفاقية سايكس بيكو، وانضمت اليها فيما بعد روسيا القيصرية، وذلك بعد ادخال تعديلات طفيفة عليها. أصبحت هذه الاتفاقية القاعدة لمعاهدة سيفر، حيث بموجبها تقاسمت بريطانيا وفرنسا الشرق الاوسط.

وفي وقت مبكر من عام ١٩١٦ وقعت مدينة راوندوز في أيدي القوات الروسية، وفي صيف عام ١٩١٧ تقدمت قوات اخرى من الجيش الروسي عبر أراضي بارزان نحو مدينة الموصل، كما زحفت قوات اخرى نحو خانقين، لكن ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ أفسدت هذه الاطماع التوسعية لروسيا القيصرية، فانسحبت الجيوش الروسية من كردستان بعد أن ارتكبت أعمالاً بربرية ضد السكان الآمنين لايزال يضرب بوحشيتها الأمثال.

¹⁰ Henry. A. Foster. The Making of Modern Iraq. P. 53

¹¹ M van Bruinessen. Agha, Sheik and State. P. 363.

وأثناء ما كانت بريطانيا توطد نفوذها تدريجياً في مناطق احتلالها من خلال إقامة إدارتها الخاصة، وأثناء الفترة التي كانت القوات البريطانية تتقدم نهائياً نحو بغداد، قامت إدارة الاحتلال بتشكيل قوات اليفي من السكان المحليين أنفسهم وكانوا بمثابة قوة غير نظامية تستلم الأوامر مباشرة من الضباط السياسيين البريطانيين، وبالتدريج ارتدوا زياً رسمياً وانتظموا في فصائل، وأصبحت هذه القوات عوناً كبيراً لتوطيد النفوذ البريطاني كما قامت بدور هام في قمع الانتفاضات الشعبية في كردستان وفي العراق.

في ١١ آذار من عام ١٩١٧، دخلت القوات البريطانية مدينة بغداد، وشجع هذا على المزيد من التقدم نحو كردستان، فواصلت زحفها نحو الشرقاط واحتلتها قبل التوقيع على اتفاق الهدنة في ٣٠ / ١٠ / ١٩١٨ بيومين، ثم واصلت قوات الاحتلال البريطانية تقدمها لاحتلال الموصل حسب تفسيرها هي لبنود الاتفاقية مع تركيا، رغم احتجاجات الأخيرة. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أصبحت أوروبا مهيمنة على مساحات واسعة من اليابسة تشكل حوالي 85% من المعمورة، وكانت تتمثل في المستعمرات والمحميات ودول الكومنويلث، ولم يشهد التاريخ البشري من قبل هذا الحجم من التوسع الكولونيالي.

بداية الاحتكاك البريطاني الكردي

كانت هزيمة تركيا في الحرب فرصة تاريخية بالنسبة للشعوب الواقعة تحت النير التركي ومن بينها الشعب الكردي، فلأول مرة تمكن الزعماء الكرد القوميون من الدخول في تجربة الدبلوماسية المباشرة وإسماع صوتهم في مؤتمر السلام المنعقد في باريس بالإضافة الى إمكانية الاتصال بممثلي الدول العظمى في استنبول، فتمشياً مع تصريحات الانكليز والفرنسيين ووعود الرئيس الأمريكي ويلسون، فإن ساعة قيام دولة كردية حرة قد حان، وقد قام شريف باشا ببذل جهود مكثفة في الاوساط الدولية لتحقيق الآمال الكردية ، وكما حاز ممثلوا الاكراد على صفة شبه رسمية، رغم ان دولة كردية لم تكن قد أوجدت، وفيما يخص أكراد ايران فقد ارسل سمو (اسماعيل آغا شكاك) ١٢ السيد طه النهري نيابة عنه في مايس ١٩١٩ لبحث انضمام كردستان الواقعة تحت النفوذ الفارسي الى الدولة الكردية الموحدة في المستقبل وبحث هذا الموضوع مع الانكليز، لكن الحيلة كانت في انتظار هذه المساعي، اذ حسب قول السير ارنولد ولسون: «كان علينا ان لانشجع أية مساعي انفصالية يبيدها الكرد الذين يعيشون في ايران، كذلك الاكراد الذين يعيشون تحت الحكم التركي، فقد كان يتحتم علينا ان نترك الاكراد خارج ولاية الموصل لشأنهم.»¹³ ومعنى أدق كان الاهتمام البريطاني مركزاً على نفط ولاية الموصل.

أما الوسط السياسي الكردي فقد شهد ثلاث اتجاهات رئيسية:¹⁴

الاول هو اتجاه خليط من الاكراد والترك ذو نزعة اسلامية، وقد شجع هذا الاتجاه واستغل من قبل القوميين الترك، وذلك لإثارة الفوضى ضد الانكليز في شمال كردستان، وايضا

¹² Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion.Paris.1979. P. 50

¹³ Lt. Col. Sir A.T Wilson. Mesopotamia 1917 – 1920. Oxford University Press. London. 1931. P. 141

¹⁴ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. P.27

للحيلولة دون قيام دولة ارمنية، أما في حالة قيام دولة كردية، فقد كان الهدف ان لا تقع تحت هيمنة اية دولة عظمى.

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه اوتونومي النزعة ويتزعمه السيناتور عبد القادر. وهنا لا يغيب عن البال ان الشيخ عبد السلام البارزاني كان على صلات وثيقة بالشيخ عبد القادر، ويشاطره الموقف، نظراً لانتمائهم الى الطريقة النقشبندية وايضاً لمحتوى المذكرة التي كان شيخ بارزان قد رفعها الى الباب العالي، حيث تضمنت مطالب معتدلة واخيراً لقاء شيخ بارزان بالشيخ عبد القادر قبل ذهاب الاخير الى روسيا.^{١٥}

أما الاتجاه الثالث فقد كان يدعو الى استقلال كردستان ويمثله الأمير أمين عالي بدرخان.

لعل من بين العوامل التي أثرت سلباً على عملية إنشاء دولة قومية مستقلة، هو تركيز زعماء ومثقفي الحركة القومية الكردية على الناحية الديبلوماسية أكثر مما ركزوا على تنظيم واعداد وتوحيد الشعب الكردي لخوض حرب تحرير وطنية في الوقت المناسب، وفي رأي بعض الكرد ضمنهم الدكتور جمال نيز أن الفترة التي اعقبت استسلام تركيا للحلفاء كانت فرصة نادرة لإقامة دولة كردية مستقلة، اذ يقول: «سقطت الامبراطورية العثمانية واحتلت جيوش الحلفاء بلاد العثمانيين، فتمركزت جيوش الانكليز والفرنسيين في استنبول كما استقر اليونانيون في ازمير. ولم تبق للسلطان اية سلطة سياسية بل أصبح العوبة بيد الحلفاء. ففي هذه الفترة، اي عندما كانت الحركة الكمالية لم تبدأ بعد بشكل منظم، كما ولم تكن هنالك دولة عربية بعد لا في العراق ولا في سوريا. وكانت الحكومة الايرانية تن تحت وطأة الاوضاع الداخلية المضطربة. وكان الجيش التركي لا يملك حولاً ولا طولاً. كذلك لم يتفق الحلفاء بعد على سياسة ثابتة تخص مستقبل الوطن العثماني. نقول ان هذه الفترة كانت أحسن فرصة للأكراد الملحقين بالامبراطورية العثمانية، فيما لو عرفوا كيف يمكن الاستفادة منها. ولم ينخدعوا بالأخوة الكاذبة التي كان يستند عليها مصطفى كمال أتاتورك في مساعيه.»¹⁶

١٥ . ف . نيكيتين . العائلة البارزانية . مقالة ترجمها د. كاوس قفطان عن الروسية . مجلة شمس كردستان . آب ١٩٧٣ . ص ٣٥ . 15

16 الكاظمي كنامه . فلسفة حزب كاظمي في سطور . الطبعة العربية . ١٩٧١ . ص ٣٥ .

وفيما يتعلق بفشل القيادات الكردية في استغلال فوضى الحرب من اجل اقامة دولة كردية، يقول كندال نزان بهذا الصدد:

«بسبب الانقسام الذي كان سائداً بين عدة أحزاب وجمعيات ونظراً للخلاف بين التيار الحديث والتيار التقليدي، فإن هذه القيادات لم تتمكن من الارتفاع الى مستوى المسؤولية. فمهام بناء دولة قومية كان خارج طاقاتها، وافتقرت هذه القيادات الى الذكاء السياسي والتاريخي اللازم. فحتى أولئك الذين يمكن اعتبارهم (راديكاليين) بالنسبة للفترة التاريخية التي عاشوا فيها، كانوا في الحقيقة مثقفين معتمنين، وكانوا نتاج التراث الثقافي العثماني بكل ما تعني العبارة من نظر وفكر فلسفي وسياسي للعالم.

إن النقطة الهامة المتعلقة بالمتقنين المعتمنين هي انهم كانوا مثقفين متشربين بالفكر الاستعماري. فنظراً لنمط حياتهم الاوروي أصبحوا غرباء حتى عن شعبهم. لقد استوعبوا الثقافة الغربية والتراث الغربي الى حد كانوا يفهمون تخلف شعبهم، ولكن ليس بما فيه الكفاية لفهم آلية العملية الاقتصادية والسياسية والتي تعتبر أساس عملية التخلف هذه، وكانوا إتكاليين وقديرين، . بالأمس كانت الارادة السماوية تحكم شؤون العالم واليوم الدول الاوروبية . كانوا يؤمنون بأن التحرر يأتي بلا صراع، وقد تصوروا أن الامل الوحيد لهم ولشعبهم انما هو الاحتماء تحت جناح احدى الدول المتمدنة، لقد كان هذا هو نموذج المثقفين الذين تطوروا وازدادوا في قلب إمبراطورية شبه مستعمرة، حيث كان الطريق الوحيد الى النجاح يمر عبر سفارات الدول العظمى، وقد يصبح المرء وزيراً او باشا اذا ما تمتع بتأييد هذا السفير الاوروي او ذاك.

ومنذ ان قضى على استقلال الامارات الكردية، تغيرت الامور كثيرا في كردستان حيث تقلصت السلطة السياسية المحلية أكثر فأكثر نزولاً الى مستوى رئيس العشيرة، ولم يكن بوسع أي زعيم تقليدي ان يحشد حتى نصف القوات التي كان قد حشدتها بدرخان بك ويزدان شير خلال العقود القليلة الماضية.

إن دول الشرق الاوسط، العراق وسوريا ولبنان وغيرها لم تخلق نتيجة لصراع البرجوازية او نضال الطلائع الثورية في تلك البلدان، بل على العكس خلقت هذه الدول من قبل الامبريالية البريطانية والفرنسية خدمة لاهدافهما وانسجاما مع مصالحهما الآنية، ولو أرادت الامبريالية البريطانية والفرنسية انشاء دولة كردية مستقلة لأقاموها وفق اتفاقهم عليها، اذ كانت الزعامة الكردية تقريبا في نفس مستوى التخلف التي كانت سائدة في العديد من الدول العربية..."

١٧

الواقع ان بريطانيا وقفت بعناد امام كل محاولة تهدف الى إنشاء دولة كردية، وقد ظلت تستخدم قواتها البرية والجوية للقضاء على الانتفاضات في جنوب كردستان حتى عام ١٩٤٥ واليها يعود الفضل في الحاق كردستان بالعراق وفق مشروعها الاستعماري.

احتل الانكليز مدينتي كفري وطوزخورماتو في شهر نيسان من عام ١٩١٨. واحتلت قوات الجنرال مارشال مدينة كركوك، لكنه عاد فانسحب منها بعد حوالي اسبوعين، فأعاد الترك احتلالها. والواقع ان بعض مدن جنوب كردستان عانت من احتلال ثلاث جيوش، فقد وقعت مدينة خانقين لأول مرة تحت الاحتلال البريطاني في كانون الاول ١٩١٧، وكانت المدينة فريسة للاحتلال الروسي والتركي والانكليزي بالتعاقب. ونفس الحال مع مدينة راوندوز، وسبب ذلك المزيد من التردّي في الاوضاع الاقتصادية، وفي الواقع كانت كردستان على شفا القحط.

عزز احتلال القوات البريطانية لبعض مدن كردستان ومن ضمنها كركوك، الآمال الكردية في نيل الحقوق القومية للشعب الكردي والتخلص من النير التركي. وبهذه المناسبة عقد اجتماع في مدينة السليمانية وقرر المجتمعون اقامة حكومة كردية مؤقتة. وتبنوا موقفاً ودياً من القوات البريطانية. وعبر الشيخ محمود الحفيد عن أمله في ان تزدهر كردستان مثلما ازدهر العراق في ظل الحماية البريطانية. وطلب الشيخ ضماناً من السلطات البريطانية لمنع عودة

¹⁷ Les Kurdes et Le Kurdistan. Sous la direction de Gérard Chaliand. Petite Collection Maspero. 1981.

الحكم التركي. لكن كان قرار اخلاء كركوك قد اتخذ، وجاء في رد السير ارنولد ولسون على رسالة الشيخ محمود، قبوله في ان يكون الشيخ مثلاً عنهم. ولكن ما ان انسحبت القوات البريطانية من مدينة كركوك حتى عاد اليها الترك وأرسلوا قواتهم الى السليمانية، وأعلنوا فيها الاحكام العرفية وسجن الشيخ محمود كما ان بعض وجهاء المدينة اما سجنوا أو فرضت عليهم الغرامات.^{١٨}

ولد الانسحاب البريطاني من كركوك ارتياحاً تركيا، فقد ظن الاتراك ان قوات الحلفاء تعاني من مصاعب جمة وان هذه القوات ستسحب من وادي الرافدين قريباً. وجاء في احدى النشرات الموجهة للأكراد، اريد بها اقناعهم بعدم جدوى بناء الآمال على القوات البريطانية وتحذيرهم من المصير المخيف الذي ينتظر كل من يتعاون مع قوى الكفر: «لقد انخدع الأرمن بوعود كاذبة وغرر بهم فحاربوا جيوش الله فدمروا وتشتتوا، اما آثوريو وان واورميه فقد سقطوا في نفس الفخ، اذ انخدعوا بقليل من الذهب وبوعود كاذبة في تزويدهم بالسلاح ، هؤلاء تم إبادتهم ولم يبقى منهم غير طواير طويلة من الارامل والايام البائسين متجهين الى خانقين، اما الروس أعداؤنا في الماضي فقد أدركوا اخيراً ان البريطانيين كانوا يخدعونهم فتركوا ساحة القتال.... واما المرتقة الإيرلنديون الذين سالت دماؤهم في جميع انحاء العالم من اجل بريطانيا، فقد بدأوا يتمردون على الانكليز، وفي بلاد فارس، احتلت قواتنا التركية ميانا وبيجار وسنه (كلها مراكز مدن كردية) وسوف نطرد القوات البريطانية قريباً من بلاد فارس.... الخ»^{١٩}

لقد سعى الانكليز الى تجنيد قوات كردية لمحاربة الترك، اذ كانت احدى الملامح البارزة في السياسة البريطانية استخدام شعوب المناطق المحتلة ضد بعضهم البعض تحقيقاً لمآربها، هذه المساعي فشلت صيف عام ١٩١٨ في كردستان، ورغم ان الاكراد في جبل آفرمون بقوا على معادتهم للحكم التركي، لكنهم في الوقت ذاته لم يتجاوبوا مع المساعي البريطانية.^{٢٠}

¹⁸ Lt. Col Sir Arnold Wilson, Mesopotamia 1917 – 1920. Oxford University Press. London. 1931. P. 87.

¹⁹ Ibid. P. 87

²⁰ Ibid. P. 87

بعد التوقيع على الهدنة مع تركيا، عادت القوات الانكليزية الى كركوك وآلتون كوبري وبعد عدة ايام وصلت القوات البريطانية الى اربيل. وبموجب بنود اتفاقية الهدنة فقد انسحبت القوات التركية من مدينة السليمانية، وفي شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٨ عين الميجر نويل ضابطاً سياسياً مسؤولاً عن مقاطعة كركوك، ووفق رأي السير أرنولد ولسون، كانت المقاطعة تمتد من نهر الزاب الصغير الى نهر دياالى وتمتد في الاتجاه الشمالي الشرقي الى الحدود الفارسية التركية وتعتبر جزءاً من ولاية الموصل. وزود السير أرنولد ولسون ميجر سون بكافة التعليمات الضرورية لتنفيذ مهامه في كردستان المحتلة حديثاً، ولفت انتباهه بشكل خاص الى عدم احتمال قبول السلطات العسكرية ارسال قوات بشكل دائمى الى السليمانية أو اماكن اخرى الى الشرق من خط الاحتلال، وان على الميجر نويل ترتيب امور الامن والنظام مع الوجهاء المحليين خارج حدود خط الاحتلال.²¹

واضح ان الاعتراف بالشيخ محمود حاكماً على السليمانية لم تمثل سياسة ثابتة لسلطات الاحتلال، انما كان بمثابة تكتيك مؤقت تبنتها تحت ضغط الظروف السياسية والعسكرية الصعبة لتلك الفترة. اذ كانت سلطات الاحتلال تعاني من نقص في عدد القوات وتخشى من عودة القوات التركية، لذا كان من الافضل لها تأييد اقامة ادارة كردية مؤقتة ومعادية للترك واستمالة الوجهاء الكرد الى ان تتضح الامور أكثر. ومن هنا عندما وصل الميجر نويل الى السليمانية في اواسط شهر تشرين الثاني عام ١٩١٨ أعترف بالشيخ محمود حاكماً على المنطقة وعين الوجهاء مسؤولين كل في منطقة نفوذه، وهؤلاء بدورهم مسؤولون مباشرة أمام سلطات الاحتلال ويتلقون الاوامر مباشرة من الضباط السياسيين البريطانيين، ولاستمالتهم كاملاً فقد خصص لهؤلاء الوجهاء الكرد مبالغ مالية، وازيح في نفس الوقت الموظفون التركمان والعرب وعوضوا بموظفين كرد.

وبعد اسابيع، زار السير أرنولد ولسون في شهر كانون الاول عام ١٩١٨ مدينة السليمانية لتفقد الاوضاع بنفسه، فالتقى بالشيخ محمود وعدد آخر من الوجهاء واقنعته هذه الزيارة بأن الكرد سيقاومون عودة الترك. لكن كان للشيخ محمود تطلعات اخرى تختلف تماماً عن

²¹ Ibid. P. 128

وجهاً نظر قوى الاحتلال. فقد ذكر للسير ارنولد ولسون، انّ (الشيخ) يمثل جميع الاكراد، ضمنهم اكراد ولاية الموصل واكراد كردستان ايران وآخرين، وانه يعبر عن طموحات الشعب الكردي في تشكيل دولة كردية تطبيقاً لوعود الرئيس الامريكي ويلسن وايضاً تطبيقاً لما أعلنه الحلفاء في شهر تشرين الثاني ١٩١٨ والذي أعلن في باريس ولندن والقاهرة، ونشر بشكل واسع النطاق، ومن بين ماتضمنه الاعلان: «... الهدف هو التحرير التام والنهائي للشعوب التي عانت طويلاً من الاضطهاد التركي وإقامة حكومات وطنية تستمد صلاحياتها من المبادرة الحرة للسكان الاصليين.»^{٢٢}

شعر الشيخ محمود بمماثلة الانكليز في الاعتراف بدولة كردية مستقلة، وتنبهت سلطات الاحتلال الى ان الشيخ محمود لا يتصرف ضمن إطار مصالحهم وكانت مطالبه القومية تزعجهم، فبدأ التدهور في العلاقات بين السليمانية وادارة الاحتلال البريطانية. لجأ الانكليز الى سياسة فرق تسد وذلك لعدم توفر قوات كافية لفرض ارادتهم بالقوة. وفي كل الاحوال فإن اتباع سياسة فرق تسد كانت ناجحة في مجتمع حديث عهد في التعامل مع البريطانيين. ولبحث الاوضاع المتأزمة عقد اجتماع موسع حضره كل من كوردن ولكر و ميجر سون و ليجمن والميجر نويل، وفي هذا الاجتماع تقرر استبدال نويل بالميجر سون، وقام الاخير على الفور بجولات في كردستان، وكان يتكلم اللغة الكردية بطلاقة، واسفرت جولته هذه بتخلي قبيلة الجاف عن تأييدها للشيخ محمود ثم تبعتها عشائر اخرى.

كان الشيخ محمود على دراية تامة بنوايا سلطات الاحتلال، فأعدّ العدة في ٢٢ نيسان ١٩١٩ للهجوم على مدينة السليمانية، ولم تتمكن قوات الليفي ابداء مقاومة فعالة بوجه قواته، فسيطرت قوات الشيخ على المدينة وقبض على الميجر ف. س. كرين هاوس الذي كان ينيب عن الميجر سون. ثم أعلن الشيخ نفسه حاكماً عاماً لكردستان ورفع العلم الكردي وأصدر الطوابع البريدية وعين المسؤولين لتولى الشؤون الادارية في جميع المقاطعات.^{٢٣}

²² Ibid. P. 102

²³ Ibid. P. 136

وفيما يتعلق بمنطقة بادينان، فقد أرادت سلطات الاحتلال التغلغل بقواتها نحو شمال مدينة الموصل، وجدير بالذكر ان البريطانيين كانوا يحتفظون بقوة عسكرية قادرة على مجابهة الطوارئ في مناطق الموصل، ففي كانون الثاني ١٩١٩ أرسل القائد العام للفرقة الثامنة عشر ببعض القوات الى زاخو ودهوك والعمادية، لكن الآمال في احتلال هادىء خابت، ففي ٤ نيسان ١٩١٩ قتلت عشيرة الـ Goyan مساعد الضابط السياسي في زاخو الكابتن س. أ. ك. برسـن. وفي ١٤ تموز من عام ١٩١٩ هاجم الكرد مقر الادارة البريطانية في مدينة العمادية وقتل في هذا الهجوم الكابتن ولي والكابتن. هـى. مكدونالد وسبير. هـى. تروب مع عدد من الليفي. وفي شهر تموز هاجم عدد من القبائل الكردية التي جاءت من غرب نهر الخابور القوات البريطانية في سواراتوكا فنشأت حالة من الفوضى العامة في بادينان وفي مناطق اخرى من جنوب كردستان.

يتضح مما سبق ذكره ان رد الفعل الكردي أزاء قوات الاحتلال التي أخذت تتقدم في مجاهل كردستان كان ايجابيا في البداية، اذ ظنوا ان البريطانيين سوف يستجيبون لمطالبهم في انشاء دولة كردية مستقلة، لكن عندما اكتشفوا حقيقة نوايا البريطانيين المعادية للكرد والتي تشمل ليس فقط حرمانهم من إقامة كيان إداري خاص بهم، انما تتعداه لفرص الحاق قسري بحكومة بغداد، عندها وقف الكرد موقفاً معادياً لتواجد قوات الاحتلال البريطانية في كردستان والعمل على طردها. هكذا كانت بدايات الاحتكاك البريطاني الكردي.!

أزاء اتساع المقاومة في كردستان لم يبق أمام قوات الاحتلال غير ترك العديد من المناطق الثائرة، فانسحبت من راوندوز نحو باتاس، وبدأ تدفق القوات من بغداد الى كردستان للسيطرة على الموقف المتدهور. وفي شهر تموز عام ١٩١٩ تأهبت القوات البريطانية للقيام بإجراءات عسكرية انتقامية واسعة في كردستان، وشنّت هذه العمليات تحت إمرة عدد من الجنرالات ضمنهم الجنرال ولدرك والجنرال كاسيلز والجنرال نايتنكل^{٢٤}، وقد شملت هذه العمليات مناطق بادينان واعدمت سلطات الاحتلال عدداً من الوجهاء الكرد ونفذت عمليات معاقبة

في أوساط البروريين. واستخدم البريطانيون قوات آثورية في هذه العمليات، مما سبب في خلق مشاعر عدائية ضدهم. الواقع كانت سياسة بريطانيا تعتمد على إثارة العداء بين الشعوب المتجاورة لتحقيق مصالحها الاستعمارية، وواضح ان البريطانيين خدعوا الآثوريين خلال مشاريع إسكانهم، وكان الهدف الحقيقي استخدامهم في القضاء على جيوب المقاومة الكردية ضد الاحتلال البريطاني، ومن هنا قاوم الاكراد هذه المشاريع وأعتبروها مؤامرة من صنع سلطات الاحتلال البريطانية.

وفي جبهة السليمانية استقدمت القوات لإحتلال المدينة، وبعد عدة مجاهات مع قوات الشيخ محمود، تغلبت قوات الاحتلال اخيراً وجرح الشيخ نفسه في المعركة ووقع اسيراً في قبضة الانكليز وجيء به الى بغداد في حزيران عام ١٩١٩، ومثل امام محكمة عسكرية، اصدرت عليه الحكم بالاعدام، لكن الحكم لم ينفذ. كان السير أرنولد يفضل تنفيذ قرار المحكمة وذلك بذريعة ان الشيخ مادام حياً فان انصاره سيعيشون على أمل عودته، بينما اعداؤه يعيشون في خوف من عودته، وان إعدامه سيساهم مساهمة كبيرة في استتباب الأمن في تلك الربوع الثائرة. وشارك وجهة نظر السير أرنولد ولسون القوميون العرب في بغداد فيما يخص قرار العفو عن الشيخ محمود.^{٢٥}

وقبل انتهاء العام لقي اثنان آخران من الضباط السياسيين مصرعهما في كردستان، اذ قتل في الاول من شهر تشرين الثاني ١٩١٩ الكابتن ك. سكوت والضابط السياسي بل في قرية بيراكبره الواقعة الى الغرب من نهر روومزن. وعندما أشرف العام على نهايته كانت كردستان المركزية لاتزال خارج نفوذ ادارة الاحتلال البريطانية. وحسب تعبير السير ارنولد ولسون: «في جنوبي كردستان عم الهدوء، وقضى على الشيخ محمود بقوة السلاح، وشمل الهدوء مدينة كويسنجق». ^{٢٦}

لم يكن عام ١٩٢٠ خالياً من الاضطرابات بالنسبة لسلطات الاحتلال البريطانية، اذ كانت معظم مراكز قواتهم مهددة في كردستان. اذ وقع الكابتن لويد في آب ١٩٢٠ في

²⁵ Ibid. P. 139

²⁶ Ibid. P. 154

الاسر، وهوجمت قوات الكابتن و. ر. هـ في ١٢ آب ١٩٢٠. لكنه نجا بصعوبة بالغة، واضطر الكابتن ف. س. كرك، الانسحاب من كويسنجق، وقتل في ٢٨ آب الضابط السياسي الكابتن ج. هـ. سالمون، فتحركت قوة عسكرية من كركوك لإعادة احتلال مدينة كفري، وانسحبت القوات البريطانية المتواجدة في راوندوز الى اربيل تحت ضغط القتال.^{٢٧} مما يجدر ذكره، هو ان هذه الانتفاضات الكردية ذات الطابع المشتت لم تكن وليدة تنظيم سياسي وانما كانت مقاومة دافعها مزيج من القومية والدين ورفض الخضوع للحكم الاجني. وكانت تفتقر الى فكر سياسي واضح المعالم كما كانت تعوزها استراتيجية عسكرية ولم تكن مناطق المقاومة هذه مرتبطة بعضها ببعض، ساعد ذلك قوات الاحتلال البريطانية على مواجهتها كل على حدة واخمادها كلها. ويجب هنا الاشارة الى ان انتفاضات السليمانية كانت تحمل طابعاً قومياً واضحاً، وتهدف الى انشاء دولة كردية مستقلة. وبصورة ادق كانت انتفاضات السليمانية تحمل الكثير من الطابع المدني دون ان تخلو من الفكر القبائلي، بينما الانتفاضات الاخرى في جنوب كردستان كانت ذات طابع قبلي ومحلي، ويعود ذلك الى درجة التطور الاجتماعي والوعي الثقافي والسياسي المتباين بين المدينة والريف في المجتمع الكردي آنذاك.

في مواجهة حالة الاضطرابات العامة في العراق وكردستان، قررت سلطات الاحتلال استبدال الادارة المباشرة بإدارة غير مباشرة، واخيراً تقرر في مؤتمر القاهرة المنعقد في آذار ١٩٢١ تعيين الامير فيصل ملكاً على العراق. وهكذا ووسط معارضة الشيعة ومقاطعة اكراد ولايات الموصل والسليمانية وكركوك وعلى اسس مهزوزة ومشكوك فيها تم تتويج الملك فيصل على عرش العراق في ٢٣ آب من عام ١٩٢١.

رغم حالة الفوضى التي كانت تعيشها تركيا، استمرت هذه في المطالبة بجنوب كردستان، وقد جاء الى كردستان أحد الضباط الترك المدعو فاضل أفندي، ماراً بالاراضي الكردية الواقعة تحت إدارة اسماعيل آغا (سمكو شكاك) ووصل راوندوز. وما ان علمت السلطات البريطانية

بوصول هذه القوات حتى بادرت الى قصف جوى لمدينة راوندوز وتجمعات اخرى شمال وشرقي المدينة، وبالقرب من راوندوز ثارت عشائر السورجي بوجه السلطات الحكومية. ففي يوم عيد الميلاد ١٩٢١ هاجم ١٠٠٠ من قوات الليفي قوات الشيخ عبيدالله السورجي وباسناد من القوة الجوية البريطانية، وجرت معارك دموية قتل فيها اثنان من الضباط البريطانيين، وبسبب كثافة القصف الجوى وتركيز القوات المعادية، اضطر السورجيون للإسحاب الى ماوراء الهضاب، فأحرقت قرى السورجيين ونهبت قطعانهم، واعتبر الانكليز ان للسلطات الفرنسية يد في هذه الاضطرابات، لان فرنسا تؤيد الاتراك في نفط ولاية الموصل.^{٢٨}

كان النفوذ البريطاني لايزال ضعيفا في كردستان، ورغم وجود قوات الليفي المؤلفة في اكثريتها من العرب، الا انها لم تكن كافية للسيطرة على الوضع. وقد أوصى مؤتمر القاهرة توسيع نطاق الليفي لكي يشمل كردستان. وجرت اتصالات كثيرة بهذا الشأن. ولضمان السيطرة على السكان قامت إدارة الاحتلال بتغذية التعصب القبلي وتقوية نفوذ الاغوات وتوزيع الاموال عليهم ومنحهم المناصب، واصبح هؤلاء خير عون لتوطيد النفوذ البريطاني في كردستان، وليس من شك ان الليفي الكردي سيكون أكثر دراية بجغرافية المنطقة اضافة الى خبرته في حرب الجبال، وهذا ماكان ينقص الليفي العربي في ذلك الوقت. وبعد إنتهاء الإنتداب البريطاني استمرت طبقة الاغوات الكرد بتقديم نفس الخدمات لحكومات بغداد ضد الحركة التحررية للشعب الكردي، وتحولت الى قوة تحت الطلب (مرتقة) متى ما شاءت حكومات بغداد.

ظل جنوب كردستان يتأرجح بين نفوذيين، بريطاني وتركوي. في أواسط آذار عين الأتراك قائمقاماً في راوندوز، وثارت قبيلة جباري الكردية قرب ججمال ضد الانكليز، ثم انتفضت قبائل الهماوند وقتلت ضابطين بريطانيين هما الكابتن مكند وبوند، وازاء تصاعد الاضطرابات وسعتها فقد ارتأى الانكليز اللجوء الى نفس الاسلوب الذي استخدموه في العراق، اي

²⁸ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 61.

استبدال الإدارة المباشرة بإدارة غير مباشرة في كردستان منعا لتدهور الأوضاع بحيث لا يمكن السيطرة عليها. وبهذا الخصوص يقول. س. ج. آدموندز مستشار وزارة الداخلية العراقية مايلي: «إما ان يتخذ قرار من جانب واحد بدمج السليمانية وكركوك في الدولة العراقية شاء السكان أم أبوا، وهذا سيكون نكثاً بالعهد وتخلياً عن الضمانات التي أعلنت في مجلس العموم البريطاني ومؤداها ان الكرد لن يرغموا على الخضوع لأية حكومة عربية، وثانيهما، استبدال الحكم المباشر بحكم غير مباشر عن طريق الإتيان بشخصية كردية بارزة، تستطيع نيل الثقة الشعبية والدعم العام، ولاستجيب لدعاية التفرقة التركية التي كانت تلقى آذاناً صاغية من القرويين ورجال القبائل السذج.»^{٢٩}

ان مقاطعة الكرد في السليمانية للمشاركة في الاستفتاء على الامير فيصل ملكاً على العراق و ثم طلب الكرد في كركوك ادارة كردية بحتة، وعدم المشاركة في احتفالات الجلوس على العرش، كل هذا رسخ وجهة نظر المسؤولين البريطانيين والقوميين المتعصبين العرب في رفض الاعتراف بأي حق «لهؤلاء الكرد الذين اصرروا على البقاء خارج الإطار السياسي الراهن.»^{٣٠}

لقد عجزت قوات الاحتلال البريطانية عن مواجهة المصاعب التي نشأت في السليمانية، فأرسلت قوات من الليفي لمواجهة القوات غير النظامية التركية، واثناء القتال وقعت القوات البريطانية في مأزق مما أرغم السلطات على ارسال سريتين مؤلفة من السيخ لنجدتها، وبالقرب من دربند هوجمت هذه القوة في ٣١ اغسطس عام ١٩٢١ واضطرت القوات البريطانية والعراقية على التقهقر والفرار تاركة ورائها مدفعين وجميع الاعتدة والذخائر. وإثر هذه الهزيمة الماحقة والخوف من تقدم القوات الكردية والتركية نحو السليمانية، قرر البريطانيون إخلاء المدينة من جميع موظفيهم وبأسرع وقت ممكن، وقد هبطت عدة طائرات في الأول من شهر سبتمبر ١٩٢٢ قرب السليمانية لإنقاذ موظفيهم المدنيين والعسكريين، تاركة الخزينة وعدداً

^{٢٩} كرد وترك وعرب. أ. س. ج. آدموندز. ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. ص. ١١٤

^{٣٠} نفس المصدر. ص ١١٤.

كبيراً من البنادق، هذا وقد عبر الجنرال فريزر عن تخوفه من وقوع هجوم كردي - تركي مشترك يشمل أربيل وعقره في آن واحد.^{٣١}

ومن جديد حتمت هذه الظروف على سلطات الاحتلال إختيار الشيخ محمود كمفتاح لتجاوز الازمة رغم تحفظات نويل، اذ عبر عن شكه في حكمة قرار إتحذ بشأن رجل ثبت من تجارب الماضي انه صعب الانقياد، في حين ذكر السير ارنولد ولسون أن الشيخ مصدر قلق للحكومة الفارسية والعراقية، ولكن لم يكن هناك خيار آخر فقبل البريطانيون مكرهين عودة الشيخ محمود الى السليمانية، وقد إستقبل كحاكم على كردستان مستقلة.

³¹ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 63.

بارزان الانحسار، الفراغ والنهوض

يقول الصحفي الفرنسي المعروف كريس كوتجيرا في آخر كتاب له، صدر عام ١٩٩٧، عن شيخ بارزان الرابع (عبدالسلام): «انه ذلك الرجل الذي كتب أول برنامج للحركة الوطنية الكردية، وفيها يقدم قائمة في غاية الدقة بالمطالب الكردية وهي تبني اللغة الكردية كلغة رسمية في الاقضية الكردية الخمس ؛ تبني اللغة الكردية في التدريس ؛ تعيين الموظفين الذين يتكلمون اللغة الكردية ؛ تعيين القضاة من المذهب الشافعي (في حين كان العثمانيون يختارون القضاة من المذهب الحنفي) الغاء جميع الضرائب التي تخالف الشريعة واستثمار ما ينجم من جمع الضرائب في شق وصيانة الطرق في المناطق الكردية. ويعتري المرء الدهول امام دقة البرنامج المصاغ في برقية بعثها عام (١٩٠٨) الى الحكومة والبرلمان العثماني.³²

عبد السلام هو أول من أدخل بارزان ميدان الصراع من أجل الحقوق الكردية مطالباً الامبراطورية العثمانية بإجراء الاصلاحات وتحقيق العدالة الاجتماعية. ولم يكن تاريخ بارزان فيما بعد غير امتداد لما بدأه الشيخ الشهيد. وهو ايضاً الشخصية التي استوعبت الوزن السياسي الدولي للقوى العظمى آنذاك في بلورة القضية الكردية، وسعى الى الإتصال وإقناع الدولتين العظميين (روسيا وبريطانيا) الى التدخل لصالح الكرد، كما إنه أول من سافر لكي يلتقي بالقيادة الروسية العسكرية في تفليس لاقناعهم بمساعدة إنتفاضة كردية. وكان العالم على شفير الحرب الكونية الاولى.³³

³² Le défi Kurde. Chris kutschera. Bayard Editions .1997. p.15

³³ بارزان وحركة الوعي القومي الكردي. ١٨٢٦-١٩١٤. بختروش. ١٩٨٠.

باعدام شيخ بارزان عام ١٩١٤ في الموصل على يد المغالين الطورانيين، ترك غيابه فراغاً روحياً واجتماعياً وسياسياً كان له أثر كبير في تاريخ بارزان اللاحق، الديني والسياسي. وعلى اثر ما حصل لشيخ بارزان (عبدالسلام) من غدر وتسليمه الى السلطات التركية وثم إعدامه، رحل البارزانيون من المنفى الايراني نحو قرى عشيرة (Gerdi) ولم تتمكن العائلة البارزانية من العودة الى موطن سكنها الأصلي في مناطق بارزان، في حين كانت الدوريات التركية تتعقب آثار (أحمد) - فيما بعد شيخ بارزان الخامس - إذ إختفى في جبال حكاري الوعرة مع شقيقه (محمد صديق)، بين اوساط عشيرة (Gerdi) - ضمت هذه القبيلة الى تركيا بعد التخطيط التعسفي للحدود بعد الحرب العالمية الاولى - وهم من اتباع بارزان المخلصين. حيث رعت هذه القبيلة (أحمد) خير مراعاة وأخفته داخل منازلها او في متاهات الجبال، ولم تتمكن الدوريات التركية من العثور عليه رغم ترددتها على قرى العشيرة بحثاً عن (أحمد) الهارب من وجه العدالة التركية. اما الأخ الاصغر في العائلة (ملا مصطفى) فقد عاد الى خاله أحمد آغا في قرية (بيرسياف) وكان الأخير يتمتع بعلاقات مع عدد من وجهاء المنطقة والمتنفذين فيها ولذلك لم يكن بحاجة الى التخفي.

اما منطقة بارزان فقد عانت من صعوبات اقتصادية وكانت على شفا القحط بسبب سلسلة من المجابهات بين القوات التركية وقوات بارزان منذ عام ١٩٠٨، كما إجتاحتها صيف عام ١٩١٧ قوات روسيا القيصرية مروراً في مناطق برادوست، مما اضطر الكثيرون من اهالي القرى الى النزوح الى الجهة الغربية من نهر رومزن، والتجأ آخرون في متاهات الجبال، وظن آخرون ان مجيء القوات الروسية أمر متفق عليه بين شيخ بارزان الراحل - عبدالسلام - والقيادة الروسية في تفليس، لذا بقي قسم من سكان قرى الشيروانيون في منازلهم دون خوف، وعند قدوم الجيش الروسي، هياً بعض القرويين الطعام لهم وحملوه ترحيباً بقدمهم، لكنهم

فوجئوا عند الاقتراب منهم، باطلاقهم النار على المرحبين وأردوا عدداً منهم قتلى، وقد بلغت بربرية هذه القوات حد قتل الاطفال والنساء والشيوخ طعناً بالحرب.^{٣٤}

بقي الجيش الروسي في منطقة بارزان مايقارب الشهر، وقد شمل القتل (ملا محمد بيراني) الذي حمل كيس لبن لتقديمه للجنود، وثم (خال آلي أحمد) من قرية بردري وقتلوا فتاة صغيرة إسمها (خه م) بين قرية بردري وخيرزوكا، كما قتل الجنود الروس (حسكو زاراي) و (مل بيداروني) في (ساركي) وامرأة اسمها (عيش زاراي) و(تأنجو) من اهالي قرية كاني بوت. وطعنوا الطفل (خزالي) من قرية كانيايوت، وتركوه وهم يظنون انه فارق الحياة، لكن الصبي استيقظ وعاد الى القرية وعولج فيما بعد، وكان لايزال حياً يرزق حتى عام ١٩٧٩. لقد ولد هذا خوفاً كبيراً لدى العزل من سكان قرى كردستان الذين ابتلوا بهذه القوات التي لا تميز بين سكان القرى المساكين والجنود الترك، اذ أمسى اهالي هذه القرى ضحايا لسياسات دول وامبراطوريات متحاربة ليست لهم بها أية صلة. فيما كانت المعارك والمجابهات وتدفع الجيوش يجرى على أرض كردستان.

نظراً لأحداث الحرب الكونية الاولى والضغط العسكري التي كانت تواجهها الامبراطورية العثمانية على جميع الجبهات، فقد غادرت بارزان القوات التركية التي كانت مرابطة فيها إثر الانتفاضة البارزانية الاخيرة عام ١٩١٤. وفي نهاية عام ١٩١٥ عادت الاسرة البارزانية الى عاصمة المشيخة بارزان. وبعد إستشهاد شيخ بارزان، تقلص نفوذ العائلة البارزانية الى حد كبير، وعانت المشيخة بين أعوام (١٩١٤ - ١٩١٩) من غياب الدليل ومن الفراغ الروحي، وكان إخوة الشيخ الراحل لايزالون دون خبرة في عالم الطريقة وأسرارها نظراً لصغر سنهم وقلة تجربتهم وحياة التشرد التي عاشوها، كما وظهر من ينافسهم حتى داخل نخوم قرية بارزان، مستغلين إستشهاد رأس العائلة وظروف الفوضى والتسيب في المنطقة وعداء السلطة التركية والاغوات للعائلة البارزانية.

^{٣٤} لقاء مع العجوز الشيرواني (بيريايكي) في مخيم زيوه، في عام ١٩٨٢ ذكر أن الجيش الروسي بقي في المنطقة مايقارب شهراً. وذكر لي عجوز بارزاني آخر هو (خزالي كانيايوتي) في ١٩٧٠: "ان القوات الروسية قتلت تأنج كاني بوتي، وطعنوني بالحرب وتركوني وهم يظنون أنني فارقت الحياة". عولج الطفل خزالي بالأعشاب وعاش حتى عام ١٩٧٩ حيث مات في معسكر (قوشته به) السيء الصيت.

عندما عادت العائلة البارزانية الى مسقط رأسها، كان إنعدام الأمن تاماً بالنسبة لـ (أحمد) ولم يجرؤوا الاّ قلة قليلة من سكنة القرية التردد علمه خوفاً من المعارضة الدلانية وأغوات الزبيار والحكومة التركية. في إحدى الليالي قتل في قرية بارزان صالح بارزاني، وهو من الذين بقوا على اخلاصهم للعائلة وكان يساعدها في الحاجات اليومية. وكان ذلك بمثابة تهديد مباشر لأحمد، بعد هذا الحادث اضطر (أحمد) على ترك منزله في الليل والنوم خارج القرية، وقد كشف سعيد فقي عبد الرحمن (ابن الشهيد فقي عبد الرحمن دلاني) خيوط مؤامرة تستهدف حياته، حاثا اياه اما ترك بارزان او اتخاذ أقصى درجات الحذر.

كان (أحمد) طويل القامة، وسيماً وذو بنية قوية، هادئ الطبع شديد الحذر إذ عايش جميع المؤامرات التي تعرضت لها بارزان سواء من الاغوات المجاورين أو من الحكومة التركية. وكان رجل الطريقة النقشبندية، لايتخذ قرار الاّ على هديها.

لم يبق في بارزان غير ثلاثة اشخاص متعلقون بـ أحمد وهم شقيقه محمد صديق وملاي ملا محمود وعبدالله إبراهيم حاج بارزاني. وزاد من توتر الجو ان حث أغوات الزبيار ممن اشتركوا في عمليات إحتلال بارزان مع القوات التركية، حثوا الأتراك على القاء القبض على (أحمد) وذلك لأنه لن ينس ما حصل لأخيه الراحل على يد الاتراك. وسيبقى مصدر عدم استقرار في المنطقة مادام طليقاً. وقد لاقت هذه الشكايات قبول السلطة التركية، ففي أحد الأيام غادرالقائمقام التركي بيراكبره بصحبة ثلة من المسلحين يرافقه فارس آغا الزبياري بحجة جمع الضرائب من السكان ، رغم فقر المنطقة المدقع ، وأستدعوا أحمد الى مكان الاجتماع ، علم أحمد بنواياهم، فاتفق مع انصاره الثلاث على مواجهة الوفد المشترك (القائمقام والآغا) وبينما كانوا في طريقهم الى مسجد بارزان حيث مكان الاجتماع، صادفوا محمود دلاني يخرج من لدن القائمقام ، وكان هذا الأخير من أنصار الأغوات والحكومة التركية، فبادر الى القول بلهجة ساخرة موجهاً كلامه الى ملاي ملا محمود: « أدخل .. وسترى ماينتظرك.. ولنرى ماذا ستفعل..» وهنا إلتفت إليه ملاي ملا محمود بنبرة متحدية: " إن هذه امور لا تخصك، ليس لك لياقة إلاّ ان تكون خادماً لهذه الحثالة ". - يعني بما رهط القائمقام والآغا. ثم واصل خطاه بثبات نحو الآغا والقائمقام.

دخلوا على الجالسين. وقف محمد صديق وملاى ملاى على جانبي الباب من الداخل، بينما تخطى عبدالله ابراهيم حاج ليقف وسط الغرفة. كانت علامات التحدى والغضب ظاهرة على ملامحهم، في حين تقدم أحمد نحو القائ مقام وجلس بالقرب منه. تكلم فارس آغا نيابة عن سيده وقد بدى شاردًا وهو ينقل نظراته بين (أحمد) الجالس ورجاله المسلحين الواقفين: «جئنا لجمع الضرائب، وقد حددنا حصتكم بـ ١٤ قطعة ذهب».

رد عليه (أحمد): «إنني لأملك ١٤ قطعة ذهب، لكن لدي ١٤ رأس ماعز، بإمكانكم أخذ القطيع كله..» هنا وبشكل مفاجئ، ضرب عبد الله ابراهيم حاج أخمص بندقيته بالأرض، مما أحدث دويًا أذهل الحاضرين والتفت الجميع نحوه، ثم صرخ في وجههم: «أنتم مخطئون، لن تأخذوا شيئًا، وكفى».

هنا شعرت المجموعة الحكومية بخطورة الوضع، فبادر فارس آغا الى تدارك الوضع قائلاً: «لا حاجة لذلك، الحقيقة إننا جئنا لزيارتكم... أنتم معفون من كل الضرائب».

لم يمضي على الحادث المذكور غير وقت قصير عندما جاء عبدالله ابراهيم حاج ليخبر (أحمد) ان المساعي لإلقاء القبض عليه ستتكرر والأفضل له ترك بارزان، ومنح (أحمد) بندقيته، وكان لـ (أحمد) بنت صغيره أردفها فوق كتفيه وتوارى في متاهات جبل شيرين مع زوجته، ليظهر في أوساط الشيروانيين في قرية (Bîye) وجميع ساكنيها من الموالين وحيث الوضع الأمني أكثر ضمانًا من (Beroj) ومكث هناك لفترة.

هذا الفراغ الروحي والسياسي المفاجئ شجع ظهور الحسد والمنافسة، وهذه عادة ملازمة للقرى التي يسكنها عدد من الافخاذ والبطون، كل يسعى من أجل تأمين سلطة فخذ معين على الآخرين. وعانت العائلة البارزانية من ضغوط شديدة إستهدفت إخضاعها لفخذ (دلاني) بتأييد من أغوات الزبيار المرتبطين مباشرة بالحكومة، و لكن ما ان شعر فخذ دلاني بشيء من القوة والتفوق على الآخرين، حتى تحولت المنافسة مع الغير الى صراع داخلي فيما بينهم، وانقلب الصراع الى مجابهة بالسلاح، فقاتل ابناء الفخذ الواحد بعضهم بعضًا كان من نتائجه وقوع ضحايا واستحالة العيش في بارزان، هنا غادر الفخذ كله بارزان، وخفت الضغوط

على العائلة البارزانية. فيما بعد، وبعد ان بويع (أحمد) رئاسة المشيخة، واجهته مشكلة إستتباب الأمن والإنسجام الإجتماعي داخل بارزان، ولذلك بادر الى إستدعاء الفخذ الحارب للعودة الى بارزان مجرياً صلحاً راسخاً بين عوائل معادية أسالت دم بعضها البعض. وأثبت (أحمد) بذلك تمتعه بروح تسامح كبيرة وتمسكه بمبدأ (الصلح سيد الاحكام). وهنا عاد الاستقرار الى العاصمة الروحية بارزان.

اما في المجال الديني فقد كان الحوار جارياً بين الحريصين من اتباع الطريقة النقشبندية من أجل العودة الى الصفاء الروحي وتنقيف الأتباع، وكان لإنحسار النفوذ التركي عن المنطقة وهزيمتها واستسلامها بادرة مشجعة لبارزان، فخفت الضغوط على رأس العائلة البارزانية. كانت هناك مايشبه (العصبة الخفية) التي ترتبط ببعضها بروابط روحية قوية ولديها نفس التنقيف الروحي. وكانوا يشبهون الحالة السائدة آنذاك بنار خبت، وقد كسا الرماد الموقد ويخال للجميع ان النار انطفأت نهائياً، لكن ما ان يحرك الرماد ويقلب، يكشف أن جمرات صغيرة بقيت ومن هذه الجمرات الصغيرة يندلع اللهب من جديد وتعود ناراً تجتذب الانصار من كل حذب وصبوب. إرتأى العديد من الأنصار الإقتداء والعودة بالأمور الى ماكانت عليه اثناء عهد الشيخ الراحل (عبد السلام). كان ملاي ملا محمود مسؤولاً عن تولي مهام الإرشاد وتنقيف المريدين، وكان الأخير قد حاز على ثقة الشيخ عبد السلام التامة واعترف أعداؤه قبل أصدقائه بشخصيته الفذة وتعدد قابلياته، وقد وطد قوة شخصيته ليس فقط في المجال الروحي وانما في ساحات القتال، فكان بطل المعارك أينما خاضها، حيث قاتل ببطولة مرات عديدة جيوش الامبراطورية العثمانية وتصدى للقبائل المعادية، وأشتهر بتذليله للصعاب ولم يكن اليأس ليجد الى قلبه سبيلاً. ونظراً لماضيه اللامع فقد كان ملاي ملا محمود محط أنظار البارزانيين. في حقيقة الأمر لم يكن هناك بديل له. كان الناس قد سأموا الفراغ الديني وضعف الرابطة الروحية بين أتباع الطريقة كما خافوا من عودة نفوذ الاغوات وظلمهم، وكان هذا في الحقيقة العامل الضاغط لمعالجة هذا الوضع المتأزم.

بدأت اللقاءات السرية بين عدد من المخلصين بهدف العودة الى الطريقة وحياء النشاط والتربية الروحية. ويظهر ان المبادرة جاءت من ملاى ملا محمود نفسه، فقد شعر بمسؤوليته أزاء المخاطر التي قد تستفحل إن لم يأخذ المبادرة، وهكذا توالى اللقاءات الثنائية بين أحمد وملاى، في متاهات جبل شيرين وفي المنتجعات الصيفية البعيدة عن العاصمة بارزان، مثل (Hore) و (Dola-beregira). في هذه اللقاءات كان التركيز على كيفية النهوض من جديد وصيانة وتعزيز الوحدة العقائدية والفكرية للشعب. كما تم الاتصال بشخصيات من البارزانيين الأمناء في القرى البعيدة عن العاصمة بارزان، في أوساط عشيرة دولمري، شيرواني، مزوري وGerdi. كان هناك نوع من الحنين للعودة الى الماضي الزاخر بالنضال والمعارك والتآخي المتبادل والتعاون البناء، وقد تجسد هذا الماضي النضالي في أغان وملاحم وحكايات بطولية تزخر بالتفاني يسمعها الجيل الناشئ عن الجيل الذي عاش الاحداث وشارك فيها، كانت الذاكرة الجماعية قد تكونت وترسخت بفعل مسيرة البحث عن العدالة ومقارعة الظلم وكانت بارزان متميزة عما يحيط بها من انماط مشيخية او قبائلية من حيث تنظيم الإدارة ووحدة الفكر وأهمية المبادئ. وكانت احداث الماضي التاريخية قد افرزت تراثاً متميزاً في الوسط البارزاني يمكن تسميته بـ(Micro-culture) وفوق كل ذلك كان هناك أشخاص مصممون على مواصلة النضال على طريق أسلافهم الشهداء ممن حاربوا الظلم والاستبداد المحلي والاجنبي. لقد أصبحت فكرة المبدأ وليس الشخص أساس العقيدة البارزانية، فالشخص زائل والمبادئ تبقى. والإنسان الذي لا يجسد القيم والمبادئ الروحية والإنسانية مهما كانت منزلته أو أصله، لا يصلح ولا ينبغي بذل الطاعة له. كان الحكم في عرف البارزانيين هو للمبادئ وليس للأشخاص.

تكررت اللقاءات وتأثر أحمد بآراء ملاى ملا محمود، وبمرور الزمن تطورت العلاقات وبلغت درجة التفاهم بينهما الى حد أن إقترح (أحمد) على ملاى ملا محمود مراراً أن يتولى زعامة المشيخة بتأييد منه، لكن الأخير رفض هذا الإقتراح المخلص وأبى رغم الحاج (أحمد) إلا أن يكون نائباً له لاغير. وقال في رده:

«إن شيخ بارزان الراحل أشاد بمؤهلاتكم للخلافة.»

وتشير معظم الدلائل ان ملاي كان يريد القيام بنفس الدور الذي كان يقوم به في عهد شيخ بارزان الراحل عبد السلام. وذكر فيما بعد أحمد بعد ان أصبح شيخ بارزان الخامس ان الدور الذي اراد ملاي ملا محمود ان يتولاه هو النيابة عنه في تثقيف وارشاد الشعب لاغير، كان ذلك أقصى مايريده وفضلاً عن ذلك لم يكن هناك مرشح آخر تتوفر فيه الصفات المؤهلة لهذا الدور الخطير. إتصل الاثنان بعدد آخر من الرجال المخلصين لماضي بارزان وممن كانوا مستائين من عودة نفوذ الأغوات، ثم دب النشاط في عملهم، وقام الاثنان بتحرك واسع مشوب بالحذر الشديد في أوساط الشعب وأدى هذا الى إيجاد إرادة قوية في احياء وإعادة المركزية الروحية الى بارزان. هناك اذن اتجاهان ضاغطان: من القمة ملاي ملا محمود (إسمه الحقيقي (ملا عبد الرحمن) ووجهاء آخرون ممن لعبوا دوراً مشهوداً في تأريخ بارزان النضالي، ومن الجهة الثانية ضغط القاعدة الشعبية الآتي من القبائل الموالية لبارزان من أجل تغيير الوضع الراهن. وتقرر بعد سنين من التشاور وتقييم الاوضاع واستيضاح الرؤية ان الوقت قد حان للإعلان جهراً عن تعيين (أحمد) شيخ بارزان الخامس، وقد رحبت قبائل شيرواني ودولري ومزوري و Gerdi وسكان Beroj ونزار بالتغيير الجديد وبايعوا (أحمد) شيخاً لبارزان. (ربما كان ذلك صيف عام ١٩١٩؟). وكان على الشيخ الجديد مواجهة تحديات جمة، اذ كان الشعب ينتظر منه إعادة بناء الوحدة وتعزيز مبادئ الطريقة وترسيخ التآلف بين الانصار. وتلك مهمات تقتضي وقتاً، وينبغي إزالة العوائق ومواجهة الأعداء الذين يترصون ببارزان ويسعون الى خنق التيار الجديد وهو لا يزال في المهد.

إلتفت القبائل من جديد حول شيخ بارزان (أحمد) ودخل الاجتهاد مرحلة العلن، وقصد الناس بارزان لتلقي المبادئ الروحية وتفعيل الإسلام في الحياة، وواصل الشيخ الجديد السير على طريق أسلافه وركز على الجانب الديني في تربية المريدين وتثقيفهم. وامتنع عن التملك لأن ذلك يؤثر سلباً على الجانب الروحي. وفيما يخص الامور الإدارية الدنيوية فقد كانت تدار من قبل بعض الإداريين المعروفين بنزاهتهم وخبرتهم. وفي الوقت ذاته كان شيخ بارزان عاملاً رادعاً لكل من يريد التجاوز على حقوق المواطنين، ففي حالة وقوع مظلمة كان

المواطن يستطيع قصد شيخ بارزان مباشرة ودون وسيط ويطرح امامه شكواه فيعاد الحق الى نصابه وفق نصوص الشرع الاسلامي.

ساد شعور بالأمان في أوساط القبائل البارزانية. وليس من شك من ان حياة التقشف والتزهد لشيخ بارزان نفسه وامتناعه عن ادخار الاموال، اعطت لنصائحه وارشاداته قوة وتأثير كبيرين في الاوساط الشعبية. كانت اقوال الشيخ واعماله متطابقة. فلقد أدرك شيخ بارزان ان جمع وادخار الاموال الطائلة ثم الاستمرار في كيل النصائح والارشادات للمريدين كي يتقبلوا هم خصاصة العيش والتزهد انما هو تضليل وخداع، وهو سلوك اعداء التصوف المتلبسين بلباسه. والمؤكد عن شيخ بارزان الخامس انه لم يلن امام أية إغراءات مالية طوال حياته. ومن صفاته البارزة انه كان يؤمن بأن نشر الفكر الديني لايمكن ان يعطي الثمار المرغوبة عن طريق القسر والعنف، إنما بالإقناع ومن خلال الحوار الهادئ الودي. وكان يخاطب المشاعر العميقة في الانسان كأهمية الاهتمام بالآخرين وفضيلة الاتحاد والقضاء على تسلط نزعة عبادة الذات واتباع الشهوات. وعرف عنه الصبر والجلد في تحمل المشقات ومواجهة التحديات، وكان يسعى بتأن الى انماء الخصائص الاخلاقية في الانسان بحيث لا يحتاج الى رادع خارجي لتفادي ارتكاب المعاصي وإلحاق الضرر بمجتمعه، فمن خلال تطوير ملكة التأمل والنضوج الداخلي ينمو في اعماق الانسان صدود ذاتي ورفض ارتكاب أعمال منافية لمبدأ العدالة، كان يهدف الى بناء الإنسان الذي يخدم مجتمعه بشكل واعي وطوعي

ومن ملاي ملا محمود تعلم الكثير منما يعرف اليوم — (طب الأعشاب) وهي أعشاب متوفرة يمكن جنيها في الجبال والوديان وغابات المنطقة، ويشمل معالجة بعض آلام المعدة وتقوية اللثة وآلام المفاصل ونزلات البرد وغيرها.

في هذه السنوات التي تلت إعدام شيخ بارزان الرابع، لم تتمكن بارزان من القيام بأي دور هام لا محلياً ولا على النطاق الكردي، واستغرقت فترة استعادة عافيتها سنين طويلة امتدت حتى عام ١٩٢٦، حيث أصبح المجتمع كتلة متراصة كماً وكيفاً. ولهذا يمكن تسمية الفترة ١٩١٤ - ١٩٢٦ بفترة الانكماش ثم النهوض.

كانت الإدارة البريطانية في العراق حاكمة على الشيخ محمود الحفيد، وكانت حاكمة على شيخ بارزان، فقد وصفتها بشتي النعوت البذيئة، لأن هذين الشيخين قاوما الاحتلال مقاومة عنيدة، وبفضل هذه المقاومة تكشف زيف مزاعم حكومة الانتداب البريطانية في كونها تحترم إرادة الشعوب. وبالنسبة لماضي البارزانيين فقد وصفهم الضابط السياسي البريطاني. و.أ. هي: أنهم «كانوا في أكثر الأحيان بمثابة شوكة في ظهر الترك.»^{٣٥}

ويقول أبو الحسن تفرشيان وهو من أعضاء الحزب الشيوعي الإيراني مايلي: «لم تكن زعامة الشيخ أحمد وبقية شيوخ بارزان زعامة إقطاعية مستغلة بالمعنى المألوف....»^{٣٦}. ويقول في مكان آخر: «ولا يزال الأسلوب الأبوي في الحكم يمارس في مجتمعهم وقد بقوا منعزلين عن العادات السلبية التي ترافق حياة المدن، وفي نظري إنهم مسلمون حقيقيون.»^{٣٧}

لقد بدأ أول احتكاك بين شيخ بارزان وإدارة الاحتلال البريطانية من خلال حادث مقتل الضابطين، الكابتين (ك. سكوت) و (مستر بل) في الأول من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٩ في قرية (بيراكه برا) غرب الزاب. في تلك الفترة كان الضباط الانكليز يسعون الى توسيع نفوذهم في كردستان وبالأخص في المناطق النائية، وكانوا يعملون على كسب الكرد ضد الترك اذ كانوا مصممين على ضمان سيطرتهم على منابع النفط في كردستان. ومن جانبهم كان الترك يسعون الى إحباط مساعي البريطانيين في كردستان وكانوا يعملون على إثارة العواطف الدينية ضد إدارة الاحتلال. كان التنافس حاداً بين الدولتين خاصة ان مصير كردستان لم يكن قد تقرر بشكل عملي. وكان الحاكم السابق لمدينة وان حيدر بك نشطاً في إدارة الصراع الدعائي ضد الانكليز. ففي شتاء ١٩١٨ - ١٩١٩ وصل أنور باشا الى وان وأقام اتصالات مع الوجهاء الكرد من بينهم (سيتو آغا هورماري) وكانت إدارة الاحتلال البريطانية تقوم بنفس الشيء. في هذا الأثناء كان الضابط السياسي (بل) قد فرض عقوبات على فارس آغا

³⁵ W. R. HAY. Two Years in Kurdistan. 1918-1920. London. Sidwick 2 Jackson. LTD. P. 180.

^{٣٦} أبو الحسن تفرشيان. قيام أفسران خراسان. فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية.

³⁷ نفس المصدر.

وبابكر آغا زيباري بسبب وضعهم كميناً للجندرمة، فثارت ثائرتهمما وعبرا نهر الزاب قاصدين شيخ بارزان وطلبوا منه النجدة، وهنا ومع ثلة من الرجال المسلحين عبر محمد صديق (شقيق شيخ بارزان) نهر الزاب الى الضفة الغربية ونجحوا في قتل الضابطین البريطانيين، وهاجمت هذا القوة مدينة عقرة، لكن القوة البارزانية انسحبت ممتعضة بعدما تبين لها ان هدف الآخرين كان السلب والنهب في عقرة. على أثر هذه الأحداث قاد (س. أ. لتلدال) قوة عسكرية ضد المشتركين في الحادث فأحرقت منازل كبار المشاركين في مقتل الضابطین، لكن هذه القوة لم تمكث في بارزان خوفاً من العواقب.

تلا الحادث هذا حادث مأساوي آخر الا وهو إجتياح الآثوريين مناطق بارزان، كانت هذه مأساة بالنسبة للطرفين وقد دبرها الانكليز، وأعترف فيما بعد السكرتير السابق في وزارة المستعمرات البريطاني لصحيفة التايمس بمسؤولية بريطانيا في مأساة الآثوريين قائلاً: «لأجل تقليص نفقات الميزانية بالملايين فقد استخدمنا الآثوريين كقوات تدعم سلاحنا الجوي في العراق، وقد أظهرت قواتهم الكفاءة والجرأة في العمليات، وإذا كان فقدانهم للشعبية يعود جزئياً لأخطائهم، الا ان الانطباع كان يوحى الى كونهم آلة في يد قوة اجنبية.».

يقول تقرير لوزارة المستعمرات البريطانية: «في نهاية عام ١٩١٩ كان لايزال في مخيم بعقوبة حوالي (٥٠٠٠٠) لاجيء آثوري وأرميني، وذلك منذ شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨. وكان مصيرهم والعناية بهم يشكل مشكلة للإدارة وللميزانية. كما كان واضحاً انه يترتب إسكانهم بشكل ما، ولكن مسألة إستيطان اللاجئين وهم من مواطني تركيا وفارس لم تكن سهلة الحل، ولم تكن الامور واضحة بعد بالنسبة للعلاقات بين بريطانيا وهذين البلدين.

كان الآثوريون بعددهم الذي يقارب ٣٥٠٠٠ نسمة أكثر أهمية وذلك لاعتراف بريطانيا العظمى بهم كحلفاء لها في الحرب، واستخدمهم من قبلها في حملة ١٩١٩ على كردستان. لقد قدم لهم وعد قطعي بالاستيطان بدافع الخير من قبل الحكومة البريطانية وكانت أراضيهم ان لم تكن ضمن نفوذ إدارتنا لكنها كانت موجودة مباشرة على حدودنا. المشكلة الأرمنية هي في حد ذاتها أكبر لكن عددهم كان في المخيم أقل من الآثوريين، كانوا (حوالي ١٥٠٠٠). وكانوا مجرد لاجئين، وایاً كان مصير بلادهم، فإنها لم تكن تحت نفوذ بريطانيا، ولم

يكن للحكومة البريطانية واجب آخر تجاههم سوى الاعتراف بهم الى ان يتم إيجاد موطن لهم، وثم نقلهم الى حيث وجد.³⁸

ويعضى نفس التقرير الى القول: «كان اللاجئين الآثوريون منقسمين الى قسمين، مواطني فارس، هؤلاء يدعون — السهلين التابعين لأورمية ومواطني تركيا ويدعون بالجليلين التابعين لحكاري. وكانت أهدافهم واضحة. الاثنان أرادوا الشيء ذاته، العودة الى موطنهم والعيش تحت الحماية البريطانية. لسوء الحظ كانت مساكنهم موزعة في اقاليم مختلفة، ورغم ان الشعب كان تابعاً الى ابرشية واحدة نظرياً، لكن من الناحية العملية كان أكثرهم لا يهتم الاً بقبيلته أو بقرابته وكان الاهتمام بالآخرين ضئيلاً. إضافة فان ويلات الحرب وشروط العيش في مخيم اللاجئين هدم نظام الشعب القديم السائد في ظل قادتهم (الملوك) والبطريارك ولم يعوض بآخر. كما إن المنح السخية وتوفير جميع خدمات الإعالة المجانية من قبل البريطانيين أضعف نمطاً طبيعياً من العيش نحو نمط آخر يميل الى التسول.»

«وعلى رغم ان قوم اورمية، بعد تدريبهم، اعتبروا جنوداً ممتازين، لكنهم كانوا غير قادرين على الدفاع عن النفس لو عادوا الى مساكنهم القديمة. إضافة الى ازدياد شعور مناهض لعودتهم أكثر مرارة في فارس مما هو في كردستان. ففي كردستان لا يحدو قتال العشائر والنزاعات الخطوط الدينية دائماً: وظهرت الحرب العظمى كأكبر نموذج لعرف قديم مألوف لاغير. في بلاد فارس بدت انتفاضة المسيحيين مثل انتفاضة العبيد، حيث أثبت العبيد قابلية التفوق على أسيادهم — وهذا جرم لا يغتفر! وحتى لو كانت الحكومة الفارسية أكثر استعداداً لقبول عودتهم مما هي عليه الآن، فهي ليست في وضع يمكنها من ضمان سلامتهم. ان السلطة الفعلية الوحيدة في منطقة اورمية كانت متمثلة في سمو آغا عشيرة شكاك، الذي اغتال البطريارك الآثوري مارشمعون عام ١٩١٨.

مشكلة الآثوريين الجليلين كانت أبسط، فهم مقاتلون ممتازون بالفطرة، وكما نوهنا، كانوا يشكلون جزءاً من الفوضى الضاربة أطنابها في كردستان. وهناك أكراد كثيرون لايمانعون من عودة الخصم والجار القديم الى الأرض القديمة، شريطة ان لا يعني ذلك التسلط المسيحي.

³⁸ British report to the league of Nations 1920 – 1923, P. 103 – 104 – 105

وطبيعي ان المتآمرين الترك ادخلوا ذلك في روعهم، والمسيحيون كانوا مستعدون لتعقيد الأمور من خلال قناعتهم بأن الحكومة البريطانية تريد فعلاً إلحاق كردستان برمتها بالانتداب البريطاني، وعلاوة على ذلك، كانوا يعتقدون أن الحماية البريطانية، تشمل حق الاخذ بالتأثر لكافة النزاعات القديمة.»

ثم يمضي التقرير البريطاني الى القول:

«كان الوقت ربيعاً من عام ١٩٢٠، عندما تقدم الآغا بطرس وهو من الآثوريين الجبليين من عشيرة باز بخطته من أجل إنقاذ امته. في مراحل الحرب الأخيرة (بالأخص بعد إغتيال البطريرك مار شمعون) برز آغا بطرس وأخذ القيادة وأثبت انه مقاتل ممتاز، رغم انه كان يفتقد الى البراعة العسكرية كما تتجلى عند جنرال. وكان بكل تأكيد أكثر زعماء امته نشاطاً. لكن ميله للمكيدة جعلت علاقاته مع السلطات البريطانية سيئة في مخيم بعقوبة. في كل الأحوال بدا وكأنه أفضل الموجودين وتم قبوله من قبل البريطانيين.

كان مشروعه يتضمن إحتلال مواقع من منطقة التلال المنخفضة على الحدود التركية الفارسية، شرقي الخط الذي يمر من Gever الى شنوى ويمتد حتى اورميه.^{٣٩} وبرفقته ٨٠٠٠ مسلح من شعبه، كان يريد إحتلال هذه الاراضي ويفتح لقوم اورميه ممر العودة الى مساكنهم، بينما في وقت مناسب يعود الجبليون الذين لايقبلون السكن في هذه البقاع نحو موطنهم في جبال حكاري. بعدها يشكل الآثوريون دولة عازلة في الأراضي بين تركيا وفارس والعراق، ربما سيكون قائدها آغا بطرس. والقوة التي ستشكل سيقودها هو، وسيكون برفقته عدد من الضباط البريطانيين بصفة مستشارين لاغير.

لم يكن المشروع مستحيل التطبيق عند توفر شروط معينة. تلك الشروط كانت:

١. ان لايمانع الأكراد المحليون وان لاينصاعوا للدعاية التركية المضللة.
- ٢ — ان لايشكل الطريق الوعر الذي تم اختياره عائقاً لايزلل أمام نقل طواير ضخمة من النساء والأطفال والمقاتلين.

³⁹ Ibid. P. -103 -104 - 105.

٣ — ان يثبت بطرس قابليته في السيطرة على شعبه كي يراعوا الانضباط خلال العملية ويحث الجبلين المولعين بالحروب مواكبة السهليين — إذ لم يكونوا مكترئين بهم على الاطلاق — الى حيث الامان في السهل الخصب غربي اورميه قبل العودة الى جبالهم. كان بطرس جرياً على عادة شعبه، مستخفاً بكل العقبات على الطريق الذي كان يقود الى الرخاء لشعبه والمجد لشخصه. لقد تمت الموافقة على المشروع، ربما دون تمحيص.

في شهر ابريل وافق حوالي ثلاثة أرباع الأمة هذا المشروع؛ وماتبقى من الأمة ظلت متمسكة بزعامة العائلة البطيركية. اذ تعتبر هذه العائلة نظرياً زعيمة الأمة، وكانت هذه هي الحالة خلال الحرب تحت زعامة البطريارك بنجامين مارشمعون. بعد إغتياله عام ١٩١٨، وقع الاختيار على شقيق أصغر سنّاً وأضعف لمنصب شبه وراثي وانكفأت العائلة وراء الاحداث، ويعود هذا الى ان الرجل المختار بولس مارشمعون كان يصارع الموت جراء اصابته بمرض السل، ومات فعلاً عام ١٩٢٠. ان الإنتخاب الذي تلا وتكريس طفل في الثالثة عشر من العمر لمنصب البطيركية (جزئياً بتأثير عائلي) زاد من حدة الخلافات بين الأمة وزادت من مصاعب العائلة البطيركية وفريقها. لذا كانت معارضة هذا الفريق أمراً غير ذي أهمية. وبقيت شريحة صغيرة من الشعب مؤلفة من ٤٥٠٠ من الجبلين وعدد قليل من سهلي اورميه الذين بقوا على ولائهم للعائلة البطيركية، فتم اسكانهم في قرى مناطق دھوك وعقره، لكن الأراضي الصالحة لزراعة القمح كانت غير كافية لاستضافة عدد أكبر. في شهر مايس / مايو من عام ١٩٢٠ بدأ إنتقال الأمة من بعقوبه الى مندانا. وكان الطريق المقترح يمر من عقره عبر موطن البارزانيين الوعر الى Gever حيث الطريق أسهل الى اورميه.

في جوجر قرب عقره تكّس الطعام والذخيرة للمسيرة، وقد نفذت هذه الترتيبات بإرشاد من مدير إعادة التوطين الكولونيل Cunliffe Owen.^{٤٠}

كانت العلاقات البارزانية البريطانية على أسوأ مايكون، وكان الشعور السائد عن هذه المسيرة هو ان الإدارة البريطانية تستخدم الآثوريين للتخلص من نفوذ بارزان المعادي لها. أي خداع الآثوريين والبارزانيين خدمة لأهدافها الاستعمارية، إذ لماذا لا يختارون طريقاً آخر غير

⁴⁰ Ibid. P. 102.

أراضي بارزان إن لم يكن الهدف هو القضاء على بارزان؟ ودون إجراء اي حوار بهذا الشأن مع شيخ بارزان؟

وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠ تحرك جيش آغا بطرس نحو ممر عقره مؤلفاً من ٤٠٠٠ رجل، مسلحين بأسلحة جيدة، معظمها من النمط التركي ومع عدد من المدافع الجبلية. كان على هؤلاء احتلال الأراضي وبعدها تصل النساء. ويقود هذا الجيش ثلاثة من الضباط البريطانيين. عندما شقت هذه القوات طريقها نحو أراضي بارزان ووصلت الى حافة النهر الازرق (رووي شين) جرت معارك ضارية مع القوات البارزانية وهي تم عبور النهر، ولكن تقدمها إستمر، فاضطرت القوات البارزانية الى الانسحاب الى تخوم بارزان نفسها حيث امست مسرحاً لقتال دموي، وكانت المعارك تدور في القرية ذاتها، في أحراشها وبساتينها، في موقع يعرف بـ (كانيا ميرا) و(Avya-birbal). ويظهر ان الجهل بتضاريس المنطقة أفسد عليهم الكثير من خططهم رغم انهم ألحقوا خسائر فادحة بالبارزانيين، خصوصاً في موقع يعرف بـ (بشتابانيا مندا) اذ قتل القائد الشيرواني الشهير سعيد ولي بك كما لقي عدد آخر من البارزانيين حتفهم. كان الشعور السائد في بارزان ان كل ذلك مخطط بريطاني يهدف الى خلق الفرقة بين شعبين متحالفين تاريخياً.

اننا نعتقد ان البريطانيين كانوا يتوخون من تحركات القوات الآثورية في كردستان، إرسال تحذير الى تركية بأن لا تقوم بأي عمل عسكري واسع للاستيلاء على ولاية الموصل. إذ يقول التقرير البريطاني: «ولكي نكون منصفين للآثوريين يجب ان نضيف انه خلال الأشهر الثلاثة الاولى من هذا العام، عندما كان الهجوم التركي أمراً وارداً، أثبت الآثوريون أهميتهم الاستراتيجية على الحدود العراقية. ففي آذار التحق بقوات الليفي أكثر من ٢٠٠٠ شخص خلال ثلاث اسابيع. ومن المحتمل جداً ان هذا الموقف من شعب إشتهر بقابلياته القتالية كان سبباً رئيسياً في اقناع الاتراك بالتخلي عن مشروع الهجوم. وإذا ما وضعوا تحت قيادة ضباط بريطانيين فسيشكلون قوة اصيلة من الدرجة الاولى. فالاستيعاب السريع في إدراك الانضباط وحماسهم في القتال أدهشت وأسعدت كل المهتمين.»

فشلت الخطة ولم تتمكن المسيرة من الوصول الى الوطن الاصلي. وتفادى تقرير الحكومة البريطانية الاشارة الى دور بريطانيا المشبوه في هذه المأساة التي راح ضحيتها عددا كبيرا من ابناء الشعبين. لقد كان البريطانيون على دراية تامة بالمصاعب التي تعترض سبيل تنفيذ المشروع دون إجراء تغير جذري في العلاقة البريطانية بأكراد المنطقة. ويلقي التقرير البريطاني بالمسؤولية على عاتق الآثوريين أنفسهم فيقول: «ان الحملة ساهمت في زيادة فقدان الكرد الثقة بالبريطانيين.»^{٤١} ويضيف ان: «العوامل التي سببت الفشل هي اختيار الطريق، والموعد المتأخر للبدء بالمسيرة، وسوء التمويل وعدم كفاءة القيادة، لكن السبب الحقيقي هو عدم وجود مشاعر مشتركة وتنظيم كفوء ضمن صفوف الآثوريين أنفسهم.»^{٤٢}

لقد ازدادت الريبة في مخططات البريطانيين، ففي شهر ايلول ١٩٢٢، اشترك حوالي مائة مسلح من رجال بارزان في الحملة على القوات الآثورية التي يشرف عليها البريطانيون والمتواجدة في العمادية، لكن هذه القوة لم تتمكن من الصمود في المدينة سوى ليلتين، اضطرت بعدها الى الانسحاب والعودة الى بارزان. وبعد شهر تعاون سلاح الجو البريطاني مع القوات الآثورية في ضرب بارزان للمرة الثانية.^{٤٣}

كان الخلاف التركي البريطاني على اشدّه حول ولاية الموصل، وفي ١٩٢٣ انسحب الأتراك من راوندوز. وارتأت سلطات الاحتلال البريطانية استخدام الدبلوماسية بدل القوة التي اثبتت فشلها في إخضاع شيخ بارزان، وكذلك للتفرغ الى مواجهة الاضطرابات التي كانت تتفاقم في السليمانية. فاتصلت بشيخ بارزان وجاء الأخير ليتباحث مع السلطات البريطانية والعراقية لصيانة السلام. بعدها ألغي قرار خروج شيخ بارزان عن القانون.^{٤٤}

تركوا المنطقة مؤقتاً في حين أخذوا يتحينون الفرص للقضاء علي شيخ بارزان وإعادة الاحتلال في ظروف أكثر ملائمة عسكريا وسياسيا.

⁴¹ Ibid. 73

⁴² Ibid. 1927. P.23 – 24.

⁴³ F.O. 371/20801.

⁴⁴ Ibid

حكومة جنوب كردستان

كان الشيخ محمود الحفيد من شيوخ الطريقة القادرية، ويتكلم بطلاقة اللغة الفارسية والعربية والتركية، ومن ملامحه الجسدية انه متوسط القامة ذو وجه عريض وعينان سوداوان. بعد وصول الشيخ الى السليمانية أعلن في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ عن تشكيل حكومة مؤلفة من ثمانية وزراء، وفي ١٨ تشرين الثاني أعلن الشيخ نفسه ملكاً على كردستان، وبقي العلم الكردي كما كان عام ١٩١٩، أخضر اللون وفيه دائرة حمراء، وفي وسط الدائرة صورة هلال. بينما حملت الطوابع البريدية صورة خنجرين وكلمات "حكومة جنوب كردستان".^{٤٥} تناولت الصحافة الكردية في السليمانية قضايا الساعة الملحة وكانت تشدد على استقلال كردستان ونفي فكرة تبعيتها للعراق. في حين كان الملك فيصل الذي أتى به الانكليز يداري ملك كردستان ويتحين الفرص للإيقاع به.

وكان آدموندز، رجل الإستخبارات البريطاني ممتعضاً من سلوك الشيخ محمود الحفيد المخالف لتعليمات إدارة الاحتلال ويقول: «ربما كان الشيخ محمود صادق النية عندما تعهد قبل تركه بغداد بأن يقصر نشاطه السياسي على لواء السليمانية، لكن الإستقبال الهائل في ميدان محطة القطار في (كونغربان) وهواء كردستان المسكر الذي تنشق في طريقه الى السليمانية في الوقفات الكثيرة والسير البطيء قد محى بسرعة خطوط الحدود الضيقة التي فرضت عليه. كان عدد من زعماء الكفري، شيوخها وحتى البيكات منهم قد رافقوه الى عاصمته (.....) وفي ٣٠ ايلول وصل السليمانية فحيته الجماهير حكمداراً أو زعيماً لكردستان المستقلة. وأوضحت الصحف المحلية في السليمانية ان نويل لم يأت إلا بصفة ضابط ارتباط وهذا في الحقيقة يجعله بمثابة قنصل من نوع ما وحلقة اتصال مع المندوب السامي». ^{٤٦}

^{٤٥} Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 65.

^{٤٦} كرد وترك وعرب. س. ج. آدموندز. ترجمة جرجيس فتح الله الحامي. ص. ٢٢٢.

اوضحت جريدة روكورد نوعية العلاقة التي تربط كردستان مع الحكومة العربية الجارة في بغداد قائلة: «انها (يقصد صحيفة عربية تصدر في بغداد) تتكلم عن كردستان كأنها جزء من العراق وتسميه لواء السليمانية لوجود بعض العلاقات التجارية والاقتصادية بينه وبين بغداد. وهي ايضا تسمي مجلس وزراء كردستان (مجلس الإدارة المحلية) وهذه الاقوال مؤسفة جداً. ولا يمكن ان يصدق المرء ان يبلغ شخص مثقف هذا المبلغ من الطيش في اصدار الأحكام المتسرفة.. اننا لم نتوقع ان يطاء جارنا الصديق العظيم حقوقنا التي يمتد عمرها الى ألف سنة بقدمه، ويقطع العلاقات بين الحكومتين والشعبين او ان يتعدى على حدودنا (...). ان علوم التاريخ والجغرافيا هي شواهد على ان الامة الكردية كانت تعيش وحدة قائمة بذاتها. وقد اثبتت هذه الامة وجودها القومي بوقائع عملية، ان ابنائها لا يقلون ثقافة ومدنية وتمكناً في الصناعة والتجارة عن امثالهم ان لم يفوقوهم، وهم كذلك يساووهم في الحقوق كبشر سوى وتتوفر فيهم شروط الأرض والسكان وما الى ذلك (...). ان مبدأ حق تقرير المصير تجيش به نفس وعقل كل مواطن من الشعب الكردي، ان نعمة الحقوق القومية والحدود الاقليمية التي قررتها عصبة الامم بحق لهم قد قررناها لنا ايضاً وسوف نبذل كل التضحيات الواجبة لأجل المحافظة على نصيبنا في ذلك...»^{٤٧}

في تركيا اصبح الكماليون في موقف قوة فأبدوا تصلباً في المطالبة بلواء الموصل وكان مؤتمر لوزان على وشك الانعقاد، ولذا قبل ذهاب اللورد كرزون ليناقدش مع عصمت اينونو في ٢٠ / نوفمبر ١٩٢٢ مستقبل الولاية، كانت الادارة البريطانية تمهد لنجاح مساعي إلحاق جنوب كردستان الغني بالبترول بالعراق، ولم يكن في الواقع قبول عودة الشيخ محمود الى السليمانية سوى تكتيك وقتي هدفه قطع الطريق أمام تغلغل النفوذ التركي، ويعترف البريطانيون انهم يثسوا من إحتواء الخطر التركي بمواردهم وامكاناتهم الخاصة، فعادوا الى استخدام الشيخ محمود لترصين الشعور الوطني الكردي، لكونه الوسيلة الوحيدة لدراء خطر الترك .

اما الميجر نويل فقد كان من أنصار جمع ثلاث شخصيات كردية هامة: الشيخ محمود الحفيد والسيد طه النهري وسمكو شكاك،^{٤٨} في خطة مشتركة ضد الترك. كان سمكو شكاك

^{٤٧} نفس المصدر. ص. ٢٧٢.

^{٤٨} Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 67 .

قد انسحب الى قرية (ديره) شمال مدينة أربيل بعد التعاون بين الجيش التركي والإيراني لإعادة احتلال الاراضي الكرديه التي كان سمو قد سيطر عليها من (دلمان) وحتى (بانه). إلتقى سمو شكاك بأدموندز وذكر له انه يأمل منهم تبني قضية تحرير الشعب الكردي — فان كان مخططاً في أمله هذا. فانه لا يرغب في طلب حق اللجوء من الانكليز بل سيعود الى دياره وقبائله ويبدل جهده بمفرده. تفادى سمو شكاك والشيخ محمود الحفيد الإقتراح البريطاني بينما وافق السيد طه على الإقتراح. وهاجم على رأس قوة مسلحة الترك في مدينة راوندوز في تشرين الثاني ١٩٢٢ لكن الهجوم فشل. وكانت النتيجة ان زادت هيبة ملك كردستان الذي أبى ان يتعاون مع البريطانيين ضد الترك^{٤٩}، وصلت الحالة الى طريق مسدود وانحسر النفوذ البريطاني في كردستان و كانت سلطات الاحتلال البريطانية في حاجة الى موقف قوي لمواجهة الترك في مؤتمر لوزان، وهكذا عندما أعتيهم الوسائل الاخرى لجأوا مع حكومة بغداد الى كيل الوعود المعسولة للطرف الكردي، لقد استخدم هذا الاسلوب كلما نشأت ظروف صعبة في كردستان وتنقض الوعود بزوال الأوضاع الصعبة. ففي يوم عيد الميلاد ١٩٢٢ اعلن في بغداد: «ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق تعترفاً وتقران بأن للأكراد حقوق المعاشية داخل الحدود العراقية ولهم الحق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود، وتأمل الحكومتان ان تتوصل الاطراف الكردية المعنية الى إتفاق فيما بينها على شكل هذه الحكومة والحدود التي يرغبون ان تمتد اليها وان يرسلوا مندوبين مفوضين الى بغداد لمناقشة علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومة العراقية.»⁵⁰

فشلت المساعي الميكيفيلية المشتركة للندن وبغداد في دفع الشيخ محمود ضد الترك، كما فشل مؤتمر لوزان الاول في شباط ١٩٢٣ وازداد التوتر في كردستان وواجست الحكومة البريطانية خوفاً من ان الشيخ محمود على اتصال ببعض زعماء الشيعة في كربلاء والنجف - مراكز معادية للحكم البريطاني - وان هنالك خطة للقيام بانتفاضة عامة في كردستان والعراق، واقتنع البريطانيون من ان الشيخ يخطط مع اوزدمير لإحتلال مدينة كركوك.^{٥١}

⁴⁹Ibid.

⁵⁰ محاضرة للسير س. ج. أدموندز. عن المشكلة الكردية ص ٩.

⁵¹ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 68.

لم يكن قد مضى أكثر من خمسة أشهر على حكم ملك كردستان عندما إتفقت سلطات الاحتلال مع حكومة بغداد على خطه مشتركة للقضاء على الحكومة الكردية في السليمانية، فقد أرسلوا إنذاراً مشتركاً الى ملك كردستان في شباط ١٩٢٣ طالبين منه المجيء مع جميع أعضاء حكومته الى بغداد وكان بديهاً ان يرفض الشيخ الإذعان للإنذار، وهنا أرسلوا ٢٠ طائرة من السلاح الجوي البريطاني ضد السليمانية.^{٥٢} لقد ساد منطق القوة من جديد في معالجة القضية الكردية، لكن نظراً لكثافة الضباب فقد تاهت معظم هذه الطائرات. وفي الثالث من آذار ١٩٢٣ قصفت الطائرات بصورة مكثفة مدينة السليمانية واضطر الشيخ الى مغادرة المدينة التي تابعت عليها الغارات والتجأ الى كهف قرب سردشت. وصدرت في ٨ مايس ١٩٢٣ صحيفة جديدة بإسم (بانگى حه ق). نداء الحق. دعت الشعب الكردي الى مواصلة المقاومة والجهاد.

تركزت المساعي البريطانية على منع أي التحام بين القوات الكردية تحت قيادة الشيخ محمود الحفيد مع القوات التركية في راوندوز بقيادة الكولونيل علي شفيق (اوزدمير) فتحركت قوة بريطانية نحو كويسنجق بينما تحركت قوة أخرى باتجاه راوندوز وهنا انسحب اوزدمير وترك راوندوز في ٢٢ ابريل عام ١٩٢٣.^{٥٣}

بعد ذلك أمكن التركيز على احتلال السليمانية من جديد وتم ذلك في ١٦ مايس/ايار ١٩٢٣. ظهرت صعوبات في حكم كردستان لأن العناصر الكردية المائلة للتعاون مع سلطات الاحتلال كانت تفتقر الى الشعبية والنفوذ، ففي ١٤ حزيران إستقال جميع أعضاء اللجنة الإدارية المؤقتة في السليمانية. أدركت سلطات الاحتلال ان عودة الشيخ أمر حتمي في ظل الظروف القائمة. ولذا ولغرض تقليص نفوذه فقد إتخذت إجراءات إدارية هامة، اذ تم فصل رانية وقلعه دزه شمالاً ووجه مجمال من الغرب، كذلك قرداغ وحلبجه من الجنوب والحققت بالعراق. وبهذا الإجراء صغرت مملكة الشيخ محمود جغرافيا الى حد كبير، وللتضليل

⁵² Ibid. 69.

⁵³ Ibid. 70

فقد عبرت حكومة بغداد عن نيتها في عدم فرض اللغة العربية على سكان المنطقة التي فصلت حديثاً عن السليمانية كما إنها لا تنوى فرض موظفين عرب على هذه المقاطعات.^{٥٤}

في ٢٢ تموز/يوليو ١٩٢٣ وبغياب ممثلين عن الشعب الكردي والآثوري وكذلك في غياب ممثلي الشعب الأرمني، وقعت معاهدة لوزان والتي قضت على الوعود السابقة في إيجاد دولة كردية مستقلة. أصبح الوضع أكثر أماناً لسلطات الاحتلال فهاجمت الطائرات البريطانية في ١٦ آب ١٩٢٣ مقر الشيخ محمود واستخدمت القنابل الكبيرة لأول مرة في كردستان، لكن القوات الكردية ظلت تقاوم، وفي بداية تموز/يوليو ١٩٢٤ قررت حكومة بغداد احتلال المدينة، واحتلتها فعلاً في ١٩ تموز عام ١٩٢٤ فاضطر الشيخ محمود الى الانسحاب نحو برزنج ثم الى Fنجوين ومن هناك واصل هجماته على مواقع قوات الاحتلال حتى تخوم مدينة السليمانية، بينما استمر السلاح الجوي البريطاني في قصف كردستان، واستخدمت لأول مرة القنابل المحرقة ضد السكان. وعين الضابط السياسي (چاپمن) بمثابة حاكم على مدينة السليمانية، بينما التجأ الشيخ محمود الى فارس.

وفي نهاية عام ١٩٢٥ صادقت عصبة الأمم بضغط من بريطانيا على قرار لجنة تقصي الحدود بين العراق - الذي كبر بإلحاق جنوب كردستان به - وتركيا وثبتت خط بروكسل كحد فاصل لحدود البلدين. لكن بقي الشعب الكردي والآثوري والأرمني يعاني من غبن وإحباط. مما أدى إلى نشوب الثورات العديدة والمتواصلة تقريباً الى يومنا هذا.

كان الطوق يزداد ضيقاً حول عنق الشعب الكردي لكي يستسلم لسلطات الاحتلال ويخضع للمشيمة الاستعمارية. وهكذا دخلت كردستان مرحلة التجزئة بين الدول الأربع (تركيا والعراق وإيران وسوريا) وفي هذا الجو المشحون بالشعور بالغبن برزت شخصيات قيادية وولدت منظمات وأحزاب لعبت فيما بعد دوراً هاماً في تاريخ المقاومة الكردية.

ملاى ملا محمود اغتيال المرشد

أعقب مصادقة عصبة الأمم على قرار لجنة رسم الحدود بين العراق وتركيا في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ اتفاق ثلاثي في ٥ حزيران/يونيو ١٩٢٦ بين بريطانيا والعراق وتركيا سمي باتفاقية أنقره، وبموجبها سويت تسوية نهائية قضايا الحدود المعلقة وأصبح العراق ملزماً بتزويد تركيا بـ ١٠٪ من عائدات النفط. في هذه المرحلة، أي في بدايات تكوين الدولة القومية Nation State تعاونت سلطات الاحتلال البريطانية والفرنسية مع الدول الجديدة المقتسمة لكردستان عسكرياً للقضاء على الانتفاضات الكردية أينما ظهرت.

ونظراً لغياب التجانس الاجتماعي والعرقي واللغوي وعدم وجود أساس تاريخي لحدود دولة العراق فقد أدى ذلك الى إتباع سياسة الإلحاق القسري عن طريق فرض سلطة الدولة من خلال القوات المسلحة والعنف المتصاعد. لقد أدرك الملك فيصل والمستشارون البريطانيون ان ديمومة هذه الدولة يتوقف أولاً واهيراً على الدور الحاسم للقوات المسلحة، لذا وجب زيادتها وتطويرها، وكانوا مقتنعين ان الانتفاضات والثورات ستندلع لاحالة. ان العقلية السياسية المتخلفة التي كانت سائدة ولا تزال في الاوساط الحاكمة في بغداد لم تعرف وسيلة اخرى لمعالجة طموحات الشعب الكردي غير استخدام القوة. وقد أصبح الجيش العراقي العوبة يستخدمه الحكام المستبدون في مجازر وابادة الشعب الكردي طوال القرن العشرين.

في شمال كردستان، شملت ثورة الشعب الكردي بقيادة الشيخ سعيد جبراني ثلث مساحة كردستان^{٥٥} وكان الأنصار في طريقهم لتحرير المناطق الاخرى. وقد أرسل الكماليون ٨٠٠٠٠ من الجنود لقمع الثورة، وفي هذه اللحظات الحاسمة حيث كانت القوات الكردية

⁵⁵ Gerard Chaliand – people Without A Country. 1980. «Ed. London. P. 62 .

تحاصر ديار بكر، يتدخل العامل الخارجي لصالح الشوفينية التركية، فقد سمحت الإدارة الفرنسية في سوريا بإستخدام القوات التركية خط القطار الذي يقطع شمال سوريا، وبهذا تمكن الجيش التركي من تطويق القوات الكردية. وفي أواسط نيسان/ابريل ١٩٢٥ إنهارت المقاومة الكردية، ونجم عنها هجرة جماعية كبيرة عبر الحدود المصطنعة الى العراق وإيران. ويشير تقرير للحكومة البريطانية بشأن اللاجئين الى مايلي: «ان المشكلة الرئيسية للحكومة العراقية في الحدود الشمالية هي كيفية مواجهة اللاجئين الكرد الذين غادروا تركيا، وبعد شنق واحد من أشهر الزعماء القوميين وهو الشيخ عبدالقادر النهرى، قاوم أحد أبنائه الشيخ عبدالله القوات التركية في شهر حزيران. وفي شهر تموز أرسل رسالة الى المندوب السامي البريطاني بواسطة ابن عمه السيد طه الذي كان قائمقاماً في راوندوز، وطلب في رسالته هذه المساعدة من البريطانيين ضد الترك او منحه اللجوء في العراق».^{٥٦}

وكان أعداء الأُمس، بريطانيا وتركيا متفتقتان الآن على اسلوب التعامل مع الشعب الكردي، فكان رد المندوب السامي هو: «ان الحكومة العراقية ليست في حرب مع تركيا وهي لا تشجع أية خصومات مع الحكومة التركية، وفي حالة التجاء الشيخ عبدالله الى العراق فإنه لن يسمح له بالبقاء قرب الحدود.» ويمضي التقرير الى القول: «وقد اطلعنا الحكومة التركية على موقفنا هذا، كما نوهنا ايضاً إلى أن الحكومة البريطانية تتوقع من الترك تبني موقف مماثل.»^{٥٧} وفي ذلك إشارة واضحة للتعاون المطلوب في مجابهة الانتفاضات الكردية المحتملة في الجانب العراقي.

إضطر الشيخ عبد الله في شهر آب ١٩٢٥ الى الإلتجاء الى العراق مع ٢٠٠ عائلة، ثم تلاه ابنه وشقيقه كلاجنين. كان الجيش التركي يقود حملة تنكيل واسعة في كردستان بعد فشل الانتفاضة الكردية، ولهذا إستمر تدفق اللاجئين عبر الحدود المصممة حديثاً. وفي شباط عام ١٩٢٦ وصل (نايف به گ) رئيس عشيرة (ميران) مع ١٢٠٠ خيمة، وعند دخوله العراق أعلن إنه من المستحيل العيش في ظل الحكم التركي، ثم جاءت عشيرة الكويان

⁵⁶ British Report to the League of Nations. 1925. P. 22.

⁵⁷ Ibid. P. 22.

Goyan وقد بلغ عدد افرادها في أواسط ابريل ٧٠٠٠ شخص، والتجأ ١٥٠٠ مسيحي و ٩٠٠٠ أرتوشي الى بادينان وشمل النزوح أعداداً أخرى من الناس، فاكثرت بادينان باللاجئين الهاربين من البطش التركي. وفيما يخص عشائر الـ Hevîrkî بقيادة حاجوآغا فقد وضعت الحكومة العراقية شروطاً مستحيلة التنفيذ^{٥٨} فما كان منهم سوى العدول عن الحجيء. وعدا هؤلاء النازحين الجدد كان الآثوريون من التياري العليا وعشائر تخوما يعيشون في مناطق دھوك والعمادية بينما توزعت عشائر تياري السفلى حول وديان برواري بالا وسكن الجبل والباز في سهول شمالي مدينة الموصل وسكن آخرون من شمدينان و Gever ووان والجماعات المختلطة بين الموصل ودهوك.^{٥٩}

اثناء إجتماع لجنة الحدود العراقية التركية الدائمة والذي عقد في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٢٦ في مدينة زاخو، رفض الوفد التركي عودة اللاجئين الكرد الى موطنهم في تركيا لكونهم قبائل متمردة، وطلب الوفد التركي منع القبائل الرحل عبور الحدود، وفي ربيع عام ١٩٢٧ منعت القبائل الرحل التي تعتمد في اقتصادها على الرعي منذ قرون من التوجه نحو مراعيها الصيفية المعتادة^{٦٠} ونزعت الحكومة العراقية سلاح رجال هذه القبائل. وهكذا إكتظت المراعي الواقعة في الهضاب نتيجة الحظر التركي. لقد ادى تقسيم كردستان وفرض حدود جديدة الى دمار الاقتصاد الرعوي والى تشتت القبائل والعوائل الكردية وإنقطاع صلاتها ببعضها بسبب الحدود المرسومة حديثاً.

وفيما يخص اللاجئين الآثوريين، فإن قرار لجنة تعيين الحدود العراقية التركية الذي صودق عليه من قبل عصبة الامم، هذا القرار قضى على أمل عودتهم إلى موطنهم ولم يعد ممكناً إعادة ثلثي النازحين إلى موطنهم الأصلي ضمن الحكم التركي. إذ ان الحدود الجديدة لم تبقي غير شريط صغير من أراضيهم داخل الحدود العراقية.^{٦١}

⁵⁸ Ibid. 1926. P.16

⁵⁹ Ibid. 1926. P.16-17.

⁶⁰ Ibid. 1926. P.18 .

⁶¹ Ibid . 1926. P.20 .

يذكر تقرير الحكومة البريطانية ان لجنة خاصة زارت في الصيف منطقة برادوست لغرض إسكان الآثوريين، وكان ضمن اللجنة ممثلون عن الآثوريين وخبير في الشؤون الزراعية لتفحص قرى مهجورة وأراضي كافية لإعالة ٨٠٠ عائلة (التقرير لا يشير الى اية قرى وفي الواقع لم تكن هناك قرى مهجورة كافية لإعالة عدد كبير من اللاجئين). ويشير التقرير الى عدم توفر أموال كافية لنقل هذا العدد الكبير من العوائل، والخطة كانت تهدف أولاً إلى نقل طلائع اللاجئين المؤلفة من ١٠٠ عائلة، وكان من المفروض ان يبدأ تنفيذ الخطة في ربيع عام ١٩٢٧، وكان هنالك مشروع مماثل للاستفادة من القرى الخالية في وادي برواري بالا، جنوب العمادية لإسكان الآثوريين.⁶²

ويشير التقرير البريطاني الى الصعوبات التي اعترضت تنفيذ المشروع اذ جاء فيه: «ان اللجنة لم تختار القرى القريبة من الحدود التركية، ومن المفروض ان القرى المختارة قادرة على إعالة ٤٧٢ عائلة أو ما يقارب ٢٣٦٥ شخص. ولكن بمعزل عن عدم توفر الأموال الكافية لتنفيذ المشروع، فقد ظهرت صعوبات تتعلق بملكية هذه القرى، وقد ادعى البعض من الوجهاء المجاورين ملكية عدد من القرى المختارة، فكان من المستحيل تنفيذ المشروع الا بعد الانتهاء من التحقيق في شأن هذه المزاعم. وعندما إتخذت الإجراءات الأولية لمعالجة هذه المشكلة ظهر جلياً إنها كانت نتيجة لحركة سياسية قام بها الزعماء الكرد المجاورون، وكان شيخ أحمد البارزاني يشجعها بغية إخراج موقف الحكومة العراقية لأغراضه الخاصة، وذلك من خلال تقوية المعارضة المحلية ضد المشروع، ولهذا السبب فإن معالجة مزاعم الوجهاء الكرد بملكية هذه القرى بطريقة شرعية لا يضمن إجتثاث جذور المشكلة، ولم يعد هناك خيار غير إلغاء المشروع الى ان يتوضح الوضع السياسي.»⁶³

كان شيخ بارزان عائقاً امام مدّ نفوذ حكومة الملك فيصل الى المنطقة وكانت علاقاته مع إدارة الاحتلال متأزمة وفي بارزان كان الخوف ماثلاً من جميع تحركات سلطات الاحتلال، واعتبرت سلطات الاحتلال ان بارزان تأوي المناوئين لها، يقول التقرير: «في شهر تشرين

⁶² Ibid. 1927. P.30 – 31.

⁶³ Ibid. 1927. P.30 – 31

الثاني/نوفمبر ١٩٢٧ التحق رئيس عشيرة بالك الصغيرة، أحمد بيگوك بشيخ بارزان المشاكس. وتحدى الأخير علناً نفوذ السلطة المحلية. في الصفحات التالية وصفنا سلوكه حيث يصعب التعامل معه، وفي شهر كانون الأول/ديسمبر توجهت قوة صغيرة من الليفي للقبض عليه، لكنه هرب والتجأ الى شيخ بارزان، ونظراً لحرمانه من قراه والتجائه الى منطقته لا توجد فيها سلطة حكومية، فهو بالضرورة يشكل تهديداً للسلام في الجزء الغربي من مقاطعة راوندوز.^{٦٤}

إستغلت بارزان الحالة شبه الهادئة للبناء الداخلي والتي امتدت من ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ ولم تتمكن بارزان خلالها القيام بأي دور خارج منطققتها. وما ان هدأت ضغوط سلطات الاحتلال البريطانية وحكومة بغداد حتى ركز البارزانيون جهوداً هائلة لنهضة روحية شاملة وبتخطيط مدروس بدقة. كان ملاي ملا محمود محور النشاط الروحي. وأصبح شيخ بارزان خلال هذه السنوات أكثر نضجاً في عالم الطريقة وقد برز عدد آخر من الكوادر المؤهلة في أوساط القبائل البارزانية، فكان هناك فريق كامل ومتجانس من الكوادر لترسيخ تعاليم الطريقة وتنظيم المجتمع. وتركز التثقيف على النواحي التالية:

- ١ - تثقيف الفرد لكي يستوعب اسس الطريقة النقشبندية وتحويله الى فرد في خدمة المجتمع خلال محاضرات مكثفة وإنماء الوعي فيه.
- ٢ — تنظيم العائلة والتركيز على الزواج الاختياري الخالي من أية ضغوط والمبني كلية على التفاهم والرضى المتبادل بين الزوجين، بعيداً عن تأثير المال.
- ٣- منع قطع الاشجار المثمرة او الوارفة الظلال، الامتناع عن قتل الحيوانات البرية والطيور أو هدم خلايا النحل لاستخراج عسلها والرفق بالحيوان -عدى الذئب والدببة والوغل والأفعى السامة - وحرم قتل الافعى السوداء وهي غير مسمومة.
- ٤ — تنظيم المجتمع كوحدة كاملة متعاونة ومنسجمة. وفق الحديث الشريف «مثل المؤمنين كمثل جسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

٥ — تنظيم الإنتاج الزراعي والحيواني في المنطقة وجمع واردات التكية لسد حاجات المعوزين والفقراء. وطبق المبدأ الإسلامي القائل «من بات شعبان وجاره جائع فليس منا».

٦ — مشروع نحو الامية، وهو من أهم المشاريع الجريئة التي تبنتها القيادة الروحية. فقد فرض التعليم على الرجال والنساء وأصبح إجبارياً ودون تمييز في جميع قرى بارزان. ولهذا الغرض تم شراء كل ما يحتاجه المجتمع من لوازم القراءة والكتابة مبتدئين بالقرآن الكريم والالتزام بالصلاة والصوم والتقوى. ومثلت هذه ظاهرة امتازت بها بارزان على سائر المشيخات الكردية المجاورة.

٧ — كانت بارزان متخوفة من استئناف المعارك مع سلطات الاحتلال، ودروس التاريخ كافية لأخذ العبر، فكان الاعتقاد أن الهدوء السائد وقتي وما أن تشعر السلطات البريطانية وحكومة بغداد بالقوة حتى تهاجم بارزان. ولهذا كان هناك تخطيط لشراء السلاح وإعداد جيش قوي قادر على الدفاع عند التعرض للعدوان. معظم هذا السلاح كان يؤتى به من كردستان الشمال. تركيا خاصة بعد القضاء على انتفاضة شيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥.

٨ — اهتمام شعبي واسع بأشعار أحمد خاني وهي مزيج من الروحانية والوطنية، بالأخص نداء أحمد خاني إلى الوحدة الكردية إلى جنب أشعار التصوف ملئ جزيري وكثير منها كان يحفظ عن ظهر قلب.

٩ — كان ملاي ملا محمود بمثابة العمود الفقري لهذه النهضة العارمة، ملم باللغة الفارسية والعربية إلى جانب الكردية وكثير الإعجاب بأشعار جلال الدين الرومي وگلستان سعدي وديوان ملي جزيري وأشعار أحمدى خاني ومهتم بالصحة العامة فقد كان يداوي بالأعشاب بعض الأمراض.

تحول مسجد بارزان إلى قبلة للمريدين وأستطاع ملاي ملا محمود ان يلهم حماس الشعب، وكانت العادة ان يدخل أتباع الطريقة بالتناوب الحجرة الخاصة حيث يلتقي المريدون بالمرشد الروحي ملاي ملا محمود لتلقي المحاضرات ولتحويلهم إلى صوفيين ناضجين والوصول إلى مراتب روحية أعلى، وفعلاً تم تحويل القبائل البارزانية إلى كتلة روحية موحدة أخلاقياً وثقافياً وملتزمة بالتاريخ والارض وقوية الإرادة بحيث يصعب إختراقها من الخارج. وازداد رصيد ملاي ملا محمود الشعبي ليصبح محورياً للحركة الصوفية، والتي دفعت القبائل البارزانية نحو مرحلة

تجانس عقائدي وفكري قادر ذاتياً على بلوغ أقصى درجات التنظيم وشفق طريقه حسب المفهوم الصوفي نحو الهدف الأسمى الا وهو التحرك نحو الله. طيلة هذه الفترة لم تتعرض بارزان لأي من جيرانها وأنصب العمل على امور داخلية وتفادت التدخل في امور الآخرين ولم تقم بأي دور خارج تخوم بارزان.

شعر الاغوات المجاورون بالخوف مما يحدث في بارزان، فاتجهوا بالشكاوى الى السلطات في الموصل وهم يقرعون ناقوس الخطر من تنامي وتوسع نفوذ بارزان في أوساط القبائل حتى البعيدة عنها. ومن جانبها لم تكن سلطات الاحتلال البريطانية بغافلة عما يجري بخصوص الحركة الدينية في بارزان. ساد الأوساط الحاكمة الانكليزية والعراقية شعور عام بالارتياح بعد تسوية نزاع الحدود مع تركيا، واعتبر ان الخطر الخارجي الذي يهدد تشكيل دولة العراق وفق المشيئة البريطانية قد زال، وتحسنت العلاقات التركية العراقية بشكل ملحوظ إلى حد التعاون لمواجهة الاضطرابات الكردية على جانبي الحدود الحديثة. كان الهدف الرسمي هو فرض سلطة الحكومة المركزية الى أقاصي زوايا كردستان بالقوة. وكان العائق أمام سلطات الاحتلال هو الشيخ محمود الذي ظل متمسكاً بمطالبه القومية، والعائق الثاني تمثل في بقاء شيخ بارزان مستقلاً غير خاضع لحكومة بغداد ولا لسلطات الاحتلال البريطانية. كان البريطانيون وحكومة بغداد يتربحان الفرص للقضاء على الإثنين ولكن دون مواجهة الشيخين في آن واحد.

في فترة الترقب هذه قامت سلطات الاحتلال البريطانية باستعداد رؤساء العشائر المجاورين ضد بارزان، ونشر دعاية مغرضة وكاذبة بين القبائل الكردية توشي بإعتناق البارزانيين للمسيحية وان شيخ بارزان أمر أتباعه بأكل لحم الخنازير. كانت هذه خطة بريطانية هدفها تأليب القبائل المجاورة ضد بارزان، أي ضرب الشعب الواحد بعضه ببعض لأجل فرض حكمها. ويقول تقرير بريطاني: «لشيخ بارزان سجل من العداء الصارم والمتواصل تجاه الحكومة، وتوجه في شهر حزيران رتلان من القوات الى بارزان لإظهار سلطة الحكومة وبعدها

إنسحبت تاركة حامية في بلي، قرب الزاب الكبير وتقع جنوب بارزان بعدة أميال. وتم تشييد مخفر في بارزان، إعترض الشيخ على وجود الحامية لكنه لم يبد مقاومة فعلية.⁶⁵

في الواقع كانت سلطات الاحتلال البريطانية ممتعة من الروح الاستقلالية التي تمتع بها البارزانيون وعدم طلبهم الخطوة لا من البريطانيين ولا من حكومة بغداد. ويمضي التقرير البريطاني: «بدأ شيخ بارزان يتجاوب مع الروح العشائرية المشاغبة، فابتاع البنادق والذخيرة. وكان تأثيره وتأثير دعاياته الهدامة قد أوجدا القلاق في برادوست».⁶⁶

كانت ظروف بارزان الداخلية على وشك إنعطاف خطير جراء الصراع على السلطة في عام ١٩٢٧. وكما ذكرنا كان لشيخ بارزان ثلاثة إخوة يسكنون في بارزان. محمد صديق ٣٢ عاماً. بابو (محمد) ٢٧ عاماً و ملا مصطفى ٢٦ عاماً. الثلاثة كانوا متزوجون. وكان شيخ بارزان حريصاً على تثقيفهم خاصة إنهم لم يتمتعوا بنعمة العيش مع الأبوين وسماع نصائحهم، إذ توفي الوالدان وهم في سن مبكرة. لذا كان شيخ بارزان يود ان يوكل أمر تربيتهم الى ملاي ملا محمود مرشد الطريقة والذي يحظى بكل ثقة الشيخ وجيش الطريقة.

كان ملاي ملا محمود حفيد أول شيخ يظهر في بارزان (الشيخ عبد الرحمن) لكن حكم المشيخة إنتقل بعد وفاته الى شقيقه (عبد السلام) وهو عالم معروف في زمانه. واستمر أولاد وأحفاد الشيخ عبد السلام تولى مهام المشيخة وكان شيخ بارزان الرابع (عبد السلام) واعياً لقابلياته ومعجباً بمواقفه البطولية أثناء هجمات جيوش الامبراطورية العثمانية في بداية القرن على أراضي بارزان ودفاعه المستميت لردع المعتدين، فقد برز نجمه في أكثر من مناسبة. وألحق الهزيمة بالمعتدين في معركة (Qorebeg) عندما وقع شيخ بارزان (عبد السلام) في كمين للمرتزقة وهو في طريقه الى (بيراكبرا) للتفاوض مع السلطات التركية. ويعود له فضل كبير في النصر الذي تحقق في تلك المعركة. وأثناء الحصار على بارزان في عام ١٩١٤ خلال آخر المعارك مع الاتراك والشيخ عبد السلام في الأسر، شهد له الجميع بكفاءته القتالية والقيادية.

⁶⁵ Ibid. 1927. P.25 .

⁶⁶ Ibid. 1927. P.25 – 26.

وكان قد درس العلوم الدينية وأعياناً لمقتضيات الطريقة ومربياً لاتشوب سمعته شائبة وكان ذا قدرة عالية في تنظيم القبائل وذا مقدرة في كسب قلوب الناس، فمنح الشيخ عبدالسلام ثقته لملاي ملا محمود، وبما ان الشيخ عبدالسلام كان مدركاً للمخاطر التي يواجهها في حياته، فقد أوصى ملاي ملا محمود خيراً بإخوته وأولاده إن وافته المنية وبالأخص الاهتمام بـ (أحمد).

كان (ملاي) يرافق الشيخ عبد السلام في معظم جولاته، وعرف عنه بكونه من أفضل رماة البندقية، ففي إحدى الجولات التي كان يقوم بها شيخ بارزان لحل خصام داخلي بين قبيلة المزوري، ان صادفوا وهم في الطريق، وغزا على قمة صخرة بعيدة، فأمر الشيخ بالسعي الى إصابتها، فصب ملاي ملا محمود بندقيته على عجل وأطلق رصاصة فتطاير الوغز في الهواء، هنا بادر الشيخ معبراً عن إعجابه به:

. قل انني ابن قبيلة المزوري.

لكن ملاي أدار نحوه وأجابه على الفور:

. كلا... إنني إبنك.^{٦٧}

فكان هذا ينوب عنه في مهام الإرشاد وتثقيف الأتباع والأنصار، واستمر في ذلك حتى إعدام شيخ بارزان في الموصل من قبل الترك. وفيما بعد استمر شيخ بارزان الخامس (أحمد) على نفس نهج سلفه فكان ملاي ملا محمود يمثل شيخ بارزان في أوساط المريدين.

ويبدو انه بسبب عوامل عديدة منها الشعبية الطاغية لملاي ملا محمود وقوة شخصيته ان نشأ ضده الحسد والغيرة وظهر تيار مناهض له يمثل محمد صديق وملا مصطفى. دوافع الاثنين لم تكن متطابقة في عملية القضاء على ابن عمهما، انما اتفقا على تصفيته (ملاي) وفي الواقع كانت هناك رؤيا متناقضة بين تيارين: فبالنسبة لملاي ملا محمود إنه وفق مبادئ الطريقة النقشبندية والتراث البارزاني الأصيل، لا توجد إمتيازات للعائلة الحاكمة، ويجب تفادي التصرف الفردي في أموال التكية، ولا يجوز التمتع بمنزلة إجتماعية متفوقة على عامة الناس، المساواة والعدل هما الهدف. فالتمتع بحقوق إضافية والحصول على الامتيازات الاجتماعية

والاقتصادية تؤدي الى بروز اللامبالاة بالفقراء، وينشأ الغرور والغطرسة والمنافسة على الأملاك والجاه، وتنفصل العائلة عن الشعب وأخيراً ستصبح بارزان مشيخة عادية كما هو الحال مع عدد من المشيخات الأخرى، والتي ليس لها من النقشبندية غير القشر. فالتعاليم الصوفية لا تنقسم الى قسمين. الأول للأغنياء والآخر للفقراء. ففوة بارزان تنبع من عامل المساواة بين الجميع. الإنسان يجب ان يكون أداة من أدوات التعاليم الصوفية، والانحراف يبدأ عندما يريد الانسان تحويل المشيخة الى أداة يستخدمها لبلوغ أهداف شخصية.

كان شيخ بارزان واعياً للنزعة المادية وعدم رسوخ تعاليم الطريقة لدى إخوته فطلب من ملاي ملا محمود القيام بدور المربي الروحي. وكجزء من دورات في الممارسة الروحية عزل إخوة الشيخ الثلاث: محمد صديق، بابو وملا مصطفى، في مسجد بارزان، لتعلم الزهد في العيش والقضاء على النزعة الأنانية والمادية الضارة وعلى النزعات الشريرة في الانسان وإزالة روح الغطرسة والأحقاد لديهم، وتغذية الطيبة والتسامح والتواضع وإنماء روح الخدمة لبني الانسان والاهتمام بالفقراء ونصرة المظلوم ومقارعة الظلم. وبعد إكمال هذه الدورات التي طالت ما يقارب الستة أشهر، سمح لهم بالعودة الى أهليهم.

وفي صيف عام ١٩٢٦ عقد اجتماع شعبي هائل في أعالي جبل (Sere-Museka) ويقع الى شمال جبل شيرين عند الحدود التركية، حضره معظم رجال ونساء قبائل بارزان ومن كافة القرى، في هذا الاجتماع بلغ ملاي ملا محمود ذروة نجاحه، فكان الشخصية الثانية بعد شيخ بارزان (أحمد). وانهمال الناس من كافة القرى على مكان الاجتماع الروحي معبرين بحماس عن تعلقهم بهما. في الواقع كانت الطريقة تنتشر بسرعة كبيرة في أوساط الجماهير ولو بقيت على حالها لكان شمولها لمنطقة بادينان برمتها وانضواء قبائل أخرى من سوران أمراً وارداً تماماً.

أما الطرف المعارض فكان يرى الامور بمنظار مختلف، معتبراً ملاي ملا محمود عديم الاخلاص لشيخ بارزان وانه منحرف وله طموح في ان يصبح زعيماً روحياً لبارزان بلا منازع وذلك بعد ان يقضي على نفوذ شيخ بارزان بالتدريج وحاولوا في البداية وبصورة خفية بث دعاية مناهضة لملاي ملا محمود، لكن هذه الدعاية لم تلق آذاناً صاغية من أحد، خاصة أن

شيخ بارزان (المرجع الروحي الاعلى) وقف دوماً الى جانب (ملاى) ولم يصغ لهذه الدعايات التي اعتبرها مغرضة، لها دافع شخصي ولا تعي شيئاً من الشأن الروحي.

الظاهر من سير الاحداث ان الأخوين ملا مصطفى ومحمد صديق وقد طغى عليهما الغيرة والحسد، وبعد ان باءت محاولاتهم بالفشل في إبعاد شيخ بارزان عن تأييد ملاى ملا محمود، ثم فشلهم في مقارعة الأخير وجهاً لوجه بالحجة المفحمة وإخفاقهم في تجريده من الانصار وأخيراً شعورهم بالتهميش والكبت في ظل الاوضاع التي اوجدتها نشاطات ملاى ملا محمود اتفقا في النهاية على خطة لتصفية ابن عمهم، ومرشد الطريقة وألع شخصية بارزانية يتمتع بشعبية طاغية وله الفضل كما نوهنا في إعادة بناء صرح المشيخة من جديد على أنقاض الدمار الذي أحدثته الحملات التركية المتعاقبة وصولاً الى اعدام شيخ بارزان الأكثر شعبية في 18 كانون الثاني 1915 ، وكان هذا الحدث هو الأول من نوعه في تأريخ العائلة والمشيخة. كانت جريمة مروعة وهذا ما أكده لي والدي. وأكد ذلك شيخ بارزان نفسه في مناسبات عديدة، ومعظم الذين عاشوا في أوج المد الصوفي في بارزان صدموا بالجريمة، أما الهدف الحقيقي فسيتضح لنا فيما بعد وخلال سردنا للأحداث من أوثق المصادر.

حاول دائماً ملا مصطفى تفادي اثاره الموضوع الى آخر حياته، فبقي الكثير قيد الكتمان، وكما نوهنا أخفى صورة ملاي ملا محمود نهائياً من التداول ولم يدع نشر الصورة بهدف محوه من الذاكرة الجماعية، وهذه العادة (الاخفاء أو طمس الحقائق) تكررت فيما بعد لتشمل (إخفاء القبور لأبطال مرموقين)، فقد زار إقليم كردستان المهندس دارا ابن الدكتور شرفان سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني/تركيا، للعثور على قبر والده في أكتوبر ٢٠١٣ وطلب اللقاء بمسعود ابن ملا مصطفى، لكن دون جدوى، وهناك أبطال آخرون أغلقت قنوات البحث والدراسات أمام المؤرخين الحريصين على كشف الحقائق التاريخية. لكن بلا شك كانت جريمة اغتيال (ملاى ملا محمود) جريمة بشعة خطط لها بسرية كاملة وعقد الجناة عدة اجتماعات لاختيار الوقت والمكان والظروف التي تسمح بالتأكد من اغتياله ودون ردود أفعال منه ومن محبيه وضمان الهروب.

في الواقع كانت الخطة تهدف ثلاث شخصيات معروفة وذات حرمة في الوسط البارزاني، اثنين منهما كانا في بارزان بينما ملاي ملاي في (تاتوك) منتجع صيفي يقع أعالي سفح جبل شيرين ويطل على عاصمة الطريقة بارزان. حيث جرت العادة أن يقضي هناك ملاي ملاي محمود أشهر الصيف القائظة.

في الاول من شهر أيلول عام ١٩٢٧ قصد ملا مصطفى ومحمد صديق منتجع (تاتوك)، وباحترام ظاهر قدموا له طلباً بالتفضل بمصاحبتهم للنزول نحو عاصمة الطريقة (بارزان) للبت في امر شرعي لا يمكن حله بدون تدخل شخصي منه. الظاهر ان ملاي ملاي محمود كان صافي النية ولم يشك فيما بيت له، فلبى طلبهم بلطف وأدب وبعد الظهر نزل الجميع نحو بارزان. وما ان وصلوا بارزان وافتروشوا موقعا يعرف بحقل (Zevya-Kinishte)، إسترخى ملاي ملاي محمود قائلاً انه سيتوضأ لكي يؤدي صلاة المغرب. فقام ملاي ملاي محمود من مكانه وابتعد عدة خطوات نحو نبع الماء وهو لا يشعر بما بيت له، حتى صوب إليه ملا مصطفى ومحمد صديق بنادقهم المحشوه سلفاً وأطلقوا عليه النار، في هذه اللحظات إلتفت إليهم ملاي ملاي محمود بنظراته، لكن كان الرصاص يخترق جسده بطلقات متتالية فخر صريعاً وسط الحقل. بعدها الح ملا مصطفى على محمد صديق الذي لم يكن راغباً في قتل آخرين، طالباً منه بإصرار مdahمة منزلين في القرية وقتل اثنين آخرين هما مقداد اسماعيل وعبد الله ابراهيم حاج، فداهما المنزلين وسط القرية بارزان وقتلاهما تحت انظار زوجتيهما وأطفالهما الذين بوغتوا ولم يفهموا ما يجري، ثم ولوا هاربين واختفوا في أوساط الشيروانيين، مخلفين ثلاث قتلى. وبهذا تم إجهاض حركة طبيعية للتغير ذات أبعاد اجتماعية وسياسية ووطنية أصيلة. وقضي على الشرعية التي استمرت أكثر من مائة عام ابتداء من عهد مولانا خالد. وهذا الاغتيال الذي وقع في ١/٩/١٩٢٧ كان الثاني لمرشد الطريقة في بارزان بعد إعدام الترك شيخ بارزان (عبد السلام) في ١٨ يناير ١٩١٥ في الموصل. وفي المناسبتين قضى على الشرعية التي أوجدها مولانا خالد من خلال الإعدام والقتل، وجسد هذا منعطفاً خطيراً على مجمل المسيرة البارزانية، إذ ما أن يحصل التغير عن طريق الانقلاب (Coup d'état) حتى تزداد الحاجة الى تبني الوسائل اللاشرعية من تضليل وتقويه وإرهاب بشكل متصاعد.

بتصفية ملاي ملا محمود وكما هو الحال عندما يقضى على نظام ويستبدل بآخر، تدفن كل إيجابيات الأول، منجزاته تشوه ويقتل تراثه، وبشكل أدق يصار الى (دفن الذاكرة) وهكذا أصبح (تراث ملاي) يعاني من التعتيم بحيث إختفت الحقائق في ذهن الأجيال اللاحقة من البارزانيين. وصعب العثور على ما قدمه خلال ما يقارب ثلاث عقود من خدمات لبارزان ويعترف البارزانيون الذين عاشوا تلك الفترة بكونه ذلك الرجل الذي انتشل بارزان من حالة الضعف الى مركز القوة. كل ذلك إختفى، كما منع ماقيل في حقه من شعر وملاحم تشهد بقبالياته. كانت الصدمة الشعبية كبيرة. وحول لحظات اغتياله يقول أحد المنتحبين البارزانيين هو ههميره شيرواني:

Li nav zevîê	هناك وسط الحقل
Li bîn tûyê	وتحت شجرة التوت
Berê tivinga	صوبوا بنادقهم
Da enîê	نحو جبينه

سببت الحادثة صدمة عظيمة لشيخ بارزان أفقدته الثقة بأخويه طوال حياته وسببت له جروحاً لم تندمل قط. كان شيخ بارزان يقضي صيفه في منتجع في جبل (هورى - عديد من جبال بارزان يحملن أسم امرأة) البعيد عن بارزان وما ان علم بالخبر حتى استدعى ابن ملاي ملا محمود الذي كان موجوداً هناك وأمره ان يحمل بنديته ويذهباً معاً الى الجبل. هم بعض الحراس بمتابعتهم، لكن شيخ بارزان امرهم بالعودة والكف عن متابعتهم، فما كان منهم الا العودة مكرهين. استمر الاثنان يتابعان سيرهما الى ان غابا عن الأنظار في متاهات الجبل بين الصخور بعيداً عن (هورى). وهنا، حسب ما رواه ابن ملاي ملا محمود فيما بعد، توقف شيخ بارزان بالقرب من صخره ثم دفع بالرصاص الى فوهة البندقية وأعطاهها الى ابن ملاي ملا محمود وأدار له ظهره قائلاً: «اعتبرني قاتل والدك وأمرك بقتلي، اني احل لك إراقة دمي.» امتنع ابن ملاي ملا محمود عن أخذ البندقية منه. لكن شيخ بارزان أخذ يلح عليه الحاحاً شديداً. لم يتمكن الابن من الصمود فأجهش بالبكاء قائلاً: «انني أعرف كيف حصل

حادث القتل، وأشعر بمدى آلامكم، لست فاقداً لعقلي الى حدّ القيام بما تأمروني به.» بقي الاثنان في الجبل حتى ساعة متأخرة من الليل وبعدها عاد الاثنان الى هورى. لم يعد شيخ بارزان من شدة التأثر الى العاصمة بارزان بل أمضى شتائه في قرية شيروانية اسمها (راوشا). ولم يجرؤ لا ملا مصطفى ولا محمد صديق العودة الى بارزان، بقيا كعصابة مختفين في الجبال.

حصلت حادثة تستحق الانتباه في المنتجع الصيفي الجميل (ساركى)!

التقيت في ٢٠٠٥، ٣، ١٥ في السليمانية صديقة بريدة بارزانية وهي في زيارة لابنها اسمها (فاطمة من قرية كانيا بوت) كانت طاعنة في السن لكنها تمتعت بذاكرة جيدة، ذكرت لي:

كعادة يومية، استيقظت من النوم ونزلت في الصباح الباكر نحو نبع الماء في منتجع (ساركى) وهو منتجع تأمه فصل الصيف، القطعان من قرى شيروانية ضمنها (دورى) و(كانيا بوت) و (راوشا) وعندما ملئت الجرة بماء النبع، إذا بثلاث رجال مسلحين يصلون على حافة النبع، وكان يظهر عليهم التعب. تعرفت على ملا مصطفى فطلبوا الماء، فقدمت له ومرافقيه الماء.

بعد شرب الماء قال لها ملا مصطفى بتهكم وتهديد متسائلاً:

ألسنت أنتي الخليفة فاطمة؟

نعم انا فاطمة.

أحذركي، ان نطقتي بالذكر (يعني بها ذكر النقشبنديين) سأقطع أنفكي.

إن أنعمني الله نعمة تلاوته فسوف أتלוه الى ما شاء الله، وان لم ينعمني فسأبقى صامته. هذه امور تأتي من الله وليس من العباد. قالتها بلهجة تحد.

سمع (ميرخان دورى) من عريشه القريب من النبع ما يدور من حديث، وهو من شخصيات الطريقة المعروفين، وكثيراً ما كان يلقي الكلام بعفوية متنبأً بما سيحصل في المستقبل، عدد من تنبؤاته تحققت حسب مايرويه البارزانيون، عند سماعه ما جرى من كلام على النبع، خرج من عريشه القريب ليلتقى بملا مصطفى ومرافقيه موجهاً اليه كلامه وهو يمسكه بذراعه:

- ملا مصطفى، الجندرمه هم الذين يمنعون الذكر. لقد عانينا من ظلمهم واضطهادهم لنا بسبب عقيدتنا، أنت الآن تقوم بأداء دورهم..... أنا ل اأصدق تظاهرك بالأيمان، لكن سأصل الى قناعة عندما تذهب الى روسيا وتمتنع عن الزواج هناك، عند ذاك فقط سأصدق واقول لك حسناً فعلت....."

وفي ذات مرة وفي فترة (حياة الشقاوة) وصل ملا مصطفى خلصة مع محمد صديق الى قرية (راوشا) ودخلوا منزل (سيفدين ياسين) فجأة، نظر إليهم سيفدين وقال: "طواعية لن تنالوا شيئاً مني، لكن بإمكانكم حرق المنزل مع الأطفال أو تأخذوا ما تريدون." وعندما تدهورت العلاقة مع الحكومة العراقية وسلطات الاحتلال الى حد المجاهرة المسلحة، توسط عدد من الوجهاء لدى شيخ بارزان للسماح لهما بالعودة الى بارزان. توقف شيخ بارزان من شدة تأثره عن النشاط الروحي ولم يعد الى بارزان وانتقل الى شيخان كمركز سكن له مفضلاً العزلة، وخشي تعيين شخص آخر مكان ملاي ملا محمود خشية ان يلقي نفس مصير سلفه. رغم وجود المؤهلين لتولى الارشاد، وخص بالذكر (قاسم بالاني) و (شهاب ملاي).

يوسف صفتي

ذكر شيخ بارزان في مناسبات كثيرة وللعديد من الموثوقين، البعض منهم لا يزالون على قيد الحياة: «جائي يوسف صفتي طالباً مني السماح له في بذل الإرشاد للبارزانيين على شاكلة ملاي ملا محمود، فقلت له إنني إعتزلت كل شيء وهذه امور روحية ذات مسؤولية كبيرة أمام الله وعباده.

لا شك كان من أهداف ملا مصطفى أخذ مكانة (ملاي ملاي) لكنه كان يفتقر الى المصادقية ومتطلبات شروط الطريقة، ورغم محاولاته المتكررة، تارة بالابتزاز وتارة بالقتل وبالدعاية المضللة وتبني أساليب ملتوية في الوصول لهدفه، الا أن لم يلقي نجاحاً في وسط البارزانيين كمرشد روحي.

ونجاحه اللافت كان مع روواد (القومية الكردية) التي وفرت له كافة فرص النجاح، والفريق القومي المؤلف من إبراهيم أحمد وجلال الطالباني وعلى عبد الله ونوري شاويس وآخرون كانوا بالانتظار ويبحثون عن (بطل) يقودهم باسم القومية وحقوق الشعب الكردي، فتارة كانوا يتعاونون وأخرى يتقاتلون أو يتآمرون، الى أو أوصلوا الشعب الكردي الى الكارثة الوطنية الكبرى عام ١٩٧٥ وكانت النهاية في واشنطن حيث وافته المنية في عام ١٩٧٩.

كنت قد التقيت عدة مرات بـ (يوسف صفتي) في (ريزان) بعد عام ١٩٦٠ وعائلته مكونة من (أحمد) ابنه و (كهوهر) ابنته، وكانوا في غاية الأدب، والناس يحترمونه لأخلاقه الرفيعة، وكان طاعناً في السن، نحيل الجسم متوسط القامة ومتقد الذهن، محدثاً بارعاً يبعث على الانتباه ويوحي بالصدق والأمانة، وكان متأثراً بلقائاته مع المرشد (ملاي ملای) وبشيخ بارزان والنخبة من رجال الطريقة وقد نال شعبية لا بأس بها، هنا انتبه ملا مصطفى وقصده وفي جعبته مقترح لو نجح فانه سيصبح (مرشداً) للطريقة في بارزان. التقى بيوسف صفتي على انفراد وبعد مقدمة قصيرة طلب من يوسف الإعلان بشكل صريح أمام الجمهور أنه رأى في المنام منادياً ينادي من الغيب أن الجميع يجب أن يذهبوا الى حضور ملا مصطفى لأن الطريقة انتقلت اليه وهو الذي يتولى مهمة تلقين المريدين وانه أهل لها... استغرب يوسف من المقترح الصريح والواضح فأعرب له عن رفضه للمقترح وان هذا خارج المنطق وليس هنا مكان لشيء آخر غير الصدق.

ذهل (يوسف) من تغيير نبرته الى التهديد بالقتل على شاكلة (ملاي ملا محمود) ان لم ينفذ الأمر، ثم خرج ملا مصطفى تاركاً يوسف في حيره من أمره، والأخير قصد على الفور شيخ بارزان في (شيخان) مكان اقامته وعزلته وأبلغه ما حصل!

فسادت مرحلة من الفوضى والضياع.

وجد البارزانيون أنفسهم بلا حول أو قوة ولم يعرفوا كيف يجابهوا هذه الأزمة العميقة. بالنسبة لهم مثل ذلك منعطفاً خطيراً قد تكون له آثار مدمرة فيما بعد. وما حدث هو مثال واضح على استمرارية تراث ونمط وثقافة الآغا الظالم حيث الأولوية للمصالح المادية. ومن الصعب القضاء على هذا الجشع المادي بين عدد من أفراد العائلة البارزانية الذين يتلبسون

بلباس الدين والتقوى.

بعد الانقلاب الذي أطاح بالنظام الملكي في العراق في ١٤/٧/١٩٥٨ اطلق سراح شيخ بارزان وعاد الى مسقط رأسه وزاول عادته القديمة في رحلته الصيفية صعوداً على جبل شیرين و ثم نزولاً في المنحدرات الشمالية مجتازاً في سيره العديد من المنتجعات المعروفة: (ساركي) و (Dola-beregira) وحتى الوصول الى (هورى) مكان إقامته الصيفي، وكان يتابع نفس الطريق في العودة عند إقتراب الخريف، وفي كل هذه الرحلات كان يتوقف عند مقبرة (هه سنى) حيث وري جثمان ملاى ملا محمود الثرى وقد تكدست فوقه الاعشاب الجافة لسنين، وعلى حافة الجدار الذي يشكل حلقة صخرية محكمة يحيط بالمقبرة، يتوقف شيخ بارزان للحظات من التأمل والصمت العميق ثم يقول بحسرة ظاهرة:

«لقد كان بطلاً عظيماً»

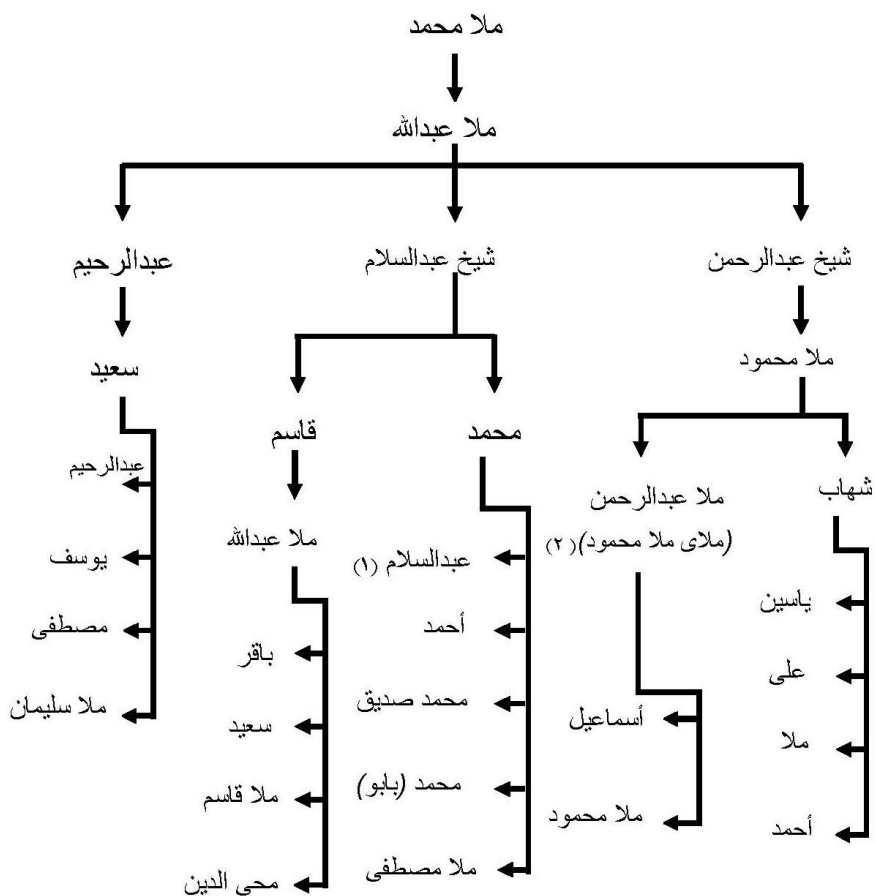
ثم يعاود السير نحو بارزان.

ومن جانبه ظل ملا مصطفى يركز دائماً على إخلاصه لمبادئ بارزان وانه هو الخادم الصادق لشيخ بارزان وقيد أوامره وانه لا يوجد شخص آخر يساويه في الولاء له. وقد آمنت قطاعات واسعة من البارزانيين بذلك اذ كان مجتمع بارزان مجتمعاً تربى على الصدق والنزاهة ولا يملك القدرة على التمييز بين الاهداف الخفية للدعاية وبين الواقع، وكان من الممكن كسب ولائهم من خلال تبني المنطق الديني فالتفوا فيما بعد حول ملا مصطفى مقتنعين بإخلاصه لشيخ ومبادئ بارزان.

من عجائب الأقدار بعد مضي أكثر من أربعين عاماً على اغتيال ملاى ملا محمود، وقد أصبح موضوعه محظوراً في الأحاديث، أن عاد سعيد أحمد نادر عام ١٩٧٠ من الاتحاد السوفيتي وهو أول بارزاني يحمل شهادة دكتوراه هناك. وجلب معه صورتين أهداهما الى ملا مصطفى، كان هو يعرف هوية الذي وسط الصورة الاولى، انه الشيخ عبد السلام محاطاً بعدد من الانصار، اما الصورة الثانية فقد كان نفس الرجال يحيطون بشخص آخر جالس مكان شيخ بارزان ولم يكن الدكتور سعيد يعرف من هو هذا الرجل. انه ملاى ملا محمود الذي

اغتيال. تعرف عليه فوراً ملا مصطفى وأخوه بابو. بحضور وحيد ابراهيم، حفيد الشيخ عبد السلام. لكن ملا مصطفى أخفى الصورة ومنعه من الاستنساخ والتداول منعاً باتاً.

شجرة العائلة البارزانية



١- أعدمه الترك عام ١٩١٤ في الموصل إثر الانتفاضات التي قادها.

٢- اغتاله ملا مصطفى و محمد صديق عام ١٩٢٧ في بارزان .

تجدد المعارك في السليمانية

كانت اولى التجارب الميدانية للجيش العراقي ضد الشعب الكردي والآثوري. فقد تأسس الجيش العراقي بمساعدة سلطات الاحتلال نفسها، وكان الضباط الانكليز يقومون بتدريب الضباط والجنود، وعندما كان الجيش يعجز عن أداء مهمته في القضاء على الانتفاضات كما سنرى وفي مناسبات عديدة، تهرع سلطات الاحتلال لنجدته. وهكذا بالتدريج أخذت بريطانيا تقوي الجيش العراقي وتسندته وتخطط له في قمع جميع الانتفاضات الكردية وتعمل في نفس الوقت وبشتى الوسائل على إضعاف الحركة الوطنية الكردية الى ان وحسب تعبير المؤرخ الكردي الدكتور عصمت شريف وانلي: «سلمت الشعب الكردي مقيداً» لهذه الدولة الجديدة.^{٦٨}

شهد المجتمع الكردي بين اعوام ١٩٢٥ — ١٩٢٧ نهضة تنظيمية وسياسية وثقافية هامة. ففي ربيع ١٩٢٧ إتحدت أربع منظمات كردية لتشكيل حزب (خويبون)،^{٦٩} والذي بدوره قاد ثورة آارات (Grîdax) كانت الكمالية تشن أعنف عملياتها ضد الشعب الكردي بعد فشل ثورة ١٩٢٥ ومذابح الشعب الأرمني في نهاية العشرينات حيث جعلت موطنهم بلا شعب وكل ما بقي من أرمنيا الغربية هو اطلال قراها وأديرتها التاريخية. تواصلت اللقاءات الكردية الأرمنية في بيروت على وجه الخصوص، واضح من صيغة الاتفاق الارمني الكردي ان النخبة القيادية السياسية الكردية في شمال كردستان والمتمثلة في عائلة بدرخان، كانت أكثر تطوراً وادراكاً من النخب السياسية الكردية في الأجزاء الاخرى من كردستان، وكان لديهم

^{٦٨} دراسات كردية . مجلة دورية عن المعهد الكردي في باريس . مقالة بعنوان: حول الاستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكردية . نظرة الى الماضي والحاضر وأخرى الى المستقبل . عصمت شريف وانلي.

^{٦٩} Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 90.

تصور واضح لمستقبل الامة الكردية. وبعد دراسة شاملة للوضع الأرمني — الكردي توصل الطرفان الي اتفاقية سرية ودقيقة للغاية. ونظراً لأهميتها فإننا نثبتها في الملحق رقم واحد.

إختارت خوييون الجنرال إحسان نوري باشا قائداً عسكرياً لقوات التحرير الكردية — كان الأخير محتفياً في شرق كردستان - إيران - . كما اختار الحزب الثوري الأرمني طشناق السيد أردشيس مراديان ملحقاً لها في المقر العام في جبل آارات (Grîdax). وقبل وصول الاثنين (كان) برو هسكي تيلو) قد تحصن في الجبل لمقاومة عمليات التتريك والتهجير القسري والتي كانت تجري على نطاق واسع في كردستان.

وفي جنوب كردستان نشأت في عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ جمعيات ثقافية مثل (زانستی) في السليمانية. وكان هدفها تطوير ثقافة الجماهير الكردية وأراد جميل بك نائب رئيس الجمعية اضعاء طابع سياسي على الجمعية. وفي راوندوز حاول السيد طه ایجاد جمعية باسم (Hawkari) لتطوير اللغة الكردية ولتوسيع الإلمام بالتاريخ والكتابة الكردية، لكن الحكومة العراقية رفضت المشروع، واكتشف الانكليز جمعية سرية باسم (Peshkeftin)^{٧٠} فحلوها عام ١٩٢٦. وكانت هناك جمعيات سرية أخرى في كركوك وأربيل، لكن مدينة الموصل بقيت المركز الأهم للالتقاء بين أكراد الأجزاء الأربعة، وكانت الاتصالات متبادلة بين هذه الجمعيات والشيخ محمود الحفيد.^{٧١}

من أجل تثبيت الكيانات الجديدة، وكجزء من سياساتها في إخضاع الشعب الكردي، عقدت تركيا معاهدات مع الدول المجاورة. فقد تم توقيع معاهدات صداقة مع البلاشفة عام ١٩٢١، ثم تلتها اتفاقية أخرى في عام ١٩٢٧. وعندما قامت ثورة آارات حيث كان موقع انطلاقها متاخماً للحدود السوفيتية وقف البلاشفة منها موقفاً سلبياً. كما ان طهران وقعت معاهدة مماثلة مع موسكو. وهكذا في حين كان الاستعمار الغربي يقف ضد الحركة التحررية

⁷⁰ Ibid. P. 109.

⁷¹ Ibid. P. 109.

الكردية، كانت الابواب موصده امام توقع اي عون سوفيتي. وفي الواقع تدخلت القوات السوفيتية الى جانب القوات الكمالية عام ١٩٣٠، عندما انهزمت القوات التركية امام تقدم قوات آراوات نحو نهر آراز. وذلك لحماية القوات التركية، فمنحوها الملجأ داخل اراضي الاتحاد السوفيتي. ولم تتمكن القوات الكردية من مطاردتها بسبب نيران القوات السوفيتية. بعد ذلك أعادت السلطات السوفيتية تلك القوات بكامل اسلحتها الى تركيا.^{٧٢}

اما العلاقات بين بغداد وطهران فقد شهدت تطوراً ملموساً في تعاون مشترك ضد الحركة التحررية الكردية. فبعد ان احتلت حكومة بغداد مدينة السليمانية، واصلت ارسال قوة عسكرية في تموز/يوليو ١٩٢٥ من حلبجه ضد الشيخ محمود. وكان من المفروض حسب الخطة المشتركة، ان يهاجم الجيشان العراقي واليراني معا مواقع القوات الكردية ومحاصرتها من الجانبين. لكن عدم تنفيذ الجانب اليراني لمهامه أفضل الخطة المرسومة، والتجأ الشيخ محمود الى كردستان إيران.^{٧٣}

كانت السلطات العراقية والبريطانية بعد احتلالهما لمدينة السليمانية صيف عام ١٩٢٤ قد اتخذت خطوات عملية لتثبيت احتلال كردستان، فقد انشأت مراكز عديدة للبوليس على طول خطوط المواصلات مدعومة بنظام دوريات مكثف لإحكام قبضتها على المنطقة المحتلة برمتها، وبالإضافة، كان الخناق يزداد على فعاليات الشيخ محمود على جانبي الحدود.

في شهر تموز عام ١٩٢٦ تجددت المعارك بين القوات الحكومية والكردية، واستطاعت الاخيرة القبض على طيار انكليزي ومساعدته كأسرى. عاملهم الشيخ معاملة جيدة. وفي شهر أيلول دخلت القوات الإيرانية للاشتراك في العمليات في مناطق بشدر كجزء من حملة عراقية، إيرانية وبريطانية مشتركة وقد فشل الهجوم وتركزت القوات الإيرانية حوالي المائة قتيل في الميدان كما وقع عدد آخر في الأسر، وتزودت القوات الكردية بعدد لا بأس به من البنادق والاعتدة

⁷² Ihsan Nouri Pasha . La Révolt de L'Agridagh.(Ararat)1985. Geneva, P.131.

⁷³ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P.106.

الى جانب مدفع،^{٧٤} لكن استمرار التعاون العسكري الايراني العراقي وقصف السلاح الجوي الملكي البريطاني المتواصل لمواقع الشيخ، جعلت الاخير يقبل الدخول في مفاوضات في تشرين الاول/اكتوبر من عام ١٩٢٦ مع مستشار المندوب السامي البريطاني كورنواليس للتوصل الى تسوية. وقد عقد اللقاء في قرية خورمال ولم يسفر عن أية نتيجة، لكن الحوار استمر عن طريق ممثل عن الشيخ محمود.

في بداية عام ١٩٢٧ عاد ممثل الشيخ من بغداد الى كردستان وبمعيته مقترحات الحكومة العراقية وهي:

أ. بإمكان الشيخ محمود واسرته البقاء خارج العراق، أي في إيران.
ب — ان لا يتدخل الشيخ اطلاقاً في الشؤون السياسية لمدينة السليمانية او اي مكان آخر من العراق.

ت — ان يرسل أحد أبنائه للدراسة في بغداد، ومقابل الالتزام بهذه الشروط فإن السلطات العراقية سوف تعيد له أملاكه وتسمح له بتعيين شخص لإدارة هذه الاملاك.^{٧٥}

توضح الشروط المذكورة كيف ان سلطات الاحتلال سعت الى حصر المطالبات القومية للشيخ في إطار شخصي ضيق وليس لها صلة بحقوق الشعب الكردي.
رد الشيخ: «ان قدره الشخصي لا يهمله كثيراً، لكنه لا يستطيع ان يرى كل ما كان يأمله للشعب الكردي قد تهاوى، هذا الشعب الذي كرس الشيخ حياته لخدمته».^{٧٦}

رفضت سلطات الاحتلال مطالبات الشيخ ولم تسمح له بحكم مدينة پهنجوين. ساقط السلطة ضده القوات المؤلفة من الليفي الآثوري ووحدات من الجيش العراقي وقوات الشرطة وحصل صدام واضطرت قوات الشيخ الى الانسحاب، وتم احتلال مدينة بنجوين، واستمرت القوات الجوية البريطانية في قصف العديد من القرى التي آوت الشيخ محمود وجهزته بالذخائر والطعام. وتحت ضغط القصف الجوي التجأ الشيخ من جديد الى كردستان — إيران. أخيراً

⁷⁴ Ibid. P. 107.

⁷⁵ British Reports to the League of Nations. ١٩٢٧-١٩٢٦. P. ٢٢-١٥

⁷⁶ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 107

تحت ضغط الظروف وقع الشيخ محمود على الرسالة التي قدمتها الحكومة العراقية، وحملها ممثل الشيخ مجيد أفندي الى Pencwin، كما أرسل الشيخ ابنه بابا علي للدراسة في بغداد. وبعد عدة ايام جاء الشيخ محمود الى Pencwin وقابل متصرف السليمانية، وفي ٥ تموز/يوليو من عام ١٩٢٧ وصل الى بغداد. وهناك خولته الحكومة اما السكن في بغداد او الموصل وذلك في حالة عدم رغبته العودة الى فارس. فضل الشيخ العيش في جنوب مريوان حيث يتمتع هناك بإحترام السكان. ويشير تقرير الحكومة البريطانية لعام ١٩٢٨ الى: «ان السلام الذي خيم بعد هزيمة قوات الشيخ محمود في Fنجوين في شهر مايس ١٩٢٧ استمر طوال عام ١٩٢٨.»^{٧٧}

في شهر شباط/فبراير عام ١٩٢٩ قررت بريطانيا إنهاء وصايتها على العراق على أساس انها أوصلت المملكة العراقية الى درجة كافية من التمدن بحيث تتمكن الحكومة العراقية من السير قدماً في مضمار التقدم السياسي والاقتصادي واحترام حقوق الشعب دون تدخل من بريطانيا. عبر الكرد عن مخاوفهم من تصعيد وتيرة الاضطهاد في حالة انسحاب بريطانيا من العراق، أثارت هذه المخاوف موجة من الاضطرابات بلغت ذروتها في السليمانية في ايلول ١٩٣٠، وفي بغداد وجه أحد النواب الكرد سؤالاً الى رئيس الوزراء لإيضاح موقف الحكومة في حالة التوقيع على معاهدة جديدة مع بريطانيا وعما إذا كانت الامتيازات التي اوصت بها لجنة تسوية الحدود التابعة لعصبة الامم للشعب الكردي ستضمن في الاتفاقية الجديدة أم لا؟ ويشير التقرير البريطاني الى هذا الموضوع الحساس: "كان هذا أهم سؤال يدور في أذهان الغالبية من الكرد، وكانوا يريدون ضمانات للمستقبل."^{٧٨}

ويتضح من موقف السلطات البريطانية تملصها من اي التزام فيما يخص حقوق الشعب الكردي فيقول التقرير: «ان السمة الهامة للمعاهدة الجديدة كتحالف بين دولتين مستقلتين جعل من المستحيل إعطاء ضمانات.»^{٧٩} ان عبارة دولتين مستقلتين ليس لها اساس من

⁷⁷ British Reports to the League of Nations. 1928. P. 18.

⁷⁸ British Reports to the League of Nations. 1930. P.25.

⁷⁹ Ibid.

الصحة، فقد بقيت المملكة العراقية، ملكاً وحكومة أدوات في يد الانكليز، وبقيت سلطات الاحتلال عاملاً رئيسياً في الحيلولة دون تمزق هذه المملكة الحديثة التكوين من خلال عملياتها العسكرية بعد معاهدة ١٩٣٠ كما سنرى.

أثار نص المعاهدة البريطانية العراقية في بغداد في حزيران ١٩٣٠، قلقاً عميقاً في الاوساط الكردية، وأرسل الأكراد الى عصبة الامم التماسات وبرقيات احتجاج ضد المعاهدة التي تجاهلت الاعتراف بأية امتيازات للشعب الكردي. هذا ويعلق الزعيم الهندي جواهرلال نهر على استقلال العراق الزائف فيقول: «في حزيران ١٩٣٠ وقعت معاهدة جديدة بين بريطانيا والعراق، ومرة ثانية اعترفت بريطانيا باستقلال العراق في الشؤون الداخلية والخارجية، لكن الضمانات والاستثناءات كانت من الاهمية بحيث حولت هذا الاستقلال الى شكل من اشكال الحماية المبطنة. ولأجل ضمان سلامة طريق الهند كما تصفها المعاهدة. كان على العراق ان يجهز القوات البريطانية الجوية بالمطارات، كما ان لبريطانيا الحق في الاحتفاظ بقواتها في الموصل وأماكن اخرى، ولايجوز ان يكون للعراق خبراء عسكريين غير بريطانيين، وان يعمل الضباط البريطانيون كمستشارين عسكريين في القوات العراقية. اما فيما يتعلق باستيراد الأسلحة والذخيرة والطائرات فيجب استيرادها من بريطانيا، وعلى العراق في حالة الحرب، تزويد بريطانيا بكافة التسهيلات في البلاد لأجل القيام بمهام الحرب ضد العدو، وهكذا فإنطلاقاً من مواقع استراتيجية حول الموصل، بإمكان انكلترا ضرب تركيا وفارس والاتحاد السوفيتي وأذربيجان بسهولة....»^{٨٠}

ثم يمضي نهر الى القول: «نشبت الاضطرابات في الأماكن القاصية وبالأخص في المناطق الكردية التي كانت مسرحاً لاندلاع انتفاضات متعاقبة والتي اخمدها السلاح الجوي البريطاني من خلال عملية القصف والهدم الناعم لقرى بأكملها وبعد معاهدة ١٩٣٠ برزت مسألة انضمام العراق الى عصبة الامم تحت الرعاية البريطانية، لكن البلاد كانت بدون سلام واستمرت الاضطرابات ولم يكن هذا في صالح القوه المنتدبة بريطانيا كما لم يكن في صالح حكومة الملك فيصل، لأن هذه الانتفاضات كانت دلائل قاطعة على كون الشعب غير راض

عن الحكومة التي فرضتها عليهم بريطانيا.⁸¹

وانضمت مقاطعة دهوك الى موجة الاحتجاج الكردية فقد أرسل الموقعون مذكرتهم الى عصبة الامم والى المفوض السامي البريطاني في بغداد والى البرلمان البريطاني والى رئيس وزراء العراق، والمذكرة مؤرخة في ٩ / ٨ / ١٩٣٠ وموقعة من قبل ممثلين عن عشائر سندي و Golî وبرواري ودوسكي وآخرين. ووقعها كل من الشيخ نوري بريفكاني والشيخ غياث الدين والشيخ رقيب السورجي وأديب أفندي رئيس بلدية العمادية والشيخ شهاب. وتقول المذكرة الموجهة الى جميع الاكراد: «انتبهوا وتيقظوا وانظروا حولكم. وقع البريطانيون الآن اتفاقية مع العراق، لم يعطى فيها أي اعتبار للحقوق الكردية. وخلال عامين ستنتهي الوصاية البريطانية ويصبح العراق حراً في دخول العصبة. وسيعاني الكرد من الاحباط في ظل الحكم العربي. ومن المخجل لنا اننا لم نطالب بحقوقنا كما يفعل الشعب في السليمانية اذ هم يعملون كل ما في وسعهم لخدمة القضية. وان لم نضف جهودنا لجهود إخواننا وأخواتنا في السليمانية الذين نجحوا في جلب اهتمام عصبة الامم والمفوض السامي الى ندائهم. فان وضعنا سيسير نحو الاسوأ وستضيع حقوقنا كلها» وفي النهاية تقول المذكرة:

«اننا نقدم هذا البيان الى العالم ونطالب بحقوق الشعب الكردي. مطالبنا هي نفس مطالب السليمانية ومتطابقة معها تماماً. ونحن ايضاً كما هو الحال مع السليمانية نريد تأسيس دولة كردية مستقلة بموجب قرارات عصبة الامم.»

تصاعدت موجة الاحتجاج في كردستان وظهرت في شباط ١٩٣٠ جمعيه باسم (Gelî Yeketi Kurdan) قامت بنشر إعلانات تحتج فيها على سياسة العنف التي مارستها بريطانيا. وقاد محافظ السليمانية توفيق وهي حملة هدفها مقاطعة الانتخابات. هذا وقد فتح الجيش العراقي النار على الجمهور في السليمانية ووقع عشرات من الضحايا، واقتل محافظ السليمانية توفيق وهي من منصبه واعتقلته السلطات العراقية. إضافة الى ذلك تم القاء القبض

⁸¹ Ibid.

على جميع الموقعين على مذكرة الالتماس التي ارسلت الى عصبة الأمم في تموز/ يوليو والتي تضمنت مطلب تأسيس حكومة كردية تحت حماية العصبة.^{٨٢}

وسط الاضطرابات الشعبية برز من جديد نجم الشيخ محمود، فكتب الى المندوب السامي البريطاني محتجاً على المظالم التي ارتكبتها الجيش العراقي في السليمانية: ثم نظم الشيخ في بداية تشرين الاول عام ١٩٣٠ حملة عرائض، يذكر في إحداها والتي وقعها ٣٢ من الزعماء الكرد: «تشكيل ادارة كردية مستقلة تحت الحماية البريطانية» والشيخ محمود «حاكم لكل كردستان» وفي عريضة اخرى احتج الموقعون على «الظلم والتعسف الذي عايناه في ظل الحكم العربي» ويطلبون في نفس الوقت تشكيل ادارة كردية مستقلة مؤكدين انهم لن «يعترفوا بأية شخصية اخرى حاكماً على كردستان غير الشيخ محمود».

وقام الشيخ في شهر تشرين الثاني ١٩٣٠ بخطوات عملية مؤملاً دون شك التأثير على عصبة الامم.^{٨٣}

فيما كان جنوب كردستان يغلي بالاضطرابات وعلى وشك أحداث جسام، كانت ثورة أكراد كردستان الشمال في آارات (Grîdax) تخوض حرباً ضروساً ضد القوات التركية. هذه الثورة التي خطط لها خوييون واشترك فيها الأرمن، كانت عاملاً مشجعاً لأكراد الأجزاء الاخرى في مهام النضال والمقاومة. لكن العامل الجغرافي حال دون ترابط مباشر مع مقاومة أكراد الجنوب وهكذا بقيت الحركات الكردية غير مترابطة تنظيمياً وسياسياً وعسكرياً في جميع أجزاء كردستان، هذا إذا استثنينا بعض الأمثلة عن تعاون اكراد منطقة بارزان مع ثورة آارات كما سنرى في الفصل التالي.

بصدد هجمات القوات الكردية الأخيرة يشير التقرير البريطاني لعام ١٩٣١ الى ما يلي: «ان عمليات حرب العصابات ضد الشيخ محمود والتي بدأت في شهر أيلول عام ١٩٣٠ انتهت اخيراً في شهر ميس/ مايو. قضى الشيخ شهري كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير

⁸² Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. 110.

⁸³ Ibid. 111

في المنطقة المتاخمة للحدود الفارسية شرق السليمانية وشمال حلبجة. هذا وقامت قواتنا بعدة عمليات تطويقيه لكن دون نجاح. وفي وقت مبكر من شهر آذار/مارس زحف الشيخ نحو قرداغ ثم تحرك باتجاه سهول كفري وأرسل من هناك عدداً من المفارز عبر نهر دياالى لحت عشائر الشيوخان على العصيان، مهدداً في نفس الوقت مدينة خانقين. ان العامل الذي اوقف انتفاضة العشائر في هذه المناطق كان حزم العمليات الجوية إضافة الى تحرك قوات البوليس مصحوباً بالقصف الجوي لإرغام الشيخ محمود اما على ترك القتال او الانسحاب نحو الشمال. وفي ٥ نيسان/ابريل استطاع رتل خليط من قوات البوليس والخيالة العراقية دخول القتال ضد القوة الرئيسية تحت قيادة الشيخ محمود مباشرة، وجرت المعارك في قرية (آويباريكا) الواقعة عشرين ميلاً شمال شرق مدينة طوز، ورغم تعرضهم لهجوم شديد من الجو والبر، فان القوات القبلية حاربت بشجاعة وصمدت حتى حلول الليل وتمكنت من النجاة تحت جناح الظلام.... بعد هذه المعركة انسحب الشيخ محمود مسرعاً باتجاه الشمال، ولاحقته طائراتنا باستمرار، وفي حوالي الـ ٢٠ من شهر نيسان/ابريل انسحب عبر الحدود الفارسية الى ملجئه القديم في قرية بيران، هذا واتخذت الإجراءات اللازمة بالاتفاق مع الحكومة الفارسية لتنسيق العمليات العسكرية ضد الشيخ محمود. ولم يعد للشيخ من مفر.^{٨٤}

دخل الشيخ المفاوضات مع الكابتن هولت، السكرتير الشرقي للمندوب السامي، وبعد ثلاثة أيام من المفاوضات في Fنجوين وافق الشيخ على الاستسلام في ١٣ مايس/مايو ١٩٣١ ووافق على الإقامة في المكان الذي تعينه الحكومة العراقية. وخصصت الاخيرة له مبلغاً من المال لسد حاجاته. اخيراً اقتادوا الشيخ برفقة حماية من قوات الخيالة الى السليمانية، ومن هناك نقل في ١٥ مايس/مايو ١٩٣١ بالطائرة الى اور ومنها الى الناصرية، وقضى الشيخ بقية عمره في المنفى الى ان وافته المنية في عام ١٩٥٦.

وفيما يخص قبول العراق عضواً في عصبة الأمم يقول نورو ساخرا: «وتحت رعاية الحكومة البريطانية تقدمت الحكومة العراقية بطلبها الى عصبة الأمم وقد وافقت الاخيرة قبول العراق عضواً في المنظمة وقد قيل بحق ان العراق قذف بالطائرة الى داخل عضوية العصبة.»^{٨٥}

كانت انتفاضات الشيخ محمود تعبيراً عن مدى تطور محيطه الاجتماعي، وكان نفوذه مستمداً من الولاءين الديني والقبلي وعبرت انتفاضاته عن الوعي القومي الكردي، لكن دون بلوغ مرحلة ايجاد حزب سياسي واع لطبيعة المرحلة التاريخية وكان هذا هو الحال في معظم بلدان الشرق الاوسط. اذ كانت الحواجز القبلية والحساسية المرفهة ازاء موضوع الرئاسة والتفوق من العوامل التي حالت دون ظهور نخضة موحدة تشمل كردستان برمتها. استغل الانكليز نقاط الضعف في المجتمع الكردي فقد كانت سياستهم تتركز على تقوية النعرة القبلية وجعل مراكزها المتعددة تتنافس فيما بينها وذلك للحيلولة دون نشوء سلطة مركزية كردية موحدة وقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد. لقد قضى الانكليز على جميع انتفاضات الشيخ محمود بقوة السلاح ويعلق الصحفي الفرنسي كريس كوتجيرا على انتفاضات الشيخ قائلاً: «لولا الشيخ محمود ومقاومته العنيدة لكان ممكناً استيلاء العراق على جنوب كردستان دون ان يثير ذلك اهتماماً كبيراً ودون ان نعرف اليوم شيئاً عن التاريخ الطويل الذي يتسم بالنكث المتواصل بالمواثيق التي ميزت تاريخ ولادة العراق.»^{٨٦}

بعد القضاء على انتفاضان الشيخ محمود جاء دور شيخ بارزان.

⁸⁵ Nehru Jawahir Lal. Glimpses of World History. P.777.

⁸⁶ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. 113

مخطط القضاء على شيخ بارزان "المؤامرة"

١٩٣١/١٢/٩

كانت الأراضي الوحيدة التي بقيت خارج الاحتلال هي أراضي بارزان. وكانت السلطات العراقية والبريطانية تخطط للقبض على شيخ بارزان وتعتقد انه بمجرد القبض عليه سوف تقع المنطقة تحت سيطرة قواتهم دون تكاليف مالية او خسائر في ارواح الجنود. ولا شك ان الهدف الاساسي كان قتله إن تعذر القبض عليه، ويشم القارئ الروح الارهابية من هذا المخطط. ومعروف ان بارزان كانت ضحية لمؤامرات السلطات العراقية والبريطانية وللمرتبطين بهم من الأغوات الكرد كما تعترف وثيقة بريطانية بذلك. هذا التقرير الذي نضعه بين يدي القارئ^{٨٧} هو تقرير مطول في دار الوثائق البريطانية، وحسب معلوماتنا فهو ينشر هنا باللغة العربية لأول مرة، — إضافة الى ثلاث تقارير أخرى، وللأسف الشديد في الجهة اليمني من الصفحات تعرضت بعض الكلمات الى التلف بحيث لا نستطيع قراءة نهايات السطور ولذا اكتفينا بوضع نقاط بين قوسين. لكن الباقي من الكتابة يكفي لتكوين صورة واضحة للنوايا التآمرية للحكومتين العراقية والبريطانية.

سري

عملية بارزان ١٩٣١/١٢/٩.

⁸⁷ Barzan operation 9th December, 1931

مراجعة الخريطة 1.D/NW.

١ — نفذت هذه العملية بطلب من وزارة الداخلية، بهدف معاينة شيخ بارزان أحمد لمواصلته العدوان ضد شيخ رشيد في منطقة برادوست، جنوب نهر RU KUCHUK.

هذه العملية اقتصر على قرية بارزان نفسها، اذ كان وزير الدفاع يعارض بشدة الشروع في عمليات عسكرية واسعة النطاق قبل ربيع عام ١٩٣٢ بسبب الأحوال الجوية القاسية في برادوست خلال أشهر الشتاء.

٢ — بعد ظهر يوم ١٩٣١/١٢/٨ أُلقت طائرة تابعة للقوة الجوية العراقية امراً باللغة العربية على بلي وكان محتواه:

سري للغاية.

الى O.C. 1st Bn. Bille,

أ — ان هذا الأمر الذي يسقط على بلي من خلال R.I. عليك الاحتفاظ بسريته، وإنك مخول في اتخاذ شروط التحرك. ان هذا الأمر غير مؤرخ، لأنه غير مؤكد في أي يوم ستسمح الأحوال الجوية بإلقائه وسوف تنفذه في اليوم التالي من استلامه. (.....)

ب — قررت الحكومة حرق منزل شيخ بارزان والامتناع عن حرق قرية بارزان. (.....) لأجل تنفيذ هذا القرار عليك تطويق (.....) اليوم التالي عند بدء الفجر، وترافقك (.....) حمولة نفط أرسل حديثاً (.....) وذلك لغرض إشعال النار.

س - تنفذ هذه العملية مع (.....) قوات:

.Two Rifle Coys

.One M.G. Platoon

A Medical detachment

One Wireless set

د — عليك أن تجتهد في القبض على شيخ أحمد (.....) ورجاله المتنفذين، هؤلاء قد يكونون في بارزان (.....) وإن قاوم سكان القرية عليك ان تحارب (.....) ضروري.

ج — ولأجل الحفاظ على أقصى ما يمكن من السرية عليك تأجيل أية أوامر حتى اللحظة الأخيرة، ويفضل الانتظار حتى حلول الساعة ٢٢ من هذه الليلة.

ح — وعندما تبدأ بإصدار الأوامر، عليك ان تقبض على كل المدنيين في بلى وتمنعهم من الذهاب الى بارزان لكيلا يحذروا شيخ أحمد من خطوتك. وعليك منع أصوات البوق غير الاعتيادية، أو ضوضاء لا لزوم له، او اضواء في صفوفكم، اذ قد يكون للشيخ مراقبين خارج المعسكر (.....).

خ — وإذا ما سمحت الأحوال الجوية فان القوة الجوية الملكية العراقية سوف تقوم بعمليات استطلاع فوق بارزان ومحيطها في حوالي الساعة السابعة غداً صباحاً، وعليك ترتيب (.....) لانزال محطة في مقرم قرب بارزان (.....) وتأكد من انها خالية من أية موانع و (.....) وأنها تحمل علامات واضحة على الأرض.

ر — أنت مخول من وزير الداخلية بأن تطلب ادلاء من البوليس الموجودين في بلى (.....) وتأمر البوليس في بارزان الآن بالعودة الى بلى مع قوتكم. النقطة الأخيرة في غاية الأهمية (.....) وعليك التأكد من تنفيذها (.....) ألقيت الأوامر الصادرة من قبل وزير الداخلية مصحوبة بخطة العملية (.....) تأكد من الانسحاب في الوقت المحدد الى بلى قبل حلول الظلام (.....)

ز - عليك الاتصال مباشرة (.....) بغداد لشرح الوضع عن طريق اللاسلكي.

ق - مهما تكن الأحوال الجوية سيئة (.....) لا تحول دون تنفيذك هذه (.....)

ف - المحطة التي تنزل قرب بارزان يجب (.....) كما يلي (علامة ضرب كبيرة). عند القبض على (.....) يجب إظهار العلامة التالية (.....).

٣ — لقد استلمنا عدة تقارير متناقضة حول العملية، لكن بما انه لم يرافق هذه القوة أي ضابط بريطاني فإنه من المستحيل معرفة ماذا حصل بالضبط.

في ١٩٣١/١٢/١١ أقل الفريق طه باشا طائرة الى بلى وعند عودته أفاد بما يلي:

كما نوهنا سابقاً، تحركت القوة من بلى في الساعة ٢ صباحاً في ١٢/٩/١٢ عن طريق مندان، ووصلت الى هامش القرية بارزان بين الساعة ٥ الى ٣٠/٥ دقيقة، وفي الساعة ٦، أقام الفصيل (رقم ١) مراكزه كما هو موضح في الخريطة المرفقة.

وفي الساعة ٦، قام قائد الفصيل بعمل غي، اذ أرسل ملاحظة بيد أحد افراد البوليس يطلب استسلام الشيخ أحمد فوراً، وبقي ينتظر الى ان استلم رفض الشيخ في حوالي الساعة ٨ صباحاً.

بهذا لم يعد لعامل المباغتة أي جدوى. وفي كل الأحوال ولأسباب نجهلها، فان قائد الطابور أمر القوة رقم ٢ ناقص فصيل، محتفظاً بقسم من القوة كاحتياط، أمرها بالتحرك شمال بارزان عبر المواقع الغربية التي كانت تحت سيطرة الفصيل رقم ١، واقتحام القرية، هذه الحركة تمت دون لقاء صعوبات، لكن ما ان سعت هذه القوات إلى دخول بارزان بين الساعة (٩) والساعة (١٠) حتى انحال الرصاص عليهم.

وبوقت قصير بعد إصدار الأمر بهذا التحرك، غير قائد الرتل رأيه وقرر سحب جميع قواته بأسرع ما يمكن الى بلى. وبسبب عجز نشأ في الاتصالات الداخلية لم يتمكن من الانسحاب حتى الساعة ١ بعد الظهر، وكانت النتيجة ان القوة رقم ٢ (ناقص كتيبة) ومفرزة بوليس من القوة رقم ٢، اشتبكوا في المعركة بشكل تام حتى الساعة ١٢ ظهراً.

خلال عملية الانسحاب فقد ما تبقى من القوة رقم ٢ الاتصال مع ما بقي من القوة التي انسحبت على طريق شيخان، وسبب هذا لسوء الحظ المزيد من الخسائر. وفي الساعة ٣ بعد الظهر وصل الطابور الى بلى يلاحقهم البارزانيون، وواصلوا إطلاق النار على المعسكر حتى حلول الليل.

وهذه خسائر الجيش العراقي:
القتلى: ضابط و ٢٢ من المراتب الاخرى
الجرحي: ١٠ من مختلف المراتب.

مدفعين و ٣٣ بندقية مع العتاد واستولى العدو كذلك على S.A.A. و ١٦٠٠٠ طلقة، لكن من المعتقد ان القوات استخدمت الغالبية من هذه الطلقات.

استلمنا تقارير تفيد بان خسائر شيخ بارزان يصل الى ٢٠ قتيلاً و ٣٠ جريحاً — الواقع لم يكن قد بقي من الرجال المقاتلين في القرية بارزان غير ما يناهز الـ ١٥ شخصاً، المبالغة كبيرة جداً. الخط المائل من المؤلف - ومن المؤكد ان القوة رقم ٢ ومفرزة البوليس والتي قادها الضابط القتيل، أبدوا شجاعة فائقة في القتال.»

لقد سبب الاخفاق العراقي في بارزان، قلقاً في الأوساط الحكومية وكان الخوف من ان يستغل شيخ بارزان هذا الانتصار لمواصلة الهجوم واحتلال بلى، وكان هذا دون شك سيؤدي الى استسلام معسكر الجيش المنهار المعنويات.

وفي برقية لاحقة من مقر القوة الجوية الملكية البريطانية في الموصل مؤرخة في ١٩٣١/١٢/٢٩ مرفقة بالخرائط تشير الى ما يلي:

تقرير عن بارزان

١ — استجابة لإشارتكم A. 421 في ١٩٣١/١٢/٢٣ بعثنا بتقرير حول العمليات التي نفذت في كردستان في منطقة بارزان في ١٠/١٢/١٠ وما تلا من الأيام بعد ذلك التاريخ.

٢ — في صباح ١٢/٩ أعلمني المفتش الإداري للواء الموصل عن مكالمة تلفونية أجريت مع بغداد. صدرت أوامر من مقرات السلاح الجوي للبدء بعمليات جوية ضد شيخ بارزان، وطلب من الجنرال ويلسن ان يحذرني مسبقا. على ضوء التقارير التي جاءت الى الموصل وحسب ما نقله عراقيون في وقت متأخر من يوم ١٢/٩، فإن طياري السرب بدأوا بتهيئة الطائرات والقنابل.

أحداث ١٩٣١/١٢/١٠.

٣ — في منتصف الليل وصلت توجيهات من مقرات القوة الجوية في ١٢/٩، وعلى أساس العملية التي نفذتها في الصباح التالي. ويبدو ان الأهمية القصوى تمنح الى إدارة العمليات برعاية ودقة وليس الى البدء بها في وقت مبكر، ولم تقلع الطائرة الأولى الى في الساعة ٩، ١٥.

٤ - تم القصف جواً، وكانت كل طائرة Wapiti مجهزة بحاملة قنابل Ib ١١٢ تحت أحد الأجنحة وحاملتي رشاش خفيف تحت الجناح الثاني، وأصبح حملتها من العتاد Ib ١١٢ قبلة وثمانية قنابل من نوع Ib ٢٠ او B.I.B.' s. لقد وفر هذا الترتيب خياراً جيداً للهجوم على أي هدف حددته توجيهات القيادة الجوية.

٥ — صدرت الأوامر باستخدام جميع قنابل Ib ١١٢ والقائها على بارزان بالذات واستخدام إحدى قنابل Ib ٢٠ او أكثر لإصابة الأهداف. القرى التي ذكر إنها أطلقت النيران على القوات العراقية المتقهقرة في ١٢/٩ كانت هدفاً غير مناسب للقنابل الكبيرة. وفي نظري فإن شيخان — سكنى شيخ بارزان شتاء — هي القرية الوحيدة الواقعة ضمن هذا الصنف من الأهداف. وهي مؤلفة من ثلاث او أربع أكواخ في زاوية الوادي. والقرى الكبيرة الواقعة خلف بارزان يمكن ضربها فيما بعد، عندما يصبح الوضع أكثر وضوحاً وبعد ان يكون الطيارون نظرة أكثر عمقاً للمنطقة. في حين أن بارزان بحجمها الأكبر وبأهميتها وبمنازلها الكبيرة المتاخمة، كانت هدفاً للقصف.

٦ — وكان الهدف من إسقاط قنابل الـ B.I.B.'s على بارزان هو إشعال النيران فيها كاملاً. في حين كان الهدف من استخدام الـ Ib ٢٠ المهاجم على قوات العدو والتي أمكن رؤيتها في العراء أو في القرى الأصغر حجماً.

٧ — وفيما يتعلق بالطلعات الجوية فقد اصدرت الأوامر لكل قائد رئيسي في الطائرة بتسجيل كل شيء مهم يروونه أثناء القصف، وعليهم بعدها البحث على جانبي جبل شيرين عن اناس وماشية تركوا بارزان بعد الظهيرة الفائت حسب ما ذكره عراقيون. لقد أدركت فيما بعد بأن هذه الطلعات الاستطلاعية ستكون أفضل لو قامت بها طائرة خاصة مجهزة لكشف كافة دقائق الامور. ليس بالإمكان تحديد النقاط الصغيرة والتي هي في غاية الأهمية من حيث مدلولها على كيفية تنظيمات الأكراد إلا إذا جرى استطلاع دقيق.

٨ — تم إعداد رزم من مناشير التحذير مكتوبة باليد وباللغة الكردية من دائرة المتصرف، وفي الساعة ١٥،٩ قامت أول طائرة أقلعت من ضمن ثلاثة، بإلقاء المناشير على القرى المتاخمة والمؤلفة من هه قنكا، هه سني، هه سنه كا. آسته وبارزان. وكل هذه القرى تقع في مربعات ١، ٢، ٧ و ٨ من الخريطة ١ D-NW.. لم يشهد رجال القبائل في العراء. ولم يشهدوا في القرى. ولهذا حلقت الطائرات الى ارتفاع 4,000 قدم. ووجدت ما كانت تتوخاه من رياح ملائمة من حيث السرعة والاتجاه وألقت كل ما لديها من قنابل Ib ١١٢ و Ib ٢٠. وألقيت أعداد من القنابل الأخيرة على البساتين الفسيحة الواقعة في جنوب المدينة. وكان الظن ان القبليين يختفون هناك. وسقطت على بارزان ستة من قنابل Ib ١١٢ وعلى أثرها فتحت الطائرات نيرانها على عدد من القرى المحيطة ببارزان. وكان الهدف من ذلك إرغام السكان على ترك مواقعهم ان وجدوا هناك. لم نحصل على أي رد.

٩ — وبدأ طيران السرب الثاني انطلاقاً من الموصل في الساعة ١٠،٠٠ والثالث بدأ في الساعة ١١،٠٠. وكان كلا السربين يحملان ٥٠٪ من B.I.B.'s في المثبت الخفيف لحامل القنابل. ورافقت السرب الثاني طائرة مزودة بإمكانية التصوير. لكنها لم تنجح في

الحصول على صور مرضية عن عملية نزول القنابل. والسربان قصفا بارزان من علو يبلغ 4,000 قدم. وأفاد الطيارون بأن معظم قنابلهم سقطت على بارزان او على البساتين. ووسع السرب من عملياته خلال اليوم مستخدماً ثمانية عشر من قنابل ١١٢ Ib و٧٦ من قنابل ٢٠ Ib الى جانب B.I.B.'s. إضافة الى أعتده استخدام الرشاشات.

١٠ — بعودة التشكيلة الاولى الى قاعدة الموصل، أفاد أحد الطيارين انه فقد المدفعي الجوي رقم. ٥٠٦٤١٠, A.C.L. Gilory, C.P.J.E. وبعد فحص جسم الطائرة اتضح ان الطيار قد وقع من أرضية الطائرة. وذكر طيار آخر انه رأى انفتاح مظلة وان المظلي هبط بسلام على بعد ميل أو ميلين جنوب شرقي بارزان وكان يعدو ويمشي باتجاه بلي. ولم يتدخل أحد للقبض عليه كما بدا. هذا الحادث هو موضوع تقرير منفصل وجلسة للتحقيق في أمره. هنا ينبغي الإشارة الى ان الطيار لو وقع قبل بدقيقة واحدة لكان قد هبط في الجانب الخطر من بارزان وربما في بارزان نفسها. إضافة الى ان الطيار لو لم يكن ضمن إثنين أو ثلاث من الأشخاص في السرب ممن تمتعوا بخبرة شخصية عن معسكر بلي، لما كان بمقدوره معرفة الاتجاه الذي يجب السير نحوه بعد أن لمست قدماه الأرض.

١١ — وبعد عودة التشكيلة الثالثة والاخيرة أصبح ملزماً اتخاذ قرار بشأن الخطوة اللاحقة في المستقبل. كانت العمليات هذه بمثابة عقاب لهؤلاء الذين عارضوا الجيش العراقي في ١٢/٩ وإعادة هيبة الحكومة العراقية. فيما يتعلق بالعملية الاولى، لم تسبب أضرار مادية أو حصلت أضرار قليلة كما يبدو. ولم تندلع النيران. وليس معروفاً أثر هذه العمليات على المعنويات. إذ يعتمد على ذلك درجة استعادة هيبة الحكومة.

١٢ — بعد وضع جميع الاعتبارات في الحسبان، اقتنعت من انه إن كانت عملية الهجوم ليوم واحد قد ولدت الأثر المرجو على المعنويات، فإنها ستوضح حتى هذا الوقت. سمعنا الكثير

من الضجيج حول هذا. إن التقدم المنظم للتشكيلات التي حلقت فوق بارزان وحواليها جيدة وذهاباً لا بد أنها كانت تحت أنظار رجال القبائل. لذا لم تنفذ عمليات هجومية في ١٠/١٢.

حلقت في جولة استطلاع فوق المنطقة، والقيت بقنبلة واحدة على بارزان ٢٠ Ib وأخريات على القرى المجاورة، لكن لم نشعر برد فعل إلا من الأماكن السابقة. ثم رحت البحث عن A.C.L. Gilory في محاولة لتوجيهه نحو بلي. في هذا الوقت كان قد وصل إلى معسكر بلي سالماً، وكان هذا الخبر موضع انشراح كبير لنا.

١٣ - كانت أرض الهبوط في بلي خلال العمليات غير مناسب لهبوط طائرات Wapitis ذات الاطارات العادية، ولم تجري تجارب كافية لطائرتي Wapitis للهبوط فوق أرض مبللة والمزودتان بإطارات مناسبة. وحلقت طائرتان من نوع Victorias فوق بلي في ١٠/١٢ بعد الظهر. لكن بعد تفحص موقع الهبوط قفلت عائدة إلى مطار الموصل لأنها لم تتمكن من الهبوط هناك.

الأحداث في ١١/١٢/١٩٣١

١٤ — في الساعة الواحدة بالتوقيت المحلي في ١١/١٢، استلمت توجيهات تتعلق بوجود القيام باستطلاع دقيق لمنطقة بارزان والمناطق الواقعة إلى شمال شرق جبل شيرين، (كاني بوت) و (شيروان). وعدم القيام بأي عمليات هجومية.

١٥ - طوال اليوم تعاملنا بشكل منفصل مع كلا المنطقتين وقمنا بثلاث طلعات استكشاف على كلاهما. الطيران الأول كان فوق بارزان وبشكل مفاجئ، شوهد عدد من الرجال يهرعون إلى داخل المنازل. وشيئاً فشيئاً خلال اليوم تم الحصول على معلومات متنوعة واتضح الوضع أكثر. وبشكل عام بدت بارزان وكأنها محتاطة تماماً لأي تطور، في حين كانت القرى والكهوف والوديان الواقعة جنوب غرب جبل شيرين، خلف بارزان يتواجد فيها عدد أكبر من رجال القبائل عما بدا عند الاستطلاع الأول.

١٦ - وعند الظهيرة ذكر أحد الطيارين بأنه شاهد رجالاً مسلحين ومتأهبين في بارزان وعلى ما يبدو انهم كانوا في واجب. ومن بعد تم تأكيد هذا الخبر. وليس بعيد ان تكون هذه مكيدة هدفها عدم تشجيع مواصلة القصف. اذ ليس ممكناً ان تكون وسيلة لحث الطائرات بالتحليق على ارتفاع واطئ جداً، نظراً لاحتمال فتح النيران عليها بهدف اسقاطها. في الحقيقة ان الطيارين حلّقوا طوال اليوم فوق بارزان على ارتفاعات منخفضة جداً، ولم يتعرضوا الى النيران. ليس من شك ان الأكراد استلموا أوامر بعدم إطلاق النيران الا إذا قامت الطائرات بالهجوم أولاً.

١٧ - لم يلاحظ شيء استثنائي على الجانب الشمالي من جبل شيرين، عدا آثار أقدام تقود باتجاه شمال غرب من كانيا بوت الى شنگيل وهذه الآثار ظاهرة بسوادها المطبوع على الثلوج لكثرة المرور. هذه المنطقة اقل ملائمة للاستطلاع من منطقة بارزان بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة.

١٨ - هبطت خلال اليوم احدى طائرات Wapitis غير المزودة عجلاتها بالإطارات في بلى دون صعوبات، رغم ان أرضية الهبوط كانت لاتزال غير ملائمة لطائرات Wapitis العادية. فحص الطيار الأرضية وقرر إنها صالحة لهبوط طائرات Victorias الخفيفة الحمل. فحطت اثنتين من هذه الطائرات هناك ونقلت عدداً من الجنود الجرحى العراقيين.

الأحداث في يوم ١٢ / ١٢

١٩ - واصلت الطائرات استطلاع المنطقة في ١٢ / ١٢. لكن التعليمات الموجهة الى الطيارين كانت تحظر عليهم الطيران بأقل من ١٢٠٠ قدم وذلك لتقليل مخاطر السقوط. اذ أرادت قيادة الطيران الجوية تفادي وقوع رهينة في أيدي شيخ أحمد في هذه الظروف.

٢٠ — جاءت التشكيلة الأولى من جهة الشمال محلقة فوق ذرى جبل شيرين، كي لا تنبه محركاتها البارزانيين وتأخذهم على حين غرة، لكن الطيارين لم يلاحظوا أشياء ذات أهمية. فقد بدت المنطقة بلا تغير. لكن رؤية أكثر دقة أظهرت ان عدداً من الكورد كانوا مختفين في الموقع. وبعد الظهر أمكن رؤية قافلة من الأسرى يتوجهون الى بلى قادمين من بارزان.

الأحداث اللاحقة

٢١ — وفي الأيام اللاحقة في ١٣ و ١٤ و ١٥ من شهر كانون الاول ١٩٣١، واصلت الطائرات مهام الاستطلاع لكن بشكل أقل من السابق. واخيراً تم ترك قرار مواصلة التحليق ام لاء للمفتش الإداري في لواء الموصل. وقرر الأخير انه من المفضل ان تجري عمليات الاستطلاع كل خمسة أو ستة أيام. وأعيد السلاح الذي استولي عليه الى بلى بمعدل مرض، واستؤنفت الاتصالات بين شيخ بارزان والحكومة العراقية الى حد أنها أصبحت اعتيادية نوعاً ما.

تقرير تقني

٢٢ — بلغ مجموع ساعات الطيران ١٢٨ ساعة، منذ ١٢/٩ الى ١٢/١٣، وهذا يشمل الطيران فوق مقاطعة برادوست. ولم يحصل عطب ذو أهمية في الطائرات أو محركاتها.

٢٣ - كان القصف في ١٢/١٠ أبطأ من المعتاد. وعندما انضم المستخدمين الجدد، كلاهما، المصفحين والعكس، كانوا هؤلاء أكثر تدريباً، وكان من المفروض ان يتحسن كثيراً أدائها. والقرارات المفاجئة لتغير طراز القنابل المستخدمة كان يجري من خلال إعدادات حاملات القنابل بشكل تناسب الطائرة. وسبب هذا بعض التأخير.

٢٤ - يظهر ان القنابل من نوع Ib ١١٢ غير مؤثرة كثيراً. لكن هل القنابل من نوع ٢٣٠ Ib لها أثر مضاعف مقارنة بالقنابل الأصغر. لا أدري. ان استخدام القنابل المؤقتة أكثر تأثيراً على المعنويات.

٢٥ — ومرة ثانية أصبح الفرق واضحاً بين قصف هدف محدد معروف من قبل سرب طائرات قاصفة وبين الهجوم على هدف علوه ورؤيته غير معروفة لدى الطيارين المصوبين.

٢٦ — لقد قام جميع المستخدمين وعلى اختلاف مراتبهم بأداء مهماتهم بشكل مرض جداً ويتضمن هذا الطيارين الجدد. فقد أتوا بمعلومات عندما يعاد قراءتها معاً، تسهل الوصول الى قناعة محددة.

٢٧ — A.C. I. Gilroy كان قد خدم مع الليفي الآثوري في بلي. كعامل فني W/T. ولهذا كان يعرف أي اتجاه يسلكه عندما خرج من مظلمته. ويبدو انه استخدم العديد من المصادر الى جانب إرادته للوصول الى بلي. وكان على علم انه لو وقع في يد الأكراد، فإنه قد يعامل بقسوة. وما ان وصل الى بلي، حتى ساهم في إشغال جهاز W/T للجيش العراقي. وقد قدم خدمات ثمينة فيما يخص الإبقاء على الاتصالات مع القيادة العسكرية في الموصل حتى يوم إجازته في ١٣/١٢.

التوقيع

Squadron Leader, Commanding
No...30 (B) Squadron, R.A.F

مثلت عملية ١٢/٩ هزيمة منكرة للجيش العراقي، اذ فشلوا في أسر شيخ بارزان، ومني بالهزيمة شيخ رشيد لولان حليفهم الذي حرض من قبل بغداد ضد بارزان. وهنا تركزت الخطط الأنجلو عراقية على حملة عسكرية واسعة لاحتلال أراضي بارزان. كما يظهر في الأرشيف التالي:

الجزء ٢. احتمالات الوضع في بداية العمليات.

التوجهات والحاجة الى استطلاع أولي.

٢٣ — ان المشكلة العسكرية من الناحية الجوية والعمليات الأرضية ضد بارزان تستحوذ على عنصرين غير مؤكدين وهما:

- أ . المعرفة الناقصة للمنطقة التي ستجري فيها العمليات.
- ب . عدم التأكد من معرفة قوة وطبيعة المقاتلين الذين سيهاجمون.

٢٤ — لا تتوفر إلا معلومات قليلة جداً لها أهمية عسكرية في التقارير الرسمية حول قبائل بارزان وموطنهم. ومن غير المتوقع جمع معلومات من هذا القبيل قبل الشروع في العمليات. ولتتوفر معلومات حول جغرافية المنطقة وتضاريسها، وإمكانية الحصول عليها أقل في الشتاء والربيع عما هو في الصيف. كما ان الاستطلاعات الأولية عدى الجوية هي الآن مستحيلة. لكن يمكن البدء بخطوات خاصة من قبل سلك البوليس. ان يختار هؤلاء أدلاء مجربين وان يجمعوا ويرسلوا كل الأخبار والمعلومات المتعلقة بالقبائل وموطنهم.

أهمية عقره

من الممكن ان تكون السلطات المحلية قادرة من خلال القوة أو بأساليب أخرى عزل شيخ بارزان وحرمانه من أي تأييد خارجي قد يعتمد عليه. وان لم يكن الوضع واضحاً، يتوجب اتخاذ إجراءات وقائية ضد عشائر الزيبار والسورجي. ان سلامة عقره والحفاظ على خطوط المواصلات لا يمكن تأمينها إلا خلال احتلال عقره بقوات هامة وبسرعة كخطوة اولية في الحملة. ومن الممكن ان يكون احتلال عقره بواسطة الحامية العسكرية، تعززها قوات البوليس، يكون لها أثر في المستقبل القريب على العشائر المترددة في عدم جدوى المقاومة.

نقص في أراضي الهبوط

٢٦ - إذا ما توسعت العمليات الى ما وراء حدود بارزان، فستغطي العمليات الجوية بالضرورة مناطق واسعة. في هذا الجزء من كردستان هناك نقص فاضح في مواقع الهبوط. أما موقع الهبوط في عقره فهو غير مؤهل للخدمات طوال أشهر الشتاء.

خطط شيخ أحمد

٢٧ — لابد ان شيخ أحمد يعرف من أي اتجاه سيبدأ الهجوم. لذا ليس هناك عامل مباغتة. ومن المحتمل ان تغرز قبيلة الشيرواني بعناصر من قبيلتي الـ Gerdî والـ Herkî. وسيقاومون أي تقدم من راوندوز. ويصعب احتلال مناطق شيروان في حرب نظامية، إضافة الى حاجة العمليات لأعداد ضخمة من القوات من أجل القيام بمهام الحماية.

٢٨ — سوف يبقى شيخ أحمد شعبه، ومزوري بالا في أماكن من بارزان وعلى مواقع بطول نهر الزاب من بالندا الى بلي. وان لم يتلقى الدعم من الزيبار، سيكون من الأهمية القصوى مراقبة هذا الخط. ان حالات ارتفاع النهر سوف يحول دون عبور النهر الا باستخدام الكلك. تلقينا أخبار بأن الشيخ أحمد أرسل عدداً من رجاله لتصليح الجسر المشيد فوق نهر شمدينان عند سيذا. هذا الجسر يربط بارزان بمناطق الريكان. ومن الممكن ان يستخدم الجسر لعبور القوافل فقط. لكن في كل الأحوال يمكن هدمه بسهولة. عدم الاطمئنان من الريكان، قد يدفع شيخ أحمد الى إرسال بعض من رجاله لمراقبة هذه القبيلة.

٢٩ — وحتى لو التحقت به عشيرتي الزيبار والسورجي هناك قناعة من ان شيخ أحمد لن يحرك قواته نحو جنوب الزاب. لذا من المحتمل ان تدور المعارك في مواقع قريبة من جبل شيرين، وسوف تقتصر المعارك في المنحدرات المنخفضة بسبب الثلوج والتي ستسهل عمليات الاستطلاعات الجوية. التجأت القبائل في الماضي الى كهوف هذا الجبل ونفس التكتيك قد يتبع عندما تبدأ العمليات في المستقبل.

العمليات جنوب نهر الزاب

٣٠ — ينبغي إعتبار إمكانية القتال في جنوب الزاب إجراءً وقائياً ضد تمرد عشيرتي الزيبار والسورجي. إن أبدت هذه مقاومة قوية فأفأح على الأرجح ستقوم بذلك في المنطقة الواقعة بين عقره وبلي. وتبلغ المسافة الفاصلة بينهما حوالي ١٨ ميلاً. وان لم يصبح الطريق عبر (كه لاتي) صالحاً في الوقت المناسب، يتوجب في هذه الحالة عبور الممرين: عقره داغ وبيرس داغ. والعشيرتين سورجي وزيباري تقعان على جانبي الطريق الأخير. وسيكون بإمكانهما تهديد

الطابور المتقدم نحو بلى تهديداً جدياً. لذا يتوجب ان يكون هذا الطابور قوياً ومدعوماً من السلاح الجوي.

الأهداف الجوية.

٣١ - القرى. تم تعيين القرى الأكثر أهمية في قبائل بارزان والزيبار والسورجي. لكن دون شك هناك قرى أخرى موجودة لا تشير إليها الخرائط. فالقرى التي يسكنها رؤساء العشائر هي عادة أكبر حجماً وأكثر مؤونة، لذا يمكن احداث أضرار مادية أكثر عند قصفها.

٣٢ - مواقع التركيز. بسبب حالة الطقس من المحتمل ان يركز رجال القبائل اهتمامهم على القرى، وان هطلت الثلوج سيكون بالإمكان تعيين مواقع تواجد قوى العدو عن طريق المراقبة الجوية عند مشارف القرى. قد يتواجد البارزانيون على الضفة اليسرى من الزاب عند موقع المعبر المعروف. ومن المحتمل التعرف جواً على أماكنهم عند هذا الخط. ويفيد تقرير موثوق، انه يوجد الآن حوالي ٣٠٠ من القبليين، عدى الذين من بهروژ وبارزان لمراقبة معسكر بلى. اذ ان احتواء حامية بلى أمر مهم لشيخ أحمد، وقد تتمركز مجموعات صغيرة من الرجال في مواقع مسيطرة لمراقبة المعسكر.

٣٣ - أهداف جوية أخرى. بما انه تم تحديد مناطق بارزان بوضوح، والعشائر التي تعيش ضمن هذه الأراضي يمكن اعتبارها معادية، لذا يزول عامل التمييز بين عشائر صديقة ومعادية. هذه الحقيقة ستساعد على اختيار الأهداف الأرضية وستتيح للطيران الاشتباك ضد المجموعات والأفراد دون تردد.

القوة القتالية النسبية لقبائل بارزان.

٣٤ — لقد زودت السلطات المعنية تقيماً للقوة القتالية للبارزانيين، وهي كالتالي وحسب أهميتها:

١ - بهرؤژ

٢ - مزوري بالا.

٣ - شيروان وهورماري.

٤ - هرکي بنه جي.

٥ - گهردي

٣٥ — هذه العشائر مسلحة تسليحاً جيداً لكن عتادها قليل. من المحتمل كما أشرنا الى ذلك سابقاً، ان يحصل شيخ أحمد على المؤونة والعتاد من تركيا. ومن المتوقع إن طالت الحملة أكثر من شهر، ان ينفذ كل ما لدى القبائل من الاحتياط.

الجيش العراقي.

٣٦. قوة الحامية العسكرية في لواء الموصل هي التالية:

٢ كتيبة مدفعية جبلية.

١ فوج خيالة.

١ كتيبة مشاة في بلي.

١ كتيبة مشاة في الموصل ناقص سرية في زاخو.

١ كتيبة مشاة.

٣٧ - ومن المتوقع ان تشترك قوات إضافية من كركوك او من أماكن أخرى، لأن العدد المتوفر في الموصل لا يكفي لعمليات جبهوية مكثفة.

البوليس.

٣٨ - قوة البوليس في لواء الموصل تبلغ ١١٨٠. ان المهام العادية للبوليس تستدعي توظيف الجزء الأكبر من هذه القوة، ولذا لا يوجد تقريباً احتياطي من هذه القوة في لواء الموصل. وسيقع على عاتق قوة البوليس القيام بأعمال ليس مؤهلاً لها. ولذا لابد من توفير قوات بوليس اضافية.

الاستنتاج.

ان نجاح العمليات العسكرية ضد هذا التجمع الواسع من المحاربين من القبائل يعتمد الى حد كبير على الدعم الذي سيقدمه السلاح الجوي البريطاني.

فبدون هذا الدعم لا تملك القوات العراقية أية ميزة ليس بمستطاع العدو من مواجهتها. فالتعاون الفعال من جانب السلاح الجوي البريطاني سيولد آثاراً معنوية ومادية كبيرة لدى القبائل الذين يصعب عليهم تحمل قصف مكثف. اما الجيش العراقي، فإنه سيؤدي واجباته بمعنويات وثقة عندما يدرك ان القوة الجوية البريطانية تتعاون معهم بشكل مباشر.

ان القوات العراقية لم تقم في الماضي بعمليات بهذه السعة والخطورة، علاوة على ذلك، هي قوات لا تجربة لديها في أساليب حرب قبلية والتي سيتبناها البارزانيون.⁸⁸

التوقيع

V.D. O'Malley

,Squadron Leader

.Special Service Officer, R.A.F

.MOSUL

لعل أهم ما يميز تأريخ العلاقات البارزانية والبريطانية العراقية هو تفوق — الطريقة النقشبندية الأخلاقي والإنساني على المحتلين الذين تميزوا بالعنف والنكث المتواصل بالعهود والمواثيق وارتكاب الجرائم في كردستان.

⁸⁸ للمزيد من الالمام نرجو قراءة التقارير التالية:

*Headquarters, No. 30. (B) Squadron, R.A.F. Mosul. 29.12. 1931.

*Part 11 – Probable situation at the beginning of operations.

*Secret report on operations against Barzan carried out by the Iraqi Army and the Royal Air Force.

December 9th – 15 th, 1931

احتلال أراضي بارزان

أثناء اضطرابات السليمانية نشأت لدى سلطات الاحتلال مخاوف عن استعداد اكرد منطقة بارزان للقيام بانتفاضة عامة ضد السلطات المحتلة، ولأجل قطع الطريق امام هذا الخطر فقد كتب المندوب السامي البريطاني وباطلاع الحكومة العراقية رسالة شخصية الى شيخ بارزان محذراً اياه: «وصلت بغداد شائعات تشير الى كونكم تتأهبون لتحدي السلطة الحكومية، وبهذه المناسبة نؤكد لكم انه ليس لدى الحكومة اية نية عدوانية ضدكم.^{٨٩} رد شيخ بارزان على رسالة المندوب السامي مؤكداً انه لا يريد غير السلام واستمرت مساعي التهذئة فقد التقى في ٣١ آذار ١٩٢٨ ممثل عن المندوب السامي البريطاني بشيخ بارزان عند تخوم منطقة بارزان وبعد هذا اللقاء استمر السلام المؤقت. كان شيخ بارزان حريصاً على حقن دماء المسلمين والناس عموماً وتفادى القتال كل ما أمكن، وهذا ما أرغم سلطات الاحتلال على إيجاد الذرائع والحجج الواهية للتحرش به.

في برقية مؤرخة في ١٧ آب ١٩٢٩ تعبر بريطانيا عن قلقها من وجود اسماعيل آغا شكاك في اراضي البارزانيين، وتشير البرقية الى أن تسوية النزاع الحدودي بين تركيا وفارس وضعت نهاية للحاجة التركية لاستخدام اسماعيل آغا ولذا فانه يبحث عن مأوى آخر. الواقع ان اسماعيل آغا شكاك طلب من شيخ بارزان ان يسمح له بالمجيئ لزيارته، لكن شيخ بارزان رفض ذلك فقد كان متألماً جداً من عملية الاغتيال التي قام بها اسماعيل آغا ضد المار شمعون عام ١٩١٧ ولم يحب رؤيته قط. لذا رفض مجيئه الى بارزان لكنه لم يمانع بقاءه في قرى حدودية بعيدة عن بارزان. ان ما ورد في البرقية البريطانية من ان شيخ بارزان دعاه الى للمجيء الى بارزان هو عار عن الصحة.

وفي زيارة لرئيس الوزراء العراقي نوري السعيد في أيلول عام ١٩٣٠ الى انقره حيث التقى بعصمت باشا وزير الشؤون الخارجية، عبر عن رضاه عن المحادثات، وقد نوهت له انقره عن استعدادها لحشد القوات على الحدود إذا ما قامت السلطات العراقية بالهجوم على بارزان. وفي ٥ تشرين الاول قام السير فرانس هامفريس، المندوب السامي في العراق بزيارة أنقره حيث تباحث مع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ومسؤولين رفيعي المستوى. وجرى حديث صريح حول المسألة الكردية وتأثيرها على البلدين تركيا والعراق (وبروح الصداقة، لم ينوه الاتراك بشكل مباشر عن اي شكوى بخصوص ضعف الحكومة العراقية والذي ادى الى تمكن شيخ بارزان من دعم الثورة الكردية في تركيا، (...)) لكن في كل الاحوال فقد طلب من المندوب السامي ممارسة الضغط على الحكومة العراقية لاتخاذ التدابير الفعالة لمصلحة البلدين).

يؤكد الزعيم الركن حسن مصطفى انه كان في نية السلطات البريطانية والعراقية احتلال منطقة بارزان فيقول: «كانت توجد وقتئذ اضطرابات داخلية في منطقة السليمانية، فاضطرت الحكومة الى تأجيل الحركات المزمعة في بارزان أربع سنوات اخرى، اي الى ما بعد الانتهاء من حركات السليمانية سنة ١٩٣١». ⁹⁰ هذا وفي عام ١٩٣١ كانت الحكومة العراقية تخطط من جديد لاحتلال بارزان لكن «الشيخ محمود قام بعصيان مسلح ضد الحكومة في تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩٣١ اضطرها الى تأجيل ذلك برهة من الزمن، نظمت خلالها دعاية واسعة ضد البارزانيين» ⁹¹ ان «تنظيم دعاية واسعة ضد البارزانيين» كان يهدف بالدرجة الاولى تشجيع الاقطاعيين المجاورين للهجوم على بارزان وحرمانها من تأييد القبائل المجاورة وقد روجت سلطات الاحتلال زورا دعاية مغرضة هدفها اثارة الشعور الديني المناهض لبارزان: «أمر شيخ بارزان جميع أتباعه بقتل الخنازير وأكل لحمها». ⁹² ونتيجة للدعاية المضللة التي كانت السلطات البريطانية والعراقية تبثها بكثافة بين الاكراد، انخدع شيخ رشيد لولان،

⁹⁰ الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص ٢٣٠.

⁹¹ تأريخ الوزارات العراقية. ص. ١٨٠.

⁹² British reports to the League of Nations. 1931. P. 14

فهاجم قرى البارزانيين واحرق عدداً منها ونصب نفسه حسب تعبير التقرير البريطاني «مدافعاً عن الإيمان الصادق».^{٩٣} واستمرت هجماته هذه مدة تتراوح بين أربعة أشهر ابتداء من تموز/ يوليو الى تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٣١ وقد ناشد شيخ بارزان الحكومة العراقية مراراً للتدخل ووقف اعتداءات شيخ لولان، لكن التماسه هذا كان دون جدوى، كما ان زيارة ملا مصطفى^{٩٤} لم تساهم في انهاء القتال وذلك طالما كان القتال في مصلحة سلطات الاحتلال.

استمرت حملة الدعاية المضللة ضد بارزان وبالأخص التركيز على تشويه سمعتها وتأريخها الديني فقد أشيع ان اثنين من البلاشفة أحدهم روسي والآخر نمساوي "كانا يشتغلان في تصليح الاسلحة ويتصلان بين حين وآخر بالشيخ أحمد ويشتبه باحدهما من البلاشفة الذين كانوا يثيرون المبادئ الشيوعية في المناطق البعيدة عن سيطرة الحكومات.^{٩٥}

في ٢٧ تشرين الاول من عام ١٩٣١ سأل وزير الداخلية العراقي من مستشار وزارة الداخلية كورنواليس عن امكانية تعاون القوات الجوية البريطانية مع الجيش العراقي لضرب بارزان فكان جواب الاخير بالإيجاب وكان الجيش العراقي قد ازداد عدداً وعدة وكان هناك اهتمام بريطاني خاص بتطويره وتدريبه لخوض معارك الاحتلال القادمة.

ففي الوقت الذي كانت الحكومة العراقية تخطط سراً للقضاء على شيخ بارزان، كانت تتظاهر بانها تسعى الى وقف القتال بين قوات شيخ رشيد لولان والبارزانيين.^{٩٦} كان مخطط الحكومة العراقية هو الالتجاء الى الحيلة. ابلغت الحكومة شيخ بارزان بانها تسعى الى المصالحة، وتولى قائممقام قضاء الزبيار القيام بالخطوة الاولى. فكان من المفروض، وبتوسط حكومي، ان يلتقي محمد صديق، شقيق شيخ بارزان وبمعيته قوة كبيرة بممثلين عن شيخ رشيد لولان، بعيداً عن بارزان، في اوساط الشيروانيين، وبهذا تخلو بارزان من المسلحين، وفعلاً حصل ذلك. وثم يقوم الجيش العراقي بالخطوة الثانية الحاسمة الا وهي القبض على شيخ

^{٩٣} British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

^{٩٤} British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

^{٩٥} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٢٧.

^{٩٦} British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

بارزان أو قتله. تولى تنفيذ المؤامرة وزير الدفاع جعفر العسكري، وكان قد أعد سرية تحت امره الرئيس شفيق صدقي - شقيق بكر صدقي المعروف -^{٩٧} - كردي الاصل - وكانت السرية مرابطة في بلى. هذا ويشير تقرير الحكومة البريطانية لعام ١٩٣١ الى ما يلي: «كان من الممكن ان يؤدي هجوم ناجح على بارزان الى أسر شيخ بارزان.»^{٩٨} لابد ان الحكومة العراقية ظنت ان تطويق بارزان ليلاً وبشكل مباغت سيؤدي الى اخيار معنويات البارزانيين وثم يستسلمون للقوات الحكومية.

اختارت الحكومة العراقية اسلوب الغدر في مواجهة شيخ بارزان وذلك للاستغناء عن العمليات العسكرية الواسعة، ويشير تقرير الحكومة البريطانية لعام ١٩٣١: «ان تدخل القوات العراقية في عمليات عسكرية كبيرة في هذه المناطق الوعرة كان امراً غير مرغوب فيه البتة، وذلك بسبب عدم اكتمال وضع خطة دقيقة للهجوم وفي وقت لاتزال قسوة الشتاء ماثلة.»^{٩٩} في الفصل السابق أشرنا الى وجهة نظر بريطانيا، وهنا نورد رد فعل البارزانيين تجاه المؤامرة التي استهدفت حياة شيخ بارزان عندما أدركوا على حين غرة انهم مطوقون بالأعداء. في صباح مبكر في التاسع من شهر كانون الاول/ديسمبر ١٩٣١ استيقظ رعاة الماشية والاغنام والفلاحون كالعادة لسوق قطعانهم والعمل خارج القرية بارزان، وما ان ابتعدوا قليلاً حتى فوجئوا بجنود الحكومة وقد طوقوا القرية، فعادوا ادراجهم. وعرف سكنة بارزان ان القوة العسكرية المتمركزة في بلى، قد تحركت ليلاً وبكامل السرية وأنها سدت معظم المنافذ. كانت هذه القوة مؤلفة من سريتي مشاة وفصيل رشاش ومحنة لاسلكي^{١٠٠} (الواقع ان عملية المباغته كانت ناجحة تماماً، لكن الحكومة العراقية اثبتت عدم فهمها لطبيعة البارزانيين. فرغم الحصار المحكم والتفوق العددي للعدو وعامل المباغته ووجود عدد قليل من المسلحين في بارزان، رفض شيخ بارزان الاستسلام.

^{٩٧} تأريخ الوزارات العراقية. ص. ١٨١

^{٩٨} British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

^{٩٩} Ibid.

^{١٠٠} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٢٩

عندما أوقف شيخ بارزان من النوم وسلم اليه الانذار الحكومي: اما الاستسلام او الموت. امر بالمقاومة دون تردد. كان في بارزان مجموعة من الشباب التلاميذ أتوا من هورمار وآميدى وأماكن أخرى للدراسة على يد ملا سعيد عقراوي، وكانوا لا يحملون السلاح. لقد انصب اهتمام شيخ بارزان على حماية هؤلاء الضيوف^{١٠١}، فقد كان سكنة بارزان يطعمونهم ويهتمون بأحوالهم، واستطاع ان يجد لهم مخرجاً على عجل لمغادرة القرية. وفي ذات الوقت تم ايقاظ جميع سكنة بارزان وجلهم من النساء والاطفال وهرعوا الى المسجد الاثرى وسط القرية للاحتماء فيه من رصاص الجنود العراقيين. بدأ القتال بامطار المنازل بوابل من رصاص البنادق والرشاشات والتركيز على منزل شيخ بارزان. اتخذ البارزانيون القليلون من المتبقين في القرية مواقع الدفاع وهم خبيرون بتضاريسها، قتل من البارزانيين أثناء الهجوم محمود دلاني، لكن سرعان ماتحول الدفاع الى هجوم، واخيراً لحقت الهزيمة بالجيش تاركاً ثلاثة وعشرين قتيلاً ضمنهم ضابط وعشره جرحى.^{١٠٢} برز أثناء المقاومة البارزانية نجم جهلو جيج، زبير ملا، ملا مصطفى، سم هه سني ومصطفى هورماري وغيرهم. وكان بالإمكان احتلال بلى اذ كانت معنويات الجنود منهارة، لكن شيخ بارزان أمر بالتوقف.

على إثر الهزيمة وبطلب من الحكومة العراقية،^{١٠٣} قام السلاح الجوي البريطاني في اليوم الثاني بقصف بارزان. وما ان علم محمد صديق بما جرى في بارزان حتى بادر الى القاء القبض على القائممقام ورجاله وقد أدرك انه ليس هناك مساعي للصالح مع الشيخ رشيد لولان، انما كانت هناك مكيدة حكومية هدفها ابعاد أكبر عدد من المسلحين البارزانيين عن بارزان لتسهيل احتلالها واعتقال او قتل شيخ بارزان.

^{١٠١} كان من ضمن هؤلاء التلاميذ الشاعر واللغوي الكبير (ملا خليل المشهور بـ مشختي، وهو الذي ذكرها لي أثناء لقاء في طهران.

^{١٠٢} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص، ٣٠. ويذكر الزعيم الركن حسن مصطفى انه وقع ٣٩ قتيلاً و ٣٠ جريحاً. أما الواقع فهو ان عدد جميع القتلى في بارزان كان لا يتجاوز الـ ١٥ مسلحاً. في حين يذكر العقيد الركن عبد العزيز العقيلي في كتابه تأريخ حركات بارزان الأولى، يبلغ في ذكر قوة البارزانيين الى حوالي ٣٠٠ مقاتل، ص ١٤. أما النشرة الرسمية للحكومة العراقية فإنها أخفت الواقع عن الشعب العراقي وعرضت المؤامرة ضد بارزان بالشكل التالي: "لما كان أتباع شيخ أحمد البارزاني قد أخذوا في الآونة الأخيرة يعتدون على القرى الجاورة ويمعنون فيها حرقاً وتقتيلاً فقد أوعز إلى الفوج المرباط في بله بأن يقوم ببعض الإجراءات، فحدثت مصادمة بين مفزة من الفوج وأتباع الشيخ....." الوزارات العراقية: ص، ١٨٠.

¹⁰³ British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

هكذا كانت بدايات العلاقة بين الحكومة العراقية وبارزان، فبدل إرسال معلمين وبناء مدارس ومستوصفات والسعي الى انتشار المنطقة من الفقر والعوز، أرسلت الحكومة العراقية قوات الجيش والشرطة لاحتلال الأرض وإقامة إدارة بوليسية تضطهد الفلاحين وتستغلهم بالتحالف مع الاقطاعيين الكورد.

وكخطوة ايجابية من اجل السلام والتزاماً بالأخلاق والمبادئ أعاد شيخ بارزان الاسلحة التي غنمها من القوات الحكومية واعاد الاسرى من الجيش العراقي. بعد هذه المكيدة فقد شيخ بارزان كل الثقة بالسلطات البريطانية والعراقية على حد سواء. فسحب جزء من قواته من جبهة برادوست وتمركزت في أطراف بارزان خشية وقوع هجمات اخرى.^{١٠٤}

وفي بغداد سببت عملية الهجوم الفاشلة على بارزان ازمة بين رئيس الوزراء نوري السعيد ووزير الداخلية ناجي شوكت. اذ طلب رئيس الوزراء من الملك فيصل ان يوعز الى ناجي شوكت بالاستقالة «لكن ناجي شوكت رفض الاذعان والتمس من الملك ان يأمر بتقديمه مع وزير الدفاع جعفر العسكري الى المحاكمة، فتراجع الملك ورئيس الوزراء عن هذا الطلب.»^{١٠٥}

لم يكن هناك امل في اخضاع شيخ بارزان بالقوة المسلحة لذا اجلت الحكومة العراقية العمليات العسكرية الى ربيع عام ١٩٣٢.

ان ما يميز جغرافية مناطق بارزان هو التضاريس الشديدة الوعورة، وكانت بارزان ومنطقة بهروژ في القرون الماضية جزءاً من امارة بادينان، ووقعت فيما بعد تحت حكم امير راوندوز، وبعد ان قضى الجيش العثماني على الاستقلال النسبي للإمارات الكردية برز نجم المشيخات النقشبندية الحديثة التكوين وضمنها مشيخة بارزان وقد تمتع شيوخ بارزان باستقلال شبه تام، وعجز الترك عن بسط نفوذهم الا لفترات قصيرة وبثمن باهض. وعندما انزاح حكم الترك عن جنوب كردستان تحت ضغط قوات الحلفاء وبالأخص بريطانيا، بدأ بالتدريج عهد

¹⁰⁴ British Reports to the League of Nations. 1931. P. 14.

^{١٠٥}. تاريخ الوزارات العراقية. ص ١٨١.

الاحتلال المزدوج البريطاني - العراقي وقاومت بارزان حملات الاسياد الجدد للبقاء خارج هذا التسلط والاحتفاظ بالاستقلال الموروث والعيش وفق نظام الطريقة النقشبندية. هذا ورغم الحروب المتواصلة والجبايات والاحتلال بقيت روح الرفض والخضوع لسيطرة الحكومات العراقية حية على الدوام. وبكلمة اخرى ولعل هذا أكثر الملامح بروزاً هو ان بارزان لم تألف حكماً اجنبياً قط.

بالنسبة لحكومة بغداد وكعاداتها في الاعتماد على الدعم العسكري لبريطانيا، وجدت من الافضل لها احتلال ما تبقى من كردستان قبل الانتهاء الشكلي للانتداب البريطاني على العراق، وذلك للاستفادة من الدعم المعنوي والعسكري للدولة المنتدبة، ولم يكن قد بقي جزء آخر من جنوب كردستان غير محتل سوى منطقة بارزان. ويشير تقرير الحكومة البريطانية لعام ١٩٣٢ الى ما يلي:

«تقرر في وقت مبكر من العام الجاري، وذلك حالما تسمح الاحوال الجوية وتكتمل الاستعدادات الضرورية، سوق قوة عسكرية هامة من الجيش العراقي لاحتلال جميع مناطق بارزان على مراحل. وبعد ان يسيطر الجيش العراقي سيطرة تامة على المنطقة ستقام ادارة مدنية مدعومة بقوات كفؤة من البوليس (.....) وتلبية لطلب الحكومة العراقية فقد تمت الموافقة على الاشتراك التام للقوة الجوية الملكية البريطانية مع القوات العراقية في تنفيذ العمليات.»^{١٠٦}

هذا يعني ان يتولى الجيش العراقي الهجوم البري وبأشراف الضباط الانكليز لاحتلال بارزان، بينما يقوم ال R A F بالقصف الجوي المكثف لقرى المنطقة كدعم لهذه العمليات

بلغ مجموع قوات المشاة العراقية المشتركة في الحملة (٢٠٥) ضابط و (٤٤٣٧) مراتب مختلفة^{١٠٧} وكانت القوة مؤلفة من «ستة افواج مشاة وبطارتين جبليتين وكتيبة خيالة مع بعض القطعات والخدمات الاخرى التي كانت في حينها أكثر من نصف الجيش العراقي»^{١٠٨}

¹⁰⁶ British Reports to the League of Nations. 1932. P. 2

^{١٠٧} عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص. ٨٣

^{١٠٨} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٤٩ .

وهذه القوة كانت مدعومة بسرب بريطاني قاصف ورف تعاون عراقي.^{١٠٩} اكتملت في ١٥ آذار عام ١٩٣٢ جميع الاستعدادات العسكرية وتأهبت للهجوم العام. في ١٢ آذار وجهه المندوب السامي البريطاني ووزير الداخلية العراقي رسالتين الى شيخ بارزان وكان مضمونهما: «ان الحكومة العراقية تنوي ادخال الادارة المدنية في جميع انحاء المنطقة (.....) وان عليه الحضور امام قائمقام الزبير في بلى قبل غروب الشمس في يوم ١٤ آذار لكي يعلن طاعته للحكومة، على ان لا يصطحب معه أكثر من ستة اشخاص.» وذكرت الرسالة ان الحكومة «تعدّه بشرفها بأن لا تمسه بسوء.»^{١١٠} لا حاجة هنا الى تعليق مطول عما يعنيه «شرف الحكومة» بالنسبة للبارزانيين خاصة بعد تطويق بارزان الفاشل في ٩ كانون الاول من عام ١٩٣١.^{١١١} هذا ويوضح تقرير الحكومة البريطانية نواياها الخفية: «كانت الخطة وذلك عندما يأتي شيخ أحمد الى بلى، ان يبلغه القائمقام، ان الحكومة العراقية تطلب منه السكن حالياً في الموصل.»^{١١٢} كان الهدف الحقيقي من وراء دعوة شيخ بارزان هو اعتقاله. وتضمنت رسالة وزير الداخلية العراقي تهديداً واضحاً لبارزان، وذلك في حالة رفضه للمجيء الى بلى في الموعد المحدد، فسيعتبر متمرداً على الحكومة ويجري عقابه بالقوة.^{١١٣}

اما رسالة المندوب السامي البريطاني فقد طلب فيها من شيخ بارزان بذل الطاعة للحكومة العراقية، كما حذرته من ان الحكومة البريطانية سوف تقف الى جانب الحكومة العراقية بكل قوتها إذا قاوم الشيخ ارادتها.^{١١٤}

وكانت الحكومة العراقية قد استمالت بعض رؤساء العشائر المجاورة لبارزان والفت منهم قوات مرتزقة لإسناد الجيش العراقي في العمليات لخرتهم بالتضاريس، وقد اظهر كلحي ريكاني وفارس آغا زيباري وشيخ رشيد لولان استعدادهم للعمل مع الحكومة في الهجوم على بارزان

^{١٠٩} عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص. ٨١

^{١١٠} نفس المصدر السابق. ص. ٢٦

^{١١١} British Reports to the League of Nations. 1932. P. 2.

^{١١٢} عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص. ٢٦

^{١١٣} -British Reports to the League of Nations. 1932. P. 2.

^{١١٤} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٣١

كما ان الحكومة العراقية طلبت من الجمهورية التركية بشكل رسمي في ١٨ شباط ١٩٣٢ عدم قبول التجاء الشيخ أحمد واعوانه الى اراضيها.^{١١٥}

بإمكاننا هنا ان نتساءل عن التصميم الكبير للسلطات البريطانية والعراقية في القضاء على شيخ بارزان. فبمعزل عن العوامل الداخلية كان العامل الخارجي ذا تأثير على هذا القرار. وبالأخص من تركيا. اذ لا يخفى ان شيخ بارزان آوى العديد من الزعماء الهاربين من بطش الحكومة التركية، اولئك الذين كانوا في طريقهم الى جبل آارات (گریداغ) حيث كانت الثورة الكردية بقيادة الجنرال احسان نوري باشا قائمة. ومن بين هؤلاء حسين كور باشا الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في شمال كردستان. وتقول إحدى أرشيفات الحكومة البريطانية عن تدخل شيخ بارزان لمساعدة الثورة: «تفيد التقارير ان اتباع شيخ بارزان تجاهوا مع القوات التركية في حوالي الثامن من شهر آب ١٩٣٠ وان الشيخ ماض في ارسال قوات أخرى من الزيبار وبارزان لمساعدة الهورماريين.»^{١١٦} وفي برقية أخرى من السير. ف. همفري الى اللورد سفيلد يذكر اللقاء الذي حصل بينه وبين عصمت اينونو الذي قال له: «انه يأمل في ان تعمل الحكومة العراقية عاجلاً على وضع شيخ بارزان تحت سيطرتها لأنه ابدى تعاطفاً عملياً تجاه التمرد الكردي في تركيا.»^{١١٧}

وفي زيارة للسير. ف. همفري المندوب السامي المسؤول عن العراق الى تركيا قابل في ٥ تشرين الاول ١٩٣٠ رئيس الجمهورية مصطفى كمال باشا ورئيس الوزراء التركي والقائم بالأعمال الخارجية وعدد آخر من المسؤولين، وفي معرض الحديث عن العلاقات العراقية التركية شرح المندوب السامي في هذا اللقاء موضوع شيخ أحمد وتأثيره للثورة الكردية في شمال كردستان. وذكر ان السبب هو ضعف الحكومة العراقية وليس نتيجة للنوايا السيئة. وطلبت الحكومة التركية من المندوب السامي ان يضغط على الحكومة العراقية لكي تتخذ الإجراءات الضرورية الفعالة لمصلحة البلدين.^{١١٨} وارتاح المسؤولون الأتراك عندما قال المندوب

¹¹⁵ British Archives. F. O. 424 273. P. 44. No. 61.

¹¹⁶ F.O. 424 273 .P. 122. 124. No. 141.

¹¹⁷ F.O. 424 273 P. 92 – 93. No. 102

¹¹⁸ F.O. 424 273 P. 92 – 93. No. 102.

السامي انه حال عودته الى بغداد سيعرض الحقائق على الحكومة العراقية.^{١١٩} كان السبب الرئيسي في التأخير النسبي لاحتلال منطقة بارزان هو ضعف الحكومة العراقية عسكرياً، لكن بما ان الامور تهيأت الآن، فقد زحف أكثر من نصف الجيش العراقي الى كردستان مدعوماً من قبل السلاح الجوي البريطاني لاحتلال أراضي بارزان. قذفت الطائرات بالمناشير على سكان المنطقة وهذا بعض ما ورد في احداها:

الى الشيخ أحمد البارزاني وانصاره
نظراً لتجاهلكم الأوامر والبلاغات السابقة ... فأنا وبموجب ذلك نخذركم من ان عمليات القصف الجوي سوف تتكثف أنت والقرى والقطعان هدف لهجوم نيران الرشاشات والقنابل. وهذه قد لا تنفجر فوراً انما تنفجر بعد عدة ساعات.... اننا ننصحكم بان تلتجئ النساء والاطفال الى الاماكن الآمنة.... وسوف تستمر العمليات حتى القضاء على المقاومة والى ان يستسلم جميع الزعماء.
انتبه ... الحكومة قوية جداً ولا جدوى من الاستمرار في المقاومة ... لماذا المزيد من سفك الدماء؟

في ١٥ آذار عام ١٩٣٢ اتفقت وزارة الدفاع مع وزارة الداخلية على البدء بالحركات العسكرية، وتقرر الهجوم على ثلاث محاور، من جهة الشرق والجنوب والغرب — نفس الخطة في آخر هجوم لجيوش لامبراطورية العثمانية عام ١٩١٣ ضد الشيخ عبد السلام — كانت القوة الرئيسية متمركزة في بافستيان تحت إمرة الزعيم خليل زكي وهدفها الرئيسي احتلال منطقة شيروان.^{١٢٠}

وتحشدت قوات اخرى في عقره يسندها بعض من المرتزقة بأمره فارس آغا الزبياري. وعلى المحور الثالث، عماديه — بالندا — بارزان تجمعت القوات الحكومية ويدعمها كلحي ريكان.

119 Ibid.

١٢٠ عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص ٢٤٠

¹²¹ رفض شيخ بارزان الشروط الحكومية المرسلة اليه في ١٠ آذار ١٩٣٢ وأرسل جواباً شفهيّاً يعلن فيه انه لن يستسلم للحكومة العراقية.

من الجدير بالذكر انه في سياق عملية احتلال هذا الجزء من كردستان، استخدمت الحكومة العراقية في احتلالها، نفس اسلوب سلطات الاحتلال البريطانية اثناء احتلالها للعراق في الحرب العالمية الاولى. كانت الحكومة البريطانية توكل ادارة الاراضي المحتلة حديثاً الى ضباطها السياسيين لإقامة ادارة مدنية وتطمين السكان على انهم جاءوا ليحرروهم من العبودية ولتحسين اوضاعهم المعيشية. تعلمت الحكومة العراقية هذا الدرس فعينت السيد صديق القادري مدير ناحية كانيهرش «مثلاً سياسياً» لترتل داي وكلفته بان «بيث الدعاية بين السكان لتطمينهم على اموالهم وأنفسهم وان هدف الحكومة هو توطيد الأمن في ربوعهم وتحسين احوالهم.^{١٢٢} هذا وقد رافق الرتل لجنة انتخاب المخافر بهدف انشاء مخافر للشرطة بشكل واسع النطاق ومن خلال قوات البوليس كانت بغداد تأمل في احكام قبضتها على هذه المنطقة. كان جنين الدولة البوليسية في طريق التكوين.

في ١٦ آذار ١٩٣٢ وصل الرتل الى ميّركه سور دون ان يلاقي مقاومة. وتمركز هناك حتى نهاية الشهر. وعندما تقدمت القوة العراقية نحو قرية بيرسياف جرت معارك عنيفة في ٣ و ٤ نيسان/ابريل، اذ عندما أصبح الرتل كله داخل مضيق ژاژوك: «انقض الكرد على نقلية الرتل، التي تسير منعزلة بحماية سرية الخيالة فقط، مابين قرية فاژي وماميسك وهاجموها بكل شدة فانتشر الرعب في مختلف اقسام الرتل من أثر الهجوم المفاجئ وحصلت معارك عنيفة اشتركت فيها بصورة تدريجية جميع قطعات القسم الأكبر والمؤخرة كل منها منعزلاً عن الآخر.»^{١٢٣}

وفي هذا الوضع الخطير الذي كان يهدد القوات العراقية من كل جانب، هنا يبرز الدور الفعال للسلاح الجوي البريطاني في انقاذ قوات حكومة بغداد وثم ترجيح كفتها في النهاية. ويعترف العقيد الركن عبد العزيز العقيلي بالفضل للبريطانيين فيقول: «ولقد كان للقصف

¹²¹ عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص ٢٨٠.

^{١٢٢} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص ٣٦.

^{١٢٣} عبد العزيز العقيلي. حركات بارزان الأولى. ص ٣٧٠.

الجوي وهجمات الانقضاض الواطئة التي قامت بها الطائرات أثر عظيم في تخليص الرتل وانقاذه....»^{١٢٤} بينما تشير تقارير الحكومة البريطانية الى نفس الموضوع: «كان الرتل في حالة يرثى لها، لكن بفضل عمليات السلاح الجوي البريطاني تم القضاء على المقاومة الكردية.»^{١٢٥}

كانت القوات الكردية في بارزان تقاتل تحت إمرة عدد من القادة المشهود لهم بالشجاعة، ضمنهم ولي به گ، عمر كوركي، عبد الله كلكموى، حكيم پيندروى، محمد صديق وملا مصطفى - اخوة شيخ بارزان - ملكو ژاژوكي، حسن محمد امين، شريف ملا حسن وغيرهم. واستطاع هؤلاء قطع خط المواصلات بين ميرگه سور ورتل داي، وفيما كان الجنرال روبنسن، المفتش العام للجيش العراقي يرافق القافلة من ميرR سور هاجم الكرد من جديد واصيب روبنسن بجراح، فاضطرت القافلة الى التقهقر نحو ميرگه سور، ومن أجل إيصال التموين طلبت القيادة من القوة الجوية تموين الرتل المحاصر بالأرزاك جوا.^{١٢٦}

أزاء الوضع المتدهور هذا تقرر سحب رتل داي من بيرسياف الى ماميسك وضيقت اليه قوة أخرى من ميرگه سور وبالتعاون مع القوة الجوية البريطانية هاجمت القوات العراقية من جديد، وتم في هذه المحاولة تطهير مضيق ماميسك ومنطقة ژاژووك وأضرم النار في بعض القرى.^{١٢٧}

اما على المحور الثاني عقره — بلى — بارزان فقد تقدمت القوات الى بلى وصعب على البارزانيين القتال على جبهتين في آن واحد، فتقدمت القوات الحكومية الى بلى في ١٤ نيسان، وفي ١٨ نيسان تم احتلال بارزان وحرقتها. وتفيد التقارير البريطانية بشأن جبهة عقره: «في ١٨ نيسان ١٩٣٢ تمكنت هذه القوة من ترسيخ سيطرتها على جميع وادي الزاب بما

¹²⁴ British Archives. F. O. 424 273. P. 44. No. 61.

¹²⁵ British Report. 1932. P. 8

^{١٢٦} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٤١

¹²⁷ British Report. 1932. P. 41.

فيها سلسلة جبل شيرين، وفي هذه المرحلة نظمت عملية قصف مكثفة للمنطقة التي تسيطر عليها القوات الكردية.^{١٢٨} واصدرت القيادة الجوية البريطانية في العراق البيان التالي:

«ابتدأت العمليات الجوية في ٢٥ ميس، فهاجم الثوار المسلحون أينما شوهدوا، وأرغموا على الاحتماء في الملاجئ، وكان القرويون قد تلقوا الانذار بترك قراهم. وبعد ان اخلت القرى بهذا الشكل، أُلقيت القنابل لمنع عودتهم اليها. وتم منع كافة تنقلات الرجال ومرور المؤونة داخل المنطقة، كما تم ضرب نيران الطبخ ليلاً وكانت الغاية اجبار الثوار على السكن في المخابئ وجعل حياتهم شاقة قدر المستطاع، مع الاهتمام بوجه خاص بالمنطقة التي كانت ملجأً يومياً لشيخ بارزان، وفي ٢٧ ميس كان الثوار قد غادروا قراهم الى الاماكن العليا من الاودية الجبلية.^{١٢٩}

وبينما كانت الطائرات البريطانية تقصف يومياً عشرات القرى الكردية كدعم لعمليات احتلال اراضي شيروان، سقطت احدى الطائرات بنيران الكرد في ٢٧ نيسان ١٩٣٢ جنوبي قرية شيروان. وألقي القبض على الطيار ومساعدته. اعقبت هذا الحادث هدنة قصيرة حثت خلالها السلطات البريطانية والعراقية شيخ بارزان على الاستسلام مؤكدين: «سوف يعامل باحترام وكرامة وسوف تخصص له ولإخوانه مخصصات مالية كافية اذا ما استسلموا في الفترة المحددة.» رفض شيخ بارزان العروض بشدة. وطلب ارسال طبيب لتضميد الطيار ومساعدته وعاملهما معاملة جيدة. — كان الطيار الأسير يعلم ابن شيخ بارزان (جمال) بعض الكلمات والارقام الانكليزية. بعد ان سلم شيخ بارزان الطيارين، عادت القوة الجوية البريطانية في ٢٥ ميس الى قصف المنطقة طويلاً وعرضاً ممهدة الطريق امام عبور الجيش العراقي نهر روكوجك في ١٤ حزيران واحتلال قرية شيروان.^{١٣٠}

جرت بعض العمليات التي يمكن وصفها بعمليات حرب العصابات وذلك اثناء انتشار الجيش العراقي لاحتلال القرى المبعثرة في الوديان وسفوح الجبال. فقد هاجم خليل خوشفى

¹²⁸ Ibid.

¹²⁹ British Report. 1932. P. 3 – 4.

¹³⁰ Ibid.

مؤخرة خطوط الجيش العراقي بين بارزان وبلبي، وقتل من بين لجنة المخافر، قائمقام الزبيار ومعاون الشرطة واثنين من افراد الشرطة المرافقين، وجرح مهندس مع ثلاثة من الشرطة.^{١٣١} ثم اختفت هذه القوة الكردية بعد تنفيذ العملية.

احتلت القوات العراقية القرى التالية بالتعاقب: سقطت قرية هوبه في ٢١ حزيران. قرية كاني بوت في ٢٢. قرية زيت في ٢٣. قرية سيلكي في ٢٤. وبهذا وقعت معظم مناطق مزوري بالا ولأول مرة في قبضة الجيش العراقي.^{١٣٢} اما البارزانيون فقد عبروا الحدود الى تركيا في ٢٣ حزيران من عام ١٩٣٢، واستسلموا للأتراك الذين كانوا قد أرسلوا قواتهم الى الحدود للتعاون مع القوات العراقية عند الضرورة.

ولإعطاء صورة اوضح عن عملية الاحتلال هذه نورد هنا ما ورد في مقال تحليلي متفهم للواقع الكردي وبحق فان ما تنبأت به الصحيفة حول المستقبل تحقق كاملاً فيما بعد لكن بعد مضي عقود من الزمن. ظهرت المقالة في صحيفة L' Orient في ٢٠ / ٧ / ١٩٣٢ تحت عنوان:

" وقائع يومية

خيانة اوروبا

أخيراً قد تسمح النتائج الماثلة أمامنا بتكوين فكرة تقريبية عن الطريقة التي اتبعتها بريطانيا لتأمين حماية الاقليات التي أوّمنت على ضمائها. بريطانيا هذه التي كانت ولعدة قرون حامية ونصيرة الحضارة الغربية.

كان في منطقة بارزان الكردية قبل تخليق أشراب السلاح الجوي الملكي ٢٣٨٢ منزلاً. وكانت هذه المنازل موزعة في المقاطعات الثلاث التالية:

^{١٣١} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٤٦.

^{١٣٢} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ص. ٤٥.

ما كان قائماً قبل الطيران

٤٨٥	بهروژ
٧٠٥	مزوري
١١٩٢	شيرواني
٢٣٨٢	المجموع الكلي

وبعد أن حلق الطيارون الكرماء لحكومة صاحب الجلالة فوق هذه المناطق لم يبق اليوم من هذه المنازل غير العدد التالي:

ما بقي بعد الطيران

٢٢٠	بهروژ
٣٢٠	مزوري
٤٧٧	شيرواني
١٠١٧	المجموع الكلي

بلغ عدد المنازل التي هدمتها التشكيلات الجوية المقاتلة للدولة الحامية:

$$١٣٦٥ = ١٠١٧ - ٢٣٨٢$$

انّ هذه العملية تسمى (عملية بوليسية) كما يبدو، وذلك لمعاقبة الحمقى الذين يطالبون بالأوتونومي (الحكم الذاتي) هذا الأوتونومي الذي اعترفت به عصبة الأمم رسمياً للكرد. تعرض الأكراد الشجعان حديثاً لعمليات انتقامية، فمن ضمن مجموع المنازل الكلي تعتبر ٦٠٪ منها مهدامة، كما تم تدمير الحقول، والتهمت النيران محصولات الحبوب والفاكهة والتبوغ، واضطرت الغالبية العظمى من السكان الى الهجرة من منازلهم المهدامة وحقولهم المدمرة واخيراً وصلنا البارحة مساء نبأ من انقره ان شيخ أحمد البطل الذي جسد روح هذه المقاومة

العنيدة الرائعة قد عبر الحدود وبدل الاستسلام للبريطانيين اختار الاستسلام للأتراك.

والحقيقة وبعيداً عن التهكم، انه ازاء النتيجة الماثلة، لم يبق للبريطانيين موضع لشعور خاص بالاعتزاز. فالأول مرة في تاريخ العلاقات البريطانية الكردية نرى الأكراد يرفضون المقترحات البريطانية ولكن بأية نبرة! وبأية عبارات! :

«أفضل مائة مرة الاستسلام للترك» قال شيخ أحمد للكاتب هولت، على الاستسلام لعبيد الانكليز أو أستسلم لكم أنتم المنافقون.»

هذا ما أنتجته الخيانة الأوروبية. ثم ان تباهي البريطانيين بأنهم قضوا قضاءً مبرماً على حركة التمرد، نعتقد انهم يغذون وبشكل خطير آمالاً زائفة. ان هذا التمرد الكردي هو من ذلك النوع من التمرد الروحي العنيد والذي يستمر كامناً لا ينتهي حتى اليوم الذي تتحقق فيه الالتزامات التي وعدت بها بريطانيا الاقليات باسم عصبة الامم.

علاوة على ذلك، إن استمرت الامور على هذا المنوال فهناك احتمال قوى ان يعاد طرح مسألة الموصل من جديد على بساط البحث، ففيها الكثير من المصالح العالمية المتداخلة كما يرتبط بها موضوع تأمين انابيب النفط، وبخصوص هذا، لم يتخل الاترك عن آمالهم: لقد الحقت ولاية الموصل بالعراق عام ١٩٢٥ بشكل تعسفي، وكان هذا اللاحق مشروطاً بضمان الاوتونومي المحلي للأكراد والآشوريين والكلدان.

لم تتنكر بريطانيا لوعده الشرف هذا فحسب. انما تقوم بدبح اولئك الذين يذكرونها بوعودها. باسم النظام، والأمن، وباسم «الضمير العالمي».

شملت عملية القصف الجوى قرى عديدة منها: بارزان، هفنكا، هسنى، هوستان، ريشه، سريشمه، آسته، بيديال — قرية مسيحية — شيخان، بيخشاش، بى، كاني بوت، راوهشا، شنگيل، دودمار، كلكه مو، شيروان، ميروكه سور، لاتى، كيّمهدا، هويه، زيت، ليّرى،

ايدلبى، ستونى، سيلكى، گوزى، بنان، ارگوش، شيشى، سلور، رافينا، توى، بردريا، جمى،
 بيشوك، كانيانجا، خيرزوك، بئرسياف، ممولا، مهسنا، سهروكانى، مرانى، زارارا، ريزان،
 كوران، ايشوكور، كوركى، بيدارون، كانياديرى، ليربير، قه لاتوك، گوندى شكه فتى.
 ژاژووك، بنى بيا، كوركى، گوره تو، بيستريا، له شكريا، باقه، خوشكان، خردنى، ليلوك،
 خالان، خارا وغيرها. كذلك قصف السلاح الجوى البريطانى المنتجعات الجبلية وقطعان
 الماشية، فعلى سبيل المثال هاجمت الطائرات فى يومي ٣ و ٤ حزيران مواقع فى مزورى بالا
 وشيروان مازن وجبل كورى هورى وكانرهش مما سبب قتل حوالي ٣٠٠٠ رأس غنم ومواشي
 اخرى. ١٣٣

الاحتلال: خطوة إثر خطوة

لاستكمال الصورة نود هنا نقل وجهة نظر السلطات البريطانية من الناحية العسكرية في المرحلة الثانية من حملة الاحتلال، وهو مترجم من الانكليزية عن تقرير طويل قدمه المفتش البريطاني العام للجيش العراقي فيه تفاصيل خطة تقدم الجيش واحتلال أراضي بارزان، وواضح ان هذا الاحتلال كان الأصعب مقارنة بجميع أنحاء العراق. ولم تلقي في اي مكان آخر قوات الاحتلال هذا النمط من المقاومة العنيدة ورفض الخضوع للإرادة الاستعمارية. والتقرير هو تحت عنوان:

العمليات العسكرية ضد شيخ بارزان. (أحمد)^{١٣٤}

١- تلخيص.

أشرت الى المرحلة الاولى من الحملة ضد شيخ بارزان في برقيتي المؤرخة في ١٩٣٢/٦/٢٤. ٢ — كانت الخطة العامة تهدف الى فرض الادارة في منطقة شيروان خلال التقدم المنظم والبطيء، فأقيمت مخافر البوليس بشكل مؤقت في ثلاث نقاط رئيسية وتم شق طريق الى ميرگه سور، وكان من المؤمل الانتهاء من هذه المهمة بحلول ١٩٢٣ / ٦ / ١٥ حيث يكون الجيش قد عبر نهر روکوجک (اذ كان من المتوقع ان يصبح النهر صالحاً للعبور في ذلك الحين) وثم مواصلة التقدم نحو شيروان مازن وبناء مخفر هناك، واخيراً كان من المفروض احتلال عاصمة شيخ بارزان واقامة مركز بوليس هناك، وفيما يتعلق بضرورة تنفيذ خطة اشمل فقد اعتمد ذلك على المقاومة التي يبديها العدو.

¹³⁴ Operations against Sheikh Ahmad of Barzan – 1932. Secret report. By Major General, Inspector-General, Iraq Army. FO.371/16913 27951

٣ — وفي ١٥/٣/ تقدم رتل عراقي مدعوم من السلاح الجوي الملكي R.A.F. من بالكيان. ووصل ميرگه سور في ١٦/٣/، وفي ١٩/٣/ تعرض الى هجوم ليلي لكنه تمكن من رد المهاجمين.

٤ — وفي ٢٩/٣/ وبعد إقامة مركز بوليس تقدم الرتل الى ژاژۆك في طريقه الى بئرسياڤ، حيث كان من المفروض بناء مخفر هناك. لكن بسبب التضاريس الوعرة والاحوال الجوية توقفت هذه القوة. وفي ٣/٤/ ١٩٣٢ واثناء تقدم الرتل نحو بئرسياڤ تعرض الى هجوم شديد بالقرب من قرية ماميسكا وخسر ٣٨٠ من الحيوانات (التقرير لايشير الى الخسائر في ارواح الجنود، اذ لايعقل ان تنقل الحيوانات العتاد لوحدها) كما خسر القسم الاعظم من المؤونة والعتاد، ثم تحرك الرتل في اليوم التالي نحو بئرسياڤ، وهناك قذف السلاح الجوي الملكي المؤونة والعتاد ليتزود به الرتل، وتقرر الغاء تشييد مخفر بوليس مؤقتاً، كما تقرر الاستفادة من المعلومات المتوفرة عن العدو للهجوم عليه.

٥ — وفي ٥/٤/ وباسناد رائع من السلاح الجوي الملكي استطاع الرتل الحاق الهزيمة بالعدو في جبل كانيالنجا وعاد الى ژاژۆك. ومن هناك كان الرتل يرسل وحداته لمسافات قصيرة واستمر في عمله هذا النقل للتعويض عما فقد.

٦ — كان جلياً ان الوضع العام في العراق يسمح بارسال قوات إضافية، وتم تعزيز الرتل الصغير الذي تشكل في عقره للسيطرة على القبائل في المنطقة والتقدم نحو بارزان وقد تم احتلالها دون مقاومة.

٧ — **العمليات في ابريل/نيسان.** بقيت سرية من الجنود وفصيل I.M.G. في بارزان وسمي الرتل بـ Bazcol. وتحرك الاخير الى قرية هويستان، وهناك اقام مركز لغرض التشديد على فعاليات العدو في وادي سيل Gelî Sul بعدها عاد بازكول الى بلي.

٨ — ان العمليات التي قام بها ديكول من معسكر ژاژۆك خلال شهر ابريل/نيسان والتي تطرقت اليها في الجزء الاول، لم تنجح في تكبيد العدو بالخسائر. فقد كانت مهمته كما هو معلوم الاشتباك مع العدو، لكن تعتمد المتمرّدون تفادي المجابهة. اذ كانوا حريصين على

الاحتفاظ بعتادهم وطاقتهم حتى يتسنى خروج الجيش العراقي من جديد في طوابير طويلة من النقلات موفرًا لهم الفرصة للاستيلاء على الغنائم.

كانت قوة العدو الرئيسية تتركز في ارض الغابات الكثيفة حول قمة جبل سهري هلبت Seri-i-Helbit وكانيلنجا، وتمكنوا من تفادي الاحتكاك مع الجيش العراقي مستغلين اشجار البلوط المورقة في فصل الربيع للاختفاء وبهذا تفادوا القوات البرية والجوية، علاوة على مالديهم من امتيازات مثل سيطرتهم على قمة Seri-i-Helbit والتل ٤٢٠١ الى الشرق من كانيا لنجا. فقد تمكنوا مراقبة تحركات القوات العراقية من المرتفعات، مما وفر لهم الوقت الكافي لاعداد الخطط الضرورية المضادة، كما ان الكهوف العديدة المتواجدة في خاضرات الجبال تضمن لهم الحماية من قساوة الطقس.

احتفظ العدو بالاحتياط. وكان يحصل على المؤونة من مناطق كانيا بوت وشيروان مازن في الضفة اليمنى من روكونجك وكانوا يعبرون النهر في الليل على جسر في موقع عميق الغور عند مضيق روكونجك على ID/NW. Sq. 8377 وبواسطة كلك وهو مصنوع من جلد الحيوانات اعد قرب زارا ID/NW.30 ومن دوده مارا ID/NW.3b وكه كله ID/NW.40.

٩ — لذلك إتسم وضع الجيش بالجمود في بداية شهر ابريل/نيسان باستثناء طلعات قصيرة المسافة. وكانت المبادرة في ايدي العدو، وكانت قواعده في ارض غنية نسبياً حول كانيا بوت وشيروان مازن والتي لم تشهد عمليات عسكرية اذ لم يكن بمستطاع قوة بازكول الاستيلاء على ممر جبل شيرين ولا مضيق وادي سيل ID/NW. Ba 59. في وجه مقاومة جديدة، وحتى ذلك الوقت لم يتمكن ديكول من عبور نهر روكونجك.

١٠. وجوب القيام بالمزيد من العمليات الجوية.

في ١١/٤ طلبت من قائد القوة الجوية لو أمكن ملء النقص الذي نتج عن تقلص عمليات الجيش في الفترة المعنية وذلك بالتركيز على كانيا بوت، ببي وشيروان مازن، وتهديد مكثف للقرى وارسال دوريات اليها بانتظام وضرب اية اهداف مناسبة.

١١ — وافق قائد القوة الجوية على ان الوقت قد حان للضغط على المتمردين في مقاطعة مزوري بالا بتدخل من القوة الجوية الملكية البريطانية وقال، إذا ما لجأنا الى استخدام السلاح الجوي فيجب ان يسبق ذلك حساب دقيق جداً بغية تحقيق نتائج حاسمة وتمشياً مع القواعد الانسانية، كما اقترح دعوة المفوض السامي الى عقد كونفرانس للبحث في هذا الشأن.

١٢ — عقد هذا الكونفرانس في ١٨ ابريل/نيسان واحتفظ قائد السلاح الجوي بوجهة نظر لم استسغها، وهي ان العمل الذي اقترحته لن يؤثر على وضع الجيش ولا يؤدي الى نتائج لاتعادل الجازفات المحتملة والتي قد تنشأ اثناء الطيران فوق موطن كثير الخطر. كان مضمون اقتراحه انه لو قام السلاح الجوي الملكي بعملياته في مقاطعة مزوري بالا، فان هذه العمليات يجب ان تكون مؤثرة الى ابعد الحدود ويجب ان تحقق استسلام المتمردين. وفي نظره ان العملية ضرورية ويمكن تبريرها فقط عند الاقتناع من ان الجيش لن يتمكن من دخول تلك المنطقة والسيطرة عليها خلال الفصل الجاري.

١٣ — ذكر وزير الدفاع ان الجيش العراقي لا يستطيع سوى تهدئة الوضع في ناحية شيروان ومنطقة Beroj لان المواصلات في غاية الصعوبة. واقترح تدخل السلاح الجوي البريطاني لمعالجة الوضع في مزوري بالا. لكن في كل الاحوال فان المستشارين البريطانيين ابلغوا الحكومة الحالية انه حتى لو كان ممكناً ان يهزم السلاح الجوي البريطاني العدو لوحده، فان ذلك غير مرغوب سياسياً، لأنه في هذه الحالة لن يحترم رجال القبائل القوات العراقية وعلى ضوء المعاهدة فان على القوات العراقية وحدها القيام بالعمليات المستقبلية.

١٤ — اعتبرت شخصياً ان مساعدة اضافية من قبل القوة الجوية الملكية وطلبي من الجيش الاستمرار في العمليات حسب المخطط المرسوم، هو الاسلوب الامثل الذي يؤدي الى كسب الحرب خلال عمل منسق من الارض ومن الجو.

١٥ — ورغم ان الحكومة العراقية حققت تقدماً كبيراً الى هذا الحين وأكثر مما كان متوقعاً في البرنامج الاصلي، فإنها تحشى ان تعجز عن تنفيذ الخطة في نهاية هذا الصيف، ولهذا تم تقديم طلب الى المندوب السامي للموافقة على اقتراح قائد القوة الجوية. وتمت الموافقة على ذلك وبوشر بقصف مكثف ضد مزوري بالا في ٢٩ / ابريل / نيسان.

١٦ . حادث سقوط طائرة الضابط الطيار Wells.

في عملية جوية مستقلة اثناء القاء التحذيرات، لسوء الحظ سقطت طائرة من نوع Wapiti في ارض العدو، ووقع الضابط J. Wells ومساعدته Evans.G من سرب B.55 في الاسر.

١٧ — الهدنة. استغل شيخ بارزان الحادث للبدء بمفاوضات سلام. كان من نتائجها العسكرية الاعلان عن هدنة في المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر روكونجك. استمرت الهدنة الى ١٩٣٢/٥/٢٥. ثم فشلت المفاوضات وتجددت عمليات القصف بكثافة منذ ذلك التاريخ.

١٨ — خلال فترة الهدنة كان شيخ بارزان حراً بينما كانت تحركات قوة بازكول مقيدة، وكان بإمكان شيخ بارزان لو اراد ان يستخدم جميع قواته ضد قوة ديكول في الضفة اليسرى من نهر روكونجك، لذلك اتخذت تدابير احتياطية على طول خط المواصلات المعرض للهجوم. (١. انظر الى الرسم التخطيطي لخط المواصلات في الملحق 1. A)

١٩ — الواقع ان النجاح الوحيد الذي حققه العدو كان في ٣ مايس ضد مجموعة مؤلفة من قائممقام بلي ومساعد قائد بوليس عقره مع ثمانية من رجال الشرطة. هذه المجموعة بدأت مسيرتها من بلي الى بارزان دون اعلام قيادة بازكول او اخذ حماية مناسبة. هذه المجموعة هوجمت بشكل مناف للهدنة في طريق مندا ID/NW Sq 7 b21 وقتل اثناء الهجوم القائممقام ومساعد قائد البوليس وشرطيين كما جرح احد موظفي الاشغال وثلاثة من افراد الشرطة وقتل اثنان من افراد العدو.

٢٠ — احتلال بيشوك. في نهاية ابريل نيسان تقرر ان تتقدم قوة ديكول الى كانيا لنجا ومناطق جه مى وتقيم القوة قاعدة عسكرية قوية هناك لتحقيق الاهداف التالية:

أ . حرمان العدو من استخدام تلك المناطق.

ب . التضيق على العدو وحصره في الاماكن التي ستقصف.

س — تمكين قوات البوليس من القيام بعملياته في الغرب من خط جه مى — زارزوك وتوفير وضع أكثر امناً للقرويين الموالين.

٢١ — وفي مواجهة المصاعب المتزايدة يومياً والغطاء الذي توفره الاشجار للمتمردين، ومن أجل توفير حماية فعالة للنقلات، فقد تقرر الابقاء على بتاليون العمليات الثالث والذي كان في فترة استراحة.

وتقرر الابقاء على البتاليون السابع وقسم ١ من البطارية الجبلية الثانية في ژاژۆك. نقلية الرتل الحالي تتألف من ٩٠٠ رأس من حيوانات النقل وتتضمن:

٣, ٤ Ens 9 and.

مجموعة فرسان (خيالة) ١ Tp 3 cav.

٢ Mn, Bty.

٦٠ Md, Police.

واتخذت اجراءات وقائية هامة للحيلولة دون نجاح العدو في تحقيق مكسب يشبه ذلك الذي حصل في ٣ / ٤/. الخريطة المرفقة «Appendix C» تشير الى الاجراءات المتخذة خلال التقدم في أصعب جزء من المسيرة.

رافق تقدم الجيش دعم السلاح الجوي البريطاني القوي في ٣ مايس / ماي واثبت نجاحه. ركز العدو بقواته، فيما عدى القوات التي كانت في جبل بيران، لكنه لم يحصل على فرصة للهجوم ووصل الرتل ببشوك في ٤ مايس/ ماي، واسقطت طائرات السلاح الجوي البريطاني المؤونة لبتاليون ٩ (مرفق بمدفع) تكفيه لعشرة ايام واخذ البتاليون موقعه هناك. قوة ديكول عادت الى ژاژۆك في ١٠ مايس.

وفي ١١ مايس/ ماي تحرك رتل المؤونه حاملاً طعاماً للجنود يكفي لشهر واحد والرتل مرفق بحماية وسلك طريق في جبل كانيانلنجا وعاد الرتل في نفس اليوم دون مصادمة. ثم تلت فتره هطول امطار غزيرة جعلت القيام بأية عمليات عسكرية امر غير عملي.

٢٢ — هجوم العدو ضد خط المواصلات. وعندما أيقن العدو انه ليس بمستطاعه تحقيق نجاح ضد نقلات الرتل، قرر توجيه عملياته الرئيسية ضد خط المواصلات، وقام بعدة هجمات من ذلك النوع لكنه لم ينجح في احتلال اي موقع. هذه الهجمات اوقعت خسائر،

اذ قتلوا ثلاثة من رجال البوليس وجرح ثلاثة آخرون، كما قتل ستة من العاملين في الطرق وبناء المخافر وجرح آخرون. وقبضوا على ٢٧ بغلاً. هذا النجاح القليل الشأن جعل العمال يهربون خوفاً، واقتضى القيام بعمل خاص لتفادي تكرار الهجمات.

وفي ٣ حزيران/ جون، مباشرة بعد الفترة التي أشرنا إليها، ضل ٤٧ بغلاً من نقلية الكرفان P به وتشردت الى ماوراء الموقع الذي كان تحت حماية البوليس، وقبض المتمردون على هذه البغال قرب مضيق Ser Gelan. انظر الخارطة (ID. NW.10 c) كما فشلت محاولة مشتركة بين العمليات الجوية والجيش لايقاف المهاجمين. لكن فيما بعد وبدخل من السلاح الجوي البريطاني اوقفت هذه الهجمات قرب قرية بيخشاش وتم معاقبتهم بشدة. (ID. NW.3c).

٢٣. العمليات المضادة. كانت الاجراءات المضادة مؤلفة من:

١. احتلال مواقع ابعد على طول نهر روكوجك للحيلولة دون عبور المهاجمين.
٢. نصب كمائن ليلية على كل الطرق وبالقرب من القرى. انظر الملحق: («Appendix C

٣. ارسال طابور من البتاليون الثالث من مازنا عبر جبل نواخين الى منطقة بياو. (ID.NW.16.A to 24c)

٢٤ — التحرك الى بياو. يُتخذ الاجراء الاخير لان هجمات العدو الرئيسية كانت تشن من الوادي حيث يلتقي نهر الزاب بنهر راوندوز وكان سكان المنطقة متعاطفين تماماً مع شيخ أحمد.

كان الطابور مؤلفاً من ٢٠٠ جندي مسلح بسلاح جيد وخفيف. تحرك الطابور في ١٩/٥/ لكي يصعد الجبل ثم انقسم الى خمسة ارتال صغيرة وقام بعملية تمشيط للوادي بين جبل نواخين والنهر من الناحية الشمالية والجنوبية من شاندر الى جافريان.

لم يحصل صدام مع قوات العدو، وانسحب الاخير وعبر نهر روكوجك قرب زارا (ID. NW.3c) وعاد الطابور الى مازنه.

٢٥ - الكمان. اقام ديكول كمان ناجحة في ليلة ٢٧/٢٨ من شهر مايس/ماي، واجبر جزءاً كبيراً من قوات العدو على الانسحاب. هذه العملية اضافة الى الانطباع بأن هذه الكمان موجودة في كل مكان شكل عامل ردع امام تحركات القوات المعادية في الليل.

٢٦ - احتلال مواقع على النهر. ولغرض مزدوج: لتحديد النشاطات المعادية ضد L و C وحصر العدو في منطقة يكون هدفاً لضرب السلاح الجوي البريطاني بشكل مكثف، ولذلك تقرر اقامة نقاط امام جميع المعابر الرئيسية على نهر روكوجك.

٢٧ - وفي ٢٣/٥/ تحركت قوة ديكول الى قرية ليرير (IDA, NW. 9A) واقام تحصيناً عسكرياً هناك لغرض رصد اي عبور في انحاء نهر روكوجك.

٢٨ — وفي ٢٥/٥/ عبرت قوة بازكول المعززة بالكتيبة الثامنة (ناقص سرية واحدة) نهر روكوجك بالكلك على بعد نصف ميل من موقع التقائه بنهر الزاب قرب قرية ريزان. ولتمويه العملية فقد قامت قوة ديكول بالتحرك من ليرير الى دورى (IDA, NW.8B) ونحو شرافيا 9A للغرض ذاته.

٢٩ — وفي ٢٨/٥/ نزل عدد من المتطوعين من قوة ديكول في المنحدرات الوعرة على جوانب مضيق نهر روكوجك وهدموا الجسر فوق النهر (ID.NW.8b 77) انظر ملحق D. انجز هذا العمل في نفس اليوم الذي نفذ السلاح الجوي البريطاني عمليات قصف مكثفة في مزوري بالا. هذه العملية احكمت الحصار على اية عملية عبور من نهر روكوجك باستثناء معبر كه كله والذي تم تطويقه بعد احتلال خيرزوكا في ٣٠ من شهر مايس/ماي.

٣٠ — من خلال هذه العمليات وبمساهمة متواصلة لا تقدر بثمن من قبل القوة الجوية البريطانية فقد امكن محاصرة القوات المعادية الرئيسية في اماكن محدده تقع الى يمين ضفة نهر روكوجك. هذا ورغم ان وحدات صغيرة من القوات لاتزال قادرة على العبور والهجوم من مواقع لم يكن بمستطاعنا مراقبتها.

عادت وحدات رئيسية من قوة ديكول وبازكول الى ژارژوك وبلى بالتعاقب في ٢٧ من شهر مايس/ماي.

٣١ — خطة المحاصرة. وضعت الخطط خلال فترة الهدنة لتوسيع العمليات الميدانية ضد شيخ بارزان وذلك عند رفضه قبول الشروط الحكومية. ويقال ان رجال القبائل شمال خط ميروز (I c 3 W 25 b) ارگوش a 72 هم عموماً معادين لشيخ بارزان، لكن قبل ان يتجرأ هؤلاء اظهار ميولهم سوف يطلبون منا القيام بعمليات هامة. ولذا تقرر ارسال مجموعة من قوات البوليس لاسناد الاصدقاء من الاهالي. وفي ذات الوقت تقرر التحكم في جميع مواقع العبور فوق شمزیدینان من سيري الى ديارى وذلك لتحقيق الاهداف التالية:

١. لتطويق المتمردين.

٢ — ان التهديد بعمليات عبور سيولد لديهم مخاوف من شن هجوم من الغرب ومن الشمال الغربي.

٣ — تمكن السلاح الجوي البريطاني استخدام المعلومات التي زودها المركز الذي تأسس خصيصاً لهذا الغرض.

٤. جمع الاهالي الراغبين في الاستسلام.

كانت القوات المتوفرة لتحقيق هذه الاهداف صغيرة، وكانت مؤلفة من سرية واحدة مشاة Cavool من الموصل ومائة من افراد البوليس Polcol وكان من المفروض ان تدعم القوة الاخيرة بـ ٦٠ مسلحاً من رجال البوليس من ميروگه سور.

٣٢ — الحت الحكومة العراقية بشكل رئيسي على ان يرافق هذه القوة ٥٠٠ من الزبائرين والريكانيين ويجب ان يوكل إليهم دور هجومي. كان ممكناً لهذا الاجراء ان يختصر طريق النصر، لكن كان من الممكن ان يكون له نتيجة يريثى لها فيما بعد، لهذا قوبل المقترح بمعارضة قوية. وكما حصل في السابق لاقتراح مماثل في بداية الحرب (انظر الجزء الاول، الفقرة ٥) فقد ألغي المقترح.

ولم يحصل اتفاق على هذه النقاط الا في ٨ من شهر حزيران. تحرك الخيالة الى العماديه باللوري وفي ٩ من نفس الشهر كانوا في معسكر في سيري Suryê. وفي ١٣ من نفس الشهر كانوا في سيدا. قوات البوليس هذه تم جلبها من مناطق العماديه ودهوك. وكان مقرها

في بازگه. Pazga انظر (ORE.24 C ١٣٧) وفي ١٤/٦ كانت هذه القوة قد تركزت في Maizi, Diyari, Hiriyaah.

٣٣ - واخيراً ولاتمام طوق الحصار فقد استدعيت الحكومة التركية الى اتخاذ اجراءات خاصة للحيلولة دون استخدام المتمردين للاراضي التركية، بالاخص في المناطق الجنوبية والشرقية من هضبة گوڤه ندى Govenda Plateau.

٣٤ - **العمليات الجوية المستقلة.** عمليات إنهاك المتمردين بدأت بكثافة في مناطق مزوري بالا في ٢٦ من شهر مايس/ماي وتواصلت دون انقطاع حتى نهاية الحملة في ٢٢ حزيران/جون، كانت هذه العمليات حاسمة في نتائجها، لكن بما ان شرح هذه العمليات قد قدم بشكل مفصل في مكان آخر لذا فأنا لا نتطرق الى ذلك الا باختصار شديد. تركز الاهتمام بشكل رئيسي على شيخ بارزان نفسه وعلى مقره، لقد قصفت الطائرات بشكل متواصل معاقله في سهري هوري واجبرته على النزوح نحو الاراضي التركية.

بقي شيخ بارزان تحت الرصد المباشر فهوجم من جديد في سهريخه نكييل وجبل بوتين وكانوا قد ساقوا الى هناك معظم قطعانهم وماشيتهم واخيراً في ٢٢ من شهر جون/حزيران وبالتعاون مع الجيش اجبرت آخر مجموعة لشيخ بارزان على عبور الحدود التركية قرب زيت والاستسلام.

٣٥ - **أثر اعمال السلاح الجوي على العمليات العسكرية.** كان من نتائج هذه العمليات ان تحول اهتمام العدو عن الجيش، لكن الجيش لم يهمل اية اجراءات وقائية وكان عليه اخذ كل الاستعدادات الضرورية لبدء المقاومة او صد الهجمات. وبفضل العمليات الجوية وأثرها، فقد كان الجيش يتقدم في مناطق شبه مهجورة ولم يلقي مقاومة جديّة اخرى.

٣٦ - **عبور نهر روكوجك.** كان متوقعاً منذ بداية الحملة ان يقاوم العدو بضراوة اية عملية عبور لنهر روكوجك. وعلى ضوء المعلومات التي حصلنا عليها محلياً فان النهر في الشتاء سيكون قابلاً للعبور بين الاول من شهر حزيران/جون الى الخامس عشر من نفس الشهر، وبني البرنامج الاصلي على هذا التوقع، لكن معلومات لاحقة افادت ان النهر غير صالح

للعبور إلا بعد مضي شهر، لذا تقرر عمل كلك للعبور في ذات التأريخ الذي تم تحديده في الاصل.

وكان من المعتقد ان تنطوي هذه العملية على مخاطر، فقد كان ذلك يستوجب القيام بهجوم جبهوي على موقع محدد دون امكانية اللجوء الى المخادعة او الى تحركات مضللة. وظهر الاستطلاع الدقيق من موقع بيشوك ان الميزة التكتيكية في اكثر مواقع العبور ملائمة هي في صالح المهاجم المسلح بأسلحة حديثة، وسيتمكن من تحقيق عبور ناجح وبسلام لو استطاع تجاوز المصاعب التكتيكية. وكان من المتوقع ان يظهر العدو مقاومة عنيدة مما يؤدي الى وقوع ضحايا عديدة بين صفوفه. ان هذا الامل اثبت عقمه.

٣٧ — تم تعزيز قوة ديفورس Diforce للقيام بالعمليات بكتيبة (ناقص ٣ سرية) وبمدفعين من بلي. تحرك ديكول الى بيشوك في ٦/٥ واتخذ اجراءات التأهب الضرورية، وانجزت عملية العبور في ٦/٢٤ عندما عبرت كتيبتان ووحدتين من المدفعية دون مقاومة، وتمركزت القوة بالقرب من قرية دودمارا. تجدون تفاصيل هذه العملية في ملحق B.E.8.

٣٨ — ولزيادة تأثير عملية العبور فقد قامت القوات بعمليات استعراض بطول خط الجبهة في يومي ١٤ و ١٥ من شهر حزيران. وقامت القوات في خيرزوكا وليربير ونقاط اخرى على طول شمزيدينان. وقامت قوات بازكول باستعراضات في مضيق سيل، وارسلت قوات اخرى في اليومين الى قمة جبل شيرين، وكادت احدى هذه القوات تصل الى قرية كاني بوت.

٣٩ — مراقبة الحدود التركية. تكررت الشائعات من ان شيخ بارزان سيلجأ عبر الحدود التركية والعراقية الى فارس. لذلك تم ارسال سرية من الجيش الى كانياروش، وتم تعزيز قوات البوليس هناك، اضافة الى ارسال دوريات لتجوب ليلاً وبدقة جميع نقاط النجاة من الاراضي التركية.

٤٠ — على جناحي الجبهة الحامية تمكن القائد العراقي من الاتصال بالقائد التركي للقيام بعمليات مشتركة كل داخل أراضيه.

٤١ — الاندفاع الاخير. قامت قوة ديكول بعملية استطلاع لمناطق شيروان مازن في ١٥ حزيران ووجدوا ان القرية مهجورة، فأقامت معسكراً وبدأت في ١٧ حزيران بإنشاء مخافر هناك.

وفي ٢٠ حزيران أكد رصدنا من وجود شيخ أحمد وعدد من اتباعه المقربين قرب قرية زيت (I.C.S.W. 33D) فتقدم رتل الى قرية هوبا Hupa وحاول التقدم الى زيت. كانت المنطقة شديدة الوعورة وكان من المستحيل المجازفة بالنزول الى الغور العميق بين قرية هوبا وزيت بالقوات المتوفرة في الوقت الذي كان فيه العدو مسيطراً على جميع الممرات والنقاط الرئيسية. وكان الجبل الواقع على يمين الجبهة يشكل سداً محكماً، ويستحيل على الحيوانات السير فيه، لذا عادت القوة الى هوبا وقضت الليل هناك. وفي النهار قامت مفرزة عراقية بمجوم جريء على موقع للعدو واجبرته على ترك الموقع، ووقع اثنين قتلى وقبض على آخر. وقضى اليوم الثاني في عمليات استطلاع. وفي ٢٢ حزيران هاجم البتاليون الرابع بقيادة Lieut-Colonel Dickinsonb المرتفعات على جبهة اليسار. لقد تم سحب جميع الحيوانات عدى البغال التي تحمل الماء والتي تم جرّها بالحبال عبر الاراضي الوعرة الى المقرات. واخيراً تم الوصول الى المرتفعات المطلة على زيت وانسحب العدو عبر الحدود التركية. ان الاندفاع نحو زيت كان نموذجاً للتصميم على اذلال العقبات وتحمل مسؤولية المجازفات والتي تبررها الفرص المناسبة.

كان شيخ بارزان قد استسلم للأتراك في مساء يوم البارحة.

٤٢ — القوة الغربية. في ٢١ حزيران وصلت قوات الخيالة الى قرية تيلي Taili).....) واستسلم ٨٣ شخصاً مع ٧٠٠ رأس ماشية. وفي ٢٤ من شهر حزيران عبرت قوات البوليس شمزيدينان واحتلت مناطق مزوري.

٤٣ — تحرك قوة سيلكول. في ٢١ حزيران تم سحب الحامية العسكرية من هويستان، وتشكلت قوة في بارزان سميت بسيلكول Sailcool وكانت مؤلفة من رتل وسرية اضافة الى فصيلة عسكرية، وكانت مهمتها التحرك نحو سيلكى لتحقيق الاهداف التالية: (١).

الملحق F يظهر جريان المعارك للجيش العراقي في ١٩/٦/١٩٣٢)

١ — منع وصول المؤونة من منطقة سيلكى الى العدو. استحال بعد احتلال هذه المنطقة ومنطقة ارغوش Argosh تزود شيخ أحمد واتباعه بالمؤونة.

٢ . لتقوية الخط العام عبر جبل شيرين وتسهيل تحرك قوات البوليس الى ميروز.

٣ . التعاون مع قوة ديكول في العمليات ضد زيت إذا ما تطلب الامر.

٤- بناء مركز بوليس مؤقت في سيلكى. تحركت قوة سيلكول في ٢٢ ووصلت الى سيلكى في ٢٤، وكانت المؤونة تكفي لمسيرة ثلاثة ايام، لذلك تم تزويد القوة بحصص كافية لسبعة ايام من قبل السلاح الجوي الملكي العراقي في موقع سيلكى.

٤٤ — التعاون الجوي. خلال جميع مراحل العمليات قدمت المساعدات بسخاء من قبل السلاح الجوي الملكي البريطاني، السرب رقم ٣٠، وكما كان الحال في السابق، فقد كان التعاون وثيقاً مع الجيش العراقي، وكانت القوة الجوية البريطانية على اتم الاستعداد ودوماً لتلبية المتطلبات اياً كانت الجاذفات. وقام الطيارون بأداء دورهم بكفاءة وبإخلاص مما نال اعجاباً متناهياً من قبل قوات المشاة.

والنموذج المتميز لمثل هذا التعاون حصل عند التقدم النهائي نحو زيت، فقد قصف السرب رقم ٣٠ وفيما بعد قام السرب القاصف (٥٥) بضرب مكثف للمواقع حول زيت، وبقي السرب بعد ذلك متأهباً لتقديم دعم مباشر لقوات المشاة ان جاجت الاخيرة بمقاومة جديّة. واخيراً أسقط السرب رقم ٣٠ المؤونة للقوات في زيت عند وصول هذه القوات الى مقصدها. لقد اشاد قائد القوة الجوية (قيادة العراق) الى كفاءة ومنجزات القوة الجوية العراقية، والتي كانت تعمل تحت إمرته خلال جميع مراحل الحملة. ان هذا امر يدعو الى امتنان كبير، اذ بدأت هذه القوة بداية مرضية وحيث يعتمد عليها في العمليات المستقبلية في العراق.

٤٥ — قيادات الجيش. الفريق طه الهاشمي، رئيس الاركان العام ضابط متميز وعسكري قدير. لسوء الحظ ذهب الى استنبول في اجازة في بداية شهر مارس/ آذار وعاد الى العراق في ٧ من شهر ابريل/ نيسان. وكان يقوم بإدارة المهام نيابة عنه وبشكل جيد العقيد محمد نظيف عبد اللطيف الشاوي وهو برتبة G.S.O.Ist .

المهام المتعلقة بالمؤونة يديرها الزعيم شاكر عبد الوهاب بكفاءة. يعتبر وزير الدفاع جعفر العسكري عماد القيادة حالياً. ونظراً لشجاعته وكونه جندي بالفطرة فقد كان لزيارته الى الجبهة تأثير كبير على معنويات القوات.

٤٦ — الزعيم خليل ابراهيم الذي قاد العمليات ضد شيخ محمود في العام الماضي كان يقود قوة ديفورس Diforce والعقيد اسماعيل ابراهيم نامق كان يقود قوة بازكول Bascol كلا الضابطين قاما بمهامهما على أحسن وجه.

سحب القائد الاصيلي لقوة ديكول إثر فشله في ٣ ابريل نيسان وخلفه العقيد عبد الحميد ابراهيم الشلجي، وبعد خلفه العقيد أحمد رشدي الحاج محمد. الاثنان الاخيران قاما بالتعاقب في قيادة البتاليون الثالث والثاني، وكما كان الحال في الماضي، برهنا على شجاعة وكفاءة في قيادة الارتال. وفيما عدى الاسماء التي أشرنا اليها، لا يوجد للأسف ضباط كفوئين للقيام بمهام القيادة بشكل مستقل. ونجم عن هذا توظيف نفس الضباط في المهام بشكل متكرر، اضافة الى ذلك ولأسباب سياسية ومحلية فانه من الصعب تبديل الضباط الذين اثبتوا عدم كفاءة في القيادة. لذا فان طريق الترقية مسدود امام الضباط الشباب الذين اثبتوا كفاءة ومقدرة. اضافة، هناك القليل من التعامل المتبادل بين كبار الضباط في مراكز قيادات الجيش وبين كبار الضباط في الوحدات.

٤٧ — الانضباط. اوضحت عدة حوادث عن نقص كبير في الانضباط لدى عدد من الضباط امام العدو، ومع هذا بقوا في وحداتهم. بعد ان هددت بالاستقالة ان لم يقدم هؤلاء المقصرون الى محكمة عسكرية، نجحت في ضمان معاقبة هؤلاء الضباط.

كنت قد اشرت مراراً انه لا التدريب الجيد ولا الاسلحة الحديثة ولا شجاعة الجنود يمكن ان تصنع جيشاً جيداً، ان لم تتوفر شروط الانضباط داخل سلك الضباط واختيار القيادة.

لسوء الحظ ورغم ان وزير الدفاع ورئيس اركان الجيش كلاهما يؤيدان وجهة نظري في هذه النقاط، الا ان الضغوط السياسية والعائلية أردت آرائهما غير مؤثرة.

بالتأكيد المحسوبة والمنسوبة منتشرة، زالت هذه في اوساط الجيش البريطاني منذ زمن بعيد، لكن حتى هناك لم يحصل هذا الا بعد صراع طويل وصعب. من المستحيل تقريباً في اي جيش

اسلامي معالجة هذا المرض، فالعلاقات مشروطة وينص عليها القرآن ولذا تعتبر من الواجبات الدينية.

٤٨ — تعاون الإدارة المدنية. كان عمل السلطات المدنية في الاراضي المحتلة في البداية بطيئاً، لكن في ٢٧ من شهر ابريل نيسان عين الكابتن W.A. Lyon ضابطاً سياسياً في شيروان فتحسنت الامور بشكل ملحوظ. بدأ الكابتن مهمته بحماس وهمة مما جلب له تقدير السكان، كما انه بنى علاقات ودية مع اوساط الجيش. كان لكل ذلك أثر ايجابي. انّ تحكيم السيطرة والذي كان الهدف الاساسي للحملة بدأ منذ شروع الكابتن مهامه، واستمر التحسن فيما بعد.

قدمت قوات البوليس خدمات مجدية، واستخدمت منذ البداية في مهام عسكرية صرفه، وعندما سمحت الظروف تم تحويلهم بالتدريج الى السلك المدني. لقد كانت المهام التي نفذتها الخيالة من البوليس في المناطق الريفية شاقة وصعبة. كما ان اسلوب أداء الواجبات اوجدت لها رصيذاً جيداً.

٤٩ — أثر الاستسلام. باستسلام شيخ أحمد مع ٤٠٠ من انصاره الى الاتراك توقفت المقاومة. واتخذت ترتيبات فورية لإقامة مراكز البوليس وشق الطرق (انظر ملحق ١) وذلك لانتهاء العمل قبل حلول الشتاء او في نهاية شهر جولاى. كان العمل قيد التطور في المراكز الهامة، في ناحية ميّوگه سور، شيروان مازن، بارزان، خيرزوكا، ريزان، كاني بوت، شه نگیل، سيلكى، ميروز وارگوّش. استمر العمل في الطريق المنجز حتى ميّوگه سور للوصول به حتى جه مى في ٦/١٨. حيث يتوجب اقامة جسر هناك.

عاد الكثيرين من السكان الى قراهم في نهاية شهر تموز/جولاى وهم سعداء لكونهم تخلصوا من اضطهاد شيخ أحمد، لكنهم في حالة عوز تامة. وقد عانوا خلال عام كامل من الغزو والنهب، اعقبه عام آخر من الحرب، ولم يزرعوا حقولهم.

٥٠ - توصية لمنح جوائز. لي الشرف ان أقدم التوصيات التالية تقديراً للشجاعة وللخدمات المتميزة التي قدمت خلال الحملة:

.Major E. G. Warren

.Major P. W. Clark

.Lieu. E. C. Mansergh. R. A

.Lieut. H. J. Laverty

.Lieut. C. B. R. Pelly. R.A.F

في برقيتي المؤرخة في ٢٤مايس/ماي ١٩٣٢ كنت قد قدمت الاسماء المشار اليها اعلاه لنيل الترفيعات وهنا نفس التوصيات مكررة.

فيما عدى الميجر Major E.G. Warren الذي كان قد انسحب في ١١ حزيران/جون تمهيداً للعودة الى بريطانيا اذ كان عقده قد انتهى. جميع هؤلاء الضباط استمروا في تقديم خدمات هامة حتى نهاية الحملة بالأخص Major E.G. Warren الذي استمر في القيام بواجباته كضابط ارتباط عريق مع قوة ديכול كما انه رافق المجموعة التي قامت بالعملية الشجاعة والتي ادت الى تحطيم الجسر أسفل ليربير، والميجر Major P. W. Clark. الذي قدم خدمات تكتيكية ثمينة عند معبر نهر روكونجك.

سأكون ممتناً لو نفذت هذه التوصيات الخمس قبل الآخرين.

وفيما يلي أقدم توصيات اخرى للتفيع.

Brigadier-General H.R. Headlam

Major (Rt. Lieut, Colonel) R.P. Dickinson

لقد قدم الأخير ارشادات إدارية هامة في المراحل الأولى للحملة. كان ضابط ارتباط من ٢٣ ابريل/نيسان الى ٢٧ ماي/مايس في مركز قوة ديفورز، حيث ساهم بشكل كبير من خلال حرصه وحيويته ودعمه لقيادة القوة في ضمان نجاح الحملة. واخيراً من ١١ حتى ٢٢ من

شهر حزيران/جون عمل كضابط ارتباط في قوة ديكول وكان حاضراً أثناء عبور نهر روكوجك والتقدم نحو زيت. ان الفضل في تذليل العقبات تمهيداً للعملية الاخيرة الموفقة يعود الى تصميمه الشخصي الى حد كبير..

اوصي في ان ينال وسام قائد في الامبراطورية البريطانية C.B.E.

.Captain (Bt, Major) C. W. Allfrey, N.C. Royal Artillery

شارك في الحملة من ٣ من شهر ابريل /نيسان واستمر فيما بعد. كان يعمل مع قوة ديكول ويعمل ايضاً كضابط ارتباط في مقر قوة ديفورز. في هذين الواجبين اثبت كفاءة عسكرية بارزه وشجاعة. وعندما كان مع قوة ديفورز، كان يواصل دراسة الوضع من الجو وكان يتمتع بقدرة هادئة وموزونه في الحكم، لذا كان مؤهلاً لإعطاء إرشادات جيدة الى (القيادة العراقية) خصوصاً في الأوقات الصعبة من ٣ الى ٦ ابريل/ نيسان.

اوصي بمنحه وسام الخدمة المتميزة Distinguished Service Order.

Flight Lieutenant (Hon. Sqdrn. Leader) V.D. O'Malley.

.NC. R.A.F

قدم خدمات ثمينة الى الجيش بشكل عام ولبازكول بشكل خاص اثناء جميع مراحل الحملة وذلك من خلال عمله الذكي وخبرته عن الجيش العراقي كذلك التقدير الذي تمتع به من الضباط العراقيين شكل مصدراً ثميناً في الربط بين السلاح الجوي البريطاني وقوة بازكول.

الميجر جنرال

الملفتش العام للجيش العراقي

(أنظر الى الخرائط في الملاحق: ١،٢،٣،٤،٥،٦،٧).

بارزان بعد الاحتلال

شغل السير ف. همفري منصبي المندوب السامي للحكومة البريطانية والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية، وكان أحد كبار الداعين الى الحاق كردستان بالعراق، وسيرى القارئ مدى تحامله على المقاومة الكردية في بارزان وحقده على شيخ بارزان وتحريفه للواقع تبريراً للجرائم التي ارتكبوها في كردستان من خلال رسالته السرية وهذا نصها:

(سري)

من السير ف. همفري الى السير جون سيمون.

تاريخ الوصول ٢٠ / ٢ / ١٩٣٣

تاريخ الارسال ٩ / ٢ / ١٩٣٣

يشرفني أن أبعث لكم طياً نسخة من تقرير مارشال الجو ايدكار لودلاوهويت حول عمليات بارزان في عام ١٩٣٢ حيث ذكر ذلك السير هيوبرت بانك في برقيته المرقمة ٩٩٥ والمؤرخة في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٢. ورغم مضي سبعة أشهر على انتهاء هذه العمليات الصعبة والتي جرت في فترة كنت أشغل فيها منصب المندوب السامي لحكومة جلالته والقائد الاعلى للقوات المسلحة العراقية، لذا أريد ابداء بعض الملاحظات وعسى ان لا تكون في غير محلها.

٢ — في الفقرة الرابعة من برقيتي السرية الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات والمؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٢، اوضحت ان أملي كان راسخاً من اننا وبإسناد القوة الجوية البريطانية ستمكن من بسط السيطرة على الاراضي التي يحكمها شيخ بارزان حكماً تعسفياً ووضع هذه الاراضي تحت تصرف الحكومة العراقية خلال صيف ١٩٣٢، وبهذا يكون السلام قد ساد المناطق الشمالية من العراق . لقد تحقق هذا الامل لحسن الحظ والفضل

الأكبر يعود للجيش العراقي الذي اثبت كفاءته في اولى تجارب القتال الجدية في منطقة جبلية، ويعود الفضل بشكل خاص الى الميجر جنرال روان روبنسن والى ضباط البعثة العسكرية البريطانية الذين كانوا مسؤولين في الوقت ذاته عن الاستعدادات وعن تنفيذ خطة العمليات وعن الاسلوب الفذ الذي حقق الهدف.

٣ — وفي كل الاحوال ليس لدى شك في استحالة تحقيق هذه النتيجة الناجحة في فسحة زمنية مؤلفة من عدة أشهر لولا المساعدة الفذة للقوة الجوية الملكية في تنفيذ الخطة العامة. ففي إحدى العمليات بوجه خاص انقذت المساهمة اليقظة والجريئة للسرب رقم ٣٠ من القوة الجوية الملكية دون شك القوات العراقية من كارثة محققة، وفيما بعد، في اللحظات المناسبة، لعب إسناد أسراب الطائرات القاصفة رقم ٥٥ و ٧٠ من القوة الجوية الملكية دوراً ليس فقط في احياء المعنويات المنهارة للأفواج العراقية، إنما كان عاملاً في إعادة صلاحية هذه القوات وتموينها بالمؤن، اذ كانت قد فقدت جميع نقلتها تقريباً وكان اسلوب إدارة الحملة من قبل مارشال الجو السير ايدكار لودلاو هيوية عملاً في غاية الروعة.

علاوة على ذلك اود اعلامكم بأن عملية الانقاذ الجريئة التي قام بها سكرتيري الشرقي الكابتن هولت لاثنين من طياري السلاح الجوي البريطاني وقعا في اسر شيخ بارزان بعد سقوط طائرهم، لم تكن ممكنة دون التحلي بقدر كبير من الباقة والشجاعة ومعرفة جيدة بطبيعة المنطقة. (هذه مبالغة كبيرة، اذ سلم شيخ بارزان الطيارين تلقائياً بعد ان عاملهما معاملة جيدة. فمعاملة الاسرى بالحسنى معروفة في مناسبات عديدة لدى شيخ بارزان)^{١٣٥}

٤ — وبما ان هدف وطبيعة هذه العمليات قد تعرض الى التشويه من قبل أشخاص معينين في بريطانيا، ارى لزماً علي الاشارة وباختصار الى المشكلة التي جابهت الحكومة العراقية. لقد كان شيخ بارزان آخر زعيم اوتوقراطي قبلي في كردستان ورغم اننا عرضنا عليه معاملة منصفة وشريفة في الاستيطان الا انه أبى وبعزم وضع منطقته تحت سيطرة الحكومة المركزية في بغداد وحمل النار والسيف في طول وعرض المناطق الشمالية فرفض دفع الضرائب ولم يحترم القانون

ووصل حكمه الظالم والوحشي حدوداً لا يمكن التسامح معها من اية حكومة تحترم نفسها. فالغالبية العظمى من الاكراد يزدرونه لجنه ويكرهونه لضرارته وظلمه، وفيما عدى عصابة مؤلفة من ٥٠٠ من المؤيدين المتعصبين والذين كانوا يسمنون على النهب والسلب لشيخ بارزان فإن عدد اصدقائه قليل والاكرد ممتنون لتخلصهم منه. ومن دواعي الرضى ان تكون المنطقة الثائرة التي كان يحكمها شيخ بارزان حكماً تعسفياً قد وضعت تحت الادارة المدنية للحكومة العراقية وذلك قبل عدة أشهر من انتهاء الانتداب البريطاني. ولو كان العكس قد حصل، لكان ذلك يعني اننا لم نهيئ بداية جيدة للحكومة العراقية في كردستان، لأنني لا أعتقد انه كان في مقدورها القضاء على هذا العش من النهايين والمجرمين الا من خلال عمليات مطولة لم تكن الحكومة العراقية مستعدة لها بدون عمليات القصف المكثفة الناجحة التي نفذتها القوات الجوية الملكية.^{١٣٦}

التوقيع

ف. همفري

اما مراسل جريدة التايمس اللندنية لا يشاطر الشعور بالاعتزاز مثل السير. ف. همفري فيما يخص عمليات «القصف الجوي الرائعة في كردستان»، هذا المراسل لديه انطباع آخر مختلف تماماً، اذ يقول: «ظل السلاح الجوي الملكي يقصف الاكراد خلال السنوات العشر الماضية وبشكل خاص خلال الستة أشهر الاخيرة، فالقرى المدمرة والماشية المقتولة والنساء والاطفال المشوهين، تقف آثاراً شاهدة على مدى انتشار نماذج حضارية منسقة.»^{١٣٧} ولنعد الى ما كان يجري في الاراضي المحتلة حديثاً. بعد التجاء شيخ بارزان وانصاره الى تركية، قامت السلطات العراقية بتطبيق الخطة المرسومة في بناء المخافر الحكومية بشكل واسع، كما تقرر الابقاء على اربعة افواج في المنطقة المحتلة لمساعدة السلطات الادارية، وتقرر كذلك ابقاء قوات الشرطة مرابطة في المراكز الهامة ووضعها تحت امرة السلطات الادارية.

¹³⁶ F. O. 371 16913 27951

¹³⁷ Ibid

الظاهر ان بناء المخافر بهذا الشكل الواسع في منطقة بارزان كان يعكس حقيقة نوايا السلطات العراقية في حكم الشعب عن طريق القوة والارهاب، وكانوا يعرفون مدى نفور الكرد من حكمهم. الجدير بالذكر ان المخفر العراقي لعب دوراً كبيراً في حياة السكان الكرد في تلك الاصقاع. فالمخفر شيد في موقع يطل على القرى ويراقب منها تحركات السكان، كما ان القرية هدف سهل لرصاص البوليس، ثم ان هندسة بنائها يأخذ في الاعتبار تمرد الاهالي وحصارهم للمخفر. فالتحصينات فوق السطح والنوافذ الصغيرة التي تطل على الجهات الاربع وبنائها من الصخور، كل ذلك يعكس خوف المحتلين من سخط المحكومين.

تعتبر كلمات (جنדרمه. بوليس...شرطي) كلمات بغیضة جداً لدى الشعب الكردي حتى وقت قريب، ففي الماضي كان الجنדרمة التركي رجلاً فظاً غليظ القلب يعامل الاهالي بقسوة وجبروت ومن هنا اصبح رمزاً لطغيان السلطة الحكومية، وجاء الشرطي العراقي لا لكي يزيل من الذاكرة فظاظة الجنדרمة التركي وانما ليعمق اكثر الشعور الشعبي بالرفض والسخط لدى الكردي. فالشرطي العراقي كان يعامل الاهالي معاملة إذلال ويتذرع بشتى الحجج للتضييق عليهم. فتارة بذريعة سوقهم الى الخدمة العسكرية، واخرى اتهامهم بإخفاء السلاح، واحياناً بحجة ايواء الخارجين عن القانون او تقديم الطعام ومساعدة المتمردين، ولهذا ليس من المستغرب ان ينطبع ذلك في الفولكلور الكردي او الادب الشعبي، اذ ان معظم الحكايات الكردية تستهل بالعبارة التالية: كان ماكان في قديم الزمان، اللهم أغدق برحمتك على كافة المستمعين وآبائهم واحرم منها الجنדרمة والتحصيل دار (جامع الضرائب). ان معظم اهالي الريف الكردي وبالأخص المناطق الشائرة يحملون ذكريات مره عن حكم المخافر حيث الاعتداء على حقوق الناس والاستيلاء على اموالهم وما لا يحصى من الاهانات وعقوبات السجن، وكنتيجة لهذه المعاملة اللاإنسانية فان كلمة (بوليس) ترادف لدى الكردي شتيمة واهانة كبيرة إذا ما وصف بها حتى وقت قريب.

وفي الوقت الذي كانت السلطات العراقية منهكة في تشييد المخافر في الاراضي الكردية المحتلة، كان المقاتلون الكرد عبر الحدود التركية وقبل الاستسلام للأتراك قد رتبوا إخفاء السلاح، وقد صدر أمر من شيخ بارزان على ان يجتمع انصاره في (بشتانيري) وان لا يستصحبوا معهم سلاحهم الى ابعد من تلك النقطة، وقد اخفيت في متاهات الجبل حوالي ٤٠٠ قطعة سلاح جيدة.

والآن نترك الكلام لاحد المشاركين في هذه الاحداث الدرامية وهو السيد حسين خال ملا بابكي، اذ يقول: «غادر شيخ بارزان الى (فرونس) ثم الى (زينيا آسنگهرا) ثم الى (داري) والى (دزي) والاخيرة تعتبر مدينة صغيرة ذات سوق. وكنا أكثر من ٤٠٠ عائلة وقد حطينا رحالنا على ضفاف النهر وفي اليوم الثالث صدرت الاوامر بعبور النهر من فوق المعبر، لكن الجنود الترك اوقفوا عملية العبور وبهذا اصبحنا مجموعتين، المجموعة التي عبرت الى الضفة الاخرى، وكانت مكونة من شيخ بارزان واخوته وعوائلهم وبعض المسؤولين البارزين، بينما نحن الغالبية من الشعب، منعونا من العبور والاتحاق بشيخ بارزان، لكن بعد سبعة ايام غادرنا الى (باشقال) للاتحاق بالبقية الباقية ثم من هناك الى (خوشقى) ووصلنا بعد ذلك الى مدينة (وان) حيث حطينا الرحال تحت جدران القلعة، وكان الجنود الترك يرافقوننا، ثم امرنا موظف حكومي ان ينفصل العجزة والمرضى والجرحى عن البقية، وذلك لأجل نقلهم بالباخرة الى (ارديش) على ضفاف بحيرة (وان) ولدى وصولنا لم نشهد شيخ بارزان، اذ كانت السلطات التركية قد نقلته الى (حسن قلا) ثم الى (سيواس) والى ارضروم .

بقينا في (ارديش) حوالي اثني عشر يوما، ثم امرنا الترك بالتأهب للرحيل، في هذه المرة أعادونا نحو الحدود العراقية برفقة قوة من الحماية التركية. مررنا على التوالي بـ (دزي) والى (هورمار) ثم الى (شت يونس) والى ارگۆش و (زيت)، لقد كانت عودتنا على ثلاث دفعات، ومكثنا في أوساط قبيلة (گهردي) والجميع كانوا مصممين على عدم الاستسلام للحكم العراقي والاستمرار في القتال ولذا من جديد اخرجنا الاسلحة التي سبق وأن أخفيناها في متاهات الجبل في أراضي قبيلة گهردي، فتسلحنا من جديد.

كنا موزعين على شكل مفارز صغيرة، فالقادة حسن محمد امين، شريف ملا حسن، يوسف صفتي و ملكو ژاژوکی كانوا في أطراف (نخافا) بينما أحمد نادر كان في اطراف (سهروكاني) وعبدالله كلكه موى في أطراف (مام ره شا) وبقي خليل خوشفى في أنحاء (بيروخ).»

يظهر ان الحكومة التركية تفادت اعالة هذه العوائل الهاربة من العراق فساقطهم من جديد نحو قرى الحدود، وكانت القوات التركية في هذه الفترة منهمكة في نزع سلاح أكراد بوتان^{١٣٨} وعشائر (الموتكى) والـ (Goyan) والـ (شرناخ). كانت سياسة تترك كردستان قيد التطبيق، فهدم الريف الكردي ومصادرة جميع قطعان القرويين وترحيل السكان الى خارج كردستان والقضاء على كل من يقاوم هذه السياسة، كان الشغل الشاغل للجيش التركي في كردستان. وفي كل الاحوال لم يسفر احتلال أراضي بارزان عن السيطرة الكاملة، اذ استمرت الاضطرابات وذلك لان بعض المسلحين الكرد، ظلوا داخل المنطقة المحتلة ولم يلتجئوا الى تركيا مع شيخ بارزان، وهؤلاء المسلحون كانوا يؤلفون عصابات صغيرة ذات سرعة وخفة في التحرك.

انتقد الزعيم الركن حسن مصطفى موقف الحكومة التركية قائلاً: «لم تتخذ الحكومة التركية تدابير جدية ضد العصاة الملتجئين الى أراضيها واكتفت بإبعاد الشيخ أحمد وقسم من اتباعه فقط الى ارضروم». ^{١٣٩} وقد احتجت الحكومة العراقية لدى الحكومة التركية طالبة من الاخيرة ابعاد الاكراد عن مناطق الحدود او تسليمهم الى السلطات العراقية.

تجمع إخوة شيخ بارزان مع عوائلهم وبعض من اتباعهم في قرية (نيرى) وأرسلوا خبراً الى القادة الذين كانوا خارج حكم الدولتين، العراقية والتركية، طالبين منهم المجيء لنقل العوائل الى مناطق الحدود، وكانوا يخشون من المماطلة ومن تغير في موقف الاتراك وفرض الإقامة على اللاجئين في مناطق بعيدة عن بارزان. وفعلاً «وأزاء احتجاجات الحكومة العراقية المتوالية

اضطرت الحكومة التركية ان تتخذ تدابير مشددة ضد العصاة مما حدى بهم الى اللجوء أخيراً الى الحدود العراقية بحجة التسليم وعرض الطاعة»^{١٤٠}

واجهت المجموعات البارزانية الملتجئة الى تركيا وضعاً صعباً لا يقبل المماطلة، فاذا ما نقلوا عوائلهم الى مناطق بارزان الحدودية دون تفاهم مع الحكومة العراقية ودون اتفاق مع الحكومة التركية، فان الحكومتين قد تشنان حملات مشتركة ضدهم، ويصعب إعالة هذا العدد الكبير من العوائل وضمنهم أطفال، على حدود الدولتين. أخيراً قرر المجتمعون بقيادة أحمد نادر نقل جميع العوائل الى (نيرى) فتأهبت العوائل للتحرك نحو الحدود العراقية، وبحلول الليل بدأت المسيرة سراً، واستغرقت الليل بطوله حتى وصلوا (بناقوك) وآخرون الى (زيت) و (Girane) و (رزى) وافاد حسين خال ملا بابكى: «قضينا الشتاء موزعين في القرى الواقعة على تخوم الحدود العراقية التركية، نترقب التطورات حتى حلول الربيع من عام ١٩٣٣». وتعتبر الفترة الواقعة بين شهر تموز/ يوليو من عام ١٩٣٢ و ربيع عام ١٩٣٣ فترة مشوبة بالقلق بالنسبة للسلطات البريطانية والعراقية، فرغم الاحتلال العسكري لمنطقة بارزان، بقي احتمال تجدد القتال وارداً، وبهذا الصدد أ برق المندوب السامي البريطاني. ف. همفري الى وزارة الخارجية مع نسخة مكررة من نفس البرقية الى السفارة البريطانية في انقره:

السفارة البريطانية . بغداد

١٩٣٢ / ١ / ٢٥

سيدي

لي الشرف ان اعلمكم بأن وزارة الخارجية استلمت من الموصل عدداً من التقارير في نهاية شهر كانون الاول، تفيد بأن عدداً من الزعماء التابعين للشيخ أحمد البارزاني، ضمنهم محمد صديق، أخ الشيخ، قد ظهوروا على الحدود وبدأوا بتنظيم عصابات مسلحة وحصل اشتباك بين إحدى هذه العصابات وقوة من البوليس قرب ميّرگه سور (ناحية شيروان) وقتل فيه أحد أفراد العصابة.

^{١٤٠} الزعيم الركن حسن مصطفى . البارزانيون وحركات بارزان . ص. ٤٨ .

٢ — وعلى ضوء آخر الاخبار التي وصلتني يبدو ان الاتراك قد أدخلوا سبيل جميع الرجال الذين استسلموا في الصيف الماضي باستثناء الشيخ أحمد، ويبدو ان مجموعة هامة من هؤلاء تعيش في القرى القريبة من الحدود وخارج أية سلطة حكومية.

٣ — احتجت الحكومة العراقية لدى الحكومة التركية، وقررت الحكومة العراقية العفو عن جميعهم عدى شخص واحد هو خليل خوشه‌ئي (متهم بارتكاب جريمة قتل وحشية) وذلك في حالة تسليمهم إما في زاخو أو كانيرهش من قبل تركيا وبحمائتها.

٤ - من المؤمل ان توافق الحكومة التركية على هذا الاقتراح، وفي حالة الرفض فانهم في الوقت الحاضر لا يشكلون خطراً كبيراً بسبب الثلوج الغزيرة التي تغطي المنطقة، لكنهم كما يبدو قد يصبحون في الربيع مصدر إرباك جدي للسلطات المحلية في منطقة بارزان المحتلة حديثاً.

٥ - ارسلت نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول.

المطيع

ف. همفري. ١٤١

تحتوي أرشيفات الحكومة البريطانية على تفاصيل دقيقة لتطورات هذه الفترة وتكشف طبيعة التعاون البريطاني — العراقي في مجابهة الكرد. ومن الطريف ان القوة الجوية الملكية البريطانية في مطاردتها للأكراد خارج الحدود المصطنعة قامت بقصف قرية كردية ضمن حدود تركيا (بيروخ) وعلى أثرها طالبت الحكومة التركية تعويضها عن الخسائر. ولم يكن واضحاً من الذي سيدفع هذه التعويضات، الحكومة العراقية ام الحكومة البريطانية. كانت العادة هي ان لا يطلب من الحكومة العراقية أية مساعدات لأعمال نفذها السلاح الملكي البريطاني بهدف إخضاع الكرد لسلطة بغداد. ١٤٢

141 F. O. 371 16916 27951

142 F. O. 371 16913 27951

اعتبر القصف الجوي لكردستان عام ١٩٣٢ تجربة غنية بالدروس لذا قدم اقتراح تبني هذا الأسلوب في تنفيذ العمليات في الحالة الراهنة^{١٤٣} ويشير التقرير المختص بهذه العمليات الى ضرورة تداوله ضمن دائرة محددة تقتصر على الأشخاص المختصين والذين لايزالون تحت الخدمة.

وبخصوص الاوضاع غير المستقرة على الحدود تشير الأرشيفات البريطانية إلى ما يلي: «من المعتقد ان إخوة شيخ بارزان محمد صديق وملا مصطفى قد جمعوا حوالي ٣٠٠ من الأنصار قرب الحدود الى جنوب سهل كَوْفِه ندي) وعلى أثر الاحتجاجات التي قدمها السفير العراقي في انقره فقد لمحت الحكومة التركية عن رغبتها في تسليم جميع الزعماء البارزانيين، لكن يبدو أنهم لا يملكون في الوقت الحاضر الوسائل الكفيلة لتنفيذ ذلك. وان لم يسلموهم او يبعدهم عن المناطق الحدودية، فانهم سيشكلون خطراً جدياً^{١٤٤} ولهذا طلب المندوب السامي البريطاني من الملك فيصل ان يلح على السفير التركي في بغداد للضغط على حكومته لتسليم الزعماء الكرد دون تأخير.»^{١٤٥}

ركزت الدبلوماسية البريطانية والعراقية على إقناع تركيا في إبداء تعاون أكبر ضد أكراد بارزان وتشير الأرشيفات البريطانية الى احتمال تجدد الاضطرابات في كردستان بنفس الحجم الذي شهدته المنطقة ابان انتفاضة شيخ بارزان عام ١٩٣٢، وفي هذه الحالة ستواجه الحكومة العراقية أكبر الصعوبات للسيطرة على الوضع بما لديها من قوات مسلحة.^{١٤٦} كان خوف سلطات الاحتلال البريطانية هو نشوء وضع يستدعي تدخل السلاح الجوي الملكي من جديد. هذا وأشار أحد التقارير السرية لوكالة المخابرات التابعة للسلاح الجوي الملكي البريطاني والتي كانت تترصد تحركات المقاومة الكردية عبر الحدود التركية الى ما يلي: «محمد

¹⁴³ F. O. 371 16916 27951

¹⁴⁴ Ibid

¹⁴⁵ Ibid

¹⁴⁶ Ibid

صديق وعدد آخر من الزعماء البارزانيين هم الآن في قرية (Girane) ولم تظهر منهم لحد الآن أية بادرة استسلام طوعية للحكومة العراقية، وقررت الحكومة التركية رسمياً إنها ستسلم الزعماء الى الحكومة العراقية.....»^{١٤٧} كما قدمت سلطات الاحتلال طلباً خاصاً لتسليم خوش I لأنه قتل أحد رجال الشرطة! هذا الاهتمام من قبل سلطات الاحتلال بما سمته قضية اجرام^{١٤٨} هو أمر غريب حقاً ولا ينسجم مع ما قامت به قواتها الجوية والبرية من عمليات القصف والدمار والقتل في كردستان خلال عشرات السنين.

في شهر كانون الثاني استجابت انقره لمطالب بغداد، فسلمت (حجي طه آميدي) الى الحكومة العراقية وهو رفيق شيخ بارزان في العديد من أعمال المقاومة وفي المنفى فسجنته السلطات العراقية في الموصل. وورد في أرشيفات الحكومة البريطانية عن التحقيق الذي جرى معه: «أعلن حجي طه للبوليس انه بذل كل ما في وسعه لأقناع شيخ بارزان بالاستسلام للحكومة العراقية.»^{١٤٩} لكن هذا التصريح كان موضع شك لدى السلطات البريطانية وفي هذا الصدد يشير أرشيف بريطاني الى ما يلي:

«على أية حال، انه امر مشكوك فيه ان يكون قد حث شيخ بارزان على الاستسلام وفق شروط الحكومة العراقية، ولقد علمنا ان الحكومة العراقية تنوي فرض عقوبات ضد حجي طه المشترك في التمرد في مناسبتين ضد الحكومة، لكن نظراً لحساسية المرحلة الراهنة، فان تحديد أية عقوبة ضد حجي طه قد يكون لها مردود سلبي على الجهود المبذولة لحث محمد صديق وانصاره على الاستسلام، لذا فمن المحتمل ان تؤجل محاكمة حجي طه لبعض الوقت.»^{١٥٠}

تشير الأرشيفات البريطانية المتعلقة بهذه الفترة الى تطورات الاوضاع في المنطقة الكردية وتذكر أسماء العديد من القادة الذين دافعوا باستماتة عن أرضهم ضد تقدم قوات الاحتلال المشتركة،

¹⁴⁷ Ibid

¹⁴⁸ Ibid

¹⁴⁹ Ibid

¹⁵⁰ Ibid

فتقول: «القائد شريف ملا حسن، المتمرّد الذي أصيب بجراح في إحدى المعارك مع قوات البوليس في مِركَهِ سور في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٢، مات متأثراً بجراحه حسب المعلومات التي استلمناها تَوّاً. واستسلم أحمد به گ گهردى الى السلطات الحكومية....» لقد اثارّت عودة محمد صديق نحو الحدود بعض القلق لدى السلطات، وقد وردت تقارير مفادها انه ينوي جمع قوة مسلحة كافية لاجتياز الحدود الى داخل العراق في الربيع، بهدف توسيع رقعة التمرد: «لكن موقف قبيلة مزوري بالا منه لم يخلق لدى الحكومة العراقية اية شكوك، هذا إذا ما استثنينا القرويين القريبين من الحدود العراقية الذين زودوا الهاربين بكمية من المواد الغذائية.»^{١٥١} كانت سلطات الاحتلال تترصّد تحركات الزعماء البارزانيين حيث ورد اليها خبر اجتماعهم: «حضر الزعماء البارزانيون اجتماعاً عقد في Girane لبحث اوضاعهم الراهنة وقد نصّح محمد صديق المجتمعين بالاستسلام الى السلطات وأشار الى عدم جدوى إدامة الوضع الراهن. لكن يبدو ان أحداً لم يؤيد وجهة نظره هذه، لذلك لاتزال نواياهم غامضة.»^{١٥٢}

كان هذا الوضع صعباً بالنسبة لسلطات الاحتلال، وبالنسبة للسير. ف. همفري، فان مفتاح الحل هو في يد الحكومة التركية، وأبرق الى لندن بنتائج محادثاته مع رئيس الوزراء العراقي وهذا نصّها:

"من السير. ف. همفري الى السير جون سيمون (استلمت في نيسان ١٩) رقم ٢٢٠.

بغداد ٦. نيسان، ١٩٣٣

سيدي،

إشارة الى برقيتي رقم ١٥٨ والمؤرخة في ١١ آذار، لي الشرف ان أحيطكم علماً، انه قبل عدّة ايام استدعاني رئيس الوزراء الجديد رشيد عالي به گ، تطرقنا اثناء النقاش الى الوضع القلق في الشمال، حيث لايزال اخوة الشيخ أحمد البارزاني وانصارهم يهددون السلام والنظام في

¹⁵¹ Ibid

¹⁵² Ibid

المنطقة التي وضعت تحت ادارة السلطة الحكومية بعد انتهاء العمليات العسكرية في العام الماضي.

٢ — اقترحت التشديد على الحكومة التركية اما القيام بإزاحة هؤلاء الرجال من القرى الحدودية حيث هم الآن، او ان تقوم بتسليمهم الى الحكومة العراقية، هذا في حالة موافقتهم على شروط الحكومة العراقية. كما ان اخفاق الحكومة التركية في السيطرة على هؤلاء الآبقين يعتبر دليلاً واضحاً على خرقها للمادة السادسة من معاهدة انقره.

٣ . وافق رشيد عالي موافقة تامة على ملاحظاتي وقال لي ان مجلس الوزراء اقر بالأمس على كتابة مذكرة شديدة اللهجة، ويتولى وزير الخارجية ارسالها الى السفير التركي في بغداد يحتج فيها على التواجد المستمر للعصاة من البارزانيين الذين لا يبعدون عن الحدود العراقية سوى بضعة أميال فقط. هذا وقد تلقى السفير العراقي في أنقرة تعليمات مماثلة لكي يقدمها الى وزير الخارجية التركي. سلمني وزير الخارجية العراقي نسخة من هذه المذكرة بصورة شخصية وارفقها بترجمة للنص. في نظري ان المذكرة كان يجب أن تشير الى معاهدة انقره.

٤ — أخبرني رئيس الوزراء انه لاحظ في الأشهر الأخيرة تبدل في موقف الحكومة التركية أزاء العراق، ففي السابق كانت الحكومة التركية تبدي استعدادها للتعاون من اجل صيانة الأمن على الحدود، لكنها الآن تغمض عينيها على ما يجري وتتملص من طلبات الحكومة العراقية الداعية الى القيام بعمل مشترك ضد العابثين بالسلام.

٥ - عزى رئيس الوزراء العراقي هذا التغير الى الحسد النامي تجاه تقدم وتطور العراق السريع والخوف من الصعود الى مركز القوة في المستقبل والقيام بدور رئيسي او تبوء دور القيادة الكونفدرالية العربية وهذا بدوره قد يهدد حدود تركيا الجنوبية. وكتلميح إضافي لهذا الموقف فقد أشار الى التطور الملحوظ في العلاقات التجارية بين تركيا وفرنسا فيما يخص سوريا. وقد عبر رئيس الوزراء عن اقتناعه التام من ان ذلك كله مبني على أساس التفاهم المتبادل في عدم تشجيع أية حركة تسير في اتجاه الوحدة بين سوريا والعراق.

٦ — العلاقات العراقية التركية منذ اتفاقية أنقره هي علاقات حسنة جداً، لذلك اميل الى الظن بأن رئيس الوزراء مغال في شكوكه، لكن الحكومة التركية كجارة صديقة قد أخفقت بكل تأكيد في تنفيذ التزاماتها فيما يخص البارزانيين الهاربين.

٧. أرسل نسخة من هذه المذكرة الى سفير جلالته في استنبول

F. H. Humphrys

من وزير الخارجية العراقي الى وزير الخارجية التركي

لا شك انكم تتذكرون انني ناقشت مع فخامتكم في اجتماعنا يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ آذار موضوع البارزانيين الذين التجأوا في العام الماضي الى داخل أراضي الجمهورية التركية، وكانت الحكومة العراقية قد طلبت تسليم الهاربين، لكن الحكومة التركية رفضت تسليم هؤلاء بحجة كونهم لاجئين سياسيين، وان الحكومة التركية تتولى مسؤولية مراقبتهم ومنع عودتهم الى موطنهم دون موافقة الحكومة العراقية. وعندما تشرفت بلقاء رجال الدولة التركية في أنقره عام ١٩٣٠ و عام ١٩٣١، قد يتذكر فخامتكم انني أطلعتكم على ما دار بيني وبينهم من مباحثات. وعندما عبر بعض وزراء الجمهورية التركية عن شكوكهم فيما يتعلق ببعض النشاطات المعينة والتي من شأنها تنشيط الحركة الكردية على طول حدود الدولتين (هنا يعني الوزير العراقي ثورة آارات وعلاقة بارزان بها) أوضحت للوزراء المعنيين بهذه المناسبة بأن موقف الحكومة العراقية لا عودة عنه ويتطابق تماماً مع موقف الجمهورية التركية، هذا الموقف يمنع نشوء أية بادرة لأية حركة كردية تهدد السلام والأمن في المناطق الحدودية. ومن ضمن المقترحات التي قدمت كان هناك مقترح يفضي الى قيام الحكومة العراقية بعمليات عسكرية لقمع جميع النشاطات غير القانونية والتي كانت بارزان مركزاً لها، وحيث استخدمها بعض الأكراد من مواطني الجمهورية التركية نقطة انطلاق لعملياتهم الخطرة على الأمن والسلام. لقد نفذت الحكومة العراقية جميع تعهداتها التي اعطتها للجمهورية التركية، وقامت الحكومة العراقية بشن عمليات عسكرية كان من نتائجها تقليص نفوذ العناصر الخارجة عن القانون

وأُسست إدارة مدنية متحضرة في المنطقة التي كانت تسودها الفوضى، وبعد ان قدمنا مالا يحصى من الضحايا في الأرواح والأموال نجحنا أخيراً وبشكل تام في توطيد الأمن في ربوع المنطقة المعنية وهرب شيخ بارزان مع مجموعة صغيرة من أنصاره طالباً اللجوء من سلطات الجمهورية التركية.

وفي الوقت الذي كانت الحكومة العراقية تأمل في توطيد السلام في هذه المقاطعات وعودة الهدوء الى نفوس محبي السلام من السكان على جانبي الحدود، بدأ البارزانيون الهاربون من وجه العدالة الى المناطق التركية المجاورة، بدأوا يجوبون مناطق الحدود العراقية جامعين حولهم رجال عصابات وعناصر خارجة عن القانون وبهذا أصبحوا يشكلون خطراً على أمن الحدود وقاموا بارتكاب أعمال منافية للقانون مما لا ينسجم مع ما اتفقت عليه الدولتان، وعندما أصبحت الأوضاع صعبة لا تطاق، طلبت هذه الوزارة من فخامتكم ، بالأخص في رسالتها الأخيرة رقم ٢٣٩٨ والمؤرخة في ٢٣ آذار ١٩٣٣ بالتدخل لدى حكومة الجمهورية التركية الموقرة، لاتخاذ إجراءات اساسية مشددة وعاجلة لوضع نهاية للأعمال اللاقانونية المتواصلة على الحدود، هذه الإجراءات تشمل التوقيف ونزع السلاح عن قطاع الطرق الرئيسيين وقد أشارت مذكرة الوزارة بوضوح الى أسماء هؤلاء، وأيضاً إزاحتهم من مناطق الحدود بحيث لايشكلون مصدر قلق للعراق.

اطلعنا على رد الحكومة التركية من خلال رسالة فخامتكم رقم ٨٤ والمؤرخة في ٢ آذار ١٩٣٣ وتتضمن:

١ — صدرت الأوامر بإبعاد الشيخ صديق، شقيق الشيخ أحمد البارزاني الى مكان بعيد عن الحدود.

٢ — اتخذت الإجراءات الضرورية فيما يخص مناطق الحدود وهذه الخطوات توحى بالاطمئنان التام.

اود في كل الأحوال ان أشير الى أن جواب فخامتكم الذي ورد ذكره في السطور السابقة لا يلي مطلب الحكومة العراقية والذي يتناول الموضوع بشكل دقيق في الفقرة ١ و ٢ من رسالة

الوزارة المرقمة ٢٣٩٨ حيث تعتبر حكومتي ان الإجراءات المطلوبة هي جوهرية لإقامة السلام في المناطق الحدودية للدولتين.

إنني متأكد ياسيادة الوزير من أن استمرار هذه العصابات المتمردة في تعكير صفو السلام والأمن سيؤدي الى إحداث المزيد من الضرر بمصالح الجانبين. وبما ان الحكومة العراقية ليست مستعدة لتحمل مسؤولية التطورات في المستقبل وما سينجم عن هذه الاعمال الالاقانونية واحتمال تحولها الى حركة تحمل صبغة | قومية (حركة ذات بعد قومي كردي) لذا ألتمس من فخامتكم التلطف في جلب اهتمام الحكومة المركزية الى هذه النقطة الهامة، آمل ان اتلقى من فخامتكم جواباً سريعاً ومرضياً وأنكم سوف تتخذون إجراءات مشددة لمعالجة هذه المشكلة.^{١٥٣}

التوقيع
وزير الخارجية العراقي

تفاهم الضغوط

أُطل شهر نيسان من عام ١٩٣٣ دون ظهور بادره تتم عن نية البارزانيين الاستسلام. وكان اهتمام الحكومة العراقية مركزاً على رصد أخبار البارزانيين وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الوضع الداخلي للبارزانيين:

«تشير الشائعات على ان محمد صديق يرغب في التفاهم، لكنه يخشى نتائج الاستسلام عليه، وقد أرسل كلمة شفوية يطلب فيها ضماناً من الحكومة البريطانية في الحفاظ على حياته عند استسلامه الى السلطات العراقية. (.....) التحقت حديثاً جماعة مؤلفه من عشرين شخصاً من اهالي قرية (سيلكي) - قرية في مزوري بالا بمحمد صديق في (كرانه) - قرية تعود الى قبيلة كهردى في كردستان تحت الهيمنة التركية — وعلمنا ان محمد صديق أمرهم بالعودة الى قريتهم معللاً انه ليس من الممكن توفير الطعام اللازم لهم وإن وجودهم في كرانه قد يكون له مردود سلبي على اتصالاته الجارية مع الحكومة العراقية. ويشاع ان ملا مصطفى هو من أشد المتصلبين ويشكل العقبة الرئيسية في طريق السلام. يبدو ان الاختلاف في وجهات النظر بين الأخوين يعود الى عدم اتفاقهما فيما يجب اتخاذه من خطوات في المستقبل. فمحمد صديق يميل الى الاستسلام بينما ملا مصطفى يجذب بذل مساع اخرى لإعادة إقامة النظام البارزاني بقوة السلاح. حاول محمد صديق الاتصال بالشيخ أحمد الذي كان لا يزال بعيداً في المنفى التركي لكن دون نجاح و من المحتمل ان يكون محمد صديق قلقاً بسبب عدم تمكنه من أخذ رأي شقيقه بشأن ما يجب عمله في المستقبل.»^{١٥٤}

«حسب الشائعات يتزود البارزانيون بالحبوب والشاي والسكر، من مصادر مختلفة من مناطق مزوري بالا وميرگه سور».^{١٥٥}

أن وجود شيخ بارزان بين أيدي الترك ووجود أعداد كبيرة من العوائل والأطفال في قرى متاخمة للحدود وخارج أية سلطة حكومية لم يستمر طويلاً، إذ كانت المساعي المشتركة للبريطانيين وحكومة بغداد نشطة في إنهاء تلك الحالة، وباقتراب فصل الربيع من نهايته أقدمت الحكومة التركية على خطوات عملية تجاوباً مع مطالبات الحكومة العراقية. وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية بهذا الصدد الى ما يلي:

«أفادت الأنباء أن السلطات المحلية التركية قد عرضت على محمد صديق وملا مصطفى محاصيل قرى منطقة گه ردي كمساعدات لهم ودعتهم الى المجيء الى (نيرى) لبحث موقفهم، لكن الزعماء البارزانيون المتشككون في نوايا الترك رفضوا الذهاب الى هناك. (...). ومن المعلوم انه اتخذت إجراءات لإرسال قوة عسكرية ضد محمد صديق وملا مصطفى حال ان يسمح الطقس باجراء العمليات».^{١٥٦}

إن تحشد معظم القوة البارزانية في محاذة الحدود كان بسبب فقدان الثقة بالسلطات التركية، إذ كانوا يخشون من القبض عليهم ونفيهم الى مجاهل الاناضول، لذا بقيت هذه القوة تراوح في مكانها تراقب التطورات من جانب البريطانيين والحكومة العراقية وكانت تقوم ببعض عمليات حرب العصابات ضد قوات الاحتلال في منطقته بارزان لإرغامها على التفاوض. كانت هذه فترة قلق كبيرة إذ كان هؤلاء يعيشون في مناطق لاتصل اليها سلطة أنقره ولا سلطة بغداد، لكن لم يكن ممكناً الاستمرار في تلك الحالة الى ما لانهاية.

وفي ١٨ نيسان سأل الملك فيصل المندوب السامي البريطاني ف. همفري عن أكثر الوسائل فعالية للحصول على تعاون الأتراك مع حكومته لمعالجة مسألة البارزانيين، فكان جواب المندوب السامي هو ان يكتب الملك رسالة شخصية الى مصطفى كمال باشا، ووعد الملك

¹⁵⁵ Ibid

¹⁵⁶ Ibid

ان يقوم بذلك.^{١٥٧}

بعد المواجهة مع ملك العراق فيصل، بادر المندوب السامي البريطاني ف. همفري إلى الكتابة إلى لندن في نفس اليوم يعبر فيها عن مخاوفه من تأزم الوضع من جديد في كردستان.

«سري بغداد. ١٨ مايس ١٩٣٣
من السير ف. همفري الى السير جون سيمون

سيدي،

إشارة لمذكرتي رقم ٢٢٠ والمؤرخة في ٦ ابريل/ نيسان الماضي، لي الشرف أن أحيطكم بمعلومات إضافية عن الوضع في منطقة بارزان.

٢ - خلال شهر نيسان/ابريل كان محمد صديق وملا مصطفى وأنصارهم لايزالون يعيشون في القرى التركية القريبة من الحدود العراقية الى جنوب سهل كؤفهندي، وبين حين وآخر كانوا يرسلون مفارزهم عبر الحدود للإغارة على القرى للحصول على الطعام والمؤونة، وتفيد الأخبار التي وصلتنا في وقت مبكر من هذا الشهر بوصول قوة تركية مؤلفة من مائة مسلح، لكنها لم تتخذ أية إجراءات ضد البارزانيين.

٣ - في وادي سيل الواقع الى اقصى الجنوب الشرقي من (جياي شيريني) كانت دورية شرطة تتقدم في الوادي في ١١ مايس/مايو واصطدمت بقوة بارزانية مؤلفة من ٥٠ مسلحاً وجرح اثنان الصدام اثنان من افراد الشرطة وقتل رسول مسلح. ارسلت تعزيزات من قوات البوليس من شيروان الى گه لى سيل) Geli Suli لكن هذه التعزيزات جاجت مقاومة من قوة بارزانية أخرى تحت إمرة ملا مصطفى وكانت الخسارة هي مقتل أحد ضباط الشرطة وإثنين من رجاله، ثم ارسلت قوات اخرى من بارزان وقد وصلت لنجدة القوة المشتبكة في (گه لى سيل) فأضطر البارزانيون الى الانسحاب باتجاه جبل شيرين.

٤ - واضح من التقارير التي وصلت بغداد ان ملا مصطفى ومحمد صديق وبرفقتهم عدد من الزعماء الآخرين، قد عبروا الحدود الى داخل العراق مع قوة مسلحة هامة، يتراوح عددها بين ٣٠ الى ٣٠٠ مسلح.

٥ — يبدو انهم يثبتون أنفسهم في معاقلهم الجبلية القديمة في جبل شيرين وأخشى أن يتعقد الوضع بحيث يصعب إزاحتهم.

٦ — إرتأت الحكومة العراقية في الوقت الحاضر مواجهة الأمر بقوات البوليس، لكن قوات من المشاة ارسلت من ميّركه سور وشيروان مازن لاحتلال مواقع بغية تفرغ قوات البوليس لملاحقة المتمردين بشكل فعال، كما هرعت قوات اخرى من الشرطة الى المنطقة المضطربة وصدرت أوامر للسلاح الجوي العراقي بأن يتأهب للقيام بواجبات الاستطلاع وان يتعاون مع قوات البوليس حالما تبدأ الأخيرة بالعمليات.

٧ — أخبرني نوري باشا (نوري السعيد) انه أبرق الى السفير العراقي في أنقرة يأمره بأن يذكر الحكومة التركية بنود المعاهدة وان يضغط عليها لكي تبدي مزيداً من التعاون الفعلي لغلق الحدود بوجه رجال القبائل المتمردين.

٨ — الجنرال راون روبنسون General Rown Robinson استطلع وضع القوات العراقية على الحدود الشمالية وعبر عن رأي ينم عن عدم كفاءة القوات العراقية كما ان قوات البوليس لم تدرب لخوض حرب جبلية منظمة ضد قبيلة معادية قوية. وعلمت ان قوة بوليس خاصة ستجند من بين الأكراد لاستخدامها في المستقبل في المخافر البعيدة.

٩ — سألني الملك فيصل هذا الصباح عن رأيي في وسيلة مؤثرة على الأتراك لجرهم الى التعاون معنا لمعالجة قضية المتمردين، وكان اقتراحي هو ان يكتب جلالته رسالة شخصية الى مصطفى كمال يشير فيها بإيجاز عن تأريخ العمليات التي جرت ضد شيخ بارزان وأنصاره، وان يذكر في رسالته انه قبل عامين عندما كان في زيارة الى أنقرة، قدم له مصطفى كمال طلباً خاصاً لاتخاذ إجراءات فعالة ضد شيخ أحمد البارزاني (إشارة الى تعاون بارزان مع ثورة آارات) وكانت فعاليات شيخ بارزان مصدر الكثير من القلق للجمهورية التركية. شعر جلالته

باطمئنان تام وان كل ما يجب عمله هو ان ينقل الى الغازي (مصطفى كمال) صورة عن الأوضاع القائمة بغية ضمان تعاون القلي لوضع البصمات الأخيرة على العمل الرائع الذي انجز في الصيف الماضي. وقد وعد الملك ان يكتب كما اقترحت عليه، وأشار الى انه سيوعز الى أخيه السفير العراقي في أنقره تسليم الرسالة بصورة شخصية.

١٠. أرسل نسخة من التقرير الى سفير جلالته في استنبول.^{١٥٨}

F. H. Humphry

الرسالة تكشف حرص المندوب السامي على إعطاء أفضل ما لديه من نصائح استعمارية لإخضاع الشعب الكردي وإهمال كل حق له، كما إنها تكشف عن طبيعة التعاون الثلاثي البريطاني العراقي التركي في إحكام السيطرة على كردستان.

وفيما يتعلق بالبارزانيين، يبدو ان عدة عوامل حالت دون الاستمرار في حرب العصابات داخل منطقة بارزان، منها:

- ١ — وصول قوات تركية الى مناطق الحدود للقيام بعمليات مشتركة مع القوات العراقية ضد القوات الكردية.
- ٢ . مارسست تركيا الضغوط على شيخ بارزان لدفع انصاره نحو التفاهم مع الحكومة العراقية.
- ٣ . الأوضاع الاقتصادية الصعبة للعوائل على الحدود.
- ٤ . وجود أعداد هائلة من قوات الاحتلال في مناطق بارزان.
- ٥ . قلة العتاد العسكري وانعدام مصادر تعوضه.
- ٦ . تعاون بعض من رؤساء العشائر مع سلطات الاحتلال كمرتزقة.
- ٧ — عدم ظهور عمليات مقاومة في أنحاء أخرى من كردستان الملحقه بالعراق، لتخفيف الضغط العسكري على أراضي بارزان.

٨ — العبء الذي شكلته مجموعات كبيرة من النساء والاطفال في متاهات الجبال وصعوبة حمايتهم وتغذيتهم.

ورغم العوامل السلبية فقد استمرت المصادمات حتى شهر حزيران من عام ١٩٣٣ كما تدل على ذلك البرقية السرية التالية:

«سري ٦ حزيران ١٩٣٣

من أوڭلڤي فوربس Ogilvie Forbes الى السير جون سيمون Sir John Simon

سيدي

إشارة الى مذكرة السير ف. همفري رقم ٣٠٧ والمؤرخة في ١٨ مايس/ مايو لي شرف اعلامكم بأن الاضطرابات لاتزال مستمرة في منطقة بارزان وتشن بين حين وآخر الهجمات على قوات البوليس العراقي التي لا تتمتع بالمعنويات العالية.

٢- حسب اعتقاد الجنرال راون روبنسن ان عدد القوات تحت إمرة ملا مصطفى وولي به گ تتراوح بين ٢٠٠ و ٦٠٠ مسلح، وهذا يعتمد على حجم الانجازات التي يحققونها. رغم تأخر الوقت كثيراً فإن الجنرال راون روبنسن نجح في الحصول على موافقة وزارة الدفاع العراقية للمضي قدماً في مخططة للقضاء على هذه الاضطرابات. ستتشكل حسب المخطط الراهن قوة باسم سورباز مؤلفة من ثلاث بتاليونات، البتاليون الرابع والخامس والسادس، ومزودة بأسلحة رشاشه ومجموعات اللاسلكي اضافة الى (السرب رقم واحد) من طائرات السلاح الجوي العراقي للقيام بمهام الاستطلاع والقصف. سيكون المقر الرئيسي لهذه القوة في ديانا، وحسب الخطة المقررة سيقوم كل فصيل رشاش بعد احتلال المواقع المهمة بإقامة شبكات متصلة تشمل مختلف مخافر البوليس وتقوم هذه القوة بعملية كماشة فتقترب من بعضها البعض حتى تغلق المنافذ أمام المتمردين، إضافة الى دعم السلاح الجوي العراقي فان هذه

الحاميات ستمكن من قتال المتمردين أينما وجدوا، ويعتبر الجنرال راون روبنسن ان التأهب التام من جانب الحكومة العراقية للعمل أمر في غاية الأهمية والأّ قد يؤدي العكس الى نجاح المتمردين في توسيع التمرد بحيث يشمل جميع شمال شرق المنطقة، خاصة اذا ما اخذنا في الاعتبار القابليات القتالية الضعيفة لقوات البوليس .

٣ . تنطبق الخريطة الدولية (١٠٠٠٠ : ١) على المنطقة التي تأثرت بالفوضى وبشكل تقريبي وهي المنطقة القريبة من الحدود التركية وتشمل جبل يهودى Yahudi Chia وروبارى زى Rubarî- Zai وروبارى برازگين Rubarî Barasgin وصلت احدى البتاليونات مّركه سور والثانية تحركت من ديانا باتجاه نفس المنطقة والثالثة موجودة في بلى قرب الزيبار.

٤ . ارسلت نسخة من هذه البرقية الى سفير جلالته في استنبول. ١٥٩

G. Ogilvie Forbes

من عادة الاستعمار الغربي في مسعاه لاحتلال أراضي الشعوب الاخرى ونهب ثرواتها، ان يصف كل من يقاوم خططه ويدافع عن نفسه بـ (إرهابي) و (متمرد) و (خارج على القانون) و (عصاة) و (نهابين) والغريب ان حكومات بغداد التي تربت في احضان البريطانيين استخدمت نفس هذه النعوت لإلصاقها بالمقاومة الكردية. قامت قوة سورباز بمهامها في المنطقة الثائرة، ويشير أحد الأرشيفات الى ما يلي:

«سري - بغداد ٣١ حزيران ١٩٣٣

اوگليڤي فوربس الى السير جون سيمون

سيدي

إشارة الى برقيتي رقم ٣٢٦ والمؤرخة في ٢٤ ميس، لي الشرف ان احيطكم علماً انه خلال الاسبوع المنصرم استمر زحف قوة (سورباز) على منطقة الاضطرابات، وأعلمني المفتش العام

للبوليس ان المتمردين الكورد انسحبوا مؤقتاً الى داخل الحدود التركية في سهل كُوفه ندى، وعلى أثر هذه الحملة العراقية التأديبية فقد بقيت سرية في شيروان مازن وفصيل في قرية ريزان وبتاليون ناقص سرية في بلي، وبعد ذلك عادت القوة الى ديانا وهي تتقرب تطورات أخرى في الوضع.

٢. أرسلت نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول. ١٦٠

G. Ogilvie Forbes

في هذا الوقت كان يجري حوار بين البارزانيين وصبحي به گ، مدير البوليس العام في شيروان مازن كما تشير الى ذلك البرقية التالية:

رّي - بغداد - ١٥ حزيران ١٩٣٣

من اوگليڤي فوربس الى السير جون سيمون

سيدي

إشارة الى برقيتي رقم ٣٤٢ والمؤرخة في ٣١ / ٥ / ١٩٣٣ لي شرف اعلامكم انه في بداية شهر حزيران أُلقت الطائرات بالمناشير على البارزانيين المتمردين وفيها تعلن الحكومة العراقية العفو عن جميع البارزانيين الذين يقدمون أنفسهم بصفة شخصية الى السلطات المحلية ويعودوا بمدوء الى منازلهم خلال عشرة ايام واشترط العفو ان يقيم الزعماء البارزانيين خارج أراضي بارزان.

٢ - تلقيت هذا الصباح تقريراً من نائب القنصل في ديانا يذكر فيها ان أخوي شيخ بارزان محمد صديق وملا مصطفى مع أحمد نادر وولي به گ يرافقهم ١٠٠ مسلح قد استسلموا الى مركز البوليس في شيروان مازن، ومن المحتمل ان يكون هذا التطور نتيجة التجاوب مع بنود

العفو. ويذكر انه في نية وزارة الداخلية تزويد المزارعين البارزانيين الموالين بمساعدة مالية قدرها ٣٠٠٠ دينار عراقي وفتح عدد من المستشفيات المجانية في عدد من الاماكن.
٣ - من المؤمل الآن ان تشهد المنطقة نهاية للاضطرابات.

G. Ogilvie Forbes

بعد مضي ثلاثة عشر يوماً عاد G. Ogilvie Forbes ليصحح ما ورد في برقيته السابقة، فأبرق الى السير جون سيمون:

«سري - بغداد ٢٨ حزيران ١٩٣٣

من اوغليفي فوريس الى السير جون سيمون

سيدي

ان الفقرة الثانية من التقرير رقم ٣٨٤ والمؤرخة في ١٦ / ٦ / ١٩٣٣ والمتعلقة بالهدوء في منطقة بارزان تبدو مغالية في التفاؤل.

٢ — أعلمتني وزارة الداخلية بعد وصول البرقية في ١٥ / ٦ / ١٩٣٣ من مدير البوليس العام في شيروان مازن، أن هناك تقارير أخرى تشير الى ان المتمردين لم يجردوا من السلاح، انما رفضوا الاستسلام.

٣ - لقد اتضح الآن ان الشيوخ المشار إليهم في برقيتي وبرفقة مائة مسلح من أنصارهم كانوا ضيوفاً لدى صبحي به گ مدير الشرطة العام، وقد أجروا محادثات في أطراف شيروان مازن. وفسرت وزارة الداخلية ذلك كاستسلام نهائي، لكن البرقية اللاحقة أوضحت أن سخاء صبحي به گ تضمن إرسال الطعام الى المتمردين وان المحادثات كانت جارية بين الطرفين لمعرفة الشروط التي يريد المتمردون الاتفاق عليها.

٤ — الاتفاق الذي توصل إليه أخيراً هو ان زعماء التمرد، عدى شيخ بارزان حيث تعالج قضيته على حده أقسموا مع أنصارهم قسم الولاء لملك العراق و ثم سمح لهم بالعودة الى قراهم مع الاحتفاظ بسلاحهم.

٥ . واضح انه عفي عن المتمردين بسهولة، والاعتبارات التي تبدو وراء هذا الاتفاق هي:

أ . الجوع الذي خيم نتيجة سيطرة البوليس على التموينات.

ب — وصول رسالة من شيخ بارزان من أسكي شهر ينصح أتباعه بقبول الاستسلام (من المحتمل ان يكون هذا نتيجة الضغوط التركية).

ت . توقع تقدم فوج تركي الى بيروخ.

٦ — وفيما يتعلق بالجانب العراقي فيبدو أنهم سعداء جداً لوقف حرب الأنصار الجبلية، خاصة ان قواتهم العسكرية وقوات البوليس هي من ذلك النوع الذي يفضل التقهقر على التقدم نحو نيران البنادق. وايضاً تفضل الحكومة العراقية بسبب الأزمة الأثرية الراهنة سحب قواتها أكثر نحو الداخل.

٧ — لايزال وضع شيخ بارزان غير واضح، وفيما يخص عودته من تركيا الى العراق فذلك ايضاً غير واضح.

٨ . نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول.¹⁶¹

G. Ogilvie – Forbes

بعد التفاهم في شيروان مازن بوقت قصير، أعادت الحكومة التركية شيخ بارزان وسلمته الى السلطات العراقية بشرط الابقاء على حياته وقد اعتقلته السلطات العراقية في الموصل.

لا بد ان عبارات الاستياء التي وردت في البرقية السالفة قد استرعت انتباه القارئ فبريطانيا كدولة امبريالية كان هدفها ديمومة تسلطها، ولم تكن راضية عن التفاهم الذي حصل في شيروان مازن بين الحكومة العراقية والبارزانيين. فعبارة (عفي عن المتمردين بسهولة) الواردة في

البرقية، تشير الى رغبة سلطات الاحتلال البريطانية في استخدام العنف ضد البارزانيين، وكأن ما حصل من دمار وقتل وهجرة لم يكن كافياً. والعبارات التي تشير الى الجيش العراقي وتصفه بـ (يفضل التفهقر على التقدم نحو نيران البنادق) تعكس استياء البريطانيين فقد كان من صلب سياساتهم ديمومة العداء بين الشعوب ليتسنى لهم تحكيم قبضتهم على الاوطان المستعمرة.

كان من بين مناصري بارزان الذين التجأوا الى تركيا اثني عشر من أهالي عقره، ضمنهم مصطفى عبد الله وملا عقراوي وشريف عقراوي. وعندما سلموا أنفسهم مع البارزانيين في شيروان، رحبت بهم الحكومة ونقلتهم الى بلي، وهناك بدأت تتغير معاملة الحكومة لهم. فقامت قوات الشرطة بجمعهم وإرغامهم على إزاحة العمامة الحمراء وصب الزيت عليها وحرقتها وأصبح ارتداء العمامة الحمراء ممنوعاً. وتعرضوا إلى السجن والمنفى عقاباً لمناصرتهم بارزان.

ان المقاومة التي أبداها أكراد بارزان تعتبر دفاعاً عن أرض الآباء والأجداد وحفظاً لنظام الطريقة الذي أقاموه هم أنفسهم وحيث في ظله شعر السكان بالأمان والمساواة والوحدة، وليس هناك مجال للمقارنة بين نظامهم والنظام البوليسي الفاسد الذي أقامته الحكومة العراقية والبريطانيون وفرضه بالقوة. وهذه المقاومة العنيدة تعكس رفض الخضوع لأي حكم أجنبي. أما من جانب السلطات العراقية والبريطانية فقد مثلت هذه العمليات العسكرية الواسعة الصفحة الأخيرة من عملية الاحتلال المشتركة، لإكمال بسط نفوذ حكومات بغداد في هذه الاصقاع النائرة من كردستان. وتم حذف الاسم التاريخي «كردستان» لكي يصبح «شمال العراق». والجدير بالذكر ان هذا الاحتلال بقي مؤقتاً ولم يدم كما سنرى.

حين ظلت عوائلهم في كردستان. سببت هذه الخديعة سخطاً شعبياً ضد الحكومة، انعكس فيما بعد على مجرى الاحداث.

كانت مراكز البوليس مثل مير R هـ سور، شاندر، ريزان، بلي، بارزان، سيلكي، زيت، شيروان، خيرزوكا.... الخ، مليئة برجال البوليس المسلحين وكان المركز مطلق الصلاحية في التعامل مع السكان وعليهم ابداء الطاعة التامة لحكم ممقوت وان يقدموا أنفسهم لأداء الخدمة العسكرية.

من القادة الذين نجوا من منفى الحكومة العراقية (ولى بگ سعيد شيرواني) و (أحمد نادر) وقد قضى القائدان فصلي الخريف والشتاء في قرية ريزان. وبقي القائد (خليل خوشفي) مختفياً في متاهات جبال المنطقة مع عدد قليل من الانصار، لكن احداً لم يقم بأية عملية ضد قوات الحكومة او مخافر البوليس.

ولمعرفة ماحصل خلال هذه الفترة التي شهدت فيها المنطقة احتلالاً تاماً — هو الإحتلال الثالث بعد إحتلالين تركيين في بداية القرن — نسرد مارواه لنا شاهد عيان، عاش الاحداث شخصياً هو (حسين خال ملا بابكه ي) وصوته مسجل على شريطين. هذه الاحداث تدور حول إستمرار المقاومة البارزانية ضد الاحتلال وفي غياب اي إشترك فعلي من العائلة البارزانية القيادية والتي كانت تعيش في المنفى وتحت الاقامة الجبرية في جنوب العراق. قاد هذه المقاومة العنيدة عدد من القادة وكوادر الطريقة وممن كانوا حريصين على رفض قبول الظلم مهما كلف الثمن. وقد أصبح هؤلاء أبطالاً رفيعي القدر لدى جميع البارزانيين الى حدّ التقديس. قاد المقاومة خليل خوْشه قى وأحمد نادر اذ كان الاول مستثنى من العفو الحكومي والثاني مرتاباً في نوايا السلطات العراقية. يقول حسين خال ملا:

«جاء صيف عام ١٩٣٤، وكنا نخشى تحركات القوات الحكومية في المنطقة، لذا غادر ولى به گ وأحمد نادر قرية ريزان الى منتجع (كانيا كيريشكى) البعيد نوعاً ما عن مسالك مرور

قوات البوليس والقوات العسكرية وذلك لتفادي الاحتكاك بهم. وفي نهاية الصيف عاد (ولى به گ) الى ريزان في حين انفصل عنه (أحمد نادر) الذي اختار قرية (كانيا ديڤرى) وهي قرية حصينة متوارية في أخاديد الجبل المطل على وادي (گه لى سوران).

وبقي (خليل خوشه قى) متوارياً في متاهات المنطقة وتفادى كل ما أمكن الالتقاء بدوريات الاحتلال التي كانت تجوب القرى لفرض هيبة الحكومة، ولم يتعرض لأية قوة حكومية وقضى ردحاً من الزمن على هذه الحالة.

في شهر شباط من عام ١٩٣٤، كان خليل خوشه قى في قرية (ببانا) الواقعه شمال بارزان. ويظهر انّ مخبرين اعلّموا الحكومة بمكان وجوده، فسأقت قوة من البوليس الى القرية لتطويقها بهدف قتله او أسره. فوجئ (خليل خوشه قى) بالتطويق والانذار، فرفض الاستسلام ودافع عن نفسه وعلى أثر الاشتباك لقي اثنان من رجال البوليس مصرعهما وتمكن (خليل خوشه قى) من الافلات.

تشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الوضع في كردستان فتقول: «في بداية عام ١٩٣٤ كان الوضع في شمال العراق يبعث على الرضى». «.....» «لا يزال السلم الناجم عن عمليات عام ١٩٣٢ سائداً في منطقة بارزان. تلبد الجو قليلاً في شهر شباط عندما قتل خليل خوشه قى إثنين من رجال البوليس في قرية (ببانا) الى الشمال من بارزان. خليل خوشه قى هو زعيم قبيلة مزورى بالا المستثنى من العفو العام.»

رغم التدابير التي إتخذتها الحكومة العراقية فقد ازدادت نشاطات خليل خوشه قى خلال العام، مستخدماً منطقة الكهرديين الواقعة في كردستان تركيا كمقر له، ومن هناك وكما يريد كان يهاجم رجال البوليس وموظفي الحكومة ومختاري القرى.

وفي وقت مبكر من العام إستدعت الحكومة شيخ بارزان مع إخوته ملا مصطفى ومحمد صديق بهدف جرهم الى التعاون مع الحكومة لالقاء القبض على خليل خوشه قى، ورغم إعلانهم عن استعدادهم للتعاون الا ان الشك كان يساور الحكومة في انهم في الواقع يشجعون

خليل خوْشه قى ولهذا السبب نقلتهم الحكومة في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٤ من الموصل الى الناصرية.^{١٦٣}

لم يكن ممكناً بالنسبة لعدد من البارزانيين تحمل حكم الاحتلال البوليسي للمنطقة، ففي وقت مبكر من صيف عام ١٩٣٤ قرر أحمد نادر الاختفاء مع عدد من الرجال المقربين اليه مثل (وس فق آره ب، ملا على ژاژوكى، أحمد حدويا، وحسين مينو) فغادروا منطقة بارزان مع عوائلهم نحو الحدود التركية. ويضيف حسين خال ملا: «كان هناك اتفاق مع شيخ بارزان على الاستمرار في شن حرب العصابات في المنطقة الى ان يلتحق بهم إما محمد صديق أو ملا مصطفى.»

كرد فعل للاحتلال تشكلت قوتان، الاولى بقيادة خليل خوْشه قى والثانية تحت قيادة أحمد نادر الشيرواني . ومع إزدياد النعمة الشعبية إزداد عدد الملتحقين بهذين القائدين.

وكما هي عادة سلطات الاحتلال فقد سعت الى تجنيد البعض من ذوي النفوس الضعيفة للقيام بأعمال التجسس على السكان مما ادى الى حصول أعمال الضرب والاهانة والتعذيب ضد السكان الابرياء بحجة إطعامهم رجال المقاومة. لهذا السبب اختارت القوة الكردية ضرب هذه الفئة المتعاونة مع الحكومة، وهم من مختاري بعض القرى اذ كان في غاية الاهمية بالنسبة للمقاومة الكردية محاربة أي شكل من أشكال التعاون مع الإدارة المحتلة. ويمضي حسين خال ملا فيقول بهذا الصدد:

«كنا حوالي (٣٠) مقاتلاً تحت قيادة (أحمد نادر) و (سليم خوْشه قى) و (ملكو ژاژوكي) فأخترنا القضاء على (ملا عبدالله) الجاسوس الحكومي وقضينا عليه، ثم اخترنا عدداً آخر من المتعاونين مع الحكومة العراقية من بينهم (قاضي بيران).»

وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الحادث المذكور:

«في ١١ ديسمبر ١٩٣٤ قام ملكو ژاژوكي ومعه أنصار خليل خوْشه قى بقتل مختار قرية (بنى بيا) وفي اليوم نفسه قتلوا ثلاثة من الجنود العرب بين مَيرَگه سور وکانيا لنجا وبعدها

هاجموا قرية ماويليا قرب قرية بني بيا وقتلوا أحد أفراد القرية بينما جرح آخر. وبلغ عدد المختارين الذين قتلهم أنصار خليل خوْشه قى حتى اليوم خمسة، ويبدو انه مستمر في خطته في القضاء على مختاري القرى في منطقة بارزان، وهؤلاء من الذين عينتهم الحكومة العراقية أو انهم متعاونون معها بهدف كشف أماكن تواجد أنصار خليل خوْشه قى.^{١٦٤}

فيما يتعلق بعدد قوات المقاومة فقد بلغ حوالي الثمانين رجلاً بعد التجاء أحمد نادر الى الجبال^{١٦٥} أعربت السلطات التركية عن استعدادها للتعاون مع القوات العراقية ضد المقاومة الكردية اذ ان جميع الاجراءات العسكرية التي اتخذتها حكومة بغداد لم تحقق نصراً، لا في القبض علي خليل خوْشه قى ولا في تقليص عملياته.^{١٦٦} ولهذا كان تعاون تركيا موضع ترحيب من الحكومة العراقية.

ما ان أشرف عام ١٩٣٤ حتى تفاقمت الخطورة في المنطقة ولم يعد من مفر الا القيام بعمليات عسكرية واسعة حالمًا يسمح الطقس بذلك وان تلجأ الحكومة الى اتباع اسلوب الاسترضاء والرشوة.^{١٦٧}

رغم الاحتلال العسكري لمنطقة بارزان ونفي الاغلبية من الزعماء البارزانيين الى جنوب العراق، بقيت المنطقة في حالة غليان وقام البارزانيون باعادة تنظيم أنفسهم لشن عمليات حرب العصابات رغم الظروف السياسية والاقتصادية البالغة الصعوبة. فلم يكن قد تشكل بعد تنظيم سياسي كردي يتبنى هذه المقاومة ويقوم بالدعاية لها ويعبئ الرأي العام الكردي ورائها، لهذا لم يكن متوقعاً توسع رقعة الثورة لتشمل أجزاء اخرى من كردستان.

كانت السلطات البريطانية والعراقية على دراية تامة بأن شعباً مستعبداً لابد ان يثور على الاستعباد ولابد من ظهور قيادة بين صفوفه لتوجيه عملية النضال التحررية. وينعكس هذا

¹⁶⁴ F. O. 371 18949 027970

¹⁶⁵ F. O. 371 18949 027970

¹⁶⁶ F. O. 371 18949 027970

¹⁶⁷ F. O. 371 18949 027970

القلق بوضوح في برقية السير همفري الى السير جون سيمون، حيث يعبر عن قلقه من ان يحتل خليل خۆشه‌قى مركز الزعيم القومي للشعب الكردي. وهذا نص البرقية:

«سري. بغداد . ٩ كانون الثاني ١٩٣٥ .

من السير F. Humphrys الى السير John Simon

سيدي.

اشارة الى برقيتي رقم ٦٢٩ المؤرخة في ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر الاخير، لي شرف اعلامكم بأن خليل خۆشه‌قى وانصاره مستمرين في ارتكاب اعمال وحشية في منطقة بارزان.

٢ — خلال شهر نوفمبر وبداية شهر ديسمبر انطلقت القوة من الاراضي التركية فقتلت خمسة من المختارين وهاجمت عدداً من القرى مما ادى الى اصابة السكان ببعض الاضرار.

٣ — تفيد التقارير ان عصابته مؤلفة من ٧٠ الى ٨٠ مقاتلاً وهم مسلحون تسليحاً جيداً ، كلهم يتمتعون بنفس المزايا السيئة ويعرفون معرفة صميمية تضاريس المنطقة الشديدة الوعورة حيث تنشط فيها عملياتهم. يظهر ان قاعدتهم الرئيسية تقع في ضواحي بيروخ وهي قرية تقع في واد صغير داخل الحدود التركية، الى الجنوب من هضبة گوڤه‌ندى.

٤ . زار حديثاً قائد البوليس في الموصل المدير التركي، والأخير مسؤول عن المقاطعة التي تقع ضمنها بيروخ، وكانت مساعيه تهدف الى ضمان تعاون القوات التركية لمواجهة خليل خۆشه‌قى. ولم تثمر هذه المهمة لأن المدير التركي أعلن عجزه عن القيام بأي عمل ضد خۆشه‌قى لأن الاخير يتلقي تأييداً من قبيلة گه‌ردى القوية.

٥ — بعد الاجتماع الذي عقد في أربيل في وسط شهر ديسمبر/كانون الثاني والذي حضره كل من مدير الشرطة العام وعدد من المتصرفين وقادة البوليس من الموصل واربيل، تقرر إعادة النظر في الاجراءات التي اتخذت بشأن مكافحة خليل خۆشه‌قى، وارسلت تعزيزات اخرى من راوندوز الى اربيل.

٦ - هذه الاجراءات الجديدة كما يبدو لم تعط ثماراً، اذ أشار نائب قنصل جلالته في تقاريره من ديانا ان خليل خَوْشه في ٢٠ ديسمبر/ كانون الثاني ١٩٣٤ مع بعض أفراد عصابته مجموعة من العمال العائدين الى دائرة الاشغال العامة التي كانت تعمل في طريق ميّركه سور قرب شيتانا، على بعد ٨ أميال فقط عن القنصلية في ديانا ويمثل هذا الخط الحد الاقصى جنوباً الذي تمكن خليل خَوْشه في من الوصول اليه.

٧ — وحتى هذا اليوم لم يتبوأ خليل خَوْشه في دور الزعيم القومي الكردي، ولا يتعدى ان يكون انساناً يعمل لمصلحته الشخصية، ولكن رغم هذا، فان أعمال قطع الطرق اللانسانية وبالجم الذي تنشط فيه عصابته حالياً، هي تهديد جدي للسلم في الشمال الشرقي للمناطق الكردية. واثناء لقائي القادم مع الملك سأعرض عليه القضية لكي يوليها إهتماماً خاصاً.

٨ - أبعث نسخه من البرقية الى سفراء جلالته في أنقره وطهران.»

F. H. Humphrys

كان من المفروض ان ينضم (ولي بگ) الى المقاومة، لكنه في النهاية غير رأيه بسبب عملية قتل مختاري القرى دون إستشارته خلافاً لما كان متفقاً عليه. والواقع كان لعدم إنضمام (ولي به گ) للمقاومة أثراً كبيراً في عدم تنامي عدد الملتحقين بالمقاومة. فقد كان شخصية ذات نفوذ كبير في المنطقة.

بقي ولي به گ في قرية ريزان، وكانت السلطات العراقية على إتصال به، وتنوي من خلاله التأثير على مجرى المقاومة. وكانت تسعى الى إستخدامه في خطة إقناع رجال المقاومة بإنهاء القتال.

حصلت حادثة ذات مدلول، تتم عن رفض القيم البارزانية لكل مايمس سلوك الاغوات. فقد أوصى أحمد نادر حسين خال ملا، ان يلتقي بولي به گ وان يراقبه بدقة متناهية، كيف يجلس ؟ وكيف يتكلم ؟ وكيف يدخن سيكارتة ؟ وهل من جراء الاختلاط بالشرطة العراقية تغيرت عاداته وسلوكه.

وفعلاً التقى حسين خال ملا ليلاً وبسرية مع رفاق له في مقبرة (بيرسال) بولي به گ وكان مأخذه على ولي به گ، ان الاخير عندما كانت النار مشتعلة امامه، لم يشعل سيكارتته بجمرات النار، انما اخرج علبة الشخاط وأشعل سيكارتته بنارها، واعتبر هذا من سلوك الاغوات. لم يقبل ولي به گ الانضمام الى الثوار، ونصحهم بالعودة وتسليم أنفسهم الى السلطات الحكومية وانه سيضمن سلامتهم، وقال ولي به گ: من الافضل ان يعود الجميع عدى خليل خوْشه قى وصالح عزيز. ويذكر حسين خال ملال حول هذا اللقاء السري فيقول: «لم يقتنع أحد أثناء الاجتماع بأقوال ولي به گ، ولكن بعد إنتهاء هذا اللقاء بأيام، إستسلم القائد ملكو ژارژووكي الى السلطات العراقية، في حين رفضت مجموعته المسلحة ذلك، فالتحق بعضهم بخليل خوْشه قى في (كه ليت) وانضم عدد آخر الى القائد أحمد نادر في سه ري سلو.»

اقتنعت الحكومة العراقية بصعوبة القضاء على هذه المقاومة الكردية والتي تتمتع بميزة الكر والفر ويصعب رصدها، لذلك وبإيعاز من الخبراء البريطانيين ان قامت بجر الأغوات من المناطق المجاورة ومنحهم بعض الامتيازات لكي يقوموا بما عجزت عنه قوات الحكومة النظامية. وتشير الارشيفات البريطانية بهذا الصدد:

«.....ان قرار تجنيد عدد من العشائر كقوات بوليس غير نظامية تعتبر الخطوة الاولى في اتجاه إعادة النفوذ الى الأغوات فيضعمهم في موقع يستطيعون فرض أنفسهم على الحكومة. ولا شك ان إحراج الحكومة شيء مرغوب فيه ليس فقط لدى شيخ بارزان وانما لدى عدد من الزعماء الكرد. وطبعي ان الأغوات الكرد يعادون الحكم العربي، اذ ان اي توسيع للإدارة الحكومية يؤدي الى تقليص نفوذ هؤلاء الأغوات، ولذا فان اعتراف الحكومة بجزءها عن السيطرة على المنطقة دون تعاون رجال الأغوات المسلحين، سيكون موضع ترحيب الأغوات كما سيكون له صدى كبير في اماكن اخرى من كردستان.»^{١٦٨}

تزامنت الاجراءات الداخلية العسكرية للحكومة بتحرك ديبلوماسي باتجاه أنقره، وفعلاً في شهر آذار/ مارس ١٩٣٥ وصلت قوة تركية الى الحدود بالقرب من بيروخ والقت القبض على جميع زعماء الكهريدين كما أرغمت فصائل المقاومة الكردية على العبور الى جنوب الخط الحدودي، وهناك كانت القوات العراقية متأهبة للتصدي لهم، وحسب قول السير Archibald Clark Kerr فان قوات البوليس المحتشدة في المنطقة البارزانية كافية لمواجهة خليل خوشهفي، شريطة ان لا تقلل الحكومة العراقية من عدد قواتها بسبب المصاعب التي نشأت في منطقة الفرات.^{١٦٩}

لقد نجم عن الحصار العسكري والاقتصادي التركي — العراقي مصاعب لم يكن في قدرة الفصائل الكردية تذليلها، وبتقادم الزمن تضاعفت أزمة الطعام والمؤونة، وبهذا الصدد يذكر حسين خال ملا ما يلي:

« كنا في حالة حل وترحال متواصل، وكان الجوع يقرص أحشائنا، حاولت احدى مفارزنا الذهاب الى أوساط السورجيين للتزود بالطعام، لكن الخيبة كانت كبيرة، اذ لم تتمكن من اقناع الاهالي بتزويدنا بالطعام حتى ولو بصورة شخصية، ناهيك عن طلب الغذاء لعوائلنا واطفالنا. واثناء العودة هاجمنا بعض المرتزقة من اغوات الزبيار وأفلتنا بصعوبة، اذ يصعب القتال مع الجوع، ووصلنا الى جبال بارزان وكنا في حالة يرثى لها، فأرسلنا عانت من ألم شديد وقد أدمتها الجروح، وأخذتنا كانت بالية، ولم نعد نطيق السير طويلاً. وفي جبال كردستان الشمالية كنا نلجأ الى الاعشاب البرية لتهذئة الجوع اذ كانت القوات التركية قد احتلت معظم قرى الكهريدين فحرمتنا من التزود بالطعام وكانت تطاردنا ليل نهار. كانت المشكلة الرئيسية هي مشكلة إطعام النساء والاطفال المتواجدين في المواقع العاصية والوعرة والمعزولة في الجبال.»

كانت الحكومة العراقية قد تبنت إجراءات اقتصادية خانقة وصارمة (سياسة التجويع) وتتلخص بالنقاط التالية:

١. تخلية القرى كلية من سكانها وارغامهم على التجمع في قرية تعينها الحكومة، فعلى سبيل المثال اخليت قرى هوستان، بيان، هه سنه كا وريشه وجمعوا السكان في قرية بارزان، كما أصبحت مئركه سور وبيرسیاف وبيران وخيرزوكا وبازی وغيرها مراكز تجمع اجباري لأهالي القرى المحيطة. وشملت سياسة التجويع كافة مناطق بارزان. الجدير بالذكر ان نظام صدام حسين عاد الى تطبيق نفس هذه السياسة على نطاق واسع شمل كردستان برمتها وذلك بعد انخيار الثورة الكردية عام ١٩٧٥، فأوجد مجتمعات سكنية عديدة، لإسكان أهالي القرى التي شملها التهجير، وكانت هذه المجمعات تحت الاشراف المباشر للجيش العراقي.

٢. منع مغادرة أي فرد من قرية الى اخرى دون موافقة الادارة الحكومية.

٣ — كان البوليس العراقي يقوم في كل صباح باكر بعد رؤوس قطعان الغنم والمواشي قبل انطلاقها الى المراعي، ثم يكرر العد عند عودة القطعان بهدف التأكد من ان فصائل المقاومة لم تأخذ طعاماً من الرعاة.

٤ — كان البوليس يراقب المزارعين وهم يكدحون في حقولهم، ولم يكن الطعام المسموح به لكل فلاح يتجاوز وجبة واحدة عندما يذهب الى حقله، وبهذا لا يتمكن المزارع من إطعام افراد فصائل المقاومة.

٥ — عندما حل الصيف ونضجت الفاكهة استدعت سلطات الاحتلال مجموعات غفيرة من الناس من القرى وأمرتهم بتسلق الأشجار وقطف كافة الثمار وبهذا تعمقت سياسة التجويع. كان اغوات العشائر المجاورون متعاونين مع هذه الإجراءات.

مع الحكومة العراقية في مساعيها هذه، ولم يكن ممكناً بالنسبة لفصائل المقاومة التزود بالطعام خارج مناطق بارزان.

٦ — من الناحية السياسية، كان لهذه الاجراءات أثر كبير في الحيلولة دون الاتصال بين

فصائل المقاومة وسكان القرى.^{١٧٠}

ليس من شك ان الحالة الاقتصادية الخائفة لم تبق امام فصائل المقاومة خياراً آخرًا غير استخدام العنف في بعض الاحيان للتزود بالطعام. وعلاوة على ذلك أمرت الحكومة العراقية جميع العشائر المحيطة ببارزان بعد تسليحهم بالتهيو للقضاء على فصائل المقاومة.

يشرح حسين خال ملا الوضع آنذاك كما يلي:

«كنا جميعاً في حالة تجوال مستمرة. وفي كردستان الشمالية أمرني القائد أحمد نادر ان اذهب بحثاً عن الطعام للعوائل والاطفال الجائعين، فغادرت مع مجموعة من الرفاق، وبعد فترة من السير باتجاه (كه ليت) قصدت نبع ماء لأروي عطشي، وفجأة تناهى الى سمعي صوت آت من قريب، فاستدرت باتجاه الصوت لأرى مصدره، ولدهشتي، كانت قوة تركية تسير باتجاه نفس نبع الماء، وعلى سفح الجبل كانت قوة تركية ثانية تتعقبنا وكانت هي الاخرى نازلة الى الوادي. أسرعنا الخطى الى موقع مشجر، وبعد برهة قصيرة حل الجنود الترك على نفس نبع الماء. فعدت أدراجي وبعد سير قصير سمعت بكاء الاطفال وهم يتقدمون باتجاه القوة التركية. كان القائدان (أحمد نادر و خليل خوْشه قى) برفقة العوائل، ولحسن الحظ التقيت بهم في الوقت المناسب وحذرتهم على الفور من تواجد الجنود الترك الذين كانوا يتعقبوننا، إضافة الى قوة تركية اخرى في (كه ليت). غيرنا اتجاهنا على عجل وابتعدنا عن موقع تواجد القوات التركية.

جمعنا العوائل في واد صغير تغطيه أوراق وفروع اشجار البلوط الكثيفة، وانتشرنا نحن الرجال لاحتلال مواقع دفاعية توقعاً لهجوم تركي وشيك. وبحذر شديد تمكنا بعدئذ من الابتعاد عن المكان وقررنا الذهاب الى جبل (زول) يمثل هذا الجبل خطاً حدودياً فرضته اللجنة الدولية لتقصي نزاع ولاية الموصل. وهو صقع صخري هائل شديد الوعورة والمسالك التي تؤدي الى قمته المسطحة محدودة، إنه صعب المرتقى وبإمكان عدد قليل من الحراس حمايته بسهولة نظراً لهيمنة المواقع على الجهات الاربع.

النفير العام عمليات مطاردة مشتركة: بغداد - أنقره

كانت معظم العوائل في كردستان الشمال — تركيا — هي الاخرى في حالة تَجَوال وتنقل متواصل، وفي الليالي الممطرة، كانت الامهات تحملن أطفالهن وتواصلن السير بحثاً عن موقع أكثر أماناً أو هرباً من دوريات الجنود الترك أو العراقيين. ويقول حسين خال ملا: "كنا ننحرف عن المسالك الجبلية سواء أثناء الصعود أو الهبوط في ليال حالكة الظلمة وتحت وابل غزير من الأمطار، وفي كثير من الاحيان كان البرق الخاطف يهدينا من جديد الى المسار الصحيح.

كنا ثلاثة مسلحين غادرنا نحو (Kelet)، اذ علمنا بوجود عدة منازل هناك غير محتلة من قبل القوات التركية، وبسرية تامة دخلنا المنازل وطلبنا من سكانها الطعام، فزودونا به وعدنا ادراجنا نحو عوائلنا. وبعد ان تناول كل فرد حصته من الطعام، حملت الامهات اطفالهن ومشينا ووجهتنا جبل (Jul). هذا القرار كان نتيجة مباشرة لاحتلال القوات التركية كافة قرى الكهرديين ومطاردتها المستمرة لنا. وفي الجانب الآخر كانت القوات العراقية تترصدنا ولم يكن هناك من أمل في الحصول على الطعام. كان الوقت لايزال ربيعاً من عام ١٩٣٥. فصعدنا الجبل وحطينا الرحال، وأخترنا بعض المواقع للاستيطان، كما إخترنا مواقع الحراسة وحددنا الادوار ومهام الاستطلاع واخراج المفارز لمراقبة تحركات القوات التركية والعراقية. كان الجنود الترك في (بيسكا) وفي (Kelet) منتشرين في عدد من المعسكرات، وكان هدفهم الرئيسي ملاحقتنا.

في أحد الايام، عند الغروب وبعد مراقبة تحركات القوات التركية عدت الى جبل (Jul) ولحسن الحظ وجدت (وهس فهقارهب) قد عاد لتوه مع مفرزته من رحلة طويلة بحثاً عن الطعام في Begarte وقد جلب معه عدداً من الاغنام والماشية وابتهج الجميع بذلك. في هذا الجبل كان هناك عدد من القادة، مثل أحمد نادر وعبد الله كلكه موى، وهس فهقارهب.

في هذا الوقت كان خليل خوشفي مع فصيله بعيداً عن الجبل.^{١٧١}

زاد تحشد القوات العراقية، اذ انضمت في شهر نيسان ١٩٣٥ كتيبتا الحدود الاولى والثالثة الى قوة الشرطة المتحركة والتي كانت تتعقب الفصائل الكردية باستمرار. يشير السير. أ. كلارك Sir A. Clark – Kerr في احدى برقيات المؤرخة في ٢٣ نيسان الى الوضع كما يلي:

«...وقع صدام بين قوات البوليس المتحركة و خليل خوشهفي في بداية شهر نيسان في المنطقه الواقعة الى الشمال من نهر روكوجك ويقال ان ٦ من المتمردين قتلوا وقبض على جريح بينما وقع قتيل واحد من قوات البوليس. وفي الجانب التركي تستمر السلطات في التعاون وقد سلمت الى قوات البوليس العراقي ستة عوائل تابعة لأنصار خليل خوشهفي. ان العصابات في حركة مستمرة ويتغير تركيب هذه المجموعات كثيراً ولذا فمن الصعب جداً إعطاء وصف صحيح لتنظيمهم....»^{١٧٢}

ولتفكيك هذه الفصائل أصدرت الحكومة العراقية عفواً مدروساً يشمل الجميع. لكن توقعات السفارة البريطانية في تجاوب خليل خوشفي كانت غير مشجعة، وتقول برقية بعثتها السفارة البريطانية في بغداد الى لندن مؤرخة في ١٦ مايس:

^{١٧١}. لقاء مع حسين خال ملا ربيع عام ١٩٧٦ وهو من اللذين اشتركوا في هذه العمليات وشهادته الصوتية مسجلة على شريط.

«تفيد التقارير ان خليل خوشه‌في عبر من جديد الى داخل الحدود التركية وقد يتردد في قبول شروط العفو.... لكن من المحتمل ان يقبل عدد من أنصاره الذين لم يرتكبوا جرائم سوى حمل السلاح بشروط العفو التي قدمت لهم». ^{١٧٣}

لم يثمر العفو نتائجه المرغوبة فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية في شهر آب في منطقة بارزان وشيروان حيث كانت تجري عمليات عسكرية واسعة. إستهدفت الحكومة من ورائها توجيه ضربة حاسمة الى فصائل المقاومة قبل حلول الشتاء خاصة ان قوه خيالة تركية وصلت Mengore لمساعدة القوات العراقية^{١٧٤} وقام رئيس أركان الجيش العراقي طه باشا (الهاشمي) بزيارة لمنطقة العمليات.

فيما يتعلق بفصيل المقاومة الذي إتخذ جبل Jul مركزا له، يقول حسين خال ملا:

«كان عددنا يربو على المائة شخص، ضمنهم النساء والاطفال، ذهبنا الى أحمد نادر وحذرته من مغبة البقاء في الجبل أكثر من هذا اذ كنا على دراية بتحركات القوات التركية والعراقية، فالأولى كانت تطوق الجبل من جهة الشمال بينما تطوقه الثانية من الجنوب. توقعنا حصول كارثة، وقلت ان من المحتمل ان ينشأ وضع يتعذر فيه علينا حتى انقاذ عوائلنا، فليس لدينا طعام ولاعتاد، والطلقات محدودة، كما ان الحكومتين تدفعان الرشاوى للبعض لكي يقوموا بأعمال التجسس لكشف مخابنا وثم مهاجمتنا. في النهاية قبل القائد أحمد نادر مغادرة الجبل، لكنه أضاف: «سنترك هذا الموقع بعد بضعة ايام.

في صباح مبكر كانت الشمس قد أطلت بنورها على قمم الجبال الشاهقة، ويبدو ان الجنود الترك كانوا قد تسلقوا الجبل خلصة أثناء الليل برفقة بعض الجواسيس من أهالي (كه ليت)، وبدأوا بإطلاق النار فتصاعد الغبار في الموقع الذي كان يحتله أحمد نادر، رددنا على النار بالمثل ولم يتمكن الجنود من المقاومة طويلاً، فانسحبوا بعد ان يأسوا من إحتلال الموقع. حال

¹⁷³ F.O. 371 18948 027970

¹⁷⁴ F.O. 371 18948 027970

سماعنا إطلاق النيران على مواقعنا إتجه عبدالله كلكه موى نحو اليسار أما نحن فقد إتجهنا نحو اليمين، كنت لا أزال أواصل إطلاق النار على القوات التركية المتقهقرة عندما شعرت بشقيقي سعيد يقترب مني ويضع يده على كتفي قائلاً بنبرة مليئة بالحزن:

« كفى إطلاق النار لقد استشهد احمد نادر. »

إنتابني حزن شديد ورحت في صمت عميق ... معنوياتنا خارت.

وفي هذه الأثناء وانا غارق في الحزن والأسى تناهى الى سمعي، صوت آت من بعيد. كان Alî Serkerî المشهور بـ (علي الضرير) يتمم بصوت حزين وخيم جو من الانهيار المعنوي، أخفينا الخبر عن العوائل، ثم أمرناهم ان يتأهبوا للنزول من الجبل والاستسلام إذ لم يكن أمامنا خيار آخر. عارضت النساء وقلن دعونا نموت معكم، لكننا رفضنا بقائهم معنا، كن ينتحبن. »

آيشى، ابنة أحمد نادر، فتاة ربما كانت دون الثامنة من العمر، انفجرت باكياً وهي تقول:

لا بد أن أبي قد قتل، إذ لو كان حياً لما قبل ان نفصل عنه. لكن المقاتلون لم يعيروا توسلهم أي اهتمام، فأخذوا يوجهون أوامر صارمة لاتقبل النقاش او التردد: "سوف تنزلون من المنحدرات نحو القوات التركية وتطلبون الدخالة، وسوف يوجه الجنود اليكم اسئلة كثيرة حول عددنا، ومكان وجودنا ومن اين نتمول. لكن حذار من ان تدلوا بمعلومات، قولوا عنا انهم أصبحوا وحوشاً، لقد هجرونا وتخلوا عنا وعن اطفالنا. ثم التفت بارزاني آخر الى الاطفال وهم ملتصقون ويحتمون بأمهاتهم بين الصخور، لقد حرموا من حياة الطفولة وما فيها من أحلام ولعب ومرح، كان عليهم ان يتصرفوا كرجال قبل الأوان وفي مواجهة الخطر في كل لحظة. في حالات عديدة منعوهم حتى من البكاء كي لا يهتدي العدو الى مخبئهم، لقد عانوا اشد المعاناة. قال لهم بنفس القسوة:

أنتم.. الاطفال اسمعوا جيداً، سوف يقدم لكم الجنود الترك الحلويات والالعاب، ويسألونكم عن مكان وجود آبائكم، لكن عليكم ان تقولوا لانعلم اين هم، لقد هجرونا.. هل فهمتم.؟

الصبي سعيد نجل أحمد نادر - فيما بعد أول بارزاني يحمل شهادة دكتوراه من الاتحاد السوفيتي — أجاب متحدياً — وربما كان يعبر بذلك عن آمنيات جميع رفاقه من الاطفال، وهم في سن لايميزون عداوات الكبار:

«كلا.. إن اعطوني حلوليات والعب فسوف اقول لهم أين أنتم.»

«أجبرنا الجميع على الانحدار من سفح الجبل والاستسلام للترك وليس للعراقيين. لكن فيما بعد سلم الاتراك جميعهم للسلطات العراقية في شيروان.»

لأول مرة إلتقيت بـ Alî serkerî مؤلف ومغني ملحمة جبل Jûl كان في عام ١٩٥٩ واستمعت اليه يغني في قرية ريزان وقد احاط به جمع من سكان القرية رجال ونساء واطفال. وكما نوهنا كان قد شارك في هذه المعارك، وبعد تدهور وضع المجموعة التي كان يعمل ضمنها وقع اسيراً في يد السلطات العراقية، وحكمت عليه بالسجن لثلاثة عشر عاماً إضافة الى ثلاث أعوام أخرى بالنفي في جنوب العراق. ولم يتعلم اللغة العربية لأنه فضل الانزواء في زناناته أسير ذكرياته للأحداث التي عاشها في جبال ووديان وطنه كردستان. وقد ارتأيت ترجمة الملحمة ويجدها القارئ في الملحق رقم ٢.

نعود الى حسين خال ملا ليواصل حديثه:

«أما نحن فقد إنحدرنا من الجبل والتحقنا بالفصيل الآخر الذي كان تحت إمرة خليل خوشفى في (ستوني) ثم إتجهنا جميعاً الى (جياي ره ش) - الجبل الاسود - وبعد ذلك الى قرية (أوليا) في أوساط السالارين، وغادرنا الى أوساط قبيلة (هركى بنه جي) ثم الى Bêgor وعدنا الى منطقة (Beroj) والى (قرية (بهردريا) وكنا في حالة سير متواصل ليل نهار.

ونظراً لأوضاعنا الصعبة ومطاردة الأعداء المستمرة لنا إنقسمت قوتنا الصغيرة الى قسمين، الاولى يقودها (عبدالله كلكه موى) والثانية يقودها (وهس فهقارهب).

إتجهت القوة الاولى باتجاه قرية (زرار) بينما القوة الثانية، والتي كنت ضمنها، إتجهت الى أراضي قبيلة (دولمري) ثم الى (كهلوك) ومن هناك الى قرية (مه راني) والى (آش بيران) ثم الى (بوكران). كانت الوحدات التركية والعراقية تتعقبنا على طرفي الحدود ولم تترك لنا فرصة لالتقاط انفاسنا وكان النفير العام سارياً ضدنا، ومع مرور الأيام إزدادت اوضاعنا تدهوراً خاصة ان عدداً من الأغوات المرتزقة الكرد كانوا متعاونين مع الحكومة كقوات غير نظامية لتعقب آثارنا. لقد أهلك الاختفاء المتواصل والسير الطويل والجوع والعطش قوانا الجسدية، واستسلم أخيراً (وهس فقه قارهب) الى السلطة العراقية، بينما واصلنا نحن الاختفاء في الجبال. إقترب فصل الشتاء القارس وكان بيننا جريح لدغته حية سامة، الا انه ابى ان يسلم الى الحكومة العراقية. إجتمعنا وبجئنا مصيرنا، كانت آفاق المستقبل مظلمة واقترح البعض الذهاب والاختفاء في فارس او الالتجاء الى (كهليي تيارى) - وادي التياري - لم يعد البقاء في مناطق بارزان أو حتى مناطق الكهريدين ممكناً نظراً لكثرة المفارز العسكرية التركية والعراقية التي كانت تتعقبنا باستمرار في شمال وجنوب خط الحدود الذي يقسم كردستان.»

لقد أحكمت حكومة بغداد قبضتها على أكراد المنطقة مستخدمة الإرهاب وعمليات الإعدام أمام أنظار الشعب. اذ ذكر رئيس أركان الجيش العراقي طه باشا للسير C. H. Bateman في الثالث من سبتمبر وكان قد عاد حديثاً من زيارته الى كردستان، أن أربعة من رجال خليل خوشهفي قد أعدموا، أما خليل خوشهفي فقد عبر الحدود من جديد الى داخل تركيا، وتسعى الوحدات التركية الى تطويقه. وفي رأي رئيس الأركان العراقي ان الوحدات التركية التي تتعاون مع القوات العراقية هي وحدات كبيرة جداً ولذلك لا تملك عامل المباغتة الضروري لسد منافذ النجاة أمام الفصائل الكردية.^{١٧٥}

في الواقع كان وضع المقاومة الكردية في تدهور مستمر، ولعل البرقية التالية تلقي ضوءاً كافياً على ظروفهم.

«سري». بغداد ٢٦ سبتمبر ١٩٣٥

من Bateman.Mr الى السير Samuel Hoare

سيدي

إشارة الى برقيتي رقم ٤٥٧ المؤرخة في ٥ سبتمبر، لي شرف إعلامكم بأن خليل خوْشه في قد التجأ الى الأراضي الفارسية مع عشرين من رجاله الباقين. أما عائلته فقد أُلقي القبض عليها، ومن بين المجموع الكلي أحيل ٦٣ من انصاره الى المحكمة العرفية، وقد تم شنق ثمانية منهم حتى هذا التاريخ، كما حكم على الباقين بمختلف العقوبات كالسجن ونفي البعض منهم الى الصحاري الموحشة في جنوب العراق.

٢— في حديث جرى أخيراً مع ياسين باشا (الهاشمي) قال لي، ان سياسة تخلية القرى من السكان في المنطقة التي تدور فيها عمليات خليل خوْشه في أثبتت نجاحها الكامل، إن هذه السياسة حرمته من كل ما يحتاجه من المعلومات والتموين، ونتيجة ذلك تمكنت الوحدات التركية والعراقية المتعاونة من تضيق الخناق عليه، وعندما تغلب حذره على شجاعته، إختار الذهاب الى فارس، وأضاف فخامته ان التعاون العراقي - التركي انجز القسم الأكبر من المهمة ولم يبق مما نأمله الا القليل.

٣— واضح ان العقوبات التي فرضتها المحاكم العرفية العسكرية قد تركت أثراً عميقاً لدى سكان المنطقة العزل، وقد أعطى رئيس الوزراء تعليمات بوقف تنفيذ أحكام الإعدام الا بموافقته.»

التوقيع

C. H. Bateman

في مواجهة قوات الجيش والشرطة والمرتزة الكرد، لم يبق امام وحدات المقاومة سوى الاختفاء او القتال دفاعاً عن النفس ويقول حسين خال ملا بهذا الصدد:

«مكثنا في (شروينا) فترة طويلة دون ان يعثر علينا الاعداء وبقينا حتى حلول الشتاء، ثم انضم اليها (عبد الله كلكه موى) وغادرنا معاً نحو (لّيرى تهقرى) وهناك ونحن على وشك تناول وجبة طعام وإذا بمناد ينادي ان قوات الاعداء طوقت القرية، فخرجنا من المنازل وقاومنا هجوم القوات المعادية، لكن أحد رفاقنا (سمائل) استشهد في المناوشة الاولى. قاومنا حتى حلول المغيب، واستطعنا الافلات من الكماشة واتجهنا نحو قبيلة (هركى بنه جى) حيث وصلنا إحدى القرى، واثناء مسيرتنا الليلية خلّسة داخل القرية، سمعنا أحد الغجر يغني إحدى الملاحم البطولية عن الحرب التي دارت رحاها في عهد الشيخ عبد السلام، عندما هاجمت القوات التركية والمرتزة لاحتلال أراضي بارزان عبر جبل بيرس، في مطلع القرن العشرين، وتدعى — (ملحمة سه ريبيرس). لم نتمكن من النوم حتى الصباح، اذ كانت القوات الحكومية مع المرتزة تطاردنا بلا انقطاع. تمكنا من الوصول الى قرية (درى) وبدأت الثلوج تتساقط، كنا حوالي ٣٤ مقاتلاً، وما ان وصلنا القرية بشق الانفس، ولم نكن بعد قد استعدنا أنفاسنا حتى لاحظنا القوات المعادية تتقدم نحونا، وهكذا غادرنا باتجاه كه لى بيرى) ثم الى (ارتيش) والى اوساط (الهورمازين) وقد رحب بنا هؤلاء وقدموا لنا الطعام، وطلب منا الآغا ان نغادر على الفور لأن المفارز الحكومية ستصل لأمحالة، وبمشقة بالغة اجتزنا الهضبة المكسوة بالثلوج الغزيرة، ووصلنا الى (شيفارهزا) وكانت القرية مؤلفة من ثلاث بيوت، همنا بالراحة ولكن سرعان ما ظهرت القوات الحكومية وصرخ البعض منهم مهددين، أين المفر؟ وهكذا لم يبق أمامنا غير الرحيل من قرية الى اخرى، دون توقف أو راحة، كنا مطاردين ليل نهار وكانت شبكات المفارز المعادية تتضاعف وتضيق علينا الخناق أكثر فأكثر. كانت تحصل معارك دفاعية بين حين وآخر للإفلات من قبضة الأعداء. وصلنا الى أوساط (الريكانيين) وهناك رافقنا سبعة أشخاص كأدلاء واضطرونا بسبب الثلوج الغزيرة الى إستخدام الأحذية الكردية التقليدية (ليان) للسير على الثلوج دون الغوص فيها. لكن قوات المرتزة ومفارز الحكومة كانت تواصل مطاردتنا دون كلل. وصلنا (بنيناش) في شمال كردستان — تركيا — لكن القوات

التركية كانت متأهبة فهاجمتنا هي الأخرى. فاضطررنا الى الفرار والذهاب الى قرية (هيشه تي) وهناك إلتقينا ببعض الرعاة وبسبب الحاجة الماسة إضطررنا الى سلب معطف ورأسي غنم و٧٠٠ مجيدي. وما أن إلتقينا بخليل خوشه في وعلم بما جرى. إمتنع كثيراً وأمر بإعادة كل شيء لأصحابه.

واصلنا السير حتى وجدنا أنفسنا أمام منزل كان وحيداً. هناك قضينا الليل، ثم الى (جه لي) ثم عبرنا الى (دشتاني) وتزودنا ببعض الخبز ونزلنا الى بطن واد، وهناك بعد ان اكلنا قررنا البقاء ليلتين، لكن العدو اكتشف موقعنا فهاجمنا ونجونا بصعوبة. كنا في كثير من الاحيان نختفي في أخاديد الجبال فتمر المفارز الحكومية أو قوات الأغوات المرتزقة بالقرب منا دون العثور علينا.

قررنا العودة الى جبل (شيرين) وأثناء الاقتراب من المعبر الواقع في بطن الوادي، اطلق علينا النار فانسحبنا على اعقابنا وعدنا الى (ده شتاني) لكن القوات التركية كانت تترصدنا هناك ايضاً، فسلكننا ممراً آخر، الا ان القوات العراقية كانت تتعقبنا، إستطعنا الإفلات من جديد، وسرنا حتى وصلنا (قشوري) ودخلنا منزلاً مبنياً من الحجارة، ولأجل إخفائنا قادنا صاحب المنزل الى إسطبل حيواناته. وهناك أكلنا وكان البرد لاذعاً. وثم قادنا أهل القرية الى كهف مكثنا فيه أحد عشر يوماً. عاملنا نبي آغا قشوري معاملة حسنة، لكنه لسوء الحظ لم يكن ميسور الحال، فنصحنا قائلًا:

— ان القوات العراقية والتركية موجودة في كل مكان وليس هناك أمل في النجاة الا إذا استطعتم الوصول الى سوريا.

شكرنا الآغا لطيبته واعطيناه ثلاث بنادق وعدة خناجر وفاء لفضله علينا وغادرننا المكان. كنا عندئذ في كردستان الشمالية - تركيا - حيث اعطانا بعض القرويين قليلاً من الطعام مقابل بنادق، وكفانا ذلك لعدة أيام قضيناها في أحد الكهوف. لكن القوات التركية اكتشفوا موقعنا فباغتونا بهجومهم. أبدينا المقاومة وعلى أثر التراشق لقي عدد من الجنود الترك مصرعهم واستطعنا الافلات، ذهبنا الى (كه ليتان) وهناك تزودنا ببعض الطعام ثم الى قرية (زيت) ثم الى إحدى الوديان.

كانت الثلوج المتراكمة في بعض المناطق عائقاً كبيراً أمام الهرب، إضافة الى الجوع والبرد والنحاس والارهاق الشديد حتى انسלخ جلد اقدمنا، اخيراً وصلنا قرية (كوزاروش) في كردستان ـ تركيا. لكننا لم نتمكن من أخذ قسط من الراحة اذ هاجمتنا القوات التركية وارغمتنا على الفرار.

اشعلنا ناراً في أحد المواقع لتندفأ قليلاً، إذ كان البرد والتعب قد نالا من قوانا الجسدية والمعنوية. واراد القائد (عبدالله كلكه موى) الانفصال عن قواتنا إذ لم يعد يتحمل الاستمرار على هذا المنوال.

عبرنا خط الحدود نحو الجنوب، وهناك كانت القوات العراقية تتربص بنا، وحصل قتال إستشهد على أثره أربعة من رفاقنا، وتمكننا نحن الباقون من الافلات.

لم يعد لنا من مفر، إذ أينما وصلنا كانت قوات المرتزقة تطاردنا او تنتظرنا على جانبي الحدود التركية ـ العراقية. ونتيجة للمطاردة المستمرة والجوع والبرد والاعياء فقد تفرق شملنا.»

ولنمض الآن مع ذكريات محارب قدير آخر ذاع صيته في الوسط البارزاني، اذ جرح ٢١ مرة في خضم حياته النضالية الطويلة، انه (صالح علي كانيالنجي) الذي لايزال حياً يرزق في قريته (كانيا لنجا). وهو من المشتركين في قوات المقاومة مع خليل خوشهفي ومن الذين شقوا طريقهم الى روسيا، ويعتبر واحداً من أهم مخلصي بارزان وقد زودنا بشهادته عن جانب آخر من اعمال المقاومة البارزانية:

«كنا حوالي ١١٢ رجلاً مسلحاً مع خليل خوشهفي عندما عبرنا (روي شين) النهر الازرق. ومعنا امرأة إسمها (زه ري) كانت متزوجة، الا ان أحد الضباط العراقيين كان يتحرش بها، فاختارت الالتحاق بقوات المقاومة الكردية، وكانت مثلاً للشجاعة والتضحية.

كان إتجاه سيرنا محاذياً لخط الحدود التركية العراقية، فاحياناً كنا نعبّر الى شمال الخط واحياناً نسير جنوبه لتفادي الصدام مع القوات التركية او العراقية. كان هدفنا الوصول الى سوريا وطلب اللجوء فيها، وعند اقترابنا من حدودها، نصحننا الاهالي في المنطقة بعدم الاستسلام لأن الحكومة السورية ستنزع عنا السلاح وتسلمنا الى الحكومة العراقية، فعدل خليل خوشهفي

عن الفكرة، وفضل البقاء في جبال كردستان. في الواقع كانت القوات العراقية تتبع خطانا وكانت قد سدت جميع منافذ العودة امامنا. اتجهنا شمالاً في اوساط القشوريين، وكان رئيسهم (حسين آغا) شخصاً كريماً ورحب بنا وقال: لا تقلقوا من اجل الطعام فطوال فصل الشتاء أنتم ضيوف عندي. انشרכת صدورنا لهذه المبادرة الطيبة والتي لم تكن مألوفاً. كنا الآن وسط قبيلة منعزلة في موقع محصن محاط بالجبال العالية المتوجة بالثلوج من الجهات الأربع. لقد شعرنا بالأمان حتى حلول بداية الربيع، لكن كان لحسين آغا أعداء يكرهونه فأخبروا السلطات التركية بأن حسين آغا يأوي خليل خوشهفي وانصاره. استدعت السلطات التركية حسين آغا للاستجواب، فنفي الاخير هذه المعلومات وقال ان المتمردين نشطون في الجانب العراقي. فسمحت له السلطات التركية بالعودة الى قريته.

عاد حسين آغا الى القرية وقابل على الفور خليل خوشهفي وأحاطه علماً بما جرى مع الأتراك، واقترح عليه ارسال عدد من انصاره الى جنوب خط الحدود والقيام بعدة عمليات ضد القوات العراقية، وقال: وبهذا الشكل سيتصور الترك إنكم فعلاً تقومون بالعمليات في الجانب العراقي ولستم هنا.

قبل خليل خوشهفي الاقتراح وأرسل عدداً من الوحدات الصغيرة عبر الحدود، ووضعوا كمائن للدوريات العراقية واستطاعوا قتل عدد من رجال الشرطة والاستيلاء على اسلحتهم وعلى بغالهم ثم عادوا باتجاه قرية حسين آغا قشوري. وفي طريق العودة التقوا بشخصين كانا يتجهان نحو تركيا فأوقفوهما وفتشوهما واستفسروا عن هدف سفرهما، فتردد الاثنان في الاجابة، فشك الانصار في نيتهما، وعندما شددوا عليهما الخناق إعترا بأن ضابط الحدود العراقية كلفهما بايصال رسالة الى نظيره التركي يطلب فيها تعاوناً أكثر جدية للكشف عن مخابئي أنصار خوشهفي لأنهم بعد العملية الاخيرة في العراق عبروا الحدود من جديد باتجاه تركيا. قرر الانصار قتل الجاسوسين رمياً بالرصاص، ثم تابعوا طريقهم باتجاه قبيلة القشوري.

لم يمت أحد الجاسوسين من جراحه، واستطاع ان يواصل طريقه الى أقرب مخفر تركي وأخبر الأتراك عما حصل وان أنصار خوشهفي عبروا الحدود نحو تركيا.

استدعت السلطات التركية حسين آغا قروشي من جديد وطلبت منه الاشتراك في البحث ومطاردة خليل خوشهفي وأنصاره وان الحكومة سوف تدفع له مبالغ من المال ثمنا لتعاونه. بعد عودة حسين آغا الى منزله قابل خليل خوشهفي وقال له:

ان العملية التي قام بها انصاركم في العراق كانت جيدة، لكن أحد الجواسيس بقي حياً وهو الذي أخبر السلطات التركية بانكم موجودون في أوساط قبيلتنا ان هذا مؤسف لكنني لا أستطيع بعد الآن إقناع الاتراك بانكم لستم عندي، لذا أفضل أن تتركوا هذا المكان وتذهبوا الى وادي التياري حيث هناك دير مهجور، لا يوجد فيه انسان منذ القضاء على الآشوريين اثناء الحرب، وانا من جانبي سوف أرسل لكم ماتحتاجونه من الطعام، والدير ليس بعيداً عن الحدود العراقية.

قبل خوشهفي الفكرة وأرسل حسين آغا دليلين معنا حتى أوصلونا الى بطن الوادي. وجدنا الدير ملجئاً ممتازاً في حوض جبال مكسوة بالثلوج وتحيط بالدير الغابات الكثيفة والصخور الوعرة . بدأنا فوراً بجمع الاحطاب واشعلنا النار اذ كان البرد قارساً ووزعنا رجالنا على المواقع المسيطرة على الدير كي لانفاجأ بهجوم. لقد وفي حسين آغا بوعده، وزودنا بالطعام بانتظام. لكن على طرفي الحدود كانت الحكومتان العراقية والتركية نشطتان عن طريق العملاء الأكراد في البحث عنا. بعد مضي عدة أيام، وفي ليل دامس نزل أحد حراسنا من موقعه على عجل ليوقظنا ويخبرنا بأن القوات التركية تطوق موقعنا وإنها سوف تبدأ هجومها حال وضوح الرؤية في الصباح.

تشاورنا على عجل في كيفية مواجهة الهجوم. قال عبدالله كلكه موى، ان علينا تفادي التجمع داخل الدير، اذ لن تتمكن من الدفاع وصد الهجوم، لان الدير سيطوق ويستحيل الافلات. هناك مرتفع كثير الأهمية، لو سيطر عليه رجالنا، سنتمكن إبداء المقاومة من موقع مؤات لنا. لكن يجب التأكد من ان القوات التركية لم تحتل بعد ذلك المرتفع. ان هذا المرتفع يسيطر على مواقع عديدة ضمنها الدير.

تحت جنح الظلام خرج اثنان من الدير وتسلقا الجبل الى ان وصلا الى المرتفع ولم تكن القوات

التركية قد احتلته لحسن الحظ، ثم اعقبهما اثنان آخران، وهكذا حتى أصبح عددهم ثمانية مسلحين على المرتفع الاستراتيجي. اظن ان الاتراك كانوا يعتقدون باننا نجهل تواجدهم، وانهم كانوا ينتظرون خروجنا وثم امطارنا بوابل من الرصاص والقضاء علينا.

كان ضمن القوة التي احتلت المرتفع القائد عبدالله كلكه موى نفسه. وعندما غادر اثنان آخران الدير وتسلفا الجبل نحو نفس المرتفع، اكتشف الأتراك الخطة فأطلقوا النار عليهما وقتلا قبل وصولهما الى المرتفع. ثم بدأ الهجوم التركي المكثف لاحتلال مواقعنا، لكن الهجوم فشل بفضل المقاومة التي ابدتها المجموعة التي كانت على المرتفع، وتكبدت القوات المهاجمة خسائر هامة وانسحبت تاركة عدداً من البنادق والعتاد والمعاطف الجيدة.

قررنا البقاء في موقعنا فتره اخرى، اذ بعد هذه الهزيمة سوف لن تجرؤ القوات التركية على الهجوم الا بعد إعداد يتطلب بعض الوقت، كان لدينا من الطعام مايكفينا لأيام قادمة، وكان الثلج الكثيف عائماً أمام رحيلنا عن الدير، ولم نكن نعرف أين نتجه. وقمنا بتشديد الإجراءات الاحتياطية واحتلت قواتنا معظم المرتفعات لكي لانبأغت من جديد بهجوم القوات المعادية على مواقعنا كما حصل في الجولة الاولى.

لم تمض سوى ايام حتى نزل أحد الحراس لينبئنا ان تحشدات تركية اخرى قيد الجريان وان الهجوم سيبدأ قريباً على مواقعنا. قررنا هذه المرة ان نترك الدير واسقطنا خيار المقاومة. لذا نصحنا الحراس بترك مواقعهم والالتحاق بنا حال بدء تحرك القوات التركية باتجاه وادي التياري. فيما بعد نزل الحراس الى بطن الوادي وأبلغونا ان القوات التركية تتحرك من عدة اتجاهات وبأعداد كبيرة نحو مواقعنا، تركنا الدير وتحركنا جميعاً نحو الجنوب مقتفين آثار نفس الممر الذي كنا قد سلكناه في الخريف الماضي. واتجهنا شرقاً ووجهتنا أراضي بارزان، كنا نريد الوصول الى أوساط قبيلة (مزوري)، كانت المنطقة بعيدة جداً، وكانت خطواتنا تتعثر وتغوص في الثلوج الغزيرة، كل خطوة نخطوها اقتضت مشقة كبيرة، وكانت القوات العراقية قد أحكمت سيطرتها على جميع المسالك والممرات الجبلية ونصبت كمائنها في مواقع مختلفة. وحيث اتجهنا كانت خطانا تطبع آثارها على الثلوج المتراكمة على طول خط سيرنا المتعرج

بين حدود تركيا والعراق، لذا لم يكن بالامكان التخفي عن القوات التي تتعقب آثارنا باصرار. واذ لم تخل قرية واحدة من القوات الحكومية اوقوات الأغوات المرتزقة، كان التزود بالطعام من هذه القرى امراً غير ممكن. وكنا ليلاً في حالة فرار ونهاراً نصدد الهجمات. وفي كل يوم يمر، كانت تقع ضحايا جديدة بين صفوفنا. فتناقص عدد الانصار ولم نتمكن من دفن موتانا كما هجرنا جرحانا عندما استحال عليهم مواصلة السير.

وصلنا الى موقع صخري شديد الوعورة، تحصنا هناك، وأفشلنا عدة هجمات كانت تهدف إقتلاعنا من موقعنا. وسرعان ما بدأت قوات مرتزقة إضافية تتقدم من القرى القريبة لتضييق علينا الحصار. كان المرتزقة يناشدوننا بالإستسلام ويشتمون وان لاجدوى من المقاومة. كانت الطلقات الباقية لدينا محدودة جداً، لذا كان علينا الحرص الشديد في إطلاق النار. ولم نשוב بنادقنا الا بعد التيقن من ان الرصاص سيصيب هدفه. لقد حرمننا من النوم وكان الجوع يقرص أحشائنا والبرد يلسعنا والاعداء يهاجمونا بلا إنقطاع. إستمر هذا الحصار ليومين، وفي اليوم الثالث غطى ضباب كثيف موقع العمليات وتحدت الرؤية بمسافة لاتتجاوز أمتار قليلة. استغلت القوات الحكومية والمرتزقة حالة الجو فهاجمت مواقعنا من عدة اتجاهات وكانوا يستخدمون الرشاشات، التزمنا الصمت في مواقعنا الى ان وصلوا قرب فوهات بنادقنا، فأطلقنا عليهم النيران دفعة واحدة، سقط من بينهم عدد من القتلى ولاذ المهاجمون بالفرار تاركين قتلاهم.»

ثم يمضي صالح علي كانيالنجي قائلاً:

« كنا في هذا الموقع منقسمين الى فصيلين، أحدهما تحت إمرة خليل خوشه‌فى والثاني تحت إمرة عبدالله كلكه موى، لم يكن أحدنا يعلم ماحل بالآخر إثر الهجوم. فأنتاب صالح عزيز سيلكي قلق شديد لمصير خليل خوشه‌فى. وقد نصحه عبدالله كلكه موى أن لايرح مكانه لخطورة الوضع. لكنه لم يتمالك نفسه فخرج من موقعه قاصداً موقع خوشه‌فى الذي كان يبعد مسافة لا بأس بها.

أثناء سيره، التقى وجهاً لوجه بضابط عراقي، تبادل الاثنان إطلاق الرصاص، واصيب

الاثنان، خر الضابط صريعاً، في حين واصل صالح عزيز سيلكي سيره الى ان التقى بخليل خوش I ي. وبادر الاثنان بنفس السؤال:

هل أنتم على قيد الحياة؟

أدرك خليل خوشهفي أن صالح عزيز سيلكي ينزف دماً من جرحه. لم يكن في وسعنا عمل شيء لعلاج في وضع كهذا، فقررنا جميعاً اختراق الطوق الذي احكمه العدو بهجوم مباغت وكان صالح عزيز يقترب من نهايته، لكن خليل خوشهفي أبى ان يتركه، الا بعد ان تيقن انه فارق الحياة. كان الوقت متأخراً من الليل، نزعنا عنه البندقية والعتاد، وباغتنا القوات المعادية بهجوم خاطف، تفرق العدو من موقع الهجوم وأفلتنا من الحصار ومشينا ماتبقى من الليل، وما ان أطل الصباح حتى كنا قد إبتعدنا مسافة كبيرة عن موقع المعركة.

علمنا فيما بعد ان القوات الحكومية لم تذهب لتفحص الموقع، فقد ظنوا اننا تركنا المكان، ولذا لم يجدوا صالح عزيز سيلكي، إستفاق الأخير ولم يرى أحداً حوله، كان أعزلاً من السلاح، فمشى الى قرية قريبة إسمها (بيبو) وهي قرية تعود الى عشيرة نيزوه وأعلن إستسلامه للقوات الحكومية، لكن ما ان عرفوا هويته حتى قتلوه رمياً بالرصاص رغم العفو الحكومي الذي كان ساري المفعول ورغم كون المستسلم يعاني من جروح.»

ويعضي صالح علي كانياالنجي الى القول:

«لقد أُنْهَكنا البرد والجوع والتعب بحيث لم يستطع بعضنا التحرك خطوة واحدة، جلس ٢٥ مقاتلاً - ضمنهم البطلة زهري - فوق الثلوج بانتظار وصول القوات المعادية التي كانت تقتفي آثارهم دون كلل. وصلت القوات الحكومية ونزعت عنهم السلاح وارسلتهم الى اماكن نائية في جنوب العراق و حكم على البعض منهم بالسجن ٢٥ عاماً، بينهم حسين خال ملا — الذي زودنا بشهادته الحية في الفصل السالف — كما حكم بالسجن على أخيه سعيد خال ملا لنفس المدة، وحكم أيضاً على المغني الشهير في الوسط البارزاني (على سه ركيرو) الذي غنى فيما بعد ملحمة Jul. وكذلك قتلت الشرطة العراقية (جامي تيلي) أثناء إقتياده الى الجنوب، ففي وادي سيل، شتم المرتزقة شيخ بارزان، وأبى هو ان يلزم الصمت، فرد جامي

قائلاً أنتم وملككم منافقون، وهنا قتلوه في الوادي بالعصى والحجارة.

استمر الباقون من رجال خوشه‌في في مسيرتهم، وقد تقلص عدد الأنصار كثيراً، إذ كانت جميع المسالك والممرات الجبلية تحت مراقبة القوات الحكومية والمرتزة. وكان على ما تبقى من رجال خوشه‌في شق طريقهم بقوة بنادقهم. وفي كل مجابهة جديدة كان عدد آخر من الأنصار يسقطون صرعى. أخيراً تمكن خليل خوشه‌في من الوصول إلى أراضي قبيلة (ريكان). ودون شك كانت القوات الحكومية قد اتخذت إجراءات مشددة في الأماكن التي توقعت أن يمر فيها خليل خوشه‌في. فقد كانت وحدات كثيرة وصغيرة العدد قد انتشرت ونصبت كمائن في جميع الممرات في المنطقة الحدودية بين تركيا والعراق، وكانت القرى مليئة بالمرتزة. حتى المعابر فوق الأنهر أو الوديان الصخرية الشديدة الوعورة والتي يمر فيها النهر الأزرق، كانت كلها تحت سيطرة القوات الحكومية والمرتزة. لقد عملت حكومة بغداد كل ما في وسعها لافشال المقاومة البارزانية. وفي الجانب التركي كانت القوات التركية متأهبة لقتال خوشه‌في إن عبر الحدود. إن وادي النهر الأزرق يفصل قبيلة (ريكان) عن قبيلة (مزوري) حيث ينتمي خليل خوشه‌في. كان آغا قبيلة (ريكان) كلحي شديد العداء للأنصار، وكان رجل الحكومة بلا تحفظ.»

أما فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لمنطقة بارزان فيشير السير Sir A. Clark Kerr في برقية سرية مؤرخة في ١٦ ديسمبر / كانون الأول ١٩٣٥ إلى أن أوضاع رجال القبائل والقرى مأساوياً وأن وجود أعداد كبيرة من القوات ورجال البوليس لأمد طويل وإرغام أعداد كثيرة من القرويين على ترك قراهم عطل بشكل جدي الحياة الزراعية وتربية الحيوانات حيث يشكل ذلك موردتهم الاقتصادي الوحيد. وسيعاني السكان معاناة عظيمة من الفاقة والجوع خلال فصل الشتاء.^{١٧٧}

ويضيف صالح علي كانيالنجي:

«عند اقترابنا من تراب بارزان، شعرنا بولادة طاقة هائلة تسري في أجسادنا وتحدد الأمل. كان الوقت بعد الظهر وكنا نسير بين قريتين عندما هاجمتنا القوات المعادية من الجنود والمرتزة محاولين سدّ المنافذ أمامنا، لكننا قاومنا، وأصيب خليل خوشهفي أثناء القتال لكن وحدته استطاعت الإفلات. بينما بقيت وحدتنا تحت إمرة عبدالله كلكه موى داخل حصار العدو وأصابنا القنوط عندما تساقط عدد آخر من الانصار تحت وابل رصاص المهاجمين الذين كانوا يتقدمون نحونا. هنا أمرنا عبدالله كلكه موى أن نكف عن القتال، نجلس ونتظاهر بالاستسلام. عملنا بتعليمات قائدنا، فظن العدو اننا في حالة انهيار كاملة بحيث لم يبق أمامنا غير الاستسلام. وتقدموا نحونا بحذر، ثم ألقوا بالحذر جانباً. كان الوقت قد اقترب من المغيب وانتظرنا حتى اقتربوا منا، عندها قال عبدالله كلكه موى:

. هيا. لقنوا هؤلاء الذين باعوا أنفسهم للعدو درساً لا ينسوه.

في حركة منسجمة وجهنا بنادقنا نحو صدور أعدائنا الذين كانوا متيقنين إننا جالسين للاستسلام وكانوا لا يبعدون عنا سوى أمتار قليلة. سقط عدد منهم وأصاب الهلع الآخرين فولّوا الأدبار. أخذنا الأعتدة وأخرجنا الأطعمة من حقائب القتلى وتابعنا مسيرنا نحو النهر الأزرق للالتحاق بوحدة خليل خوشهفي.»

وبضيف صالح علي:

«كان خليل خوشهفي قد اقترب من النهر الأزرق. (روي شين) لكنه أراد التأكد من خلو الموقع من القوات المعادية، لذا نزل أحد الأفراد الى النهر وهم بالعبور نحو الجانب الشرقي ففتح العدو النار عليه من ضفتي النهر فقتل وجرفت المياه جثته. عندها أمر خليل خوشهفي آخرين ان يذهبوا ويتفحصوا نقطة عبور أخرى غير مطروقة الا نادراً، وتسمى بـ (Derke Meze) وتقع نحو الشمال في موقع شديد الوعورة. وكان يعتقد ان القوات المعادية لن تصل الى هناك، وان من الممكن عبور النهر والوصول الى أراضي المزويين. وقال انه سوف ينتظر في كهف قريب حتى وصول عبدالله كلكه موى ووحدته.

كان عدد الأنصار الباقين مع خليل خوشه‌في قد قل كثيراً. وفي الطريق الى الكهف صادف أحد القبليين فتكلم معه خوشه‌في بود:

نحن جائعون، وبحاجة الى مساعدة منك، هل تستطيع الذهاب الى القرية القريبة وتأتي لنا ببعض الطعام. سنمنحك أكثر مما تريد، وسوف لن ننسى فضلك، وكما ترى إننا في حالة يرثى لها.

قبل هذا الرجل القبلي ان يقوم بالخدمة فغادر الى القرية، لكنه خان بني قومه، فأخبر آغا الريكان كلحي والقوات الحكومية بمكان وجود خوشه‌في وفي نفس الليلة طوقت القوات الحكومية والمرزقة الكهف، وطلب كلحي آغا من نفس الرجل القبلي ان يذهب الى داخل الكهف ويخبر خليل خوشه‌في بأن القرويين أتوا بالكثير من الطعام ووضعوه قريباً من فوهة الكهف، ويريدون رؤية خليل خوشه‌في ثم يعودوا على الفور حتى لا يكتشف أمرهم. قبل خليل خوشه‌في الاقتراح ونهض مع عدد من رجاله، وما ان وصل خارج الكهف حتى فتحت عليه النيران بكثافة، أصيب خليل خوشه‌في لكنه إستمر في القتال حتى لقي حتفه، واستمر الباقون يقاتلون. لم يستسلم أحد منهم وحاربوا حتى أبيدوا جميعاً.»

ويضيف صالح علي كانياالنجي:

«عاد الرجال الذين أرسلهم خليل خوشه‌في لتفحص معبر Derke Meze من مهمتهم وكان قد قتل إثنان منهم في تلك المهمة قبل مقتل خوشه‌في بيوم واحد، اذ عندما نزل الاثنان من الانصار الى النهر فتحت عليهم النيران من الضفتين فلقيا حتفهما وجرفت مياه النهر جثتيهما. كانت القوات المعادية قد احتلت جميع المنافذ هناك. وعاد الباقون ليلتحقوا من جديد ب خليل خوشه‌في.»

ويواصل صالح علي كانيالنجي:

« فيما يخص فصيلنا تحت إمرة عبدالله كلكه موى وبعد ان خرجنا من الحصار، إتجهنا نحو النهر الأزرق، اذ كنا نعتقد اننا سنلتقي بخليل خوشهفي هناك، وفي الليل سمعنا دوي الرصاص، لذا قررنا ان لانحاول عبور النهر انما السير في الجبل الى نفس المعبر Derke Meze الذي كان خليل خوشهفي قد أرسل اليه عدداً من رجاله للاستطلاع. التقينا في الطريق بهذه المجموعة العائدة من الاستطلاع وأخبرونا بان المرتزقة إحتلوا الموقع على جانبي النهر. كما أخبرناهم باننا سمعنا صوت الطلقات بالقرب من الكهف. سرنا معاً واتجهنا نحو قرية هيزان، وفي الطريق إلتقينا برجل من قبيلة الريكان، طلبنا منه أن يقول حقيقة ماحدث ليلة أمس وهذا الصباح. أخبرنا بالحقيقة وقال، لقد أبيد الجميع في الهجوم ولم ينجوا ولا واحد من البارزانيين. أصابنا الوجوم وانهارت معنوياتنا واستمرت مسيرتنا بحثاً عن مكان نغير فيه النهر. »

ويمضي صالح كانيالنجي في سرده:

«عند اقترابنا من النهر، وكإجراء احترازي، نزل أحد رفاقنا الى الماء، وسبح الى الضفة الشرقية، ثم عاد وإذ لم يحصل شيء ظننا ان لا خطر من العبور ونزلنا الى الماء، وما ان وصل البعض منا الى قرب اليابسة في الضفة الشرقية حتى انحال علينا الرصاص من الجانبين. فلقى عدد من الانصار حتفهم قبل الوصول الى اليابسة. لم يكن هؤلاء المرتزقة يتوقعون ان يحاول أحد منا العبور فصبروا حتى حسبنا ان المكان غير محتمل ثم هاجمونا. وبهذه الخطة كانوا يريدون القضاء علينا جميعاً.»

ويضيف صالح كانيالنجي:

«وصلت تحت وابل من الرصاص الى الضفة الشرقية، في حين أصيب حه مه كؤور الذي كان قريباً مني ولم يتمكن من العبور، فسحبته الى اليابسة وأوصلته خلف صخرة. قال لي وهو ينزف: أرجو أن تناد عبدالله كلكه موى ليأتي الي. أريد ان أراه، وتابع بصعوبة، أريد ان

أودعه الوداع الأخير. وعندما جاء عبدالله كلحه موى . قال له (حه مه كۆر) وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

لاتبقى هنا بسبي ... ارحل عن هذا المكان ... أردت ان أقول لك ... وداعاً ليس الآ..
رفض محمد دوشك، رفيق حه مه كۆر أن يتركه لوحده وهو لا يزال حياً. بينما نحن غادرناهما
وعلمنا فيما بعد، أن محمد دوشك حمل حه مه كۆر فوق ظهره الى إصطبل بالقرب من قرية
سيدان. لكن في اليوم التالي إهتدى المرتزقة الى مكانهما بسبب جرح حه مه كۆر الذي ترك
آثاره على الثلوج، فذبحوه ذبح النعاج، بينما قبضوا على محمد دوشكه واعدم في الموصل.»

ويضيف صالح علي كانيا النجفي:

«سرنا الليل بطوله حتى الوصول الى أراضي بارزان. ولم ينجم من مجموع ١١٢ مقاتل منا
سوى ثمانية عشر. واذا لم يبق لنا مفر إتصل عبدالله كلحه موى — (ولى به گ) الذي كان
شخصية ذات نفوذ لدى الحكومة، ومن خلاله تمت عملية إستسلام من تبقى على قيد
الحياة من الانصار.

بعد وقت قصير من مصرع خليل خوشه قى، أمرت الحكومة أهالي شيروان وقرية كلكه مو
بالخروج من منازلهم بما في ذلك الاطفال والشيوخ والنساء وأقتيد الجميع الى الميدان. لقد
تحشدوا هناك ليروا بأم أعينهم نهاية التمرد. وكانت الحكومة قد نصبت ثلاثة أعمدة خشبية
عُلّقَ عليها ثلاث رؤوس وكان رأس خليل خوشه قى في الوسط. وأرغموا الجميع على النظر
الى المشهد قائلين للشعب، كل من يفكر في التمرد على الحكومة العراقية سيلقى هذا المصير.
وهم يشيرون الى الرؤوس الثلاثة المصلوبة.»

بعد القضاء على الفصائل الكردية إعتبر حكام العراق والبريطانيون أنفسهم أسياد
کردستان.

وفي تلك الليلة حزن الشعب وبكى بصمت على موت ابطاله.

فشلت المقاومة البارزانية لأسباب عديدة منها:

— لم يكن هناك حزب كردي يتبنى المقاومة كما حصل في الأربعينات عندما قام ملا مصطفى بالانتفاضة عام ١٩٤٤ إذ شترك فيها ضباط قوميين كورد من حزب هيو. وقاموا بدعاية واسعة في الأوساط العراقية وكان لها صدى في الخارج.

— كان الولاء القبلي أقوى من الولاء القومي والوطني في الريف حيث مسرح المقاومة، فقد نهضت معظم القبائل لمطاردة الفصائل الكردية ولبي معظم الأغوات الكرد نداء الحكومة العراقية مقابل المال والسلاح. ولعب الطقس والثلوج الغزيرة دوراً بارزاً في شل المقاومة البارزانية.

— لم يحصل أي تمرد آخر على الإدارة العراقية في كردستان بحيث يخفف الضغط العسكري على فصائل المقاومة. إذ استطاعت الحكومة التركيز على إنهاء المقاومة دون الانشغال باضطرابات أخرى.

— لم يلتحق أي من إخوة شيخ بارزان بالمقاومة، وحتى لو التحقوا فلم يكن ذلك ليؤثر كثيراً على مجرى الأحداث وذلك لغياب تنظيم سياسي كردي يتولى توجيه الدعاية وتنظيم طاقات الشعب نحو النضال التحرري.

— كان الوضع الدولي والاقليمي غير مؤات لتطلعات الشعب الكردي. فالخطط البريطاني والتعاون العسكري والمخابراتي المشترك بين أنقره وبغداد وتبني الأخيرة إجراءات اقتصادية وعسكرية قاسية، كل ذلك حول مناطق عمليات الثوار على جانبي الحدود الى مصيدة مميتة. فعزل الثوار عن الشعب وحرموها من الطعام والعتاد والمعلومات.

بعد عام من مصرع خوْشه قى وقعت بغداد وانقرة اتفاقية سعد آباد عام ١٩٣٧، وكانت هذه الاتفاقية موجهة ضد الحركة التحررية الكردية في جميع أجزاء كردستان، وضد الشيوعية والتوسع السوفيتي في المنطقة.

كان من نتائج القضاء بهذا الشكل الوحشي على قوات المقاومة نمو شعور عميق بالاضطهاد والغبن بين الاكراد. فقد احتلت الحكومة العراقية الأرض وحكمت الأهالي من خلال مخافر الشرطة، وبقي التوتر عظيمًا بين الحاكمين والمحكومين. وكان الجميع ينتظرون الفرصة السانحة للتعبير عن رفضهم لهذا الوضع.

الملاحظ ان السلطات العراقية والبريطانية لم تتمكن من القضاء على حركة مقاومة الاحتلال في بارزان الاّ بضمان تعاون تركيا العسكري في العمليات. كانت المقاومة البارزانية هذه قبل أوانها بما يقارب العشر سنوات.

انّ محاولة إقامة دولة كردية كما رأينا في انتفاضات السليمانية والمقاومة العنيدة ضدّ التسلط الاجنبي كما شاهدنا في مقاومة البارزانيين، يرينا الدور الهام الذي لعبه المشايخ الكرد في الحركة التحررية الكردية. فالمثال الأول يلقي ضوءاً كافياً على قلة أهمية دور البرجوازية الكردية الصغيرة، وكنتيجة لضعفها فقد تحالفت مع الشيخ محمود الحفيد في مطالبه القومية. جلّي ان ضعف البرجوازية الصغيرة والمتقفين من سكان المدن كان عاملاً مؤثراً في تحالفاتها مع القادة الكلاسيكيين الذين قادوا الانتفاضات الكردية وظلت حاجة أحدهما للآخر من أهم خصائص المرحلة التاريخية التي استمرت حتى بعد سقوط الثورة الكردية عام ١٩٧٥.

أما في النموذج الثاني (بارزان) فرغم سعة وخطورة العمليات العسكرية والامتداد الزمني فقد بقيت في إطار محدود، ويعود هذا جزئياً الى غياب دور البرجوازية والمتقفين الأكراد وضعف تأثيرهم في المجتمع الكردي آنذاك. لقد اقتضى الانتظار حتى الاربعينات لكي تتحول انتفاضات بارزان الى انتفاضات قومية، حيث أصبح دور البرجوازية الصغيرة، سكان المدن في تشكيل الأحزاب، واضحاً وملموساً ومن ثم دعمها لانتفاضات بارزان.

الجزء الثانى الحقبة القومية

الهجوم على المخافر

بعد القضاء على (جمهورية آارات) وبعد انتفاضة (ديرسيم) عانت الحركة الكردية من التهميش في كردستان تحت الاحتلال التركي، وقد أصبح احسان نوري باشا لاجئاً سياسياً في طهران وتحت الإقامة الجبرية لمدة طويلة. لقي معظم القادة الدينيون والسياسيون مصرعهم وتفرق شمل قادة (خويون) في الخارج، وتركز نشاط أعضاء خويون في انقاذ التراث الثقافي من الزوال جراء العداء التركي لكل ما يعبر عن الهوية الكردية. واقتضى الانتظار الى ثمانينات القرن الماضي لاندلاع حركة كردية مسلحة بقيادة حزب العمال الكردستاني عام ١٩٨٤. وانتقل مركز الثقل الى كردستان إيران والعراق.

في أعوام الثلاثينات والاربعينات شهد المجتمع الكردي والعراقي تحركاً فكرياً واسعاً. ففي عام ١٩٣٤ تأسس الحزب الشيوعي العراقي. وهو حزب اممي يضم في صفوفه كافة القوميات والأديان. ونظراً لغياب حزب كردي منظم في كردستان فقد انضم بعض المثقفين الكرد الى الحزب الشيوعي العراقي (حشع) وأنضم البعض الآخر الى جماعة الاهالي ومركزها بغداد. يقول الصحفي الفرنسي كريس كوتجيرا:

«في ١٩٣٧ كان القوميون الكرد يتوزعون على تنظيمين.

ففي عام ١٩٣٧ تشكلت جمعية برايتي (التآخي) التي اسسها الشيخ لطيف، ابن الشيخ محمود الحفيد، وكانت على شاكلة الجمعيات الكردية في استنبول وتضم بشكل خاص افراداً من البرجوازية والوجهاء، من بينهم محمد صادق شاويس واسماعيل حقي شاويس وملا اسعد وهو عالم ديني لمدينة السليمانية.

الواقع كان هؤلاء المثقفون يقومون بدور هام، اذ كان أحد اخوة الشيخ أحمد منفيًا في السليمانية ونعني ملا مصطفى بارزاني - كان قد تجاوز الأربعين عاماً من العمر ملاحظة من المؤلف - يحضر الاجتماعات السرية لهذه الجمعية. وبعد ان تلقى ملا مصطفى تدريبه العسكري الى جانب اخيه شيخ أحمد في جبال بارزان، انضم الى العمل السياسي عن طريق البرجوازية الكردية التي نشأت في السليمانية (العاصمة الثقافية) لكردستان العراق»^{١٧٨}

كانت العائلة البارزانية قد أمضت سنوات طوال في المنفى العراقي، وكانت هذه أول فرص الاتصال بمحيط عربي، فتعلم البعض اللغة العربية العامية ومنهم ملا مصطفى وشيخ سليمان، وكان الجميع مستأوون من عقوبة النفي استياء كبيراً إضافة الى الحالة المادية الصعبة للغاية. وكان انتقال العائلة البارزانية الى السليمانية نقطة تحول هامة، اذ أمكنهم معرفة اخبار كردستان بشكل اتمل وخاصة الاخبار الواردة من مناطق بارزان الواقعة تحت الاحتلال المباشر لحكم المخافر.

ثم تشكلت جمعية (داركر) في ١٩٣٨ في السليمانية. ومؤسسها نوري شاويس ويونس رؤوف وعبد الله توفيق جوهر. وكان اعضاؤها من ضمن الشباب المثقف، من بينهم المحامي من هه وليم (اريل) روستم جباري ومصطفى عوزيري، وكانت الجمعية يسارية الاتجاه ولها خلايا في اربيل وخانقين وبغداد والموصل.^{١٧٩}

وفي عام ١٩٣٩ كانت الفئة الكردية المتنورة رغم قلة قوتها وضعفها تبحث عن ارضية مناسبة لتشكيل حزب سياسي كردي، واخيراً تأسس في عام ١٩٤١ وبصورة سرية حزب (هيو=الامل). كان حزب هيو حزباً قومياً يضم عناصر من كافة الطبقات في المجتمع الكردي، وكان من بين اعضائه معلمون وطلبة وضباط قدر لهم ان يلعبوا دوراً هاماً فيما بعد. ويذكر الوزير الكردي فؤاد عارف في مذكراته انه انضم الى حزب هيو عن طريق عزت عبد العزيز آميدي. كما كان الحزب يضم عمالاً من شركة نفط كركوك وسكك الحديد إضافة الى عناصر من البرجوازية الصغيرة وعناصر قبلية. وكان لحزب هيو جناحان، جناح يميل نحو

¹⁷⁸ Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page. 134

¹⁷⁹ Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page. ١٣٥

اليمن والآخر نحو اليسار. تنافس الجناحان وكان الجناح اليميني يعتقد بوجوب استمالة عطف بريطانيا لأجل تحقيق مطالب الكرد القومية كما عارض الشيوعية ووصفها بانها فكرة مستوردة من الخارج. اما الجناح اليساري في حزب هيو، فقد تعززت أهميته باندفاع القوات السوفيتية الى كردستان إيران، وتقديم الجيش السوفيتي العون الى الحركة الكردية هناك. ولابد من التنويه بأن الروابط الثقافية والسياسية بين السليمانية ومهاباد كانت قوية. وكان هذا الجناح يعتقد ان نيل الحقوق القومية الكردية ممكن من خلال تبني حركة ثورية اشتراكية. وقد عجز الحزب جراء هذه المنافسة عن ايجاد زعامة قادرة على عدم الخضوع للزعامة القبلية. كما ان الحزب لم يكن له نفوذ واسع بين الغالبية الساحقة من ابناء الشعب. وبما ان الفئات الكردية المثقفة لم تتمكن من توحيد توجهاتها وبقيت منقسمة على ذاتها وفاقدة الثقة بقابلياتها واهليتها، فقد تولدت الحاجة نتيجة لهذا العجز الى تحالفات قبلية لما توفره الاخيرة من طاقات عسكرية يمكن استغلالها لأهداف الحركة التحررية.

وينبغي الإشارة هنا الى الجماهير العربية في العراق، كانت هي الأخرى تتشوق الى بروز شخصية وطنية تقوم بعملية تخليصهم من النفوذ الاستعماري وتعيد للعرب مجدهم الغابر. لقد ملأ هذا الفراغ لفترة قصيره الزعيم الركن عبد الكريم قاسم عندما أطاح بالنظام الملكي في ١٤ تموز من عام ١٩٥٨، وصدام حسين التكريتي بين أعوام ١٩٦٩-١٩٩٠ وفي المجتمع الكردي قام بدور البطل المنقذ ملا مصطفى البارزاني وقاضي محمد وعبد الرحمن قاسم ووعبد الله أوجلان.

ولاستكمال الصورة نرى من الضروري التطرق باختصار الى الوضع الاقليمي اثناء الحرب العالمية الثانية. لقد حاول رضا شاه الاحتفاظ بايران كدولة محايدة وابقائها خارج الحرب والتدخلات الاجنبية، وقد اعلنت الحكومة الايرانية رسمياً في ٤ / ٩ / ١٩٣٩ حيادها في الحرب العالمية الثانية. لكن رضا شاه احتفظ بعلاقات التعاون الاقتصادي مع الالمان، ورغم قلة عدد الالمان في إيران فإنهم كانوا يشكلون تهديداً لشركة النفط البريطانية الايرانية ولخطوط المواصلات الحيوية في إيران. كما كانت التطورات في الشرق الاوسط تثير دائماً المخاوف من ازدياد النفوذ الالماني في المنطقة، وقد كسب الالمان تعاطف القوميين العرب مثل رشيد عالي

الكيلاي و عدد آخر من الشخصيات العسكرية البارزة الذين قادوا الانقلاب في ابريل / نيسان من عام ١٩٤١ ضد الحكم والنفوذ البريطاني في العراق. وقد اوضحت المحاولة الانقلابية طبيعة خطط وتأثير قوى المحور في المنطقة. وبقيت المخاوف تساور بريطانيا من اندفاع الماني فيها. وكانت هذه من اسباب الاحتلال البريطاني للسوفييتي لإيران. وتضاعفت هذه المخاوف بغزو الجيش الالماني أراضي الاتحاد السوفييتي في شهر ايار / مايو ١٩٤١ وازدادت اهمية إيران بالنسبة للندن وموسكو، اذ أصبح الالمان في وضع يمكنهم من تهديد القفقاس، كما ان اختراقاً ألمانيا لإيران يشل جناح السوفييت الالمن ويهدد خلفية الجبهة البريطانية في الشرق الاوسط.

في ٢٥ آب / اغسطس ١٩٤١ غزت الجيوش البريطانية والسوفيتية بتنسيق مشترك بلاد فارس. فدخلها البريطانيون من الجنوب والسوفييت من الشمال. وهكذا وقع الجزء الشمالي من كردستان إيران تحت الاحتلال السوفيتي والجزء الجنوبي تحت الاحتلال البريطاني في حين بقيت مدينة مهاباد داخل المنطقة المحايدة.

ادى نشوء الوضع الجديد في إيران الى بروز مخاوف تركية من تشكيل دولة كردية مستقلة، وقد قدمت حكومة أنقره مذكرة هامة بهذا الشأن الى المفوضية البريطانية في أنقره. وأرسل السفير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen في ٤- كانون الاول / ديسمبر ١٩٤١ نفس المذكرة من انقرة الى لندن. مكررة الى بغداد وطهران والقاهرة، وسرية للغاية وقد ورد فيها:

«تتطور الحركة الكردية في اماكن عديدة على الحدود التركية والفارسية والعراقية والسورية، يتمثل ذلك في تجدد الهجمات داخل الحدود التركية من الدول الثلاث المحايدة. ويذكر ان القبائل استغلت تشتت قوات البوليس الفارسي بعد وقوع الاحتلال وقد افادت تقارير انهم احتلوا قرى حول صابلاغ ونقده وان هذه القبائل تتجه نحو المناطق المحيطة بكرمانشاه للحصول على السلاح.

٢ - تهدف الحركة الى تأسيس دولة كردية مستقلة تضم المقاطعات الغربية من فارس والمناطق الشمالية الشرقية من العراق والتي يقطنها الأكراد، ويذكر ان عناصر أرمنية وآثرية تساهم في الحركة، كما ان بعض الوجهاء الكرد تلقوا تشجيعاً مادياً من (القوات المحتلة في فارس) ويشار ايضاً الى القضايا التالية:

أ — لقد تم إطلاق سراح الزعماء الذين قاموا بدور في ثوره (أكري داغ) عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ والذين كانوا قد ابعدهوا الى داخل بلاد فارس وذلك تحت ضغط القوات المحتلة وقد عادوا الى القرى في المناطق الحدودية المحاذية.

ب - ذهب عدد من الزعماء الأكراد من فارس الى العراق ليطلبوا من شيخ محمود ان يصبح قائداً لهم.

س - التقى رشيد (مع محمود) بصدر بوزي (رئيس لجنة بلدية اورميه) وتشاور الطرفان بشأن خطط تتعلق بالاستقلال الكردي.

د — ذكر ان العديد من القبائل الكردية قد انضمت الى الشيخ محمود وانها احتلت مواقع حول سردشت.

ت - يذكر ان زعماء عشر قبائل اجتمعوا في اورميه للتباحث حول خطة للمساهمة في ايجاد دولة كردية مستقلة.

٣ — قال السكرتير المساعد العام اثناء تسليم المذكرة الى الوزير، انه سيقدم لنا من حين لآخر معلومات حول الوضع وسيكون مسروراً لو تلقى وجهه نظرنا في هذا الموضوع. وقد ابلغناه ان هذه المفوضية تعارض بقوة أية محاولة تشجيع للأكراد او للأرمن.

٤ - سأكون ممتناً لو زودتمونا بالتعليمات لكي نوضح وجهة نظرنا له.»

لكن في ٨ ديسمبر/كانون الاول ١٩٤١ اوضح السير . ر. بولارد Sir. R. Bullard في برقية سرية من طهران موجهة الى وزارة الحرب البريطانية يذكر فيها:

اظن ان الحكومة التركية لم تتلق معلومات دقيقة حول المسألة الكردية في الشهور الاخيرة. فبعد موت السفير التركي في شهر اغسطس / آب، يدير شؤون السفارة القائم بالأعمال وهو

شخص جبان وساذج كذلك الملحق العسكري المعادي للسوفييت، بينما القنصل التركي في تبريز هو شخص معاد للروس ومن الطورانيين. والآن بقدم السفير الجديد آمل ان تدرس المعلومات مع مفوضيتنا وربما ايضاً مع السفارة السوفيتية قبل ارسالها الى أنقره.

٢ — نحن لم نشجع اي زعيم كردي. وفيما يتعلق بسياسة السوفييت انظر الى برقيتي رقم ١٢٨٦. الحوادث المذكورة في الفقرة الثانية (ب) (س) و (د) قد تكون وقعت رغم انني اشك ما ورد في (ب). لا أحد ينكر ان للأكراد مطامحهم لكن هذا وارد في حالة تشجيعنا لهم فقط. فالزعماء الأكراد الذين سجنوا في عهد الشاه السابق، أفرج عنهم تمشياً مع سياسة الاصلاحات للنظام الجديد ولم يفرج عنهم بضغوط منا او من السفير السوفيتي.

٣ — بإمكان ممثل جلالته في أنقره ابلاغ الحكومة التركية ان مفوضية جلالته في طهران سوف تعلم السفارة التركية بشأن القضية الكردية حسب مآلديها من معلومات، وسوف تعمل كل ما في وسعها لضمان التعاون البريطاني والتركي والروسي.»

لكن في برقية أخرى مؤرخة في ٨ ديسمبر/ كانون الاول كان Sir. R. Bullard قد علق على برقية Sir Miles Lampson فيما يخص الأكراد في فارس قائلاً: ان الاخير يبالغ في الظن بان الأكراد ان لم يرضوا بمواقفنا فانهم قد ينضمون الى قوى المحور. اظن ان الاحتمال الاقوى هو ان الأكراد سوف ينضمون الى المنتصر، فعلى سبيل المثال انهم لن يعارضوا القوات البريطانية او الروسية الا إذا اخرجت بجديّة بضغظ من القوات الالمانية وتقدمت هذه الى داخل بلاد فارس.

وبضيف: انه في الفقرة ١٥ والتي تقول ان الروس ايدوا وشجعوا الأكراد في شمال غرب فارس، سبق وان علقت على هذا، من الممكن ان يكون ذلك صحيحاً في بداية دخولهم حيث كان الروس مستعدين للاستماع الى جميع الشكاوى ضد الحكومة الفارسية. وهناك دعاية شيوعية من حين لآخر في آذربيجان، كما حصل على سبيل المثال في الزيارة "الثقافية" الغيبة للأكراد ووجهاء آخرين الى باكو. واطن انه من غير الصحيح القول بان السوفييت

يشجعون حركة كردية اوتونومية الطابع. لقد سمعت عن حالات تعاونهم مع الفرس ضد الأكراد. على سبيل المثال انهم يرسلون جنود من الجيش الاحمر لتعزيز قوات البوليس لحماية معمل السكر في مياندواب حيث يهدد الأكراد بالاستيلاء عليها.

ويضيف: في حالة الاحتفاظ بفارس كدولة حاضرة، يجب ان تكون الحكومة المركزية قوية، وهذا لا يعني اننا سنغض الطرف عن معاملتهم للأقليات، اذ ان نمو الامتعاض بين الاقليات سيؤدي الى اضعاف الدولة الحاضرة.

فنحن لو شجعنا الأكراد، سوف يطلب منا العرب في خوزستان على سبيل المثال دعمهم ضد الحكومة المركزية. وليس بوسعنا تشجيع الأكراد دون اثاره شكوك الفرس والروس والترك، كما ان تجاربنا مع الأرمن والآشوريين تعتبر بمثابة تحذير لخطورة التضييل في إنعاش آمال شعب قد تجبرنا الظروف فيما بعد على التخلي عنه.»

ومن موسكو أبرق Sir S. Cripps الى وزارة الخارجية في لندن مؤرخة في ٢٣ ديسمبر/كانون الاول يعلق على نفس موضوع الأكراد:

«استقبل هذا المساء السيد مولوتوف كل من Sir. H. Kuatchbull- Hugessen و Sir. R. Bullard في الكرملين. وبدعوة منه عبر السير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen عن وجهة نظره حول موقف الحكومة التركية مشدداً على دورها المفيد في سد الطريق على الالمان نحو الشرق الاوسط، وان القناعة السائدة في المحافل الدبلوماسية في أنقرة هي ان الترك سيقاومون اذا ما تعرضت مصالحهم الحيوية الى الهجوم، ولهذا فانهم يستحقون كل الدعم. السيد مولوتوف لم يعترض، رغم انه انتقد بلطف الموقف التركي، مشيراً الى ان الترك كانوا أقرب الى بريطانيا العظمى في المراحل الاولى، وان البعض منهم وفي وظائف عالية لم يقيموا التهديد الالمانى على حقيقته.

٢ - وعندما اثير الموقف السوفيتي من المسألة الكردية، قال مولوتوف ان وزاره الخارجية أجرت تحقيقاً في هذه المسألة، لكن لا يوجد دافع سياسي من وراء عمل السلطة السوفيتية

(بالأخص فيما يتعلق بدعوة الزعماء الكرد الى باكو) وخول السير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen ان ينقل هذه التأكيدات الى السلطات التركية، وقبل ايضاً بعد تردد بتوجيه رسالة شفوية ودية من السيد ستالين الى السيد Saracoglu كرد على رسالة الاخير التي بعثتها وزارة الخارجية التركية الى السيد ستالين.

٣ - مولوتوف اشار الى اهمية المعاهدة الفارسية، لكنه لم يكن مرتاحاً لتأخير ابرامها. وفي رد على ملاحظة حول الشاه الجديد وانه من أفضل اصدقائنا في فارس، قال انه يخشى نتيجة لصغر سن جلالته ان يكون معرضاً «لتأثيرات خارجية معينة»، وأعرب عن امله من انه لن ينحى منحى والده، واعترف ان هناك تأكيدات مستقلة حول نفاذ صبر جلالته من تأخير التوقيع على المعاهدة.»

اما في منطقة بارزان فبعد مقتل خليل خوشه‌في في شتاء عام ١٩٣٦ انسحبت القطعات العسكرية العراقية واوكل حكم المنطقة للشرطة، وقد ازداد عدد المخافر حتى وصل الى ٢٤ مخفراً ولم تكن هناك مدرسة واحدة او مستوصف واحد. كما كانت الحكومة العراقية تقوم بين حين وآخر بنفي كل بارزاني يبرز نفوذه وسط القبيلة لكي يبقى البارزانيون دون قيادة، فقامت السلطات بنفي نخبة اخرى من القادة البارزانيين البارزين من امثال ولي به‌گ سعيد، واخوه صالح سعيد وملا على ژاژوكي وملا حبيب وحسين محمد امين، وشقان آغا وحكيم بيندروي وقد اعتقل هؤلاء في بلي حيث كانت مركزاً للقائمقامية آنذاك.

لقد عانى البارزانيون معاناة كبيرة فبالإضافة الى اضطهاد قوات البوليس لهم، فقد أصبحوا عرضة لاعتداءات أغوات الزيار فهاجموا قرية بيكريس البارزانية بقصد السلب والنهب كما طلب الاغوات جمع محاصيل قرية شاندر لكن القرويين رفضوا الاذعان فقامت الحكومة بنفي عدد آخر من البارزانيين.

في الفترة ما بين ١٩٣٦ — ١٩٤٣ ازدادت الهوة بين الحاكمين والمحكومين في مناطق بارزان المحتلة وتززت روح الرفض لهذا الحكم البوليسي البغيض. ونتيجة للضغوط والاضطهاد فقد ازداد عدد الهاربين من البارزانيين الى الجبال، وهؤلاء لم يتحرشوا بالقوات الحكومية، وكانوا يناهزون سبعين شخصاً لكن عدد المسلحين بينهم كان قليلاً.^{١٨٠}

كانت قرى بارزان عرضة للنهب والسلب وكان «الجوع والخراب قد وصلا الى درجة مخيفة»^{١٨١} و«كان الفساد الاداري عاماً لدى رجال الادارة الحكومية ولم يتفقد متصرفوا الالوية في الموصل واريل هذه المنطقة».^{١٨٢}

كانت العائلة البارزانية تمضي عامها العاشر في المنفى متنقلة بين عدد من مدن العراق الجنوبية وبعد ان شعرت الحكومة العراقية بأنه لا خطر منهم لان مناطق بارزان هي تحت قبضة قواتها تسامحت اخيراً بنقلهم الى السليمانية.

كانت الظروف السياسية العامة في العراق مهية لتطورات هامة خاصة بعد حركة رشيد عالي، وكان الرأي العام الشعبي مناهضاً لنفوذ بريطانيا وللحكومات العراقية التي كانت دمية في يد البريطانيين، كان الحزب الشيوعي العراقي ذو نفوذ كبير في الاوساط الشعبية وبيث بشكل فعال الدعاية المناهضة للفاشية والامبريالية. وفي الوسط الكردي كان لحزب هيو الفضل في نشر الوعي القومي والدفع بالاجتماع نحو التنظيم السياسي الى حد ما، اما في منطقة بارزان فقد كان الغليان الشعبي في أوجه ضد سلطات الاحتلال. هنا كانت مغادرة ملا مصطفى للسليمانية بمثابة الفتيل الذي أضرم النار في الاحطاب المتكدسة منذ زمن طويل والجميع كانوا يتوقون الى التغير.

^{١٨٠} محمد عيسى بارزاني وهو من المشاركين في معظم هذه الاحداث. لقاء معه عام ١٩٧٦

^{١٨١} Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page : 137.

^{١٨٢} Ibid

في ١٣ من شهر تموز عام ١٩٤٣ وبمساعدة حزب هيو، غادر ملا مصطفى سراً مدينة السليمانية، ماراً بكردستان إيران ثم الى اراضي بارزان وكان لظهوره المفاجيء اثر هائل في رفع معنويات الشعب، وفوراً انضم اليه عشرات الهاربين والمختفين سواء في مناطق شنوى ونغده تحت الاحتلال الروسي او اولئك المختفين في جبال بارزان، وكان قد تجاوز الأربعين من العمر، ولديه تجربة مكثفة في الحياة العشائرية، كانت تركيبته الثقافية مزيج من العلوم الدينية والصوفية، وخبرة عسكرية في حرب الجبال، كما انه تلقى الافكار القومية الفجة من تماسه بالمتقنين القوميين في مدينة السليمانية، وكان يعرف اهمية الدعاية في رفع معنويات شعب مازال بكراً في هذا المجال. كما كان على علم تام بمدى نفوذ شيخ بارزان في اوساط الشعب، فكان يردد انه رجع منفذاً لأوامر شيخ بارزان، وكان يشدد لمرافقيه ان لا يأخذوا شيئاً من الاهالي عنوة، وان يحترموا الناس ويأخذوا ما يعطى لهم عن طيب خاطر. رغم العوز فقد كان البارزانيون اسخياء الى ابعد حد، فكان الممول الاقتصادي للثوار هم البارزانيون أنفسهم. وكان الغذاء يأتي حتى من القرى النائية والرعاة يهدون من قطعانهم الى المقاتلين. وكان ملا مصطفى يقول اثناء تجواله في القرى، علينا ان لا نياس، مطالبنا لا بد وان نتحقق، لنسعي بالطرق السلمية أولاً فاذا ما خابت مساعينا فسوف نلجأ الى السلاح، وفي البداية كانت المطالبات هي السماح لشيخ بارزان وجميع المنفيين بالعودة الى ديارهم وإطلاق سراح البارزانيين في السجون العراقية، وسحب القطعات العسكرية من المناطق المجاورة لبارزان وتزويد الاهالي بالمواد الغذائية.^{١٨٣}

الواقع ان نشاطات ملا مصطفى في البداية وكما يشير الى ذلك تقرير بريطاني، كانت بعيدة عن إحداث أي قلق لدى الاوساط الحكومية. وكان يريد التوصل الى حل مع الحكومة.) ويقول كورنواليس في برقية الى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٥ / ١٠ / ١٩٤٣: «ان تمرد ملا مصطفى الآن شخصي ومحلي.» اذ في هذه المرحلة من القتال لم يكن ضباط من حزب هيو قد تدخلوا عملياً في الانتفاضة.

^{١٨٣} محمد عيسى بارزاني وهو من المشاركين في معظم هذه الاحداث. لقاء معه عام ١٩٧٦

بعد هروب ملا مصطفى من السليمانية أبعدت الحكومة العراقية العائلة البارزانية الى مدينة الحلة في جنوب العراق خشية هروب افراد آخرين الى اراضي بارزان.

لم تعر الحكومة العراقية اهتماماً بمطالب ملا مصطفى العادلة، انما على العكس بدأت ترسل مفارز لمطاردته، وهكذا بدأت مرحلة احتلال المخافر. لا شك ان من ضمن العوامل الرئيسية التي لعبت دوراً كبيراً في تسهيل عملية احتلال هذه المخافر والتي بلغ عددها ٢٤ مخفراً هو تواجد أعداد لا بأس بها من البارزانيين المنخرطين في سلك الشرطة داخل هذه المخافر. وقد كانوا ساخطين وأصبحوا خير عون في الاستيلاء على المخافر دون إراقة دماء تقريباً. وفي كل الاحوال لم يكن ممكناً بالنسبة للحكومة العراقية حماية هذه المخافر المنتشرة في مواقع عديدة في وسط شعب نائر وناقم. ولم يكن الحصول على السلاح مرغوباً وحده انما ايضا انواع الحبوب والاعذية المتكدسة في هذه المخافر لتخفيف حالة شبه قحط في المنطقة.

لقد برز نجم ملا مصطفى كقائد قدير يحظى باحترام شعبي، وكانت تعليماته واضحة للقادة الذين التفوا حوله ليشكلوا قوة رئيسية لضرب المخافر. فكان يوصيهم بأن يحتلوا المخافر دون قتال ان أمكن، وتجنب ايداء الاسرى وعدم الاستيلاء على ما يعود إليهم شخصياً، لكن يجب اخذ كل ما موجود من سلاح واغذية وتوزيعها على الشعب وثم حرق المخفر.

احتل محمد امين ميّوگه سوري أول مخفر، (شاندر). وقد تكللت خطته بالنجاح بمساعدة عدد من اهالي القرية ودون مقاومة فاستولوا على ثمان بنادق و ٨٠٠٠ طلقة.

ثم جاء دور احتلال مخفر (خيرزوكا) فاستولى البارزانيون على مافيها من مواد غذائية واسلحة وزعت على الشعب. واحتل حسين بيروخي مع قوته مخفر (زيت) واسعد خوشفي (شقيق خليل خوشيهفي) مخفر (بيراکه بره) واستولى عبد الرحمن ارگوشي على مخفر ارگوش ونوري شيرواني على مخفر (جه می) وبعد ذلك توجه نوري شيرواني لاحتلال مخفر (ريزان) واحتل اهالي قرية (ميروز) مخفرها، وهاجم مامند مخفر (شيّتنه) كما هاجم خليل قمر ميروزي مخفر (كانيا ره ش) وهكذا سقطت وبسهولة معظم اوکار الظلم الحكومية واحدة

تلو الاخرى عدى مراكز (ميّرگه سور) و (بليّ) وكان من نتائج هذا الانتصار ازدياد عدد المقاتلين ورفع المعنويات وتحرير معظم اراضي بارزان.^{١٨٤}

أمام اختيار الحكم العراقي في بارزان، استفاقت حكومة بغداد من الصدمة، لكنها لم تفكر في إيجاد حل سياسي فأخذت تسوق قطعات من جيشها لمواجهة الثوار. هنا قرر ملا مصطفى عدم انتظار وصول القوات الى اراضي بارزان، انما التعرض لها خارج المنطقة والابقاء على القوات الحكومية في ميّرگه سور محاصرة.

في بدايه شهر تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٤٣ تصدت القوات البارزانية لكتيبة من قوات الشرطة اسفل ميّرگه سور والحقت بها الهزيمة، وسقط من افرادها العديد من القتلى والجرحى ولم تتعظ الحكومة العراقية فقامت في نهايها نفس الشهر بارسال لواء خليط من المشاة والمدركات والدرك ومساندة من قبل القوة الجوية، وحصل اشتباك عنيف مع القوة البارزانية بحضور الجنرال بروميلو والذي كان يشغل منصب قائد البعثة العسكرية البريطانية في العراق، دامت المعارك من ٩ — ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر وانتهت بهزيمة القوات الحكومية، وقد ابرق السير كورنواليس من بغداد الى الخارجية البريطانية البرقية التالية، مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٣:

«لقد اشتبكت القوات العراقية مع رجال العشائر التابعين لملا مصطفى في ٨ و ١٠ و ١١ من شهر تشرين الثاني / نوفمبر، وخسرت قوات البوليس والجيش معاً حوالي ٦٠ شخصاً بين قتيل وجريح، كما خسرت اعداداً من الاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة. اما خسائر العشائر فغير معروفة.

٢ . الخطة العسكرية العراقية الآن تتركز في حماية ميّرگه سور طوال الشتاء وقبل هطول الثلوج بأسابيع سترسل الحكومة ارتالاً للقبض على ملا مصطفى. على الاكثر سوف لن ينجحوا في

^{١٨٤} محمد عيسى بارزاني وهو من المشاركين في معظم هذه الاحداث. لقاء معه عام ١٩٧٦

مساعيهم هذه.

٣ - افاد تقرير للجنرال بروميلو ان الجيش وقوات البوليس العراقي اظهروا قصوراً يرثى له في خبرة عمليات حرب الجبال.»

إثر كل معركة كان يتزايد عدد البارزانيين المسلحين وانتظمت القوات وأصبح على رأس كل فصيل قائد ممن أبدوا شجاعة عسكرية خلال العمليات. كان العديد من هؤلاء القادة قادة جدد، اذ كان مجموعة من القادة القدامى اما في المنفى او في المعتقلات العراقية، ومن بين القادة الذين لعبوا دوراً رئيسياً في انتفاضة عام ١٩٤٣: نوري شيرواني، سليم عبد الله سيّلكي، عارس خانو بيداروني، صالح كانيا لنجي، محمد امين ميّرگه سوري، حسو ميرخان دولري، ميرزا آغا ره شو، حسن شهين وآخرين، اذ اخفق الجيش العراقي خلال محاولاته قبل انتهاء عام ١٩٤٣ من احراز اي تقدم في المعارك ضد هؤلاء القادة.

كانت الخارجية البريطانية تضغط على سفيرها في بغداد وتطلب منه عدم تدخل عسكري بريطاني: «ان مصلحتنا المباشرة في الحفاظ على الوضع الراهن هي تأمين قوات الليفي على سلامة عوائلهم وان لا يتعرضوا لهجوم المتمردين، هذا مع التسليم بأن نجاحات ملا مصطفى ضد الحكومة العراقية لن تهدد المصالح البريطانية الحيوية الاخرى مثل خطوط المواصلات، وان العمليات يجب تركها للحكومة العراقية لأنها مسؤولة عن الأمن الداخلي. وان عجزت الحكومة العراقية في التعامل مع الوضع فهذا لايعني ان علينا القيام بعمليات عسكرية لاسنادها.»^{١٨٥}

الواقع ان انتفاضة بارزان شهدت انعطافاً سياسياً هاماً عندما قام حزب هيو في ٦ / ١٢ / ١٩٤٣ بتوزيع منشورات في العاصمة بغداد تندد بالسياسة المتبعة في كردستان من قبل الحكومة الديكتاتورية في ظل الحلف الاطلسي.

¹⁸⁵ From Foreign Office to Baghdad, dated 24/12/1943. No. 815. E.8045/484/93.

حذر السير كورنواليس رئيس الوزراء العراقي نوري باشا من ان جميع المصاعب الناشئة تعود الى غباء الحكومة العراقية، والتي ابقت على الشيخ أحمد وملا مصطفى على حافة الجوع ودون أمل في المستقبل.^{١٨٦}

كانت الحكومة البريطانية تضغط على الاثنين معاً، على الحكومة العراقية لكي تكون أكثر انصافاً في التعامل مع الأكراد، وعلى ملا مصطفى لكي يوقف العمليات العسكرية ضد القوات العراقية، وذلك لكي لا يتأثر المجهود الحربي بهذه القلاقل.

وفي برقية من بغداد الى الخارجية البريطانية يقول كورنواليس:

«خلال محادثاتنا الاخيرة مع الملك ورئيس الوزراء اشرت الى ان الدعاة الكرد بدأوا باستغلال تمرد ملا مصطفى وهناك خطر جدي في ان تأخذ الحركة طابعاً استقلالياً وان تشمل جميع انحاء كردستان ان لم تتخذ الحكومة العراقية اجراءات مناسبة. وطلبت منهم مواجهة الحقيقة المرة وهي انه لا الجيش ولا قوات الشرطة يمكنها مواجهة ملا مصطفى وبالتالي فان هبة الحكومة متدنية تماماً، في بلد تكمن قاعدة نجاح الحكومة في قوة جيشها، لقد اوجد هذا احتمالات خطيرة، وقد الححت عليهم ان يتخلوا عن موقف اللامبالاة أزاء الشكاوى الكردية في حين تجري الاستعدادات لتهيئة القوات. ولقد نصحتهم ان لا يضيعوا اي وقت في الاتصال بالزعماء الأكراد لشرح موقف الحكومة من البارزانيين ومن القضايا التي شكى منها الأكراد في الماضي. إن التعامل مع الاحداث يتطلب سخاء وتعاطفاً أكثر مما كان عليه الموقف حتى الآن. واقترحت عليهم اصدار اوامر الى المتصرفين للقيام باتصالات ودية مع الوجهاء في الويتهم.

٢ — الملك ورئيس الوزراء قلقون بشكل واضح بسبب الوضع ووافقوا على مقابلة جميع الممثلين الكرد في بغداد على الفور. وعبر الملك عن رغبته في زيارة الشمال في القريب العاجل وهذه الرغبة قيد الاعتبار. أمل ان اقنع رئيس الوزراء بتعيين لجنة من المندوبين الأكراد للنظر

في تطوير الادارة. فقد سبق وان اعلن عن نيته في اقامة ادارة في الشمال وطلب خدمات أحد الضباط البريطانيين لرأس هذه اللجنة.»

وأرسل السفير البريطاني كورنواليس الرسالة التالية الى ملا مصطفى:

«لقد عبرت مرارا في رسائلك التي وجهتها الى الموظفين البريطانيين عن صداقتك وثقتك بهم، ان الحكومة البريطانية وموظفيها أشاروا بوضوح ان عليك التوقف عن القيام بأعمال الفوضى، وان تقبل الشروط التي قدمتها لك الحكومة العراقية. أنك لم تعمل بهذه النصيحة، لابل تماديت في الاعمال الغير قانونية.

٢ — لقد حان الوقت الذي لا بد لي فيه من تحذيرك من ان هذا الوضع اخذ يربك جهود الحرب للحكومة البريطانية والحلفاء، وإذا ما واصلت القيام بهذه الاعمال فسوف تضطر الحكومة البريطانية على اعتبار نواياك عدوانية تجاهها، ويؤدي هذا الى نتائج وخيمة لك. اضافة، فان حالة الفوضى ستسبب موت الرجال والنساء والاطفال جوعاً في المنطقة. انني اعتبر ان عروض العفو والعهود التي قدمتها لك الحكومة العراقية من خلال الشيخ أحمد، حتى بعد قيامك بالهجمات ضد قوات الشرطة والجيش، هي عروض في غاية السخاء، وانصحك بأن توقف هذه الاعمال وتخبر الحكومة العراقية بأنك راغب في قبول عروضها.

انني أرسل لك هذا التحذير لمصلحتك. وإذا ما تجاهلت ذلك، فستكون مسؤولاً لما سيحل بك.»^{١٨٧}

في هذه الفترة لم تكن مطالب ملا مصطفى تتعدى الافراج عن البارزانيين المعتقلين والسماح للشيخ أحمد والباقيين من المنفيين بالعودة الى بارزان، وتقديم مساعدات الى اهالي المنطقة. لم يكن هناك تنسيق دقيق بين حزب هيو وملا مصطفى في هذا الوقت، اذ كان حزب هيو ضد الامبريالية وضد الحكم البريطاني بوضوح، في حين كان ملا مصطفى كثير التودد للمسؤولين البريطانيين وكان على معرفة تامة بنفوذهم لدى الحكومات العراقية. ان مراجعة

¹⁸⁷ From Baghdad to Foreign Office. 21st, Desember, 1943. No. 1218.

الاسلوب الذي تبناه ملا مصطفى في التعامل مع المسؤولين البريطانيين خلال الرسائل التي وجهها بين اعوام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ تثير الانتباه عندما يلاحظ القارئ عبارات الاسترحام و اظهار الامتثال والطاعة المطلقة لرغبة الممثلين البريطانيين. وفي رسائله هذه ينتقد سياسة الحكومة العراقية السلبية ويشكوها الى البريطانيين على أمل انتشار المنطقه من التخلف والعوز. ان هذا الاسلوب في التعامل مع الاقوياء لازمه حتى النهاية ولم يتغير رغم تغير الظروف والمواقف الاقليمية والدولية. فقد كان يعتقد انه بهذا الاسلوب المفرط في التواضع سوف يقنع الاقوياء بجدوى القضية وسيتأثرون بمثل هذا الموقف المنصاع والموافق سلفاً، لكن رجال الادارة البريطانية كانوا بعيدين عن التأثير بهذا الاسلوب في التعامل السياسي، ولم يغير هذا من مواقفهم ازاء القضية الكردية.

وبهذا الصدد يحلل الصحفي الفرنسي الصديق للشعب الكردي هذه العلاقة بين ملا مصطفى والبريطانيين بما يلي: «فهو — يعني ملا مصطفى — بعد ان اتهم الحكومة العراقية بإرغامه على «الدفاع عن النفس» أكد ان قرار العفو ليس الا «خدعة» وطلب من كورنواليس ارسال أحد الضباط، الميجر R Stepping لأجراء تحقيق في الوضع، وعبر عن التزامه بأوامره بكلمات يصعب ترجمتها لما تتضمنه من تواضع. في الواقع كتب ملا مصطفى: «وفي كل الاحوال سوف نضع أوامركم بفخر فوق رؤوسنا وأعيننا — مترجم السفير ترجمها كما يلي: نحن فخورون بالانحاء أمام أوامر فخامتكم.»

وفي ٢٧ / ١٢ / ١٩٤٣ رداً على «إنذار» كورنواليس، طلب ملا مصطفى مجدداً مساهمة البريطانيين في اجراء تحقيق في شكواه وطلب من السفير توجيه الأمر الى الحكومة العراقية للعفو عنه، وإطلاق سراح اتباعه. و «في الحقيقة كان يطلب ان يسمح له بحكم منطقته بارزان». ^{١٨٨}

وطلب كورنواليس من حكام العراق إبداء المزيد من الاهتمام بالمسألة الكردية والقيام بالاتصالات مع الزعماء الكرد، واقترح تعيين شيوخ كرد (شيخ أحمد، شيخ محمود). ^{١٨٩}

¹⁸⁸ Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page:140

¹⁸⁹ Ibid

الواقع ان القوات البارزانية كانت أكثر حماساً وتمرساً في القتال ضدّ قوات نظام محتل ظالم. وكانت القوات العراقية سواء الجيش او قوات الشرطة، ينقصها التدريب والمعنويات. ولكن الشيء الذي يثير الدهشة هو ان الطبقة السياسية الحاكمة في العراق لم تغير من نظرتها الشوفينية، وترفض أي اعتراف بوجود الشعب الكردي. كانت لغة المدفع هي التي تسود عقول هذه الطبقة. تجاهل كامل للواقع، وفضلاً عن ذلك، فإن أي انتفاضة لهذا الشعب في وجه طغيانهم كان يفسر بوجود مؤامرة دولية كبيرة، وبهذا الصدد وأثناء انتفاضة بارزان ذكر السفير البريطاني كورنواليس في برقية الى وزارة الخارجية مؤرخة في ١٣ / ١٢ / ١٩٤٣ يقول: (.....)

«٣- يميل رئيس الوزراء الى الاعتقاد بأن هناك مؤامرة سياسية كبيرة وراء الأكراد. واعرب عن مشاعره هذه الى السيد ادموندز، وان القوى العظمى الثلاث ربما لديها خطة سرية بشأن الأكراد في تركيا وفارس والعراق. تكلمت معه بجدية حول هذه الشكوك الغير واقعية، مذكراً إياه بأن الموظفين البريطانيين ناضلوا خلال العشرين عاماً الماضية لمساعدة الحكومة في تثبيت سلطتها على المناطق الكردية. وأنا عندما طلبنا بعض التنازلات للأكراد، كان الهدف دائماً هو القبول بالبقاء داخل العراق...»

ازاء الانتصارات التي حققتها القوات البارزانية أمست الحكومة العراقية متلهفة لاستخدام الجيش لإعادة سلطتها بشكل سريع على المناطق المحررة، لكن رئيس البعثة العسكرية البريطانية ولأغراض عسكرية بحتة نصحهم بالترث والحذر في المواجهة ويقول نفس الارشيف: «إذا ما رفضت الحكومة العراقية نصائحه فليس ما يمنعهم من ان يجربوا على طريقتهم ويتعلموا من التجربة.»¹⁹⁰

¹⁹⁰ FO. 371/45340.

لم يكن البريطانيون راضين عن التطورات لذلك آثروا الحيلة ولم يكن لهم ثقة في قدرة الحكومة العراقية على السيطرة على الوضع. لذا أرسلوا في اواسط كانون الاول/ ديسمبر عدداً من المدرعات الى ديانا لحماية الليفي الآثوري ولضمان الاتصال بفارس، كما طلبوا من الحكومة العراقية سحب قواتها من المنطقة.

نظراً للرسائل الودية التي كان يكتبها ملا مصطفى الى الضباط البريطانيين فانهم بقوا يبحثون عن حل سلمي للأزمة، وفي نظرهم ان مجرد معرفة ملا مصطفى بوجود قوات بريطانية في ديانا كاف لردعه عن الهجوم.

وتفيد برقية بعثها السفير البريطاني من بغداد الى الخارجية البريطانية في ١٤ ديسمبر ١٩٤٣: «ان رئيس الوزراء العراقي يسعى الى الاتصال بملا مصطفى عن طريق اخيه الشيخ أحمد الموجود في الحلة تحت الإقامة الجبرية ليراسله الاخير ويطلب منه الانسحاب من منطقة العمليات الحالية، ويخلد الى الهدوء في مكان آخر حتى الربيع، وعند ذاك سوف يسمح له بالسكن في قراه. لم يتوقع شيخ أحمد جواباً ايجابياً وأخبر نوري باشا بذلك، لكنه لم يمانع في ارسال رسالة الى ملا مصطفى بيد ابنه الذي هو الآن في راوندوز.»

الواقع ان الحكومة العراقية كانت تريد كسب الوقت حتى الربيع للبدء بهجوم واسع بعد تدريب مكثف لجيشها. لكن الظروف تغيرت كثيراً عما كانت عليه عند مقاومة بارزان في نهاية الثلاثينات، اذ كان هناك عدد لا بأس به من المتعلمين الكرد، ضباط ومهندسون ومعلمون داخل الادارة والجيش والشرطة، وكانوا يتمتعون بمشاعر قومية وواعين للغبن الذي يعيشه شعبهم، ومثلت تلك نقلة نوعية هامة في المجتمع الكردي، كانت النخبة الوطنية الكردية قيد التكوين ولو ببطيء وتتجه نحو النضال الوطني، كما ان التعامل والنظرة الشوفينية المتعالية ضد الشعب الكردي من قبل حكومات بغداد عمقت لدى الأكراد الاحساس بالظلم والتخلف.

هدنة لكسب الوقت

كانت الحكومة العراقية قد سعت الى الاتصال بملا مصطفى خلال العديد من المفاوضات نهاية عام ١٩٤٣ ولكن دون جدوى، اذ طلب ملا مصطفى في تشرين الثاني/ نوفمبر العفو التام عن شخصه وعن رجال البوليس وافراد الجيش الاكراد الهاربين واعادة اراضي العائلة البارزانية المصادرة والسماح للقادة البارزانيين المنفيين في الحله بالعودة الى كردستان، في حين كانت الشروط الحكومية تتلخص في العفو عن ملا مصطفى ورجاله بعد ان يستسلم، ولايعفى عن الهاربين من الجيش والشرطة، كما ان الحكومة ستنتظر في امر عودة المنفيين من البارزانيين ويعاد النظر في موضوع الاراضي المصادرة وعلى ملا مصطفى واتباعه تسليم الاسلحة والذخيرة التي استولوا عليها.^{١٩١}

غني عن القول، ان تاريخ الحكومات العراقية في كردستان هو تأريخ ظلم ونكث للعهود، وكان ملا مصطفى واع لأكاذيب الحكومة وعدم التزامها الأخلاقي، لذا فضل البقاء في الجبال والاستمرار في حالة الحرب على استسلام غير مضمون العواقب.

وأخيراً رضخت الحكومة العراقية لنصائح البريطانيين، فعدّل رئيس الوزراء نوري السعيد الوزارة في ٢٥ / ١٢ / ١٩٤٣ لإدخال وزير كردي بلا حقيبة، هو ماجد مصطفى، احد وجهاء السليمانية. وانيطت به مسؤولية الاتصال بملا مصطفى لإيجاد حل للأزمة.

التقى ماجد مصطفى بملا مصطفى وبقيادة آخرين في ١٠ / ١ / ١٩٤٤، في قرية سبيندار بالقرب من ميرگه سور. وظهر ان الاثنين اتفقا على وقف القتال، وحال عودته الى بغداد

¹⁹¹ Vision or Reality? The Kurds in the Policy of the Great Powers. 1941-1947. Borhanedin A. Yassin.

قدّم ماجد مصطفى تقريراً مفصلاً الى الحكومة والى كورنواليس السفير البريطاني، نكتطف اهم ماورد فيه:

« هنا اقدم فكرة دقيقة عن عموم الاوضاع في مقاطعة بارزان في الوقت الراهن.

أ . القرى خاوية من السكان والبعض منها في حالة خراب.

ب . لا توجد في المنطقة برمتها آثار الحضارة.

ج . الجوع والحرمان واضحان بشكل مخيف بين جميع السكان.

د . الطرق ووسائل الاتصالات مهدمة اضافة الى الابنية الحكومية، وما تبقى من الابنية القليلة فيحتلها الجيش.

هـ - هناك تعاطف شعبي كبير مع الزعماء المنفيين، هذا التعاطف من بين العوامل الرئيسية في التفاف القبائل حول زعامة ملا مصطفى.

و . للسكان شكاوى عديدة، والاهالي يعددون مظالم الموظفين وسوء ادارتهم.

ز — التقيت بملا مصطفى وقاده آخرين كانوا ملتصقين به، وجدتهم يميلون الى الاحتفاظ بأسلحتهم وعديمي الثقة بوعود الحكومة نظراً لتجارهم الماضية في سوء الادارة والنكت بالعهود. قالوا لي انهم قاموا بهذا العمل الخطير لأنهم اضطروا على ذلك. وقد أكدوا لي ولائهم للتاج وللحكومة واستعدادهم لخدمة الاثنين بإخلاص و اضافوا انهم وضعوا قدرهم مع الحكومة وعدالتها. وعدتهم بأن كل شيء سيكون في صالحهم لو سلّموا أنفسهم دون شروط، فقبلوا وذهبوا الى حامية ميّوگه سور كما ابلغتكم شفهيّاً، ثم طلبت منهم تنفيذ الشروط التالية:

اولاً: التخلي عن القتال ورفع الحصار عن المخافر والحاميات.

ثانياً: مساعدة الحكومة في الاسراع بإصلاح الطرق وخطوط التلفون.

ثالثاً: العودة الى قراهم مع قطعانهم والقيام بأعمالهم العادية.

رابعاً: وجوب اقامة علاقات جيدة مع قادة الجيش ومع الموظفين الآخرين في المقاطعة.

خامساً: التعاون مع الحكومة بغية اصلاح المخافر أو اعادة انشائها.

سادساً: ان يتعد ملا مصطفى عن منطقة العمليات وان يتابع بمهوء عمله الاعتيادي ولا

يتدخل في امور لا تعود له، وان يأتي الى بغداد ويسلم نفسه للوصي شخصياً حال حصولي على موافقة سموه.»

ويعضي ماجد مصطفى في ذكر الاسباب التي يراها لا تشجع على استخدام القوة، منها التضاريس الارضية الوعرة وعدم وجود قوات كافية مهيأة لتحقيق النصر كذلك كثرة عدد المتمردين ووحدة زعامتهم إضافة الى استعدادهم للقتال وروح التصميم لديهم.

ويقترح ماجد مصطفى عدداً من الاجراءات لتحسين الوضع:

«أ - السماح للقاده البارزانيين المنفيين بالعودة بغض النظر عن حركة التمرد والوضع الراهن. ان هذه الخطوة هي في صالح الحكومة من جهتين:

اولاً. سيحدث ذلك خلافات بينهم ويضعف القيادة، ورغم ان ملا مصطفى وشيخ أحمد وملا صديق (يعني محمد صديق) هم اخوة، وان ملا مصطفى يدافع عن قضية اخويه علناً ويجهد نفسه نيابة عنهم، لكن الثلاثة لم يكونوا في اي وقت من الاوقات متفقين في وجهات نظرهم وهم في خلاف دائم، كل واحد منهم يريد الحكم لنفسه.

ثانياً. بعودة الزعماء المنفيين الى أماكنهم، سيزول هدفهم المشترك والدعوة اليه.

(ب) - يجب اتخاذ خطوات فورية لإعادة الإدارة المدنية الى الاماكن التي شهدت حركة التمرد وتعيين موظفين مؤهلين فيها، سيساعد هذا الحكومة على اقامة علاقات مع العشائر غير الموالية لشيخ بارزان وسيؤدي هذا بالنتيجة الى تقليص نفوذ شيخ بارزان.

(ج) تخصيص المبالغ اللازمة وبمقدار كاف لإصلاح خطوط التلفون والطرق، ان اقامة خطوط التلفون وتسوية الطرق من بلى الى العمادية والى عقره وانشاء مراكز قوية هو من اجل ضمان سيطرة الحكومة وربط سكان المقاطعة مع المدن الكبيرة. ويمكن توظيف الايدي العاملة من ابناء المقاطعة نفسها ولكي تصبح هذه العلاقة مفيدة بين الحكومة والاهالي بحيث تعود بالنفع على ابناء المقاطعة.

(د) الغذاء الذي تقرر توزيعه يجب ان يوزع دون ثمن او بأسعار منخفضة ويجب اضافة كميات اخرى الى هذه المواد لكي يشعر السكان بفوائد تواجد مؤسسات الحكومة بينهم.

(هـ) باتخاذ الخطوات المنوه اعلاه إضافة الى سلوك الموظفين الجيد والعمل بالعدل والاختلاط المباشر مع السكان، ستصبح الادارة قادرة على ضبط المقاطعة ومطاردة المخالفين وجمع الاسلحة وازاحة الاشخاص سواء بشكل مؤقت او دائمي حسب مقتضيات الضرورة.

(و) وعند قبول استسلام ملا مصطفى من قبل سمو الوصي، سيأتي ملا مصطفى الى بغداد، وبعد مدة يسمح له بالعودة، وذلك من أجل تبديد شكوك الشعب والتي نشأت نتيجة نكث الحكومة بوعودها في الماضي. انني واثق في حالة تنفيذ التوصيات المشار اليها اعلاه وان لم يتحقق هدفنا كاملاً وضمن مدة محددة من الزمن، فإنها لن تفشل في إيجاد فرص أوسع للعمل في القضاء على روح التمرد مستقبلاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن إقامة النظام والعدل في الادارة سيؤدي الى انحسار التمرد في مناطق محددة، وسيكون باستطاعتنا عندئذ الحصول على تعاون المناطق المجاورة.

ماجد مصطفى

وزير بلا وزارة ١٨ / ١ / ١٩٤٤

على اية حال لم يكن السفير البريطاني كثير التفاؤل في استمرار مساعي التهدئة التي بدأ بها ماجد مصطفى بتأييد من نوري السعيد، اذ يقول في برقية بعث بها من بغداد الى لندن:

«5 — قد تتوج بعض جهوده بالنجاح لو سمحت تقلبات الحياة السياسية العراقية ببقائه في منصبه لمدة كافية.»^{١٩٢}

لقد استطاع ماجد مصطفى في فترة قصيرة تغيير الوضع المتوتر الى وضع اقل توتراً. اذ عاد شيخ بارزان من المنفى وبمعيته العديد من الانصار الى بارزان في ١٢ / ٢ / ١٩٤٤. تدفقت جموع غفيرة من القبائل البارزانية من رجال ونساء واطفال نحو الطريق الذي سيسلكه شيخ بارزان لاستقباله. فاكثرت القرى بالمستقبلين مروراً بشاندر حتى سریشمه. واقيمت الافراح في كافة القرى لعودة البارزانيين المنفيين. وبعودتهم تبوأ بارزان من جديد مركزها الاجتماعي

¹⁹² Vision or Reality? The Kurds in the Policy of the Great Powers. 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. 1995. Page : 125.

والديني والوطني. وانتعشت من جديد قيم الطريقة والاخلاق الاسلامية الرفيعة في اوساط البارزانيين. فقد كان رجل الفكر والايمان في الوسط البارزاني دوماً أكثر احتراماً من رجل السلاح.

لقد أمسي واضحاً ان الحكومة العراقية لا يهتمها تخفيف عبأ حياة الشعب الكردي القاسية، وأنها تستجيب فقط لبعض المطالبات عندما يفرض عليها بالقوة. وهذا ما أثبتته ملا مصطفى من خلال المقاومة التي تمثلت في القضاء على مخافر البوليس والتصدي للجيش العراقي ودحره. مما ادى الى بروز نجمه في كردستان.

وبعد عشرة ايام من عودة شيخ بارزان، وحسب مقترحات ماجد مصطفى، ذهب ملا مصطفى برفقة عدد من رؤساء العشائر ضمنهم فتاح آغا رئيس عشيرة الهركي الى بغداد واستقبلوا بحفاوة، والتقى ملا مصطفى بالوصي عبدالاله وبالسفير البريطاني. ويقول الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا:

«ان ذهاب ملا مصطفى الى بغداد كان يشبه زيارة رسمية أكثر من عملية استسلام.»^{١٩٣} لم يكن عدد من النواب راضين عن الطريقة التي عالج بها ماجد مصطفى الازمة في بارزان، ويقول السفير البريطاني في رسالة بعث بها من بغداد الى الخارجية البريطانية: «بتوصية من ماجد مصطفى، وصل اثنا عشر من زعماء القبائل المجاورين لبارزان الى بغداد برفقة ملا مصطفى واستضافتهم الحكومة لعدة ايام كضيوف، وقد كانوا موضع اهتمام وتعليقات، كما ان الطريقة التي عالجت بها الوزارة المشاكل في بارزان ونشاطات ماجد مصطفى الخاصة في الشمال (والتي كانت في الحقيقة حازمة ومتجانسة) أصبحت موضع نقد حاد في الاجتماعات لمجلس النواب. ويشك وزير الداخلية في ان هذه الهجمات دليل اضافي على عداء البلاط لشخصه. وهناك كلام عن استقالة الوزارة الحالية.

٣ — ان طريقة تسوية مشكلة بارزان نابعة بالتأكيد من ضعف الحكومة. كما ان الوقت لم يكن مناسباً لحضور هذا العدد من رؤساء العشائر الى بغداد مع ملا مصطفى. والوزارة

¹⁹³ Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page:142

معرضة الى الانتقاد حول هذه النقاط. وفي الوقت ذاته سيكون من المؤسف حصول تراجع فجائي في الخطة المتعلقة بكردستان اذ تبدو التحسينات الادارية الضرورية في المناطق الشمالية على وشك التحقق.

٤ — ان الوصي نفسه، سافر الى كركوك واربيل لتفقد القوات ظاهرياً، ولكن الغرض دون شك هو لتفحص الوضع العام هناك. ولذا اتوقع ان تناقش المسألة كلها بعد عودته.

٥ — وفي نفس الوقت فان وضع الوزارة ككل غير مؤكد. فقد قدم توفيق السويدي استقالته كي تتمكن المحكمة العليا الخاصة والتي تم تعيينها لتوه من البت في الشرعية الدستورية لمنصب نائب رئيس الوزراء. ولم تقبل هذه الاستقالة بعد.^{١٩٤}

وكخطوة اخرى هامة على طريق احلال السلام، تم تعيين ضباط الارتباط الاكراد، وكلهم يحملون روحاً وطنية كردية عالية، ويتوقعون الى العمل الثوري من اجل حقوق الشعب الكردي. ومنهم الرائد عزت عبد العزيز الذي كان شخصية جريئة ووطني غيور ومستعد لركوب الاهوال خدمة لشعبه، كما انه كان ينتمي الى عائلة ذات صلة قرابة مع شيخ بارزان الشهيد (عبد السلام) اضافة الى دور هذه العائلة النضالي في الحركة الكردية التي كان شيخ بارزان محورا لها في بداية العقد الاول والثاني من القرن العشرين وحتى استشهاده عام ١٩١٤. وعندما تعين عزت عبد العزيز في بلي عام ١٩٤٤ كان شيخ احمد يكن له احتراماً خاصاً حتى قيل ان الرائد عزت عبد العزيز أثر على شيخ بارزان في القيام بالانتفاضة مبكراً.^{١٩٥}

وجاء الى كردستان عدد آخر من الضباط والمثقفين منهم العقيد أمين رواندوزي، والنقيب سيد عزيز سيد عبد الله والنقيب ميرحاج أحمد والنقيب مصطفى خوشناو والنقيب مجيد علي وآخرون، وشكلوا لجنة سميت بلجنة الحرية، وكانت هذه اولى تجارب شريحة مثقفة وطنية كردية مع ملا مصطفى في العمل الثوري.

¹⁹⁴ FO. 371 40038. From Baghdad to Foreign Office. 29 February. 1944.

¹⁹⁵ Hassan Arfa. The Kurds. Oxford University Press. P. 126.

كان البريطانيون هم الذين أسسوا الجيش العراقي ودربوا فرق المشاة والقوة الجوية على اساليب القتال. وكان هذا الجيش مؤلفاً من عرب وكورد وآشوريين وتوركمان، وكان من المفروض عليه الدفاع عن هوية لم ترسخ بعد في اربعينات القرن الماضي، اي الهوية العراقية، وحكومة بغداد المسؤولة عن تطوير وترسيخ هذه الهوية، لم تحترم هويات القوميات الاخرى التي تحكمها، كانت حكومة تستند على لغة القهر والظلم، وحاولت فرض نفوذها بالقنابل والاحتلال كما فعل البريطانيون من خلال الـ R A F في سنوات الثلاثينات في عملية «تمدين» الشعب الكردي. وأيقنت الشعوب الاخرى بأنها مهددة في ظل الحكومات العراقية المتتالية والتي يطغى عليها دوماً التعالي القومي على حساب تصغير شأن القوميات الأخرى واضطهادها.

لقد بقيت هذه الهوية تعاني من الضعف الى يومنا هذا، فالهوية هي نتاج قرون من الحياة المشتركة والمرتبطة باللغة والعادات والتقاليد وتقاسم الأرباح والخسائر والافراح والاتراح بصورة متساوية، ولا يمكن صناعة هويات بالطريقة التي سلكتها الحكومات العراقية، وكان ضباط الارتباط الكرد الذين تعينوا في كردستان وبالأخص في مناطق بارزان واعين للغبن الذي لحق بالشعب الكردي، سواء من البريطانيين او من حكومات بغداد. وكانوا يرون ان الوضع الداخلي والخارجي ملائم لاستغلال افراقات الحرب الكونية الثانية في تقوية النضال التحرري الكردي. كان حزب هيو مصدرًا لتحريك الصراع وادخال القيم الثورية والوطنية الكردية سواء في المجتمع الكردي المدني الهزيل نسبياً او في المجتمع القبلي القوي.

ونظراً للظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية في ذلك الوقت، يبدو التقاء قياديين من حزب هيو وعملهم مع ملا مصطفى وهو زعيم قبلي امر املته الظروف الضاغطة، اذ لم يكن لدى حزب هيو مقاتلون مسلحون ولا منطقة حصينة لمقاومة هجمات الحكومة العراقية. وكان ما ينقص حزب هيو، متوفرًا في بارزان ولكن ليس تحت سلطة هيو، ومن الناحية الاخرى كان ملا مصطفى يحتاج الى عناصر مثقفة تنظم الحركة وفق مفاهيم عصرية وتعبئ التأييد الشعبي في المدن لصالح الحركة التحررية وتوصل المساعدات من المدن الى معازل الثورة

في الجبال وتتصل بالجهات الخارجية. اذ لم يكن ملا مصطفى قادراً على هذه الامور، فقد رأينا مثلاً ان رسائله^{١٩٦} الى السفير البريطاني كانت محلية الطابع، كما تغيرت مطالبه الى مطالب قومية بعد مجيء ضباط هيو الى كردستان. إضافة الى ذلك فإن للطريقة النقشبندية التي كانت سائدة في بارزان كان لها قدرة كبيرة على التوحيد الفكري، وكانت قد شكلت مجتمعاً متجانساً قوى الارادة ومتحد. وكانت نقطة الالتقاء بين الطرفين مناهضة الظلم ومحاربة الفساد ونيل الحقوق المغتصبة. وقد تولدت التحالفات نتيجة لهذه الاهداف المشتركة. ولكن هذه التحالفات لم تكن خالية من التوترات والصراعات على النفوذ وعلى كيفية ادارة الصراع واساليب القيادة وتحديد الاهداف الوطنية وقد اثرت هذه الصراعات تأثيراً سلبياً على الحركة التحررية الكردية فيما بعد.

كان الضباط الكرد الذين عينوا وفق ارشادات ماجد مصطفى احراراً في التجوال في كردستان، وصعد هؤلاء من نشاطاتهم السياسية والتنظيمية بالأخص لتوحيد القبائل في جبهة واحدة. وادى لقاء ملا مصطفى بهم الى توسيع افقه السياسي. كما ان ملا مصطفى هو الآخر قام بجولات في اوساط القبائل لكسبهم الى الحركة الكردية. وتزوج للمرة الثالثة في عام ١٩٤٤ من ابنة محمود آغا الزبياري وهي تصغره ب ٢٨ عاماً.

لم تساعد الحكومة العراقية مناطق بارزان اقتصادياً وكان ملا مصطفى قد كتب الى السفير البريطاني يشكو افتراءات الحكومة ونصبها الفخاخ له، كما يشكو من استمرار حالة الفقر في قضاء الزبيار ويجدد ولائه لكل ما تأمر به الحكومة البريطانية.

لم يحصل تغير في موقف الحكومة. أرسل ملا مصطفى رسالة اخرى الى السفير البريطاني مؤرخة في ٩ / ٤ / ١٩٤٤، يذكر فيها: «انه نفذ اوامر السفير ووقف القتال وجاء الى بغداد ومقابل ذلك وعدت الحكومة بسحب الجيش من بلى وميزگه سور واصدار العفو العام واجراء بعض الاصلاحات في كردستان حسب المذكرة التي قدمها ماجد مصطفى،

^{١٩٦} للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة رسائل ملا مصطفى بخط يده وبتوقيعه موجهة الى المسؤولين البريطانيين، ضمنها رسالة جوابية موجهة الى الميجر ادموندز مستشار وزارة الداخلية، وكان الاخير قد بعث برسالة الى ملا مصطفى في ١١/٣ / ١٩٤٣. وايضا رسالة اخرى مؤرخة في ١٩٤٤/٢/٩.

ولكن الحكومة لم تنفذ اياً من وعودها....» ويضيف: «ان الحكومة العراقية تعزز حاميتها في ميرگه سور وبلى وهناك شائعات عن ارسال قوات الجيش الى عقرة وراوندوز. في حين لا يبدو ان في نية الحكومة اجراء الاصلاحات.» وذكر: «ان لم تمنع الامبراطورية البريطانية العظمى فأنا مستعدون لأثبات الحقيقة لهؤلاء واثبات حقنا بأيدينا.....»^{١٩٧}

يقول كريس كوتشيرا: «لقد تدهور الوضع بسرعة، فقد اشار كورنواليس في مقابلة هامة مع ولي العهد عبدالاله «انه لم ينفذ شيء جدي خلال الأشهر الماضية لتهدة الوضع في كردستان.» ونصح الوصي بان يستغل فرصة اللقاء بالوجهاء الكرد في راوندوز عند سفره لكي يلتقي بملا مصطفى ايضاً، لكن اللقاء لم يتم بسبب الامطار او لعدم ابلاغه في الوقت المناسب.»^{١٩٨}

وقام نوري السعيد في اواسط شهر مايو/ايار ١٩٤٤ بجولة في كردستان مروراً بالموصل وكركوك واربيل، وألقي كلمات أمام الضباط مظهراً تعاطفه مع الاكراد واهاب بوطنيتهم معلناً استعدادة لقبول بعض من مطالبهم وبالأخص تشكيل لواء كردي (محافظة). ان اظهار رئيس الوزراء نفسه كمحام للأكراد (وهو كردي من امه) كان في الواقع يرمي الى فصل العناصر الاكثر اعتدالاً في الحركة القومية عن ملا مصطفى وكانت هذه العناصر في مجرى التفافها حوله.

خلال هذه الرحلة حصلت مناقشه صاخبة مع ماجد مصطفى والتي كشفت نوايا نوري سعيد الحقيقية. فقد كلف نوري سعيد ماجد مصطفى بالبقاء في كردستان لكي يسترد السلاح من البارزاني، ورد عليه ماجد مصطفى ان ذلك مستحيل طالما «ان الحكومة لم تفعل شيئاً لتهدة الشكاوى الكردية بشكل عام» وتلا ذلك حوار مثير بين رئيس الوزراء ووزيره لشؤون الاكراد:

^{١٩٧} رسالة من ملا مصطفى الى السفير البريطاني مورخة في ١٩٤٤/٤/٩.

¹⁹⁸ Chris Kustchera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. Paris. 1979. Page : 143.

. نوري السعيد: «ليس لذلك علاقة بالمسألة، وفي كل الاحوال لا يمكن حل هذا هنا.»

. ماجد مصطفى: «لست موافق على ذلك، ان مبادرة من هذا القبيل ضرورية وملحة، هذا لو أردنا خلق جو أكثر ثقة... كيف تتصورون ان بإمكانني استرداد السلاح وأنتم تقلون ثلاثين الى اربعين ضابطاً كردياً لكونهم أكراداً ليس الا؟

. نوري السعيد: لا أريد أن يستاء الجيش ولا التدخل في هذه المسائل لإرضاء ملا مصطفى.

وهنا وجهه ماجد مصطفى الكلام الى رئيس الوزراء:

«وماالذي عملتم أنتم للأكراد ؟ قل لي هل بنيتم قناة (ترعه) بخمسة عشر ديناراً؟ كم من الاكراد حصلوا على التعليم العالي، الا في ظروف شاقة؟ وكم من الاكراد أرسلوا في بعثات دراسية؟ الخ

ومع ذلك وافق ماجد مصطفى على الالتقاء بملا مصطفى، وحصل اللقاء في اواسط شهر مايو/ ايار ١٩٤٤ بحضور متصرف الموصل والميجر كنج المستشار السياسي. وفي هذا اللقاء أعرب ملا مصطفى عن مخاوفه من القوات العراقية الموجودة في حاميّتي بلي و ميّوگه سور وانه لا يثق بالحكومة العراقية، في حين طلب متصرف الموصل اعادة ١١ رشاش و ١٧٢ بندقية وعودة ٢٥٠ هارب الى الجيش والشرطة. لم تؤد هذه المحادثات الى نتيجة، لكن الميجر كنج انفرد بملا مصطفى جانباً وقال له أنك تلعب بالنار، فطلب منه ملا مصطفى النصح فيما يجب عمله، ونصحه المستشار البريطاني، بأن يرسل عشرة من الهاربين ويعيد عشرة بنادق ويتوقف عن ارسال رسائل غير معقولة.^{١٩٩}

في الواقع استمرت حالة اللاسلم واللاحرب هذه الى شهر حزيران / يونيو، اذ لم يكن البريطانيون يريدون حصول اضطرابات في كردستان تؤثر سلباً على مجهودات الحرب.

وعدود بلا تنفيذ

في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥، أرسل السفير البريطاني في بغداد الى الخارجية البريطانية تقريراً حول أهم الأحداث السياسية والاقتصادية في العراق خلال عام ١٩٤٤. ويتضح من هذا التقرير انه رغم الاحترام الذي كان يبديه ملا مصطفى في جميع رسائله للسفير البريطاني كان الاخير لا يعبر ذلك اهتماماً بل كانت نظرتة سلبية عن ملا مصطفى وفيما يلي نورد اهم ماورد في التقرير.

مراجعة سياسية لعام ١٩٤٤

المقدمة

كان عام ١٩٤٤ عاماً هادئاً بالنسبة للعراق. لقد دفع انحسار تهديد العدو وانتصارات الحلفاء الاخيرة العراقيين الى الاعتقاد بأن الحرب قد انتهت. وفيما عدا توفير المواد الاولية المطلوبة من الحلفاء، فالعراق كبقية البلدان الشرق اوسطية الاخرى لا يلعب دوراً نشطاً في الحرب. والشيء الوحيد الذي يوحى باشتراك العراق في الحرب هو تواجد القوات البريطانية والهندية فيه، ومن جانب آخر فان الحرب قد تركت نتائج اقتصادية مؤلمة، فالبلاد كوحدة سياسية تمتعت برخاء متواصل، ويعود الفضل في هذا الى الاستفادة ولو بنسبة ضئيلة من نفقات الحرب البريطانية والى وفرة الحصاد. ولكن بسبب قلة الواردات وارتفاع الاسعار فقد تدهورت حالة السكان بصورة عامه. ولم تكن الاجراءات التي اتخذت للحد من هذه السلبات مجدية. وبعد ترك الكولونيل Colonel Bayliss مدير الواردات العام لوظيفته مرت مرحلة غابت فيها الرقابة الاقتصادية.

٢ — وفي مجال السياسة الداخلية فقد حلت محل وزارة نوري باشا وزارة مشاجمة لها يرأسها حمدي الباججي. وباستثناء الاضطرابات المزمّنة في منطقة بارزان من كردستان، ساد النظام في الداخل. وكانت العلاقات بين القوات الملكية والسكان العراقيين هادئة. وفي مجال الشؤون الخارجية كان هناك تتبع واهتمام بمشاكل فلسطين ودول المشرق وسخط متزايد على الصهيونية والفرنسيين.

٣ — لقد اثبتت العلاقات الممتازة والتي استمرت طوال العام، من جديد جدوى سياسة حكومة جلالته تجاه هذا البلد. ورغم وجود الصعوبات فان الغالبية من المفكرين العراقيين واعين من ان بلدهم لا يمكنه الوقوف وحده في عالمنا المعاصر، ولذلك فالعراق يحتاج الى الحماية والمساعدة من دولة عظمى صديقة، ومن المؤمل ان تواصل بريطانيا القيام بدور تلك القوة العظمى.

السياسة الداخلية

خلال النصف الاول من العام تركزت السياسة العراقية بشكل رئيسي على مسألة إمكانية استمرار نوري باشا تولي الادارة ام لا. اذ ظل رئيساً للوزراء منذ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٤١، لكنه اضطر الى اعادة تعديل وزارته ليس أقل من تسع مرات، فقد وظف وتخلّى عن اربعة وعشرين وزيراً مختلفاً، وبدا انه يقترب من نهاية التسويات. اذ كان فريقه الوزاري الاخير الذي تشكل في ديسمبر / كانون الاول ١٩٤٣ جيداً من عدة نواح ولكنه غير شعبي البتة ولم يحظ بثقة الوصي على العرش. وكان سموه يكره بشكل خاص مجيء توفيق السويدي وعمر نظمي وعلي ممتاز في الوزارة، فقد اعتبرهم غير مخلصين له. وشعر بهذا الخصوم الشخصيون لرئيس الوزراء في البرلمان فبدأوا بتشجيع من مسؤول البلاط تحسين علي بخلق المشاكل ورفضوا الثقة بالحكومة وحرص النواب المعارضون فواصلوا هجماتهم حتى أرهقوا الوزراء واجبروهم على الاستقالة.

كانت المناورة الاولى للمعارضة تتمثل في التشكيك في شرعية تعيين توفيق السويدي كنائب لرئيس الوزراء، وهو منصب اسسه نوري باشا. وبعد نجاحهم في ارغام توفيق السويدي على

الاستقالة بحكم صادر من المحكمة العليا، تشجعوا بعد ذلك في خوض المزيد من المنازلات العامة، فأمرسى الوزراء مثبطوا المهمة واحسوا بأنه ليس من الانصاف ان يضعهم الوصي في الادارة و ثم يوحى لاعدائهم بأنهم لا يحظون بدعمه. لقد كرر سفير جلالته تحذيره للوصي من هذا الوضع غير المستقر الذي وضع فيه الوزراء وهو مؤذ للإدارة ونصحه إما ان يفسح لهم المجال او يأتي بآخرين محلهم، اذا كان واثقاً من أن هناك رجالاً افضل. كان سموه خلال أشهر الربيع متردداً بين هذين الخيارين في حين استمر انتقاد الوزراء من مجلسي النواب والاعيان. وتكثفت الهجمات وبلغت اوجها في الايام الاخيرة اثناء مناقشة الميزانية، فقد انتقلت المعارضة من الانتقاد الى الشتائم وتلا ذلك ضجيج وهذا ما اجبر رئيس المجلس على تعليق الاجتماع. وقدم نوري باشا استقالته موضحاً استحالة الاستمرار في الوزارة دون تأييد كامل من الوصي. وفيما بعد طلب سموه من حمدي الباججي تشكيل الحكومة. قبل الباججي الدعوة ولكن رئيس الوزراء الجديد وجد صعوبة في جمع الوزراء، فقام البلاط بمساعدته، كانت هذه الوزارة التي بدأت عملها بعد اسبوعين معروفة لدى جميع الاوساط بأنها من عمل الوصي. وقد شغل المناصب الرئيسية فيها: مصطفى العمري (وزير الداخلية) أرشد العمري (وزير الشؤون الخارجية والتموين) صالح جبر (وزير المالية) تحسين علي (وزير الدفاع). وعرض حمدي الباججي على نوري باشا وابراهيم كمال مناصب وزارية ولكن الاثنين رفضا العرض. كان نوري باشا بحاجة ماسة الى الراحة واستعادة صحته. واما ابراهيم كمال فانه لم يقتنع بأقل من رئاسة الوزارة.

٥ — في تصريح لحمدي الباججي بعد تشكيل حكومته بوقت قصير، عبر عن اسفه لعدم اعداد برنامج كامل للوزارة بسبب الوعكة الصحية التي امت به، لكن الوزارة ستولي اهتمامها الرئيسي لثلاثة مواضيع عملية: (أ) تطوير التنظيم الاداري وتحسين عمل دائرة التموين. (ب) اتخاذ كافة الاجراءات لتوطيد «الامن والنظام» في جميع انحاء البلاد. (س) تحسين كفاءة واستقامة موظفي الحكومة. لقد خلا التصريح من الاشارة الى مشكلة كردستان. لكن حمدي

الباججي قال في تصريح لاحق ان حكومته تنوي السير على نفس سياسة سلفه فيما يخص كردستان وتنفيذ برنامج شامل لتطويرها.

٦ — ان الحرارة الشديدة وسط فصل الصيف تسبب اثاراً الاعصاب وتُصعّد وتيرة الغضب وينجم عنها عادة ازمة وزارية، وقد حصل ذلك في شهر اغسطس آب عام ١٩٤٤ عندما عبر وزير الدفاع بعنف عن عدم موافقته مع زملائه على مشروع الجنرال رنتن Renton المتعلق بادخال الاصلاحات على الجيش. وبعد تعديل الوزارة بوقت قصير، استقال حمدي الباججي ثم اعاد تشكيل وزارته، وفيما عدا تنحية تحسين علي واجراء تبديلات معينة في المناصب فقد ظلت تركيبة الوزارة كما كانت في السابق، فوزارة التموين التي شغلها خلال بضعة أشهر أكثر من وزير تولاهها مديريها العام من خلال ترقيته، اذ لم يكن هناك سياسي معروف يقبل يمثل هذا المنصب الذي لا يحسد عليه او ان ينضم الى وزارة أمسي مستقبلها في نهاية العام غير مؤكد. وحدثت تغيرات اخرى في شهر كانون الاول/ ديسمبر في وزارتي الشؤون الاجتماعية والدفاع، اذ انيطت الاخيرة الى رئيس اركان الجيش السابق، وبقي البرلمان هادئاً مع تلميحات وقت كتابة هذا التقرير، تُحذّر ان يكون نوري باشا رئيس الوزراء المقبل.

٧ — اما خارج البرلمان وخارج الدائرة الاوليغاركية العراقية فقد برز نشاط سياسي ونقاش ملحوظ. وانعكس هذا المنحى في الصحافة، ففي بداية العام صدرت خمس صحف عربية يومية في بغداد وهناك الآن احدى عشرة صحيفة، يؤيد بعضها الحكومة، اما المعارضة سواء في الصحافة او خارجها، فقد رمت جانباً قيود السنوات الثلاث المنصرمة والفضل يعود الى رفع الرقابة بالتدريج، وفي العديد من الحالات تبدو الكراهية القديمة والمشاعر القومية غير المسؤولة واضحة تحت ظواهر الاشياء خصوصاً الهجمات للقوى الاخرى على «الإمبريالية». لكن بشكل عام فإن نبرة المعارضة لم تخل ابداً من الجوانب البناءة. وفيما يخص الإطار السياسي الداخلي فقد تركزت المطالبات على معالجة فعالة لحل مشاكل التموين ومحاربة الفساد في الحياة العامة واللامركزية وتشكيل الاحزاب السياسية وفيما يتعلق بالمطلبين الاولين فلا أحد يعارضهما. كما كان من الممكن اتخاذ خطوة هامة نحو اللامركزية لو نفذت الحكومة

نيتها المعلنة في ابرام قانون معدل لإدارة الالوية (المحافظات). ولا يبدو ان تشكيل الاحزاب السياسية سيشهد تقدماً سريعاً في بلد يعير الاهمية للأشخاص وليس للمبادئ وحيث الجماهير غير مثقفة سياسياً.

لا شك ان «الشيوعية» انتشرت خلال العام قيد المراجعة، ووزعت منشائر «شيوعية» بشكل واسع، لكن هذه الحالات في العراق لا تعبر سوى عن منحى اكايمي وشعور غير عملي بالإحباط تجاه الامور في حالتها الراهنة.

٨ — سبق وان اشرنا الى قلة ثقة الوصي بوزارة نوري باشا، وبدا آنذاك موقف سموه قصير النظر، ولكن للوصي تأثير مرض في السياسة العراقية بصورة عامة، كما ان تعاطفه مع بريطانيا لا شك فيه وهو عادة يذعن للنصيحة كما انه مصمم على القيام بواجبه وهو واع تماماً للعديد من المشاكل التي تواجه بلاده وهذا جلبي من المذكرة الطويلة التي كتبها سابقاً وهو يخطط للعمل المستقبلي للحكومة وكان يريد العمل وفق ذلك النهج. وتلك ليست وثيقة عديمة القيمة ابداً، انما تشير الى تقدم في كفاءته السياسية، وليس من طبعه إثارة الحماس الجماهيري ولسوء الحظ كان عنيداً فيما يخص كردستان كذلك في اضطراره منح الحكومة او البرلمان او الشعب قيادةً جديدةً تنفذ سياسة بناءة. وفي كل الاحوال كان يظهر طوال العام دون كلل في الوسط الشعبي ويتفقد احوال الجيش في جميع انحاء البلاد.

٩ — لقد جاء اهتمام الوصي بالجيش في وقته المناسب، فحسب الخطة التي أعدها الجنرال رنتن General Renton الرئيس الجديد للبعثة العسكرية البريطانية، فان قوة الجيش ستقلص من أربع فرق الى فرقتين مع فرقة تدريب. هذه الخطة لا يتوقع لها الحصول على اعجاب جميع الوزراء، خاصة انما تقضي بتقاعد العديد من الاصدقاء القدامى من ضمن الضباط الاكبر سناً. لكنهم قبلوها باستثناء تحسين علي تحت تأثير الاخفاق العسكري في كردستان في العام المنصرم. ان اعادة التنظيم سوف تحسن معنويات الباقين من الضباط وستكون فرص ترقية أفضل، وهناك تقدم هام في التمارين العسكرية، وستؤدي اصلاحات الجنرال رنتن الى توفير غذاء وملابس أفضل وانخفاض في حالات المرض. كما ان القوة الجوية

العراقية تخلق الآن في الفضاء أكثر من ذي قبل، وواجبها محدد وهو التعاون مع الجيش. وستبيع حكومة جلالته ثلاثين طائرة من نوع Anson ويتوقع ان تسلم في شهر شباط / فبراير من عام ١٩٤٥.

١٠ — كان الخطر السياسي والمشاعر المناهضة لبريطانيا في الماضي يكمن في الجيش. لقد اخذ عمل الجنرال Bromilow يحظى بثقة الضباط الشباب ويعطي ثماره الآن. ان إعادة تنظيم البعثة العسكرية البريطانية من قبل الجنرال رنتن وادخال ضباط بريطانيين شباب شاركوا في الحرب له أثر ممتاز، صحيح ان هناك بعض الامتعاض ولكنه لحسن الحظ اقل حدة. ان واجب الجيش الاساسي يجب ان يكون صيانة النظام في العراق، هذا الدور موضع تقدير عام. كما ان إعادة تنظيم وتدريب الجيش الآن يفسر على انه اعداد للحملة على كردستان في الربيع.

١١ - انشغلت وزارة نوري باشا والوزارة التي اعقبتها بالشؤون الكردية، ففي شهر كانون الثاني /يناير تم التوصل الى سلام مع ملا مصطفى وتوقف التمرد البارزاني بفضل جهود ماجد مصطفى، وهو وزير بلا وزارة، كانت مهمته تتركز في اعطاء المشورة في السياسة الكردية. وكانت تسوية غير سهلة، وبدا ان المجابهات في مناسبات عديدة خلال الاشهر التي تلت ذلك امراً متوقعا.

١٢ — نبهت المشاكل في بارزان الحكومة العراقية على الحاجة الى المصالحة ولهذا بادرت الى تنظيم الادارة في المناطق الشمالية. وفي وقت مبكر من العام أرسل رئيس الوزراء ماجد مصطفى في جولة الى المراكز الرئيسية في كردستان لإزاحة الموظفين الاكثر اساءة والإسراع في توزيع الحبوب الرخيصة المخصصة للقرى المحتاجة. وتم تعيين متصرف كفوء جديد هو الجنرال بهاء الدين نوري في السليمانية، كما اخذت الحكومة بعين الاعتبار الاسراع في خطة الانفاق على الخدمات العامة وذلك من اجل ايصالها الى نفس مستوى المناطق الاخرى من البلاد. وقد نالت هذه السياسة الحكيمة الانتقادات من قبل معارضي الحكومة في البرلمان، بالأخص

من مجلس النواب، ووجد الوزراء المعنيون أنفسهم دون دعم من البلاط ولم يجرؤوا على التقدم في عملهم بثبات، وشعرت القبائل الكردية ان الامور تسير بصورة خاطئة وتواترت الانباء عن السخط السائد في الشمال. وحذر سفير جلالته نوري باشا والوصي من انهما سيواجهان قريباً وضعاً في غاية الصعوبة ان لم يقوموا باتخاذ اجراءات كفيلة بأنصاف الشكاوى الكردية المشروعة. زار بعد هذا نوري باشا المناطق الشمالية مرتين، وخلال زيارته الثانية في شهر ايار/مايو تكلم باطمئنان الى حشود كبيرة من الضباط ورؤساء العشائر والوجهاء وحصل من المتصرفين (المحافظين) على مذكرة دقيقة تتعلق بخطط واقتراحات بتحسين الادارة والطرق والمدارس والمستوصفات واعمال اخرى تحتاجها تلك الالوية. لكن زيارات فخامته كانت سريعة جداً. وذكر له العديد من الذين التقى بهم صراحة انهم سمعوا وعوداً سخية من قبل وانتظروا تنفيذها طويلاً دون جدوى. وفي كل الاحوال فان زيارته حسنت مزاج الشعب، لكن لسوء الحظ سقطت الوزارة بعد عودته الى بغداد بوقت قصير وزالت الانطباعات الجيدة التي كان قد أوجدها.

١٣ — عندما تسلم حمدي الباججي رئاسة الوزارة، جدد سفير جلالته للوصي والوزراء نصحه بتبني سياسة ودية تجاه الاكراد والعمل على تهدئة وتطوير الوضع الاجتماعي والاداري في الالوية الشمالية ومواصلة نفس النهج السابق والبدء من النقطة التي توقفت عندها الحكومة السابقة. كان التقدم بطيئاً، كما ان احلال متصرف آخر محل الجنرال بهاء الدين في شهر اغسطس ترك انطباعاً سلبياً. في حين وطد البارزانيون اوضاعهم وعززوا عن طريق التزاوج تحالفاً مع جيرانهم الزبياريين، وبهذا اصبحت سيطرتهم على التخوم الشمالية الشرقية سيطرة تامة. اما وضع الجيش العراقي فانه غير مؤهل للقيام بحملة تأديبية ناجحة، لذا على الحكومة التزام الصبر. قام الكولونيل توفيق وهي الوزير الكردي للاقتصاد في شهر سبتمبر بجولة في الشمال لايضاح النوايا الطيبة للحكومة المركزية، لكن ما ان عاد الوزير الى بغداد، حتى طلب ملا مصطفى بدعم من اتباعه المسلحين تسليم ١٠٠ طن من الحبوب من مقرات الحكومة المحلية، ولم يكن هناك خيار آخر غير تسليمها. وفي شهر كانون الاول/ديسمبر ظهرت دلالات اضافية لعدم الاستقرار نوردها دون الدخول في تفاصيلها، كانت مطالب

ملا مصطفى من الحكومة المركزية تتضمن تنفيذ الوعود التي أعطتها حكومة نوري باشا، وهي إطلاق سراح السجناء الاكراد وتعيين مندوب للأكراد يتمتع بصلاحيات واسعة في بغداد، وتخصيص «قرض زراعي» بقيمة ١٤٤٠٠٠ دينار عراقي لشخصه. وقد مال بعض الوزراء الى القيام بعمليات عسكرية ولكن تقرر بحكمة تهيئة قوات احترازية فقط. ملا مصطفى الآن في بارزان. وفي الوقت ذاته توزع الحبوب والملابس في معظم المناطق الكردية.

١٤ — تكشف هذه الازمة والازمة السابقة عن عدة محاذير عن الحالة غير المرضية في كردستان. ان ملا مصطفى قاطع طريق لايهتم بالرفاه السياسي والاقتصادي لشعبه، انما همم الحفاظ على وضعه الاقطاعي فقط. واذا استمر على خلق المشاكل فلن يبقى سبب يجعلنا نقنع الحكومة بعدم الالتجاء الى عمل عسكري ضده، بشرط ان تؤيد ذلك البعثة العسكرية البريطانية، ولقد افهمنا الحكومة العراقية ان عليهم استشارة السفير والقائد العام لقوات البعثة البريطانية قبل اجراء هذه العمليات العسكرية، فهذا التشاور حيوي لتفادي نشوء وضع قد يؤدي الى طلب تدخل القوات البريطانية لانتشال حليفها العراق من المصاعب. وقد اوضح سفير جلالته الى السلطات العراقية في مناسبات عديدة ان لا تتوقع من بريطانيا المساعدة او حل مصاعبهم الكردية، طالما استمروا في تأخير تنفيذ وعودهم بالمساعدة والاصلاحيات الادارية، ولكن في كل الاحوال ينبغي الاخذ في الاعتبار انه في حالة وقوع مشكلة جدية في كردستان يصبح استخدام القوات البريطانية بصورة دفاعية امراً مؤكداً لصيانة مصالحنا.^{٢٠٠}

فيما يخص تركيبة الجيش العراقي حتى عام ١٩٤٤ كان التمثيل الكردي فيه على المستوى المتوسط والمتقدم موجوداً، وكانوا كلهم يعتبرون مواطنين عراقيين، هؤلاء الضباط المنتمين سراً لحزب هيوا والذين تعينوا كوسطاء بين البارزانيين والحكومة العراقية، وجدوا الفرصة المناسبة في اعطاء هذا التمرد المحلي ذو الاهداف المحدودة بعده القومي.^{٢٠١}

ان سفر عزت عبد العزيز الى بيروت والقاهرة للالتقاء ببعض أقطاب خويون — لا توجد تفاصيل حسب علمنا عن نتائج هذه الزيارات ومن هم الاشخاص الذين التقو بهم — وسفر

²⁰⁰ E 608/195/93. Sir K. Cornwallis to Mr. Eden. Dated. 9th January 1945.

²⁰¹ Kurdistan in the Shadow of History. Susan Meiselas. P. 192

مصطفى خوشناو ومير حاج أحمد الى كردستان إيران وهي تحت الاحتلال الروسي، يعكس الأهمية التي أوليت للعلاقات الكردية الكردية في الأجزاء الأخرى من كردستان.

كان المسؤولون البريطانيون والعراقيون ساخطين اشد السخط من هؤلاء الضباط الكرد، وكانوا متهمون بأنهم هم الذين جروا ملا مصطفى نحو المطالبة بالحقوق القومية للشعب الكردي، وهم مسؤولون عن «تغير شخصيته وأهدافه وبث الدعاية له، إذ زينوا له قيادة الحركة الكردية ووسعوا طموحه». ^{٢٠٢}

بقيت الحكومة العراقية مغلقة في إطار تفكيرها الشوفي، وعبرت الحكومة عن «سخائها» للشعب الكردي باصدار قانون عفو عام عن «المتمردين البارزانيين» هكذا وكأن المسألة لا تتعلق إلاّ بعدد من الخارجين عن القانون، وان الحكومة لا تتحمل اية مسؤولية ازاء الحالة المزرية في كردستان، لقد كان منطق الاحتلال هو السائد في العقلية الرسمية لحكومة بغداد. فبالنسبة لهم ان قانون العفو كفيل بحل المشكلة في كردستان. وصدر قانون العفو هذا في ٢٥ / ٤ / ١٩٤٥ بتوقيع كل من الوصي، رئيس الوزراء حمدي الباججي، وزير الداخلية مصطفى العمري، وزير العدل أحمد مختار بابان، وزير الدفاع اسماعيل نامق. وتقول برقية ارسلها السفير البريطاني من بغداد الى لندن مؤرخة في ٣ / ٥ / ١٩٤٥:

«(.....)»

٢ — ستلاحظون ان المادة الاولى تستثني اعضاء القوات المسلحة في الدولة من العفو، فهم يعاقبون وفق قوانين خاصة تتعلق بهم، هذه المادة ادخلتها اللجنة، وفي نظري انها هامة جداً، ذلك ان شمول العفو العام للهاربين من الجيش والشرطة سوف يضعف الانضباط داخل القوات المسلحة، لقد بذلت كافة الجهود لفصل الضباط المرتدين الذين التحقوا بملا مصطفى عنه، حيث انهم هم الذين يوحون اليه ما يجب عمله وهم عباقرة الشر. ^{٢٠٣} في حين يشير

^{٢٠٢} الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان ١٩٤٧-١٩٣٢، منشورات دار الطليعة بيروت، ص ٦٥٠.

الزعيم الركن حسن مصطفى الذي حارب البارزانيين الى النقلة النوعية التي حصلت في موقف ملا مصطفى جراء تأثير هؤلاء الضباط عليه فيقول: «وبتحرير من هؤلاء (يعني الضباط الكرد) ارسل ملا مصطفى في ١٧/١٠/١٩٤٤ كتاباً الى وزير الداخلية باسماً فيه مطالبه التي كانت في الحقيقة مطالب دعاة القضية الكردية وكان واضحاً من صيغة الكتاب ان كاتبه لم يكن ملا مصطفى بل أحد الضباط الملتحقين به وهو الرئيس الاول المتقاعد عزت عزيز». ٢٠٤

وكان من بين الداعين الى استخدام لغة القسر مع الشعب الكردي هو مصطفى العمري نفسه، وزير الداخلية.

كانت حكومة الباجي متشككة في نوايا البريطانيين في كردستان، ويقول السفير البريطاني في بغداد:

«عدد من موظفينا تلقوا تساؤلات في هذا الامر من وزير الداخلية ومن ماجد مصطفى، وزير سابق بلا وزارة تولى مسؤولية الشؤون الكردية في وزارة نوري باشا الاخيرة، انه بالتأكيد قلق فهو يريد اظهار ولائه التام للملك وللحكومة. وسألني رئيس الوزراء نفسه عن موقفنا، من الطبيعي انني لم أقدم له تعريفاً شاملاً لموقفنا، لكنني اقتصرت على القول انه لتفادي وقوع مشاكل ينبغي تبني موقف ينم عن رحابة صدر....» ٢٠٥

كانت الحكومة البريطانية قلقة من مغبة سياسة تسلكها الحكومة العراقية ينجم عنها تعاطف الكرد مع روسيا ٢٠٦. فقد كانت السلطات العراقية والبريطانية على علم ببعض الاتصالات الكردية التي اجريت عبر الحدود الايرانية مع الروس، لكنهم لم يعرفوا ماهية ونتائج هذه الاتصالات. ٢٠٧

٢٠٤ الزعيم الركن حسن مصطفى. البارزانيون وحركات بارزان. ١٩٣٢ - ١٩٤٧. منشورات دار الطليعة. بيروت. ص ٦٥.

205 Despatche No. 186/272/86/45

206 Ibid.

207 Ibid.

ويقول السفير البريطاني في برقيته:

«6 — تقدر الآن الحكومة العراقية بقاء كردستان ضمن العراق الحالي، ومن جانبهم يرى الاكراد ان مصالحهم تقع في نفس الإطار. ماجد مصطفى تحدث مع المستشار الشرقي بقليل بعد مقابلتي لرئيس الوزراء، كان واضحاً في اشارته، إنه هو واكراد آخريين متعاطفين كاملاً مع الوحدة العربية، ووضحوا هذا من خلال الحديث الذي دار حول قرار تبني البروتوكول، وان المستقبل الوحيد لأكراد العراق هو ان يبقوا مواطنين عراقيين مخلصين. وقال لو تشكلت كردستان مستقلة يوماً ما، فسيكون الواجب الاول لحكومتها انشاء قوة بوليس لمعاقبة اناس مثل ملا مصطفى وشيخ أحمد.

٧ — وفيما يتعلق الامر بموظفينا، فقد كررت من جديد نصيحة سلفي، ان على اعضاء الهيئة الاستشارية السياسية في الشمال عدم الاهتمام بالسياسة المحلية او بالخلافات الشخصية، وعليهم بذل كل ما في وسعهم لمكافحة التطور المستمر لعقدة الاقلية. وعليهم النظر الى الاكراد مع العرب والآثوريين واليهود كمواطنين عراقيين، وعليهم ان لا يعيروا اهتماماً الى اولئك الذين ينصبون أنفسهم زعماء، وان ينصحوا كل من لديه شكوى ان يقدموها عن طريق القنوات الدستورية، ولا يقحموا الدعم البريطاني في الازمات سواء استحققت ام لا. انني على يقين ان هذه النصيحة هي نموذج في الكمال، ففي الحقيقة لا يمكن تسوية الشكاوى عن طريق الحكومة دائماً. لكنني اعتقد في الوقت ذاته ان تطبيق هذه السياسة المتزنة أفضل وأجدي على الأمد البعيد، وعلينا بذل كل ما لدينا من طاقة لتشجيع الانصهار.

٨ — ولإيجاد التوازن في الطرف الآخر من الميزان، ارى انني مع جميع موظفي السفارة في بغداد، أن نعمل بأقصى جهد لحث الحكومة في منح الاكراد مجالاً في حقل التربية والخدمات الاجتماعية في كردستان وحصة منصفة في الوظائف الحكومية. ان تطوير وصيانة المصالح الكردية يجري هنا في العاصمة وليس في اوساط العشائر والقرى في الشمال.

٩ — يستشف من استفسار رئيس الوزراء وزملائه ان هناك تخوف من ان لبريطانيا مصالحها في كردستان، هذه الشكوك موجودة كما أظن لسنين عديدة، لذا اقترح انه مادام رئيس الوزراء قد طلب مني رأياً في الموضوع، أن استغل اول فرصة لإعطائه ضمان شفهي فيما يخص الفقرة

السابقة، ولكي يتأكد من ان سياستنا المتعلقة بالأكراد ومسائل أخرى هي متجانسة تماماً مع مصالح هذه المملكة ومع مصالح جميع قاطنيها دون تمييز، سأكون ممتناً لو اعلمتموني بموافقتكم.»^{٢٠٨}

كان قرار العفو العام عن البارزانيين مبتوراً، اذ ان البارزانيين الذين كانوا في سلك الشرطة وحيث الفضل يعود إليهم في احتلال المخافر في جميع مناطق بارزان بسهولة تامة، كانوا مستثنين من العفو، اضافة الى الضباط الاكراد، ناهيك عن اي تجاوب مع المطالب الوطنية الكردية. لقد كانت الهوة سحيقة بين الاكراد والحكومة العراقية، وكانت الحكومة واثقة من ان بريطانيا لن تمنع من استخدام الجيش في كردستان.

لقد تأخر قانون العفو الى حين استكمال الاستعدادات العسكرية. والمدهش انه لم يحصل اية مراجعة لعبر التاريخ واستقاء الدروس منه، فقد اثبتت الحملة العسكرية السابقة على بارزان فشلها ولم يجد ذلك في تثبيت سلطة الحكومة العراقية. وهكذا اعيد تكرار الحلول الفاشلة من قبل الطبقة الحاكمة في بغداد.

تحشدت القوات العراقية مصحوبة بعدد من أغوات العشائر كمرتزقة على ثلاثة محاور العمادية - عقرة - راوندوز. والحجة هي دائماً ادخال المدنية الى المناطق المتخلفة عن طريق بناء مخافر اضافية ومضاعفة قوات البوليس في كافة أراضي بارزان.

أعلنت الحكومة العراقية في ١٩ / ٨ / ١٩٤٥ الاحكام العرفية في لوائي أربيل والموصل. بالرغم من تطور الاحداث نحو المجابهة الحتمية بين الطرفين، فقد دفع مقتل ولي به گ داخل مخفر مئوگه سور في ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ بالعلاقة مع الحكومة الى أعلى درجات التوتر. وكان ولي به گ قائداً يتمتع باحترام وتقدير كبيرين في الوسط البارزاني ومن المقربين لشيخ بارزان. فأصبحت المجابهة امراً لا مفر منه. ولا تزال الامور غامضة فيما يتعلق بحادث مقتل ولي به گ.

وبعد مقتله استولى البارزانيون على المخفر وبدأت عملية محاصرة المخافر الأخرى في أراضي بارزان. وقامت الطائرات العراقية بقصف القرى البارزانية.

وأبرق السفير البريطاني الى لندن:

«فيما عدا قصف بلي للمرة الثانية يوم أمس، لم تحصل خلال الـ ٤٨ ساعة الأخيرة تغيرات كبيرة في الوضع البارزاني.

٢ — بدا لي رئيس الوزراء العراقي متفائلاً بشكل عام عندما قام بتهنئتي هذا الصباح نيابة عن الحكومة بهزيمة اليابان، وكان ممتناً لعدم كسب المتمردين الدعم الذي كانوا يتوقعونه من القبائل.

٣ — انتهزت الفرصة لإعلام فخامته بأنني حريص جداً على تفادي إقحام أي من العناصر البريطانية، ولهذا الغرض فقد اعطينا الأوامر لأعضاء الهيئة الاستشارية البريطانية لتقليل جولاتهم وعدم الابتعاد عن مراكزهم. وأعرب الوزير عن سروره لسماع ذلك، لأنه امر في غاية الأهمية بالنسبة للرأي السياسي الداخلي من أن هذا العمل متروك في أيدي الحكومة العراقية. ان هذا يتناسب كلياً مع سياسة السلطات البريطانية الهادفة الى عدم التدخل وأنها غير ملزمة.»^{٢٠٩}

الواقع ان موقف الحكومة البريطانية من أحداث كردستان، كان مشوباً بالخوف والخوف من العواقب. اذ كان البريطانيون يخشون من انتشار بقعة الانتفاضة الى أجزاء أخرى من كردستان العراق. وان تؤدي الى مشاركة اكراد تركيا وإيران والمطالبة بكردستان الكبرى. كما انهم كانوا لا يريدون ان تصبح الاضطرابات في كردستان وسيلة للتغلغل السوفيتي الى المنطقة. وقد كان الامريكيون ايضاً مهتمين بأحداث بارزان من زاوية الدور السوفيتي فيها. كما حرصت الحكومة العراقية على اعلام الممثلة الامريكية في بغداد بالتطورات في كردستان. ففي لقاء في ١٤ اغسطس ١٩٤٤، بين ارشد العمري والسفير الامريكي Loy W. Henderson

في بغداد، أشار الوزير العراقي الا انه يجب النظر الى الوضع في كردستان من زاوية بعده الدولي وليس فقط كشأن محلي. وزاد، انه اذا ما تشكلت كردستان مستقلة فإن ذلك سيؤثر على سلامة وحدة الاراضي العراقية والتركية والايروانية، وقد يكون هذا موضع اهتمام القوى العظمى بدرجات متفاوتة مثل بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية.^{٢١٠}

وذكر أرشد العمري ان القومية الكردية تشكل عائقاً امام الوحدة العربية، وان القومية الكردية تمر بمرحلة اختبار هامة في اتجاهين، فمن جهة يستخدم زعماء القبائل فكرة القومية لتعزيز نفوذهم على حساب المجموعات الاخرى. اما الاتجاه الثاني فيتمثل في المثقفين الكرد المهتمين برخاء الشعب الكردي وايجاد كردستان مستقلة، هذه المجموعة تتألف من الشباب المتعلم العازم على انتزاع القوة من الزعماء القبليين. وهناك تعاون بين زعماء القبائل والمثقفين الواعين لإنقاذ كردستان من الحكومة المركزية.^{٢١١}

لقد تسارعت الاحداث وأصبحت المجاهدة أمراً لا مفر منه.

²¹⁰ Vision or reality? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 12.

²¹¹ Ibid. Page: 130-131.

انهيار المقاومة

يقول تقرير بريطاني مؤرخ في شهر اغسطس/آب ١٩٤٥، أرسل الى لندن من بغداد:

١ — يظهر من الوضع الحالي ان ملا مصطفى يتحدى الحكومة بشكل علني. وإن السبب الرئيس لذلك هو بالتأكيد تصميم شيخ بارزان على رفض الحكم العراقي في منطقته.

٢ — بعد عودة عائلة الشيخ الى بارزان في عام ١٩٤٤، إثر تمرد ملا مصطفى الناجح، لم يكن هناك بدّ من توحى البارزانيين نوعاً من الحكم الذاتي وقد تمتعوا بذلك الى حين نفيتهم كما تمتع البشدر وعشائر الشمر بحكم ذاتي مماثل. ولكن الحكومة لم تكن مستعدة لقبول ذلك.

٣ — وربما كان السبب المباشر للوضع الحالي، هو قرار الحكومة بإعادة بناء مخافر البوليس. لقد أثار هذا الموضوع متصرف اربيل سعيد قزاز في ٣٠ آذار / مارس ١٩٤٥، ورفض ملا مصطفى المشروع. لكن الحكومة واصلت تنفيذ القرار.

ويعضّي التقرير الى القول: «احتل اسعد خوشه في مركز بارزان في ٨ / ٨ / ١٩٤٥»

وقد قررت الحكومة العراقية ان يتحرك لواء عسكري في ١١ / ٨ / ١٩٤٥ الى بافستيان وراوندوز. اما التقدم نحو بارزان فيبدأ بعد ١٥ الى ٢٠ يوماً. وفي هذا الوقت كانت الحكومة العراقية تقوم بحملة دعائية مدروسة لأقناع الاكراد بأن الحكومة تعمل على صيانة مصالحهم ولا تكن لهم العداوة وان تحقيق الامن والنظام ضروري لازدهارهم. وكان ملا مصطفى في ١٣ / ٨ / ١٩٤٥ خارج بارزان وربما في مرييا.^{٢١٢}

يذكر محسن صالح آميدي وهو شاهد عيان:

« تدهور الوضع في العمادية ولم يتمكن والدي صالح من البقاء، ونظراً لعلاقتنا التاريخية ببارزان فقد كنا متهمين دوماً بدعمها. فتركنا (آميدى) برفقة عدد كبير من الأنصار ضمنهم خليل شعبان واسرته والشاب نعمان أمين آميدي، وتوجهنا الى قرية (رهشافا) في شهر تموز من عام ١٩٤٥. وهناك لاحقنا قوات مشتركة من المرتزقة والقوات الحكومية وقصفت القرية من الجو. ثم تركنا القرية الى (كهليى رهشافا) وادي رهشافا وعبرنا الى الضفة الأخرى من (پرا كهليا) (معبّر كه ليا) وهدمنا المعبر بعد عبور الجميع، ضمنهم أطفال ونساء ووصلنا قرية (جهلكى) على الزاب، ثم توجه الطابور في اليوم التالي نحو قرية (سيرى) والى (كهلى بالندا) وادي بالندا، حيث أراضي بارزان ووصلنا قرية (تيلى) البارزانية ثم أخيراً الى قرية (شنگيل) وكانت الطائرات تتعقب سيرنا وقصفت القرية شينگيل، لكن دون وقوع خسائر في الارواح. وأخيراً انتقلنا الى موقع في سفح جبل شيرين المطل على بارزان. إذ كان شيخ بارزان يرغب في ان يكون حجي طه قريباً منه، وكان بمثابة مستشار له. وتولى هو مع صالح شقيقه مهمة الدفاع عن محور عمادية — بالندا — بارزان، وكانت قواته قد تركزت على الضفة الشرقية لنهر (روي شين) وتمكن من صدّ عدة هجمات مشتركة شنها الجيش وقوات الشرطة والمترزقة من العشائر الكردية.»

وتولى ملا مصطفى مع صهره محمود آغا الزبياري محور عقره — دينارته — بارزان، كما تولى شيخ سليمان قطاعاً آخرًا في نفس الجبهة. كذلك تولى محمد صديق جبهة راوندوز. وكان الضباط الكرد موزعين على المحاور الثلاثة. كانت قوات الشرطة قد تحصنت في مخفر بلى، لكنها كانت تعاني من حصار بارزاني.

قيادة الجبهة الكردية في هذه المرة كانت خليطاً غير متجانس من قادة بارزانيين وضباط هيو القوميين وعدد من الأغوات الانتهازيين مع أتباعهم.

بلغ مجموع القوات العراقية المهاجمة ١٤٠٠٠ ألف ضابط وجندي عدا قوات العشائر المتعاونة مع قوات الحكومة^{٢١٣}. وتقدمت قوات الجيش في جبهة راوندوز في ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ لكنها باءت بالفشل الذريع جراء المقاومة العنيدة للثوار الذين غنموا اسلحة وعتاد جديد، وتراجع الجيش لكي يعيد الهجوم بعد عدة ايام.

كان رئيس البعثة العسكرية البريطانية في العراق والمفتش العسكري العام للجيش العراقي الجنرال رنتون يعارض خطة الحكومة العراقية، لذلك رفض تقديم اي اسناد جوي بريطاني أوإشراك أي من ضباطه البريطانيين في معاونة الجيش العراقي.

وتقول برقية من بغداد الى وزارة الخارجية في لندن مؤرخة في ٨ / ٩ / ١٩٤٥:

«لقد جابه اللواء العراقي في دينارته مصاعب جدية، وبلغت خسائره حوالي ١٦٠ شخصاً. كما خسر ثلاثة مدافع جبلية، ومن المفروض ان ينسحب لعجزه عن المحافظة على خطوط مواصلاته.

٢. لايزال رتل راوندوز متوقفاً بالقرب من مزني، في حين استطاعت كتيبة شرطة السيطرة على الزاب، لكنهم لم يتمكن من التقدم أكثر من ذلك إلا باسناد عسكري. ويقال ان حوالي ٢٠٠٠ من رجال القبائل يخوضون القتال حالياً.

٣. هذه الظروف المؤسفة وهي نتيجة اخطاء تكتيكية كبيرة بما في ذلك ضعف مفرط في حراسة الجناحين الذين فشلا في حماية تقدم الخط الرئيسي، واقترح الجنرال رنتون انه بعد انقاذ لواء دينارته في جبهة عقره، يتوجب على اللوائين في قطاع راوندوز السيطرة على الجسر الحديدي في مزني وشم الاحتفاظ بدفاع قوي لكسب الوقت اللازم لتعزيز وتدريب واعادة تنظيم القوات. وأضاف ان لم تتم هذه الاجراءات حتى منتصف شهر اكتوبر/ تشرين الاول فلا يجوز البدء بتحرك جديد لاحتلال بارزان حتى الربيع القادم. ونصح ايضاً اجراء تغييرات هامة في القيادة الميدانية العراقية.

٢١٣ د. وليد حمدي. الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. ١٩٩١. لندن. ص ٢٤٤.

٤. سبب كل ذلك الكآبة والقنوط في الوسط الوزاري، وسنرى إن كانوا سيواجهون الحقائق أم سيمنون بالمزيد من الفشل جراء تبني آمال يائسة لأغراض سياسية.

٥. ما يثير الدهشة هو انني تلقيت معلومات تفيد بأن معنويات الجنود العاديين مرضية، في حين تشكو عوائل الضباط في بغداد علناً من الخسائر والقتال الدائر في الشمال في وقت ينعم العالم بالسلام.^{٢١٤}

لا بد لنا من ذكر التضحيات التي قدمها البارزانيون، فقد قدموا حتى لقمة عيش أطفالهم الى المقاتلين، كانت النساء البارزانيات تعملن ليل نهار من اجل سد حاجات الجبهات للطعام ويرسلن النزر اليسير مما يملكن من الارزاق والقطعان للمقاتلين. ولم ييغين أي تعويضات. ذلك بالإضافة الى تواجد مقاتل واحد او أكثر من كل عائلة في الجبهات. كان الناس البسطاء من البارزانيين هم الذين يتحملون عبء المعارك من جميع النواحي.

لقد وجد البارزانيون صعوبة في احتلال مخفر بلى لأنه يقع في سهل منبسط وفيه عدد كبير من قوات البوليس وحيث لا تبعد بلى عن بارزان أكثر من ٧ كيلومترات، كان المخفر مصدر تهديد للأمن في المنطقة. اذ كان الموظفون في المخفر على اتصال يومي بالقيادة العسكرية ويزودونها بالأخبار. وقد قام السلاح الجوي الملكي العراقي في ١٣ / ٨ / ١٩٤٥ بقصف مبنى دائرة بريد بلى مستخدماً ثلاث مقاتلات وكان الثوار قد احتلوها. وأزاء هذا الركود قام آثوريو قرية بيديال العريقة بصنع مدفع. قام بذلك الأخوان سوره وشمو وأحضرا المدفع المصنوع محلياً الى جبهة بلى، لكنهما نسيا ربط المدفع فأندفع مع القذيفة الى وسط السهل المنبسط. وبسبب هذا المدفع بقي هذان الاخوان حوالي ١١ عاماً مشردان في الجبال حتى القضاء على النظام الملكي في عام ١٩٥٨^{٢١٥}

بعد هزيمة الجيش في الهجوم الاول في الجبهات الثلاث، استولى الثوار على عدد من المدافع. وإذا لم يكن بين الثوار من يعرف استخدامها، لحسن الحظ بادر الرائد عزت عبد

²¹⁴ From Baghdad to Foreign Office . Mr. Thompson No. 712 . 8 septembre 1945

^{٢١٥}. لقاء شخصي مع السيد سوره بيديالي في خريف عام ١٩٦٣.

العزير الى تهيئة أحد المدافع ونقله الى بلي. وقبل إطلاق القذيفة أنذر أولاً قوات البوليس المتواجدة داخل المخفر بالاستسلام حقناً للدماء، ولكنها ردت بالاستهزاء وهنا أطلق عزت عبد العزير ثلاث قذائف من المدفع، تعالت بعدها أصوات الاستسلام. فتم احتلال المخفر والاستيلاء على ما فيه من غذاء وعتاد. ثم نقل المدفع الى موقع لايزال يعرف بـ (دارا تازا) على محور عمادية — بارزان لقصف القوة السيارة في أطراف (سيربي) حيث تكبدت على أثر القصف القوات الحكومية بالخسائر.

كانت السلطات العراقية قلقة جداً من تأثير استخدام المدافع التي استولى عليها البارزانيون في جبهتي عقرة وراوندوز، وكانوا على علم بإمكانية استخدامها من قبل الضباط الكرد.

وفي مراجعة اسبوعية حول تطورات الوضع العسكري في الجبهات يشير التقرير البريطاني الى مايلي:

«اضطر جزء من الرتل في عقرة على البقاء في دينارته، وزود بالمؤونة جواً، واستطاع رتل آخر الوصول إليهم ونقل الجرحى. كما ان رتل البوليس في محور العمادية والذي احتل مركز سيربي في ٩ / ٩ تلقى أمراً بإخلائه في حالة تعذر البقاء فيه. وفي جبهة راوندوز لم تستطيع القوات الحكومية التقدم. واستخدم المتمردون المدافع التي استولوا عليها ضد مركز بلي الذي استسلم في ٩ / ٩ بعد نفاذ كل ذخيرتهم. وتم اخلاء مركز بوليس ببرأكه بره بمساعدة رجال القبائل. نصح رئيس البعثة العسكرية البريطانية إنقاذ الجيش العراقي من المحنة في دينارته والبقاء في حالة الدفاع الاستراتيجي حتى الربيع القادم، حيث يمكن للقوات العراقية ان تشن عمليات هجومية محلية. فيتدهور وضع المتمردين بسبب حرمانهم من المراعي الشتوية واضطرار العوائل على البقاء تحت طقس بارد دون توفر وسائل الوقاية».²¹⁶

بدأت الاحزاب الكردية بإرسال مذكرات الى السفارات الاجنبية تندد بالحرب التي تشنها الحكومة العراقية في كردستان، وكان الحزب الشيوعي العراقي قد أصدر بياناً ند فيه بشدة

بالحملة الظالمة على كردستان، ووزع البيان باللغتين العربية والكردية، لقد كان الحزب الشيوعي أكثر الأحزاب تنظيماً وتغلغلاً في صفوف الجيش العراقي وقد وزع هذا البيان في معسكر الرشيد وعلى عمال السكك الحديدية وموظفي الادارة المدنية.

كان الوضع العسكري ميؤوساً منه الى حد ما. لكن وزير الداخلية كان في الخفاء يحاول إقناع بعض رؤساء العشائر الذين كانوا مع الثورة الكردية بالعودة إلى صف الحكومة، ضمنهم محمود آغا الزبياري، صهر ملا مصطفى. ونتج عن ذلك تغير فجائي كبير في الوضع العسكري لصالح القوات الحكومية. حصل هذا التطور بين الفترة من ٢٠ / ٩ الى ٣٠ / ٩ / ١٩٤٥.

ويذكر تقرير بريطاني في سياق مراجعة احداث الاسبوع:

«تحسن الوضع في جبهة بارزان ويعود ذلك الى حد كبير الى دور رجال القبائل المواليين. أما في جبهة راوندوز فالجيش يتقدم ببطء ويعيد في تقدمه اصلاح الطرق. وفي جبهة عقرة يتقدم الجيش نحو كركيش F67 بعد تطهير L و C بمساعدة العشائر الموالية. وانسحب المتمردون الى سه رى بيرس F67. وكانت الخطة تتضمن قيام الزبياريين المواليين بمهاجمة المتمردين من الخطوط الخلفية. وقد قبلت الحكومة العراقية استسلام محمود آغا الزبياري في ١٤ / ٩. شرط ان يطرد المتمردون من منطقته. وقد سعى السلاح الجوي العراقي للعثور على المدفع الذي استخدم ضد مركز بلي²¹⁷ وهو المدفع الذي استخدمه الرائد عزت عبد العزيز في قصف المركز واستسلام جميع رجال البوليس فيه.

ويقول السفير البريطاني في بغداد في برقيته المؤرخة في ٢٥ / ٩ / ١٩٤٥:

«عندما التقيت أمس بالوصي، أعرب عن ثقته بالعمل العسكري، في حين كان سموه كئيباً فيما يخص النواحي السياسية للوضع وقال انه يتفهم مشاغل الحكومة معبراً عن سروره

بالطريقة التي استخدمها وزير الداخلية في لحظة حساسة في جر الزبياريين الى صف الحكومة اضافة الى عشائر اخرى.²¹⁸

كان وزير الداخلية يعرف نقاط الضعف لدى الأغوات الاكراد فأستخدم بنجاح سلاح المال في كسبهم. وقد وضع هؤلاء رجالهم في خدمة الحكومة العراقية وتقدموا للهجوم على مواقع الثوار بينما كان الجيش العراقي يتابع الزحف خلف قوات المرتزقة الكردية. لقد كان حرص الأغوات على نفوذهم وكسب المال من خلال الارتزاق أقوى بكثير من المشاعر القومية والوطنية لديهم.

لقد واجه الاغوات الكرد وضعاً يمكنهم اللعب على الحبلين حسب مقتضيات مصالحهم. وقد اصبحت هذه احدى اهم السمات السياسية في كردستان الجنوب — العراق — في القرن العشرين بأكمله. فهؤلاء الاغوات كانوا يجردون الخطوة سواء لدى الحكومة العراقية أو القيادة الكردية التي كانت هي الاخرى حريصة على حمايتهم لتستند عليهم في بقائها ولقلة ثققتها بالشرائح الأكثر ثورية في المجتمع الكردي. ولم تكن القيادة الكردية قيادة تدافع عن الفلاحين ضد مستغليهم، كما سنرى، رغم ان غالبية التضحيات كانت من نصيب الطبقة الفلاحية الكردية. وهذا يفسر بقاء طبقة الأغوات في كردستان الجنوب الى يومنا هذا محتفظة بنفوذها لدى الحكومة ولدى القيادة الكردية على حد سواء.

اصبحت المعارك تدور بين الاكراد أنفسهم على نطاق واسع إثر التحاق محمود آغا الزبياري بقوات الحكومة وتتابع التحاقات وانهارت الجبهات الكردية بسرعة.

في جبهة راوندوز اصيب محمد صديق شقيق شيخ بارزان بجراح خطيرة وأثر ذلك على معنويات المقاتلين، والتحق الشاب صادق بابو، وهو ابن شقيق شيخ بارزان بالجبهة ليحل محل عمه الجريح.

²¹⁸ From Mr. Thompson. No: 759, September 25th. 1945.

اما في محور العمادية — بارزان التي كان يتولاها حجي طه آميدي وشقيقه صالح فكانت المعارك مستمرة. فتقول برقية سرية مؤرخة في ٢٦ / ٩. الى وزارة الحرب البريطانية:

«العراق. الوضع في بارزان. تم احتلال بيراكه پره من قبل العشائر المؤيدة للحكومة. يتقدم الجيش عن طريق سهري بيرس الى بيراكه پره والى نهر الزاب. ويقال ان شيخ رشيد لولان تلقى تهديدات من زعماء الهركي ولم يقيم بما كان متوقعا منه في التحرك نحو ميّركه سور. وتفيد التقارير ان هناك تركيز قوي في جبهة سيري — عمادية وقد تم تعزيز قوات البوليس، وحصلت مناوشات فقط في هذه المنطقة. وحصل قتال بين العشائر الموالية للحكومة والمتمردين في نبروه وريكان. القتال هناك مستمر بين قوات محدودة العدد.»²¹⁹

كانت تلك الجبهة التي يتولاها حجي طه آميدي وشقيقه صالح، وهؤلاء لم يتركوا الجبهة الا بعد ان انهارت جميع الجبهات الاخرى وصدرت لهم الأوامر بالتخلي عن القتال والنزوح الى إيران.

وتفيد برقية اخرى مؤرخة في ٣ / ١٠ / ١٩٤٥ موجهة من بغداد الى وزارة الحرب:

«العراق. الوضع في بارزان. انسحب المتمرّدون من سلسلة بيرس وعبروا نهر الزاب نحو بارزان. وتفيد التقارير انه تم احتلال بلى من قبل قوات البوليس والقوات غير النظامية. واحتل شيخ رشيد مرتفعات قلندر. كما احتل شيخ رقيب السورجي جسر خان.»²²⁰
وفي ٧ / ١٠ / ١٩٤٥ تم احتلال بارزان للمرة الثانية من قبل الجيش العراقي.

ويعلق الصحفي الفرنسي على الانتصار العسكري للعراقيين بما يلي:

²¹⁹ FO. 6723/2199/93.

²²⁰ FO. 7406/2199/93.

«ليس بوسع العراقيين المباهاة بأنهم هزموا البارزانيين بقوة السلاح إذ كما يقول الجنرال رنتون «أن أمن الجيش العراقي وسلامة مواصلاته تعتمد كلية على ولاء العشائر المتحالفة مع الحكومة.^{٢٢١}

لابدّ هنا من الإشارة الى المقاومة البارزانية الأولى ضدّ عملية الاحتلال البريطاني والعراقي المشترك عام ١٩٣٢ والحملة العراقية في عام ١٩٤٥ لإعادة احتلال بارزان. ففي الحملة الاولى ضد شيخ بارزان كان دور القوات البريطانية براً وجواً كبيراً وحاسماً في حين كان التدخل البريطاني قليلاً في الحملة الثانية إذ كان الامر متروكاً للعراقيين وحدهم. كانت المقاومة البارزانية الاولى ضد قوات الامبراطورية البريطانية والجيش العراقي تجسيدا لقوة الطريقة النقشبندية والتراث البارزاني التاريخي المناهض للظلم، وكان البارزانيون وحجي طه آميدي ورفاقه يشكلون كتلة واحدة ولم يكن معهم آنذاك من خارج بارزان آخرين، والجميع كانوا مصممين بإخلاص على المقاومة. في حين كانت قوات المقاومة في بارزان في عام ١٩٤٥ خليطاً غير متجانس مؤلف من الأغوات الانتهازيين وأنقلب هؤلاء الى صف الحكومة من أجل المال كما كان الحال مع صهر ملا مصطفى، محمود آغا الزبياري. ومما يجدر ذكره أن الحملة البريطانية والعراقية المشتركة الاولى ضد شيخ بارزان استغرقت ٩٩ يوماً في حين لم تستغرق العمليات العراقية في عام ١٩٤٥ ضد مناطق بارزان غير ٤٦ يوماً.

نزوح وموت جماعي ودفاع عن الجمهورية الكردية

بدأ النزوح الثاني للبارزانيين نحو كردستان - إيران - النزوح الاول كان في ١٩١٣ إبان عهد الشيخ عبد السلام - وأخذ البارزانيون بإخلاء قراهم على عجل.
ينقل لنا كاظم شاندي صورة حية عن مسيرة آلاف الناس من شيوخ ونساء واطفال عبر الجبال نحو شرق كردستان - إيران - فيقول:

«انهارت جبهة بيرس، وأدى ذلك الى نزوح العوائل عن مناطق نزار عبر النهر الى الضفة الشرقية. فأكتظت الممرات الجبلية بطواير طويلة من العوائل والقطعان. وعندما علمنا بتقدم المرتزقة والجيش نحو قرية شاندر، قررنا المغادرة وترك كل ماملك ورائنا. كنا عائلة مؤلفة من ثمانية أشخاص، ولم يكن لدينا غير حمار واحد لنقل بعض الارزاق على الطريق الطويل. وكانت هنالك عوائل اخرى لا تملك حيواناً للنقل، فحملوا بعض الارزاق على ظهورهم، ولم يبقى سوى عدد قليل من الناس لا يقوون على السير طويلاً. فاتجهت مئات العوائل نحو نهر كه كله، وكلما تقدمنا الى أمام ازداد تزاخم الطواير الطويلة الآتية من نزار، بهروز، مزوري ودولري. كانت مسيرة عمتها الفوضى، ففي المرتفعات كانت الصخور تندرج تحت أرجل المارة والدواب بسبب التزاخم وضيق المسالك فتتساقط على الممرات السفلى، ويؤدي الى جرح عدد من النازحين، كنا في مسيرتنا نصعد وننزل، وكان الاطفال يتيهون ويتطلب العثور عليهم وقتاً طويلاً، وما ان يعثر على هؤلاء حتى يتيه آخرون. كنا والقطعان هدفاً سهلاً لنيران الطائرات العراقية التي كانت تتعقبنا بشكل متواصل. اذكر ان زوجة عمي ضاعت ولم نعثر عليها الا بعد ثلاثة ايام، اذ كنا في حركة دائمة بطيئة وزحام هائل في الممرات الجبلية الضيقة اضافة الى آلاف رؤوس القطعان من الماعز والأبقار. لا أظن ان الذين شاركوا في هذه

الهجرة سينسونها حتى آخر لحظة في حياتهم. فعلى سبيل المثال، كان العجوز ملاكانيا لنجي يرافق زوجته وبعد مسيرة طويلة، جلسا ليستعيدا بعض النشاط، فتمددت زوجته على حافة الطريق من التعب، وبعد برهة قال لها الزوج هيا لنعاود السير، وظن انها ستلحق به، لكنها كانت قد فارقت الحياة، إذ اكتشف الآتون من بعدهم انها ماتت عندما حاولوا إيقاظها فدفنوها على قارعة الطريق.

نقلنا المدفع الذي استولينا عليه في جبهة دينارته بصعوبة بالغة حتى أطراف (كانيارهش) بواسطة البغال، لكن استحالة حمله عبر الممرات الجبلية الوعرة، فأخفي بين اخاديد الصخور، إلا ان المرتزقة عثروا عليه واعادوه الى الحكومة العراقية.

سارت الطواير على سهوب (بهرازگر) والى (كانيارهش) ثم الى (سيرۆزهروا) والى قرية (آرى) ثم الى منتجعات (كوراڤا) وكنا نسير بمحاذاة الحدود التركية. لقد تفاقت المعاناة بسبب البرد الذي صادفناه في الجبال العالية في طريقنا الى منتجع (بنليسى) اضافة الى الجوع والنعاس والارهاق والخوف على الاطفال ووجهتنا Mergever، كانت الجموع الغفيرة تتسارع لتترك هذا الموقع القارس البرودة، وكان الاطفال يكون من شدة البرد اللاذع ولم تكن حمايتهم ممكنة. ودفنا عدداً من موتانا هناك. ولم نصحب معنا أدوات لحفر القبور، فاضطررنا الى دفنهم في المخابئ او الحفر الطبيعية. كما عانت الحيوانات من قلة الاعشاب في تلك الاصقاع النائية.²²²

كان من نتائج تحول الجيش الاحمر من حالة الدفاع الى الهجوم أن تم طرد القوات الالمانية من الاراضي السوفيتية وتابعت القوات الروسية تقدمها بعد المعركة الظافرة في ستالينغراد في شتاء ١٩٤٢ — ١٩٤٣ وأصبح بإمكان الاتحاد السوفيتي تعزيز مكانته على المستوى الدولي. فبموازاة الهجوم المضاد ضد القوات الالمانية في عام ١٩٤٣، شن الاتحاد السوفيتي حملة ديبلوماسية باتجاه الشرق الاوسط، فتم إعادة العلاقات الديبلوماسية مع مصر، وقام ممثلو وزارة الخارجية السوفيتية بزيارة الدول العربية. كما زاد اهتمام موسكو بإيران، اضافة الى سعيها

للحصول على تنازلات هامة تتعلق بالنفط الايراني. كل ذلك ساهم في ان تصبح القضيتان الكردية والاذربيجانية من القضايا التي تهتم بها موسكو في تعاملها مع طهران. ويعتقد عدد من المؤرخين أن بؤادر الحرب الباردة ظهرت نتيجة الصراع الشيوعي - الرأسمالي على إيران.^{٢٢٣} كان لانتهاء الحرب الكونية الثانية، وبروز وضع سياسي عالمي جديد وعبور البارزانيين في هذه الظروف الى كردستان - إيران - حيث يسود النفوذ السوفيتي، أن أخذ المعسكر الرأسمالي يعتبر كل حركة تحررية كردية هي في صالح المعسكر الشيوعي. وكانت تركيا والعراق وإيران متخوفة من بناء علاقة سوفيتية - كردية.

ناهز عدد البارزانيون مع حلفائهم عند دخولهم الحدود الايرانية الى (10000) شخص، ضمنهم النساء والشيوخ والاطفال، بينهم حوالي ٣٠٠٠ رجل يمكن تجنيدهم.... بعد وصول آلاف العوائل الى كردستان - إيران - في 10/11/1945 اتصل ملا مصطفى مصحوباً بحمزة عبد الله ومير حاج احمد بالجنرال السوفيتي Liubov الذي أبلغهم بوجود مغادرة إيران، اذ كان السوفيت آنذاك يعتبرون ملا مصطفى «عميلاً لبريطانيا»²²⁴ بعدها اقترح الطرف الكردي السماح للعوائل بالبقاء حتى نهاية فصل الشتاء في حين يغادرها المسلحون. وبعد عشرة أيام وافق السوفيت على بقاء العوائل، بينما غادر ملا مصطفى مع عدد من الرجال المسلحين الى القرى الحدودية النائية: يقول كاظم شانديري:

«توجه العديد من البارزانيين ضمنهم شيخ بارزان الى مهاباد. في حين سكن بابو وملا مصطفى مدينة شنوى، وسكن محمد صديق وشيخ سليمان مدينة نغده. وسكن آخرون مدينة بوكان. كما رافقت مئات العوائل حجي طه آميدي للسكن في أطراف مدينة مراغه.

²²³ Vision or reality? The Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 100.

²²⁴ Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. Flammarion. P. 153. Paris. 1979.

وصلنا الى قرية (نۆڤى) وفي سهل (مهركهفهه) في كردستان - إيران - توزعت الحشود الكبيرة من المهاجرين على القرى المتناثرة. سكن أسعد خوشههفي مع مجموعات من قبيلة المزوري قرى سهل (تلگهفهه) بين اوساط البگزاده. ومجموعات اخرى سكنت قرى ده شتى بيلى (سهل بيلى) وقرى ده شتى لاجانى (سهل لاجانى) لدى المامش وسكن نوري شيرواني ومعه آخرون قرى سهل سلدوز. لقد اقتضى إستيطاننا جميعاً في القرى المتفرقة بعض الوقت. فحل الشتاء الذي لا عهد لنا بمثله. في قرية (عه له بى) حيث منحنا الآغا غرفة لثمانية أشخاص، وكان أبي معنا، وفي احدى الليالي هطلت ثلوج غزيرة، فأغلقت الباب علينا ولم نتمكن من الخروج، الا ان اهل القرية هرعوا لنجدتنا. كان الطعام نادراً جداً ولم تكن لدينا نقود لشراء الارزاق. كان الاهالي اسخياء معنا لكنهم ايضاً لم يكونوا ميسوري الحال. هلك قطيعنا المؤلف من حوالي خمسين رأس ماعز جوعاً اذ لم يكن بمقدورنا توفير العلف له. وكنا جميعاً مرضى جراء سوء التغذية والبرد القارس. وكان أبي يقول: لا أستطيع عمل شيء لكم غير تقديم الماء.»

علاوة على البؤس والجوع والبرد تفشى مرض التيفوس بشكل واسع إذ مات في مهاباد ١٠٨ بارزاني في مسجد معروف باسم (مزگهفتا سوړ) ودفنوا في مقبرة صلاخ. وحصد الموت أفراد بعض العوائل برمتها بحيث لم يبق لها وريث. وكان البارزانيون يحفرون القبور سلفاً لأنهم كانوا متيقنين من موت عدد آخر من المرضى. لقد أصبح الموت شيئاً مألوفاً. وفي مدينة شنوى توفيت (سمياء) عقيلة الشيخ عبد السلام ودفنت في نفس المدينة.

كان علي آغا خيرزوكي قد سكن في قرى سهل (مهركهفهه) القريبة من الحدود العراقية، وغادر بصحبة مفرزة من المسلحين نحو مناطق بارزان، وفي الطريق وقع في كمين نصبه بعض المرتزقة في منطقة برادوست. فلقى خمسة منهم حتفهم وجرح عدد آخر، ضمنهم علي آغا نفسه، وبصعوبة بالغة أعادوا الجرحى الى مهاباد وتركوا الموتى حيث جاء المرتزقة ليقطعوا أذاهم ويقدموها للحكومة العراقية وتاركين اجسادهم تحت الثلوج حتى حلول الربيع.

كذلك غادر حسين بيروخي مع عدد من رجاله الى أوساط الكهريدين، وبقي هناك في الجبال شريداً حتى الربيع، وعندما علم ان مفرزة من البوليس تعود من قرية زيت المحتلة الى شيروان مازن، كمن لها في الطريق وفتح عليها النيران وقضى على عدد من افرادها واستولى على عدد من البنادق والذخيرة وعاد بعد ذلك الى جمهورية كردستان.

ويشير ارشيف بريطاني الى: «ان العدد الأكبر من البارزانيين هم في منطقة (دهشته بيل)، وهناك ٧٠٠ عائلة في (سلدوز)، وجميعهم يعيشون حالة مزرية.»²²⁵

كانت الحكومة التركية قلقة لما يحدث في اي جزء من أجزاء كردستان، وكانت تبالغ وتضخم الاحداث الكردية. ففي برقية من بغداد الى الخارجية البريطانية مؤرخة في ٢٠ / ١٢ / ١٩٤٥ تشير:

«أرسل هذا الصباح رئيس الوزراء العراقي الى المستشار الشرقي رسالة، كان قد استلمها من السفير التركي في بغداد، وهي رسالة شخصية من وزير الخارجية التركي وهو صديق دراسة قديم لرئيس الوزراء العراقي حمدي الباججي تشير الى مايلي:

٢. غادر ملا مصطفى الى موسكو، وتبنى المجلس النيابي السوفيتي قراراً لمصلحة الاستقلال الكردي، ويقال ان الروس اعطوا ملا مصطفى الاسلحة التي غنموها من الالمان لكي يقوم من جديد بالتمرد في العراق. وقام القائم بالأعمال الروسي في لبنان بتهنئة الاكراد وأبلغهم بهذا القرار.

٣. وأضاف فخامته بأن العبارة الاخيرة تعني ان الروس ينوون استخدام كردي اسمه بكداش (يعني خالد بكداش) الذي يقيم في لبنان لكي يقود الجمهورية الجديدة. ودعى الى التأكد من صحة التقرير نظراً لمصدره.»²²⁶

²²⁵ British despatch from Tehran to Baghdad, dated 2/11/1945

²²⁶ From Sir H. Stonehewer Bird in Baghdad to Foreign Office, dated 20/12/1945

والواقع كان غير ذلك، اذ سبق وان نوهنا الى عدم ثقة السوفييت بملا مصطفى، واضطرار الاخير الى الابتعاد نحو القرى الحدودية النائية مع عدد من المسلحين لفترة محددة. لكن فيما يتعلق بالشعبين الكردي والآزري كان السوفييت ينوون استخدام ورقة القوميات لتعزيز نفوذهم، خاصة وان الحرب العالمية انتهت بتوسع هائل للنفوذ الشيوعي في اوروبا.

وفي كل الاحوال لم ينفرد ملا مصطفى بعدم ثقة السوفيت أول الامر، إذ شمل الارتياح حه مه رشيد خان الذي وصل من كردستان الجنوبية الى كردستان الشرقية، وقد إمتعشت السلطات الفارسية من هذا التطور، إذ بدت مهاباد كمظلة يتجمع تحتها الاكراد من مختلف أجزاء كردستان، مما يضيف عليها بعداً دولياً.

استفرت بريطانيا من تنامي الاهتمام السوفيتي بالأكراد، ففي وثيقة معنونه — «روسيا والأكراد» مؤرخة في ١٠ / ١ / ١٩٤٦ أي قبل ١٢ يوماً من اعلان ولادة الجمهورية الكردية، تقترح اتباع سياسة جديدة تجاه جميع الاكراد في الدول التي تقسم كردستان:

«واضح الآن تماماً ان روسيا دخلت بلا هوادة حلبة الصراع السياسي في المنطقة. فماذا ستفعل مع الاكراد، وكيف سيكون ردنا؟ يستغل الروس حالياً القضية الارمنية، ويأتي الاكراد في المرتبة الثانية. وقد دعت روسيا أرمن المهجر الى ان يرفعوا صوتهم بالمطالبة بقارس وأردهان. وسنسمع من الآن فصاعداً من اكراد المهجر أن الأوضاع السائدة في تركيا وفارس والعراق لاتطاق. ان التصريح الذي مفاده ان «دولة كردية سوفيتية سيعارضها معظم زعماء الاكراد غير صحيح. اذ في كل بلدة يطلب الاكراد بصورة عفوية انشاء المستشفيات والمدارس وحق الحكم الذاتي، وعلاوة على ذلك فهم يطلبون احياء لغتهم وتطوير ثقافتهم. وإن لم تستجب هذه الدول لهذه المطالب الواقعية والمتأصلة في نفوس الاكراد. فإمكان روسيا إعلان الدولة الكردية في اية لحظة مناسبة تختارها وستستقبل فوراً بالترحيب.

مقترح عمل

يتوجب علينا اتخاذ إجراءات في آن واحد:

١. إعلام روسيا بأننا نعتبر الدول الأربع. تركيا وفارس والعراق وسوريا دولاً ذات تأثير أساسي في مصالحنا الحيوية، ولهذا فإننا نميل نحن إلى تحرير الاقليات في المناطق التي تتطلب ذلك في تلك الدول.

٢. ولكي نتقدم على هذا الطريق. إذ لم تقم أي من هذه الدول بحل مشكلتها الكردية، وهم لن يستجيبوا لذلك دون ممارستنا ضغوطاً هائلة عليهم، ويعرفون نوايانا الخيرة مقارنة بالآخرين، يجب علينا إقناع هذه الدول باتخاذ المبادرات المتعلقة بالحكم الذاتي المحلي لمواطنيها الأكراد. فنوري السعيد يفضل منح الحكم الذاتي غداً لأكراد العراق. وإذا ما واجه الترك الخيار بين فقدان المقاطعات الشرقية في بلادهم أو التعامل بإنصاف مع أكرادهم، أعتقد أنهم سيختارون الحل الثاني.... وستدعن سوريا.. وحتى فارس فإنها ستسعى إلى إنقاذ ما تبقى من بلادها.

يمكن تلخيص الإجراءات الواجب اتخاذها في جملة واحدة..... المبادرة — قبل فوات الأوان.

وليس هناك سوى إجراءات الاوتونومي المحلي (الحكم الذاتي) حيث مارستها روسيا بنجاح تام في تعاملها مع أقلياتها في القفقاس. فجراء هذه الإجراءات تحول الأرمن العنيدون إلى أقلية موالية، وستثبت هذه الإجراءات أثرها الفعال أكثر بكثير مع الأكراد.

في كل الأحوال ليس هناك وقت للمماطلة، إما أن نقوم نحن بذلك أو ندع روسيا تقوم بما

تريد.» ٢٢٧

١٠ كانون الثاني ١٩٤٦

تابعت بريطانيا التطورات في الموقف السوفيتي تجاه الاكراد من معظم عواصم الشرق الاوسط وحيث تتواجد سفاراتها وقنصلياتها. ففي برقية سرية من موسكو الى الخارجية البريطانية ومكررة الى طهران وبغداد وانقره: مؤرخة في ١٩٤٦/١/٢٤ أي بعد ستة أيام من اعلان جمهورية كردستان في مهاباد، تقول:

«لم ينعكس بعد الاهتمام السوفيتي المتنامي بالمشكلة الكردية في الصحافة السوفيتية. نشرت Moscow News «عدد كانون الثاني / يناير ٢٦ / ١ / ١٩٤٦ (تصدر باللغة الانكليزية) مقالة خاصة بشأن الانتخابات العامة السوفيتية. توحى المقالة بأن السلطات السوفيتية ربما تشعر الآن بضرورة شن حملة دعائية لمصلحة الاكراد على النمط المألوف في أذربيجان وأرمينيا إضافة الى اهتمامها بالحقوق القومية والمطالب الجورجية.

٢ - خصصت المقالة لبطل كردي في الاتحاد السوفيتي مقيم الآن في أرمينيا، وإذا ما إنتخب للمجلس السوفيتي الأعلى فسيصبح العضو الكردي الثاني فيه، ولكن هذه ذريعة للتنديد بالأتراك، فإحتلالهم لقارس بعد الحرب العالمية الاولى أجبر العديد من الكرد على الهجرة الى أرمينيا السوفيتية. ويعتبر هذا ايضاً إطراء للمعاملة المتميزة للجالية الكردية في تلك الجمهورية ويبلغ عدد الجالية الكردية في ارمينيا ١٥٠٠٠ شخص. ويذكر انهم خطوا خطوات واسعة في جمع التراث الثقافي وتكونت هناك (انتلجنسيا) فئة مثقفة كردية حديثة.

٣ — لم ألاحظ أي شيء مما ورد ذكره أعلاه في الصحافة الناطقة باللغة الروسية، لذا يبدو ان ذلك مخصص لأغراض الدعاية الخارجية.^{٢٢٨}

وتقول برقية اخرى من المبعوث البريطاني Mr. Davis الى السفارة البريطانية في طهران والذي زار كردستان لجمع المعلومات ومؤرخة في ١٩٤٦ / ٢ / ٤:

«فوري وسري»

عدت البارحة من سنندج والمعلومات المتوفرة هي التالية:

٢. تم تعيين قاضي محمد رئيساً للجمهورية الكردية وحاج بابا شيخ ايسولو رئيساً للوزراء ورفعوا علماً خاصاً بهم. إستدعي قاضي محمد الى تبريز، عاصمة حكومة آذربيجان الديمقراطية ونصحوه ان يشكل حكومة محلية تحت إشراف الحكومة «الديمقراطية». فرفض ذلك قائلاً انه على تفاهم مباشر مع الروس وأن كردستان يجب أن تكون مستقلة وغير خاضعة للحكومة الديمقراطية في تبريز. ولم يكن أمام حكومة آذربيجان الا الموافقة. وتمتد المنطقة الكردية من مياندواب الى سردشت.

٣ — إن سماح السلطات العراقية بإفلات حه مه رشيد أغضب السلطات الفارسية في كردستان. لقد حاول حه مه رشيد في بداية الأمر الذهاب الى مهباد لينضم الى قاضي محمد، لكن الروس كانوا مرتابين في أمره ورفضوا السماح له حتى بإرسال رسول له الى مهباد. وبعد التحقيق في أمره إقتنعوا بإخلاقه فمنحوه سيف وميدالية ثم عين قائداً عاماً للقوات المسلحة الكردية في مهباد. وكما يعتقد يبلغ عدد أتباعه ١٨٠ من الخيالة. وقد عاد أحد أتباعه (البه گزاده) الى ينجوين وسلم نفسه الى الحكومة العراقية. تعيش زوجة حه مه رشيد في داروخان تحت الرقابة الحكومية. لم يحظ ملا مصطفى حتى الآن بثقة الروس، وقد غادر مع أخيه مهباد، وهما الآن في منطقة نغده أما أتباعهم فمشتتون في أعداد صغيرة بين قرى تلك المنطقة ويعيشون حياة بؤس. ويعتقد أن اولئك الذين لا تطاهم عقوبة الاعدام بسبب صغر سنهم سيسعون الى العودة في الربيع الى العراق.

٤ — عين حاكم عسكري فارسي لسقز — بانه. ويبلغ تعداد القوات الفارسية هناك ٢٥٠٠ مسلح. وهذه القوة مدعومة بالمدفعية والدبابات. ولا توجد طرق مواصلات بين سنندج وسقز بسبب الثلوج، ولكن الاتصالات الهاتفية تعمل بانتظام، وهذه القوات من المؤونة مايكفي حتى نهاية شهر نيسان. إقتراح الجنرال هومايون إرسال قوات خفيفة من الاحتياطي الى

ديفاندهرى خلال الايام القليلة القادمة. ليس للتقارير الواردة عن عمليات قام بها الديمقراطيون جنوب وشرق سقز وحتى ديفاندرى أية صحة. إذ لم يبعث لا الديمقراطيون ولا أكراد مهاباد بقوات الى جنوب خط سردشت - بانه - سنندج - تكاب. الديمقراطيون في شاهيندرز مهددون من قبل مناصري الشاه من الافشاريين وعندما يسمح الجو بشن العمليات من المتوقع ان يسيطر أنصار نظام الشاه. حصلت مناوشات بين الديمقراطيين والدولقاريين في زنجان قتل خلالها ستة من الديمقراطيين وقبض على ثلاثة من زعمائهم مع ١٥ بندقية ورشاشتين وعدد من القنابل اليدوية. وارسلت قوة من تكاب وبيجار من الافشاريين لمساعدة الدولقاريين.»

كانت الاحداث تتلاحق بسرعة، وانتبه كبار المسؤولين في مهاباد الى الأهمية العسكرية للبارزانيين، كما توسط الشيخ لطيف الحفيد ووجهاء آخرون لدى قاضي محمد كي يعتبر ملا مصطفى ممثلاً عن أكراد العراق والاهتمام بالبارزانيين، فأستقبل ملا مصطفى مصحوباً بالضباط الكرد إستقبالاً رسمياً في مهاباد وزاروا دوائر الجمهورية وألتقوا بوجهاء وأعيان المدينة وأدوا صلاة الجمعة وزاروا المدارس ومطبعة كردستان كما زاروا رئيس الجمهورية قاضي محمد في مقره. وكتبت الصحف الكردية عن هذه الجولة الرسمية. كما ألقى محمد محمود وهو من خريجي الكلية الحربية العراقية كلمة نيابة عن ملا مصطفى يعلن ولائه لقاضي محمد ويصفه بـ «أعظم شخصية كردية.»²²⁹

(.....)

وبعد الاعلان عن تشكيل جمهورية كردستان الديمقراطية في ٢٢ / ١ / ١٩٤٦، يقول كاظم شاندرى:

«استلمنا أوامر للتوجه الى العاصمة مهاباد لحمل السلاح والدفاع عن الجمهورية الفتية برئاسة قاضي محمد. وكانت سلطات الجمهورية الكردية قد خصصت مبنى ذي طابقين لملا مصطفى والضباط الكرد الذين رافقونا في الهجرة، منهم عزت عبد العزيز وميرحاج احمد ومصطفى خوشناو وخير الله ونوري احمد طه وبكر خوشناو ومحمد نجم برواري، وكان يسكن

ايضاً في المبنى أسعد شەفەي ومحمد آغا مەريگە سورري.

وبعكس الحكومة الديمقراطية في تبريز، لم يكن لدى جمهورية كردستان الديمقراطية الكادر العسكري الضروري، فقد تركزت سياسة الشاه على الابقاء على المجتمع الكردي متخلفاً من جميع النواحي، لذا كان وصول الضباط الكرد مع البارزانيين أمراً في غاية الاهمية بالنسبة لتنظيم جيش الجمهورية الحديث الولادة.

ففي شهر نيسان تشكلت قوة من البارزانيين مؤلفة من أربع أفواج تحت قيادة الضباط مير حاج أحمد، بكر عبد الكريم حويزي، مصطفى خوشناو ونوري احمد طه، وأنيط بهذه القوة من جيش الجمهورية الكردستانية مهمة الدفاع في جبهة سقز، وهي الجبهة التي يهدد فيها جيش الشاه سلامة الجمهورية الفتية. في حين تعين العديد من البارزانيين كمسؤولين ضمن هذه الافواج مثل محمد أمين ميرخان، مامند مسيح، فارس كاني بوتي، سعيد ولي به گ، خوشەفەي خليل، مصطفى جانگير، صالح كانيالنجي المعروف بـ (ساكو كانيالنجي) حيدر به گ عارف به گ، وهاب محمد على آغا رواندوزي.

أصبح سيفي قاضي الذي تسلّم رتبة جنرال وزيراً للحرية. فقد منحت رتبة جنرال الى رئيس الشكاك عمر خان والى محمد رشيد خاني وهو أحد رؤوساء البه گزاده والى ملا مصطفى البارزاني والذي كان أكثرهم نفوذاً وشهرة.

ونظراً لخبرته في التنظيم العسكري فقد إشتراك الرائد عزت عبد العزيز في الجلسة التي عقدت بحضور أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني وممثلين عن الادارات الاخرى للبحث في إعداد جيش كردي للجمهورية الفتية والتعليمات والتدريبات الخاصة بذلك.

وعلى شاكلة الحزب الديمقراطي الكردستاني - إيران - قررالقادة: ملا مصطفى والضباط الكرد العمل على تشكيل حزب سياسي يخص كردستان — العراق — يتراًسه ملا مصطفى، ولعب الدور الاكبر في هذا المجال حمزه عبدالله الذي عاد الى العراق. فتشكل الحزب الجديد «الحزب

الديمقراطي الكردي» في العراق في ١٦ آب ١٩٤٦ من تجمع القوى الوطنية من الاحزاب الكردية: حزب شورش ورگاري وشخصيات سياسية أخرى.

وفيما يتعلق بالوضع العسكري في الجمهورية الفتية يوضح كاظم شانديري: «لقد لبي الآلاف نداء الواجب للدفاع عن الجمهورية الكردية. ونظراً لعدم توفر أماكن سكن خاصة فقد توزع المتطوعون على جميع مساجد المدينة. ولم تكن هناك أفرشة أو أغطية لذلك كنا نغلق الابواب والمنافذ لمنع تسرب البرد. وفي البداية احتفظنا بملابسنا التقليدية اذ لم تكن هناك بعد ملابس جنود نرتديها. لقد كان الطعام نادراً وريئاً واقتصر على الرز والطحين وما أشبه، وكانت تلك هي الامكانات الموجودة. وكنا جنوداً متطوعين بلا رواتب. لقد قام الضباط الكرد بتنظيم جيش على الطريقة التي تعلموها من البريطانيين في العراق، فقد كانوا خبراء في تنظيم الجيش الحديث الولادة. وتبنوا الاسماء الكردية للمراتب وتشكيلات الجيش الجديد. كان دورهم حاسماً في اعداد الجيش وسط ظروف بالغة الصعوبة. وكنا نتدرب يومياً مرتين في الميدان الواسع الواقع شمال مدينة مهاباد. كان جنود الجمهورية الفتية من البارزانيين أكثر من ألف جندي وكان هذا العدد يزداد يومياً.

اتذكر جيداً ان اول سلاح حملته كان للدفاع عن الجمهورية، كان الضباط ينادون كلاً باسمه، فيتقدم ويردد القسم: سأظل مخلصاً لجمهورية كردستان ويضع يده على المصحف الشريف. ثم يتسلم قطعة سلاح مع ١٠٠ طلقة، دون حزام، فكنا في البداية نستخدم اكياساً لوضع الطلقات فيها.»

كان ممثلو الحكومتين في مهاباد وتبريز راغبون في التوصل الى تحالف يمكنهم الصمود أمام ضغوط طهران المتزايدة، فتوصلوا الى اتفاق مشترك من سبعة مواد وقع في ٢٣ نيسان/ابريل ١٩٤٦.

ويقول كاظم شاندرى:

«بعد اكمال التدريب اتجهت فصائل من قوات الجمهورية الى جبهة سقز، اذ كان يخشى من تهديدات الجيش الايراني في تلك المناطق. فاستقرت هذه القوات في قرى (سراي) و (سهروجاغ) و (آخكندی) و (كاراوا) و (مهرقه ره ني) وسيطرت على طريق سقز - بانه - سه رده شت. كان لهذه الجبهة ثلاث مطابخ وأفران لتزويد الجنود بالغذاء الذي كان جيداً ويؤتى به من سراي مهاباد، وهناك كان (ملا حبيب) مسؤولاً عن الارزاق، و (خالد خه مو عقراوي) مسؤولاً عن نقل هذه الارزاق الى الجبهة. وفي احدى الليالي سيطرت قوات الشاه على المرتفعات القريبة من قرية كاراوا، وما ان شعر جيش الجمهورية بذلك حتى بادى الى الهجوم، وكان عدد من القادة البارزانيين على رأس فصائلهم في الجبهة من بينهم: محمد امين ميرخان ميرگه سوري و ميرزا آغا ره شو و صالح علي كانيالنجي و سعيد ولي به گ وخوشه ثي سيلكي، والاخير هو ابن خليل خوشه ثي، بطل المقاومة البارزانية في الثلاثينات. تراجع جيش الشاه بعد ان مني بخسائر فادحة في الارواح. وتم اسر عدد كبير منهم، كما استولى جيش الجمهورية على الاسلحة والعتاد الجيد. وتابع فلول جيش الشاه حتى أطراف مدينة سقز.»

أما حكومة طهران فقد كانت متخوفة من سياسات موسكو بعد انسحاب بريطانيا من أراضيها في الاول من شهر شباط من عام ١٩٤٦، بينما بقيت القوات الروسية، وكانت هناك جمهوريتان. كردية وأزرية تتحين حكومة الشاه الفرص للقضاء عليهما. ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الايرانية تشتكي لدى مجلس الأمن من بقاء القوات الروسية على أراضيها خلافاً للمعاهدة الثلاثية الموقعة بين موسكو ولندن وطهران في كانون الثاني عام ١٩٤٢. وفي أول اجتماع لمجلس الامن في ١٩ / ١ / ١٩٤٦ ناشد السفير الايراني حسين تقي زاده الامم المتحدة متهماً الاتحاد السوفيتي بالتدخل في شؤون إيران الداخلية بدعمه للأكراد والآزريين ورفضه سحب قواته من إيران. وأضاف إن هذا الموقف السوفيتي قد يخلق نزاعاً عالمياً. وذكر أن السوفييت يعملون على إثارة الزعماء الاكراد ضد الحكومة المركزية. ورد

ممثل الوفد السوفيتي Andrey Vyshinsky معترفاً بمنع القوات الايرانية في الدخول إلى الاراضي التي تحتلها القوات السوفيتية، لكنه قال أن الحركة من أجل الحكم الذاتي تعكس الارادة الحقيقية للسكان وليس هناك صلة بين الحركة الكردية والآزرية وحضور القوات السوفيتية في شمال إيران.^{٢٣٠}

كانت بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية تؤيدان ايجاد سلطة مركزية قوية في طهران. وكان الهدف الامريكي يتركز في طرد السوفييت من إيران والحفاظ على مصالحهم في المنطقة عموماً والقضاء على النفوذ السوفيتي في الداخل والذي كان يمثلته حزب توده الايراني. وقد لعب السفير الامريكي George Allen دوراً هاماً في انجاح الاتصالات بين رئيس الوزراء الايراني قوام السلطنة وعمر خان، رئيس عشيرة الشكاك القوية، وكان هدف السفير الامريكي هو تحييد عشيرة الشكاك قبل البدء بتنفيذ الحملة العسكرية ضد الجمهورية الشعبية الكردية.^{٢٣١}

وكان هناك رؤساء عشائر ضد الجمهورية الكردية علناً مثل قاسم إيلخاني زاده، وهو من زعماء عشيرة ده بوكري.^{٢٣٢}

وكما كان الحال مع انتفاضة بارزان في عام ١٩٤٥، لعب بعض رؤساء العشائر الكردية دوراً معادياً للتطلعات الوطنية الكردية، فكانوا على اتصال بحكومة الشاه ضد الجمهورية الكردية.

²³⁰ – Vision or Reality? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941–1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 198.

²³¹ Vision or reality? The Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941–1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 202.

²³² FO. 371/52702/131828.

وما أن علموا بقرب شن الحملة العسكرية ضدّ الجمهورية الكردية حتى كشفوا القناع عن نواياهم الحقيقية وأصبحوا عوناً كبيراً لجيش طهران في احتلال الاراضي التي شهدت إقامة الجمهورية الكردية.

انهيار الجمهورية الكردية

في ١٩ / ٢ / ١٩٤٦ وصل موسكو قوام السلطنة والتقى بستالين ومولوتوف عدة مرات، وكانت الشروط السوفيتية لانسحابهم من إيران تتلخص في ثلاثة نقاط رئيسية هي: ان تعترف طهران بالحكم الذاتي لآذربيجان، أن تقوم شركة سوفيتية — إيرانية بتطوير مصادر النفط في المقاطعات الشمالية، والشرط الثالث هو الإبقاء على عدد من القوات الروسية في إيران لوقت غير محدد. عاد قوام السلطنة الى طهران في ١٠ / ٣ / ١٩٤٦ دون التوصل الى حل، لكن بقيت الازمة قيد التداول في أروقة الامم المتحدة. كان قوام السلطنة مقتنعاً من أن أولويات الاتحاد السوفيتي هي في مجال النفط، ورغم إهتمامهم بقضية آذربيجان، فإنهم سوف يختارون النفط إذا ما اضطروا الى أحد الخيارين.^{٢٣٣}

أما على صعيد العلاقات الإيرانية الكردية بعد معركة كاراوا في ٢٤ / ٤ / ١٩٤٦، فقد تركزت قوة هامة من جيش الجمهورية الكردية بقيادة سعيد ولي به گ وخوشهفي خليل سيلكي في الهضاب الواقعة غرب مدينة سقز. قررت الحكومة الإيرانية البدء بهجوم واسع تشترك فيه الطائرات والدبابات لاحتلال هذه الهضاب وطرد جيش الجمهورية منها. وحصلت معارك هامة بين الجيشين، كان جيش الشاه يتقهقر نحو مدينة سقز ولكن سرعان ما عاود الهجوم بالدبابات، وقاوم جيش الجمهورية مقاومة عنيفة فجرح في القتال ١١ بارزانياً، ضمنهم خوشهفي خليل (١٩٢٨-١٩٤٦) في معارك مباشرة مع الدبابات. تم نقل الجرحى الى مدينة بوكان ومنها الى تبريز، حيث لاقى خوشهفي حتفه بعد ايام من العلاج في المستشفى، وقد أعيد جثمانه الى العاصمة مهاباد حيث ووري الثرى. أقيم له عزاء رسمي بحضور شخصيات

²³³ Vision or reality ? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page : 204.

بارزة من الحكومة الكردية وجمع غفير من اهالي مهاباد. أبنه الشاعر هيمن في قصيدة مؤثرة، كما كتب محمد محمود نبذة مختصرة عن حياته في صحيفة كردستان. لم يكن خوشهفي خليل قد تجاوز العشرين من العمر.

كتب عبد الرحمن علي مقالة مفصلة في صحيفة كردستان عن معركة كاراوا البطولية التي وقعت في ٢٤/٤/١٩٤٦ وانخرمت فيها قوات الشاه وقبض على عدد كبير من الاسرى، وكان لها أثر كبير في رفع معنويات الكرد. شارك مصطفى خوشناو في هذه المعركة، والمقالة عبارة عن إشادة بروح الشجاعة والتضحية التي أبداهها البارزانيون.^{٢٣٤} ويقول كاظم شانديري:

«استلمنا نحن الجنود البدلات العسكرية في خريف عام ١٩٤٦، وقد تردد البعض في لبس هذا الزي المخالف لتقاليد بارزان، لكنهم قبلوا في النهاية بحجة ان ملا مصطفى وشيخ سليمان يرتدون ايضاً الزي العسكري.»

كان الرائد عزت عبد العزيز نشطاً في مجالات عديدة، فبالإضافة الى مهامه في إعداد جيش الجمهورية إشتراك في مباحثات مع مبعوث طهران الجنرال رزم آرا والذي أصبح فيما بعد رئيس أركان الجيش الايراني ثم رئيساً للوزراء. كان الأخير يريد كسب الوقت فدعى القيادة الكردية الى الحوار في سقز. حضر الاجتماع ممثلون عن الجيش الكردي، وقد كتب ابراهيم صلاح الذي كان حاضراً أثناء الاجتماع تقريراً نشرته صحيفة كردستان باللغة الكردية تحت عنوان «ممثلوا كردستان وطهران في سقز». حضر الاجتماع وفداً ممثلاً عن حكومة آذربيجان، وأفتتح عزت عبد العزيز الجلسة بكلمة باللغة الكردية ترجمت حرفياً الى اللغة الفارسية، وأعرب فيها عن سروره للتوصل الى معاهدة صداقة واخوة مع الاخوة الآريين، وأضاف إن حضور الوفد الفارسي هذا الاجتماع هو تعبير عن رغبته في التفاهم ولذلك جاء الى سقز. وعبر عن أمله في أن يتطور الاتفاق الثنائي الكردي الآزري الى إتفاق ثلاثي بين ثلاثة إخوة. بعدها

^{٢٣٤} محمود ملا عزت. ده وله تي جمهوري كوردستان. نامه و دو كيومنت ٢٢-٢٤. سويد. آزادي. ١٩٩٢.

أوضح رزم آرا الغرض من هذا الاجتماع. وهو ان المباحثات بين الحكومة المركزية في طهران وبين ممثلي آذربيجان وكردستان ستبدأ قريباً، ولكي يتم التوصل الى تفاهم بناء في المباحثات المقبلة، يستحسن أن يتوصل الاجتماع الحالي إلى قرار يضمن الهدوء التام في جميع الجبهات. ورد عليه عزت عبد العزيز: إن السبب الرئيسي لمجيئنا هو أيضاً للتثبت ممن بدأ معركة كاراوا، وفي هذا الخصوص هناك عدد من الدلائل، فالقاعدة الحربية المعروفة والمقبولة هي أن المهاجم يعطي خسائر أكبر من المدافع، فقد وقعت خسائر كبيرة في الجيش الايراني في هذه المعركة، في حين لم تسل قطرة دم من أي من أفرادنا، وهذا دليل كاف في تعيين المهاجم، وأيضاً هناك جنود إيرانيون وقعوا أسرى وهم الآن في مهاباد وتبريز وبإمكانكم أن تسألوهم.

ورد الجنرال همايوني: لقد أرسلت مجموعة من الجنود الى شمال سقز وذهب هؤلاء الى مهاباد ولذا لا يمكن إعتبارهم كمهاجمين. فرد عليه الرائد عزت عبد العزيز: لا يمكن فصل سقز عن مهاباد إنهما جزء من أرض كردستان، وأينما وجد الاكراد نعتبر المكان جزء من كردستان.

في هذا الاثناء تدخل الكابتن سعيد زاده بإيضاحات أخرى. لم تكن لدى الجنرال هومايوني أية أدلة صحيحة فإضطر إلى ترك الاجتماع دون عودة. وأخيراً لم يعد بوسع اللواء هومايوني غير الاقرار بهجوم الجيش الايراني على القوات الكردية، وهكذا إتضح رسمياً أن إيران هي التي تتحمل المسؤولية.

وتم توقيع إتفاقية في ٣ / ٥ / ١٩٤٦ وقعها عن الجانب الكردي عزت عبد العزيز ومن الجانب الايراني الجنرال رازمارا وكان الايرانيون يريدونها هدنة ريثما يتهياً الجيش الايراني للحملة العامة.

كان قائد قوات بوكان ومنطقة سهر، حه مه رشيد خان والضباط الذين كانوا على رأس القوات البارزانية يدعون الى تحرير المدن الكردية المحتلة وتغيير ميزان القوى عسكرياً، وقد أرسل حه مه رشيد خان رسالة الى رئيس الجمهورية قاضي محمد يذكر فيها أن لأمل من

المفاوضات مع حكومة طهران، فهي لاتنوي التوصل الى إتفاق حقيقي، انما تهدف الى اضاعة الوقت وافلات الفرصة من ايدينا. ورد عليه رئيس الجمهورية الكردية بأن أي عمل جزئي يجب أن ينسجم مع الاوضاع الدولية، ونحن مرغمون على السير في طريق الصلح كل ما أمكن.

ويقول رئيس الجمهورية قاضي محمد عن البارزانيين: «إن هذه العشيرة الشجاعة كانت تتلهف شوقاً للهجوم على سقز والسيطرة عليها، لكنني منعتهم من ذلك.»^{٢٣٥}

وهناك من يعتقد أن موقف قاضي محمد كان نابعاً من معارضة السوفييت لهذا الهجوم في شخص القنصل الروسي هاشموف المقيم في اورميه.

كما يذكر أرشيف بريطاني: «بدا الجنرال هومايون واثقاً من قدرته على مواجهة الوضع إلا إذا إتحدت قوات قاضي محمد وحه مه رشيد وملا مصطفى وتوجهت الى الجنوب، ولن يستطيع الجنرال هومايون إرسال تعزيزات من سنج الى سقز - بانه - أو سردشت حيث من الممكن حصول مصاعب جدية بسبب الثلوج الغزيرة على الطريق العام قبل نهاية شهر آذار/مارس، وبعد ذلك تصبح هذه الطرق صالحة للمرور.»²³⁶

شكل الجيش الاحمر طوال وجوده في كردستان وأذربيجان عاملاً رادعاً أمام تقدم الجيش الايراني لإعادة احتلال هذين الاقليمين. أما الموقف الامريكي والبريطاني فكان يرمي الى إيجاد حكومة مركزية قوية في طهران وأنقره لمنع التغلغل السوفيتي. في حين كانت روسيا تريد إضعاف حكومة طهران من أجل زيادة نفوذها عبر حزب (توده) الايراني بإشراكه في الحكومة ودعم مطالب الشعبين الكردي والآزري ومن ثم التأثير على مجمل الاوضاع في الشرق الاوسط.

^{٢٣٥} رؤؤنامهى كوردستان. ژماره: ٦٢.

²³⁶ FO. 371/52702/131828 .

بعد انسحاب الجيش الاحمر من إيران في ١٠ / ٥ / ١٩٤٦ أوجد نوع من الارتياح لدى حكومة طهران وحلفائها الغربيين كما تكثفت الجهود الايرانية سياسياً وعسكرياً للقضاء على الجمهوريتين. كما وضع الحكومة الكردية في مهاباد والحكومة الآزرية في تبريز امام خيارات صعبة. كانت حكومة تبريز موضع اهتمام أكبر من قبل السوفييت، كانت لديهم إمكانيات مالية وعسكرية وتنظيمية أكثر من الجمهورية الكردية. فقد كانت شيوعية المنحى بوضوح، في حين كانت حكومة كردستان قومية وليس ت تابعة في أيديولوجيتها. كانت حكومة تبريز عنيفة في العديد من أعمالها وقراراتها الثورية وتفتقر الى التأيد الجماهيري، بينما بقيت الحكومة الكردية مسالمة ومدعومة من قبل الشعب.

وكما أشرنا سابقاً فقد كان الضباط الكرد والبارزانيون وحه مه رشيد خان يميلون الى تحرير أجزاء أخرى من كردستان؛ فقد كان الوضع العسكري مناسباً للتوسع وتحرير مدن أخرى. كتب حه مه رشيد خان الى قاضي محمد: «للحيلولة دون تكرار حملات العدو ومن أجل الاحتفاظ بسيطرتنا على خط مواصلات العدو فإن قواتنا تحتفظ بمواقع كيوانى آلتون، ملقه ره نى، مرخوز وسيداوا. وتحاصر قواتنا حالياً مواصلات العدو في جبهة سقر من جهتين.....ان مدينة سقر مهددة من قبل قواتنا. ويقوم العدو من جانبه بالاستعدادات العسكرية والتنظيمية وبث الدعاية بين العشائر في هذه المناطق، ومن أجل قطع الاتصالات بين قواته في بانه وسه رده شت وسقر والحيلولة دون كسب الأغوات في هذه الاطراف، ولتفادي اية ضربة لهدفنا الاساسي وخططنا الكردستانية العليا، أرى من الضروري إصدار الاوامر للتحرك ضد العدو.»²³⁷

لقد قام القواد المسؤولون عن القوات البارزانية باستطلاع عسكري لوضع خطط الهجوم وقدموها الى القيادة الكردية. لكن رئيس الجمهورية قاضي محمد والذي كان يشغل منصب

237 . محمود ملا عززت. دوله تي جمهورى كوردستان. تامه و دو كيومنت: ٢٢.

القائد العام للقوات المسلحة، رفض ذلك بذريعة أن الوفد الكردي منشغل بالتفاوض في طهران. ٢٣٨

عاد الوفد الكردي من طهران بعد فشل المفاوضات. ولم يطرأ أي تغير في موقف قاضي محمد الذي ظل مشوباً بالركود العسكري، في حين كانت الحكومة الايرانية تعد الجيش لحملة كبيرة بإتجاه آذربيجان وكردستان.

وبعد انسحاب القوات الروسية من كردستان وآذربيجان، بدأت مساعي حكومة طهران في كسب العشائر الكردية الى جانبها وذلك قبل بدء الحركات العسكرية. وتفيد برقية بعثتها السفارة البريطانية في طهران الى الخارجية البريطانية مؤرخة في ١ / ٧ / ١٩٤٦ تفيد:

«نجح الجنرال رازمارا أثناء وجوده في كردستان في الاتصال بمعظم زعماء الاكراد ونجح في اقناع قاضي محمد بالجيء الى طهران للتشاور. كما أخبر رازمارا الملحق العسكري البريطاني انه تباحث مع حه مه رشيد وملا مصطفى، وانه من المحتمل لوحصلت مبادرة من العراق، ان يعود هؤلاء مع أتباعهم الى العراق وينجم عن ذلك انحلال الجيش الكردي الذي يجابه الجيش الفارسي في مناطق سقز وسردشت.» ٢٣٩

حتى قبل هذه الفترة الحرجة كان موضوع العفو عن ملا مصطفى وحه مه رشيد خان يثار بهدف فصل أتباعهم المسلحين عن تأييد الجمهورية وإضعافها عسكرياً وكانت إيران تنوي إيجاد هذا الشرح في الصف الكردي، لكن حكومة بغداد والسفير البريطاني عارضوا موضوع العفو.

ففي برقية من السفير البريطاني Sir H. Stonehewer Bird الى وزارة الخارجية البريطانية، مؤرخة في ١٨ / ٤ / ١٩٤٦ يقول السفير:

«لم يعد بالامكان ان تعفو الحكومة العراقية عن ملا مصطفى ثانية ففهمت ان وزارة الداخلية على إتصال به حه مه رشيد ومن الممكن ان يعود.»²⁴⁰
وتضيف برقية أخرى:

«لأعتقد ان هناك إمكانية لإقناع الحكومة العراقية للعفو عن ملا مصطفى، ومن الأفضل ان لاتحاول حكومة جلالته القيام بإقناع الحكومة العراقية، لكن ليس هناك مانع لو قامت الحكومة الفارسية بذلك.

٢ — العراقيون مستعدون للسماح له مه رشيد بالعودة الى العراق، لكنني فهمت من وزير الداخلية العراقي من انه لايتوقع الا القليل من احراز اي تقدم إن لم تقبل ايران مسبقاً بعفو غير مشروط.»²⁴¹

وتبادل سفيرا بريطانيا في بغداد وطهران وجهات النظر في موضوع العفو، ففي برقية أخرى من السفير البريطاني في بغداد الى نظيره في السفارة البريطانية في طهران مؤرخة في ٩ / ٩ / ١٩٤٦ تقول:

«رغم انني لا أنكر ان العراقيين ساهموا بشكل كبير بعدم أهليتهم وطيشهم في دفع ملا مصطفى الى هارب من وجه العدالة، ولكن لايمكن ان نتجاهل انه خلال عامين حمل السلاح ضد الحكومة العراقية وتسبب في خسائر مادية وخراب وفقدان لهيبة الحكومة، وانا اشعر تماماً بأنه لو عاد الى العراق لن يعامل برحمة وانه سوف يعدم حال القبض عليه، وكان قد عفي عنه دون نتيجة، وانا اشك في ان يكون للعفو عنه اي أثر ايجابي، ولا أعتقد اننا نستطيع طلب العفو عنه دون وجود مبررات سياسية ملحة وضاغطة، وحالياً لا أرى توفر اي من هذه المبررات..... وأرى لزماً أن أضيف أن الشيخ أحمد يعتبر في نفس القارب مع أخيه ملا مصطفى.»²⁴²

²⁴⁰ FO. 371/52702/131828 .

²⁴¹ FO. 371/52702/131828 .

²⁴² FO. 371/52702/131828 .

إضافة الى ذلك كانت الجهود تبذل من أجل جمع أغوات العشائر لإسناد طهران ضد الجمهورية الكردية، تماماً كما كان الحال مع حكومة بغداد في شراء ولاء رؤساء العشائر الكردية ضد إنتفاضة بارزان عام ١٩٤٥. ففيما يتعلق الامر ببعض رؤساء العشائر الكردية وموقفهم العدائي من الجمهورية الكردية تقول بريقة مؤرخة في ١١ / ٩ / ١٩٤٦ من القنصلية البريطانية في تبريز:

«قال إيلخاني زاده وهو من عشيرة ده بؤكري أن عمر خان شكاك والذي هو أكثر الزعماء العشائريين أهمية يأخذ المال من أي كان دون أن يلزم نفسه لأحد. وقال قاسم إيلخاني للقنصل البريطاني انه قادر على القضاء على الحزب الديمقراطي الكردستاني وعلى الحركة الوطنية الحديثة حتى قبل بروزها لو تلقى مساعدة قليلة من البريطانيين.»^{٢٤٣}

لقد أرادت إيران إيجاد مبرر لارسال قواتها العسكرية ضد الجمهوريتين فإدعت انها سترسل قواتها الى كردستان وآذربيجان من أجل الاشراف على الانتخابات العامة.^{٢٤٤}

من المفيد هنا نقل شهادة أحد الضباط الآزريين الذين شاركوا في احداث هذه الفترة التاريخية وكان على صلات وثيقة بشيخ بارزان وبملا مصطفى وبالبارزانيين عموماً، هو ابو الحسن تفرشيان الذي التقى في مهاباد بملا مصطفى وسجل بعض ماورد في حديثه الذي ينم عن نقد مبطن لقاضي محمد وآخرين من شخصيات الجمهورية الفتية: «لست رئيساً، ولست من بين أولئك الذين يتولون منصب رئاسة أركان الجيش وقت السلم، ويظهرون وقت الحرب فجأة في باكو، أنا وبندقيتي هذه (مشيراً الى البندقية التي يحملها) ومادمت أحملها فأنا صاحب الأمر ولست خادماً لأية قوة أو حكومة لا للبريطانيين ولا للأمريكيين ولا للروس».

وبعد المزيد من المحادثات معه تبين لي ان نظرتة السياسية واضحة ومتفتحة الى حد معين، وكان يقول بأسلوب لغوي قديم، ان الوضع العالمي الخاص هو الذي حمل الروس على

²⁴³ FO. 371/52702/131828.

²⁴⁴ Vision or reality? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 204.

مساعدتنا، يحتاج الروس الآن الى تواجدنا في المنطقة وبإمكاننا الاستفادة منهم للعمل على استقلال كردستان، أنا لست شيوعياً ولا سيدياً إقطاعياً أنا رجل ديمقراطي.»^{٢٤٥}

وفيما يخص إمتعاض ملا مصطفى من معاملة الروس له فيقول: «أنا لست جاسوساً ولا خادماً لأحد، أنا خادم عشيرة بارزان وخادم لأمتي.»^{٢٤٦}

وبشأن علاقته برئيس الجمهورية الكردية قاضي محمد يقول أبو الحسن تفرشيان مايلي:

«كان ملا مصطفى ينفر من قاضي محمد وكان يقول: انه يخشى أن آخذ منه منصبه. ولكي يضعف عشيرة بارزان فقد وزع العوائل في منطقة تمتد من سواحل بحيرة اورميه الى أطراف مياندوآب وشاهين دز، بحيث لايتعدى عددهم في كل قرية خمسة أو ستة عوائل. كما إنه أبعد شيخ بارزان مع عشرين عائلة الى قرية دزي في أطراف اورميه. الا أن الروس بادروا الى إسعافنا وبناء على توصيتهم راحت الحكومة الآذربيجانية تدفع لعشيرة بارزان ٦٠٠٠٠ تومان شهرياً إضافة الى الألبسة والتجهيزات الاخرى.»^{٢٤٧}

كان ملا مصطفى يتردد كثيراً على تبريز وقد أقام علاقات جيدة مع المسؤولين في الجمهورية الديمقراطية الآذربيجانية.

لقد كان الفرق واضحاً بين شخصيتي قاضي محمد وملا مصطفى. فالاول كان رجل ثقافة وكتب وملم بالتاريخ الكردي، ويصفه الملحق العسكري المساعد Archie Roosevelt Jr في السفارة الامريكية في طهران بالكلمات التالية:

«اولئك الذين التقوا بقاضي محمد تأثروا بشخصيته وأدركوا بسهولة كيف اصبح رمزاً للقومية الكردية في كل مكان.» ويضيف «انه ذو صوت وديع متناغم، ايمائاته كانت هادئة ولكنها مؤثرة. كان يتمتع بشيء من منحى عالمي، إذ كان مهتماً بجميع شعوب العالم وملم

^{٢٤٥} أبو الحسن تفرشيان. قيام أفسران خراسان - فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ٨٣ - ١١٤.

^{٢٤٦} أبو الحسن تفرشيان. قيام أفسران خراسان - فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ٨٣ - ١١٤.

^{٢٤٧} أبو الحسن تفرشيان. قيام أفسران خراسان - فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ٨٣ - ١١٤.

بعدد من اللغات ضمنها الروسية وقليل من الانكليزية.» ويزيد «لقد بدا انساناً عميق الايمان ويتحلى بشجاعة تصل حد التضحية بذاته وذو آفاق واسعة ونظرة معتدلة.»^{٢٤٨}

لقد كان الضباط الكرد يميلون نحو قاضي محمد لأنه كان أقرب إليهم فكراً وثقافياً من ملا مصطفى، وفضلاً عن ذلك، فقد كان رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة، هذا الولاء للقاضي أزجج ملا مصطفى فدخل في علاقة إبتزاز معهم، ولم تنفع الحجج التي كان يتذرع بها الضباط الكرد، وقال أحمد حجي عبد اللطيف آميدي وهو أحد أقرباء عزت عبدالعزيز ومرافقه: «ان جدلاً عنيفاً كان يجري بين ملا مصطفى وعزت عبدالعزيز وإضطرت مرات عديدة على مد فراشي أمام باب المنزل الذي ينام فيه عزت عبدالعزيز خشية وقوع إعتداء عليه وكنت أقوم بذلك من أجل حمايته.»

لقد أدت هذه العلاقة المتوترة بين الضباط الكرد وملا مصطفى إلى إتخاذ عدد من الضباط الكرد قراراً خاطئاً بعد إنحيار مهاباد، إذ شعروا انه من الصعب جداً العمل مع ملا مصطفى فأختاروا العودة الى العراق بعد إعدام قاضي محمد، وكلفهم ذلك حياتهم. وبفقدانهم خسرت الحركة التحررية الكردية مجموعة من أخلص وأكفأ أبنائها.

كان ملا مصطفى رجل سلاح ميداني وقد أعتبر من أقوى الزعماء الكرد بسبب تأيد القوات البارزانية المطلق له وكان ذكياً وطموحاً يعرف كيف يستفيد من هذه القوة البارزانية المتوفرة له لتقوية نفوذه، في حين لم يكن القادة الآخرون، لا الضباط الكرد ولا قاضي محمد نفسه يملك جيشاً مطواعاً له خبرة عالية في القتال وموحد الكلمة مثل البارزانيين. فعلى سبيل المثال انه رغم الموت الذي كان يحصد البارزانيين حصداً، هرع أكثر من ألف مقاتل منهم لحمل السلاح عندما صدرت لهم الأوامر بذلك في ربيع عام ١٩٤٦. كانت الامكانيات العسكرية متوفرة أكثر في تبريز، ولهذا طلب الروس تدريب عدد من البارزانيين فيها، ويقول تفرشيان بهذا الصدد:

«في يوم من أيام شهر آب ١٩٤٦ قدم ملا مصطفى الى معسكر في تبريز وكان بمثابة جنرال، ومعه ٦٠ بارزانيا لغرض تدريبهم على المدفعية فذهب الشبان المتعلمون الى حد ما الى كلية الضباط ودخل البقية في ثانوية نظام تبريز. وكان الملازم نوري (يعني نوري أحمدطه) قائداً لهؤلاء وهو من ضباط الجيش العراقي سابقاً. لكن الفرصة لم تتح لهؤلاء التدريب لأكثر من ثلاثة أشهر، فقد بدأ القتال بين الجيش الايراني وحكومة إقليم آذربيجان الديمقراطية وجمهورية كردستان، فعاد ملا مصطفى الى تبريز وأخذ أتباعه الى جبهة (سرا) قرب سقز.»^{٢٤٩} منذ شهر تشرين الثاني / نوفمبر، أصبحت الظروف الداخلية والخارجية مهيأة للبدء بالعمليات العسكرية لسيطرت حكومة الشاه سيطرتها على آذربيجان وكردستان وفق الخطة المعدة، وكانت الذريعة هي السماح بإجراء الانتخابات في جميع المناطق. فتقدمت الفرقة الثالثة من الجيش الايراني نحو زنجان في ٢٢ آذار/مارس ١٩٤٦ مصحوبة بالقوات غير النظامية من العشائر. وصلت هذه القوة في نفس اليوم الى زنجان. وتحركت القوات الآلية في ١١/٢٣ / ١٩٤٦ دون مقاومة من قوات آذربيجان. وكان معظم دفاعهم الرئيسي يقع في جنوب ميانه والذي شكّل الحدود الجغرافية لإقليم آذربيجان وكانت قواتهم مؤلفة من حوالي ١٥٠٠ جندي مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية جيدة.

أما في جبهة كردستان فيعترف الجنرال الايراني المشترك في هذه الحملات بأنهم كانوا يعتقدون أن البارزانيين سيقاتلون الجيش الايراني بجديّة. وكانت الفرقة الرابعة في كردستان تحت قيادة الجنرال هومايوني تتولى مهمة احتواء الاكراد في جبهة سقز — بانه وتطوقهم بحركة كماشة إنطلاقاً من القوة الرئيسية في تكاب باتجاه شاهين دز — مياندوآب ومهاباد وقطع الطريق أمام انسحاب البارزانيين والاكرد الآخرين في جبهة سقز.

في ٢ / ١٢ / ١٩٤٦ إحتلت الفرقة الرابعة سرجم على طريق ميانه وفي ٥ / ١٢ / ١٩٤٦ تقدمت قوة من الجيش الايراني نحو ميانه وأحتلتها في ١٠ / ١٢ / ١٩٤٦. وما ان

^{٢٤٩} أبو الحسن نغرشيان . قيام أفسران خراسان . فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية . ص . ٨٧ - ٨٨ .

علم أهالي تبريز بتقدم الجيش الإيراني حتى ثاروا ضد الديمقراطيين فهرب پيشواري ووزراء آخرون إلى الاتحاد السوفيتي، وقام الشعب بقتل الديمقراطيين ضمنهم وزير الثقافة محمد بيريا وسحلوا جسده في شوارع تبريز. وفي ١٣/١٢/١٩٤٦ دخل الجيش الإيراني مدينة تبريز.

أما القوة البارزانية التي ذهبت نحو (شاهين دز) لنجدة الآذربيجانيين فقد انسحبت نحو مهاباد دون قتال عندما علمت بإخيار حكومة تبريز.

قابل السفير السوفيتي الشاه عندما تقدم الجيش الإيراني نحو تبريز وطلب منه سحب قواته قائلاً أن هذه الحملة العسكرية الإيرانية تهدد السلم والأمن. قام الشاه بإطلاع السفير على برقية تؤكد أن قوات آذربيجان استسلمت دون شروط. وكان من المحتمل لو استمرت الجمهورية بالمقاومة لوقت أطول، ربما وفر ذلك للاتحاد السوفيتي وقتاً لإظهار رد فعل. لكن سرعة الإخيار لم تعطي أية فرصة لذلك. وما أن انتشر خبر سقوط تبريز، حتى سارعت قبائل الشكاك والهركية بالتقدم نحو أورميه وتبريز لإظهار التأييد لجيش الشاه.^{٢٥٠}

كان لسرعة إخيار جمهورية آذربيجان أثر كبير في إخيار معنويات الحكومة الكردية في مهاباد. إذ أصبح بإمكان الجيش الإيراني مواجهة الأكراد دون عائق. لم تكن هناك خطة عسكرية كردية لمقاومة الجيش الإيراني، كانت الإرادة مشلولة. ولذا تهيأ البعض لمغادرة مهاباد والاختفاء.

وحتى قبل دخول الجيش الإيراني مهاباد، شعر الناس بقرب النهاية ففي برقية مؤرخة في ١٣/١٢/١٩٤٦ من بغداد إلى الخارجية البريطانية يقول Sir. H. Stonehewer Bird مايلي:

«عبر لتوه سيد أحمد پوشو الحدود العراقية واستسلم دون شروط للبوليس العراقي، وقال أثناء التحقيق ان الحركة الكردستانية المستقلة إنحارت أمام قوات الحكومة المركزية، وان ملا مصطفى والضباط الهاربين يعيشون في الخفاء... الأخ الثالث — پوشو يعمل مع القوات

²⁵⁰ Vision or reality? The Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 201

الفارسية.

٢ — أرسلت الحكومة العراقية بتعليماتها الى مفوضيتها في طهران لكي تمارس الضغط على الحكومة الفارسية للقبض على ملا مصطفى والضباط الهاربين من الجيش العراقي وتسليمهم الى الحكومة العراقية.

٣ - طلب مني رئيس الوزراء إبلاغكم بأن لاتضنوا جهداً في دفع الحكومة الفارسية الى القبض على هؤلاء وأن لايفلتوا من أيديها.

٤ — ستتضرر العلاقات العراقية — الفارسية إذا ما أفلت هؤلاء من أيديها. آمل أن تمارسوا الضغط على الحكومة الفارسية كي تبذل كل جهدها للحيلولة دون وقوع ذلك.»^{٢٥١}

التوقيع

SIR. H.Stonehewer Bird

في ١٩٤٦/١٢/٥ عقد إجتماع حضره قاضي محمد في مهاباد لبحث الاوضاع الخطيرة مع عشرة من المسؤولين العسكريين والسياسيين، وفي اليوم التالي أعلن في مسجد عباس آغا عن ضرورة مقاومة تقدم الجيش الايراني، لكن في ١٥ من نفس الشهر غادر أسدوف — (الممثل التجاري) السوفيتي البناية التي كان يحتلها في مهاباد وذهب الى القنصلية الروسية في اورميه قائلاً ان هذا جزء من الاتفاقية التي وقعت أثناء الحرب الكونية الثانية. ساد شعور عميق بأن السوفييت تخلوا عن الجمهورية الكردية، ويضاف الى هذا سقوط الجمهورية الجارة في آذربيجان، أن إنفخات المعنويات وتقرر الاستسلام.... وفي ١٢/١٦، غادر قاضي محمد وبرفته سيف قاضي - الاخير كان مندوباً في البرلمان الايراني - وحاج بابا شيخ برفقة عدد آخر من الزعماء للقاء الجنرال هومايوني قائد الجيش الرابع المرابط في كردستان في مياندوآب، سمح لهم الجنرال الايراني بالعودة الى مهاباد.

إستغل رئيس الجمهورية الشعبية الكردية القليل من الوقت الباقي أمامه في عدم إعطاء أية حجة للجيش الايراني للقيام بأعمال إنتقامية ضد الاكراد فأخلى المدينة من القوات ومنح السلاح الى البارزانيين الذين كانوا مصممين على عدم الاستسلام للجيش الايراني. كان القاضي ربما على يقين من أن بقائه في مهاباد سيجنب المدينة الخراب والانتقام وفي الوقت ذاته يعني موته، الا انه رفض رغم وجود إمكانية المغادرة، إذ عندما كانت حكومة آذربيجان تنهار، إتصل جعفر Fيشواري الآذربيجاني بالرئيس الكردي طالباً منه مغادرة مهاباد، لكنه أجاب: «ليس مشرفاً أن أتخلى عن الناس وأتركهم تحت رحمة الجيش الايراني.»^{٢٥٢}

وفي ١٢/١٧ وضع المدينة رسمياً تحت تصرف السلطات الايرانية. الواقع ان قاضي محمد نجح في حقن الدماء وسهل عودة الجيش الايراني لكنه دفع حياته ثمناً لذلك. كانت السياسة الايرانية في تلك الايام العصبية هي استخدام قاضي محمد لترسيخ سلطتها ومن بعد شنته.

وبعد يومين من إحتلال الجيش الايراني لمهاباد، طلب ملا مصطفى مقابلة الجنرال هومايوني وفعلاً قابله في مهاباد في ١٩٤٦/١٢/٢٠.^{٢٥٣}

وتفيد برقية بشأن العفو عن ملا مصطفى مؤرخة في ١٩٤٦/١٢/٢٣ ارسلت من طهران الى الخارجية البريطانية مفادها ان ملا مصطفى البارزاني طلب من قيادة الضباط العامة (General Officer Commanding) السعي لدى الحكومة العراقية للعفو عن شخصه أو الحصول على الموافقة للإقامة في إيران.^{٢٥٤}

وجرى إستعراض للجيش الايراني في المدينة وشوهد قاضي محمد وملا مصطفى الى جنب الجنرال هومايوني على منصة التحية.^{٢٥٥}

²⁵² Vision or reality ? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page : 188.

²⁵³ Vision or reality ? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page : 201.

²⁵⁴ ١٣١٨٢٨/٥٢٧٠٢/Mr. Le Rougetel. No 2043. 23 Desember 1946

^{٢٥٥} أبو الحسن تفرشيان . قيام أفسران خراسان . فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية . ص . ٩١ .

وكتب ملا مصطفى رسالة يعلن فيها استسلامه للسلطات الايرانية باللغة العربية. وقال للجنرال هومايوني انه إذا ما ضمنت الحكومة البريطانية سلامته وسلامة قبيلته فإنه سيعود الى بارزان. إقترح عليه الجنرال الايراني أن يذهب الى طهران يرافقه مير حاج وعزت عبد العزيز ونوري أحمد طه بصحبة الكولونيل غفاري وذلك بهدف الاتصال بالسفارة البريطانية بشأن ضمان العفو من الحكومة العراقية له وللبارزانيين.

كانت هذه اولى زيارات ملا مصطفى والضباط الى طهران، وكان الهدف هو البحث عن (ملجأ) كانت المشكلة ذات شقين: فقد كان ملا مصطفى محكوماً بالاعدام الى جانب الضباط وحوالي ١٢٠ شخصاً معظمهم من البارزانيين الذين احتلوا مخافر الشرطة في أراضي بارزان في نهاية عام ١٩٤٤. والشق الثاني كان الخطر المباشر على آلاف النساء والاطفال البارزانيون جراء البرد والجوع والمرض وتطويقهم شمالاً وجنوباً من قبل الجيش الايراني وقوات المرتزقة من أغوات العشائر الكردية.

وفي صباح ١٩٤٦/١٢/٢١ غادر ملا مصطفى مع مجموعة الضباط بالسيارة الى تبريز، وفي ظهر اليوم نفسه طلب الجنرال هومايوني من قاضي محمد وسيف قاضي وحاج بابا شيخ نزع سلاح العشائر وجمع كل ما استلموه من السوفييت. اعترفت القيادة الكردية بإستلام ٥٠٠٠ قطعة سلاح لكن هذه الاسلحة وزعت من قبل اللجنة المركزية للحزب، عندها طلب الجنرال هومايوني حضور جميع أعضاء اللجنة المركزية إضافة الى زعماء آخرين، حضر حوالي ٤٥ من أبرز شخصيات الجمهورية في فندق المدينة فطلب منهم الجنرال الايراني جميع الوثائق التي تتعلق بتوزيع السلاح، وكان الجواب انهم أحرقوها، وأكوام الرماذ الباقية شاهد على ذلك، وأعترف قاضي محمد بمسؤوليته كاملاً، لكن عند مغادرتهم الفندق أُلقي القبض عليهم جميعاً.^{٢٥٦} إن إنحيار الجمهوريتين الفجائي ولا مبالاة السوفييت أدهش الجميع، ضمنهم قوام

السلطنة والشاه، وشعر السفير الأمريكي ان الشأن الآذربيجاني أدير بشكل سيئ من قبل السوفييت. ٢٥٧

أسباب الانخيار تتضمن كما كان الحال في كردستان . العراق . عام ١٩٤٥ هو تغيير الرجعية الكردية المتمثلة في رؤوساء العشائر الاقطاعيين لولائها بشكل مفاجيء وتعاونها مع قوات طهران ضد الجمهورية الكردية. وهكذا نرى ان العشيرة وخضوعها المطلق لإرادة الآغا كانت سبباً في ضعف الحركة الثورية الكردية إذ تنحاز العشيرة الى الجبهة التي يختارها الآغا حسب مصالحه هو. أضف الى ذلك التنافس بين العشائر نفسها وينجم عن هذا التنافس طلب العون من الجهة المعادية، مما مكن الحكومات من التأثير في مجري الاحداث بشكل حاسم لصالحها. فقد كان عمر شكاك قد اتصل بطهران قبل بدء الجيش الايراني التقدم نحو تبريز ومهاباد.^{٢٥٨} أضف الى ذلك غياب تنظيم سياسي ذو خبرة يعي الاوضاع الاقليمية والدولية ويرسم استراتيجيته على ضوءها. كما ان قصر مدة التجربة ادى الى عدم تعزيزها عسكرياً وإقتصادياً وسياسياً، وكان رئيس الجمهورية نفسه عائقاً أمام استخدام القوة لتحرير الأجزاء الباقية من كردستان، وكان مسالماً بطبعه ويتوخى التفاهم مع حكومة لا تعترف بأية حقوق قومية للشعب الكردي. ومما يجدر ذكره ان الجمهورية الشعبية الكردستانية لم تنشأ من خلال نضال مسلح انما نشأت بفعل ظروف دولية كان من نتائجها انحسار القبضة الايرانية على أجزاء من كردستان بفعل احتلال القوات السوفيتية والبريطانية لإيران.

أزاء هذه الصدمة لم يبقى أمام البارزانيين غير إتخاذ إجراءات سريعة وتتلخص في إنهاء حالة (التشتت) والتحول الى حالة (التجمع) في بقعة أرض معينة لتشكيل كتلة موحدة مترابطة جغرافياً، فقد شعروا انهم محاطون بالأعداء من جميع الجهات. ولذا نرى انه بعد انخيار الحكومة الكردية مباشرة قام البارزانيون المشتتون بترك القرى النائية والتفوا حول شيخ بارزان، وكان هذا

²⁵⁷ Vision or reality? the Kurds in the Policy of the Great Powers, 1941-1947. Borhanedin A. Yassin. Lund University Press. Sweden. 1995. Page: 201

²⁵⁸ Ibid. Page: 190.

قد تنبأ بإخيارالجمهورية لكونها لا تتمتع بعوامل الديمومة.^{٢٥٩} في حين كان الناس يعتقدون العكس، إتخذ شيخ بارزان مدينة شنوى مركزاً له وتقع في زاوية تلتقي عندها الحدود الايرانية والتركية والعراقية، وكان شيخ سليمان والذي يصفه أبو الحسن تفرشيان بأنه كان بمثابة وزير خارجية شيخ بارزان، كان رجلاً ذكياً وشجاعاً ويتكلم الفارسية بطلاقة.^{٢٦٠} إضافة كان شيخ بارزان يستشير حجي طه آميدى في الشؤون السياسية والعسكرية.

وكان من وجهة نظر ملا مصطفى انه يجب التفاهم مع طهران، لأنه لا مجال للعودة الى العراق بسبب حكم الاعداء الصادر من قبل الحكومة العراقية والذي يشمل زهاء ١٢٠ شخصاً، في الواقع كان ملا مصطفى يريد دفع الضباط الآذريين الذين إنضموا الى القوات البارزانية بإقناع الشيخ أحمد بقبول وجهة نظره لكن دون جدوى.^{٢٦١} وكان شيخ بارزان يعارض هذا المقترح الذي لا يأخذ في الحسبان حياة وسلامة الغالبية الساحقة من البارزانيين.

سادت الفوضى في كردستان، وشهدت بعض المدن والقصبات إدارة مزدوجة، فبعد سقوط جمهورية آذربيجان مباشرة يقول تفرشيان:

«وصل ستة من الضباط الآذربيجانيين الهاربين الى مهاباد بنية الذهاب الى روسيا، وبعد المشاورة مع قاضي محمد انطلقوا الى اورميه الا انهم علموا وهم في مشارف المدينة بأنها تحت سيطرة العناصر المعادية للديمقراطيين فعادوا الى نغده ووصلوها في الساعة الثامنة ليلاً. واستقروا في مقهى من مقاهيها، في ذلك الوقت كانت القوات البارزانية قد سيطرت على نغده، وأعلن الشيخ محمد صديق البارزاني - شقيق شيخ بارزان - ان الحكم هو بيده وانه أصدر قراراً بمنع التجول منذ التاسعة ليلاً.

تناول اصدقائنا الستة الغذاء ولقطة تجاربهم وشعورهم بالإطمئنان الذي لم يكن في محله فقد قضوا ليلتهم في ذلك المقهى وهم غافلون عن الحكم المزدوج الذي يسود البلدة فالى جانب

^{٢٥٩} لقاء مع ميرحاج احمد عقراوي في هورى - مصيف شيخ بارزان - صيف عام ١٩٦٧.

^{٢٦٠} أبو الحسن تفرشيان - قيام أفسران خراسان - فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ٩٨.

^{٢٦١} أبو الحسن تفرشيان - قيام أفسران خراسان - فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ٩٨.

حكم البارزانيين كان هناك القره باخ، وهي عشيرة تركية سكنت بين مهاباد واورميه في جزيرة من أرض كردية، وتعرف المنطقة باسم سلدوز ومركزها نغده، وكان يترأس العشيرة في ذلك الحين المدعو قلى خان برجالو منحتة حكومة آذربيجان الديمقراطية رتبة عقيد وكان يقود زهاء ألف من الفرسان وضعهم في خدمة الديمقراطيين الآذربيجانيين ضد الحكومة المركزية الا انه قلب للديمقراطيين ظهر الخن وانضم الى المعسكر الحكومى ورفع العلم الايراني في نغده وسيطر على الادارة في منطقة سلدوز ونصب نفسه باسم قوام السلطنة قائمقاماً ومديراً لناحية نغده.. كان وسام فرقة الحادي والعشرين من آذار الذي أنشأه الديمقراطيون الآذربيجانيون لم يزل معلقاً في صدر هؤلاء الفرسان الذين أصبحوا موظفين إداريين (شرطة) وبدأوا بإلقاء القبض على اللذين ينتمون الى جماعة الديمقراطيين والقضاء عليهم وقد علم هؤلاء بوجود الجندرمه الجدد (الضباط الديمقراطيين في المقهى) وكان ضباط الجيش في تلك الايام طريدة هؤلاء الناس الانتهازيين، حيث ان إلقاء القبض عليهم وتسليمهم للقوات الحكومية سيكون دليلاً على إخلاصهم ودليل براءة من ما فعلوا سابقاً الامر الذي يساعد على تطهير ملفهم الاسود كمتعاونين مع الديمقراطيين فدهاموا المقهى ليلاً والقوا القبض على الضباط المذكورين وجردوهم من السلاح وهم :

زوبخت، احساني، تيواى، ارتشيار، توكلى على أصغرى ونيكلا، ثم أخذوهم في إحدى المساجد وهناك جردوهم من ملابسهم بحجة التفتيش وفي الصباح استاقوهم الى دار كانوا قد اتخذوها مركز لإدارة الناحية وفي اثناء إقتيادهم الى ذلك المركز شاهدتهم كردي بارزاني يدعى كاك صالح فأسرع بإبلاغ الشيخ محمد صديق بذلك، وفي مركز الناحية هذا ربطوا ايدي الضباط المعتقلين وهيؤوهم للرحيل وتسليمهم الى الجيش والتضحية بهم، الا ان ابن الشيخ محمد صديق داهمهم مع عدد من المسلحين البارزانيين واطلق سراح الضباط وجردوا افراد القره پياخ من اسلحتهم واحتلوا الدائرة. والحراس الاشداء الذين كانوا يطالبون حاكمية الدولة المركزية قبل لحظات أصبحوا الآن فدائيين ومريدين للضباط وأعيدت على الفور الاشياء التي نخبث من قبلهم طالبين العفو والمعدرة وكان يتظاهر كل واحد منهم بالوفاء والصدق أكثر من

الآخر لجماعة الديمقراطيين بدليل وجود ميدالية فرقة الحادي والعشرون من آذار والتي لاتزال معلقة على صدورهم.»^{٢٦٢}

وبعد يومين من وقوع هذه الحادثة وصل ضابط المدفعية أبو الحسن تفرشيان مع النقيب (دانا) الى نغده وكانت مجموعته مؤلفة من عشرة ضباط ومدفعين وقراية مائة وأربعون جندياً. وكان قد صمم هو ورفيقه على مرافقة البارزانيين أثناء لقاء مع ملا مصطفى في مهاباد. ومن هناك كلفوا بعض الجنود ومجموعة من البارزانيين بحمل المدافع والتحرك الى نغده، وبعد البقاء هناك عدة ايام إنتقل ضابط المدفعية الى (شنوى) حيث يسكن شيخ بارزان. لكن كان صبر جنوده ينفذ فسمح لهم بالمغادرة وأبقى على عدد من الاذكياء للحفاظ على المدفعية والانتظار حتى حلول موسم ذوبان الثلوج.^{٢٦٣}

وعن علاقة ملا مصطفى بالشيخ أحمد يقول ابوالحسن تفرشيان:

«كانت رابطة ملا مصطفى جيدة بعدد منا نحن الضباط. وكان يشعر بأننا نفهم كلامه أحسن من الآخرين، وهو رغم تظاهره بالمطيع والمنفذ لأوامر شيخ أحمد، كان لايتوانى في ان يقول عنه إنه إقطاعي ويريد ان يحكم العشيرة حكماً إقطاعياً وروحياً. وإن كل مايريده شيخ أحمد هو العودة الى بارزان ليجلس على كرسيه وقد أحاط به الاتباع وهم يقولون له (ازيني. ازيني).» - إبداء إحترام شديد..

ونظراً لأن المؤلف عاش بين البارزانيين وتعامل مع شيخ بارزان مباشرة فإنه ينفي هذا الوصف الذي وصف به ملا مصطفى أخيه خفية، فيقول بلطف وأدب:

«إن رئاسة شيخ أحمد وسائر شيوخ بارزان لم تكن رئاسة إقطاعية قاسية، إذ أن عشيرة بارزان كانت تحمل إعتقاداً مذهبياً فيما يخص شيخ أحمد، وكانوا يعتبرونه حاكماً روحياً وخليفة يجسد المعتقدات المذهبية لعشيرة بارزان.» كان ملا مصطفى واعياً تمام الوعي من ان أوامره لن تطاع من قبل البارزانيين والذين هم في الواقع عماد قوته إذا ما اكتشفوا أفكاره السلبية عن شيخ بارزان. ولذا كان في الظاهر يعبر بإفراط عن كونه من أخلص خدمه أمام

^{٢٦٢} نفس المصدر. ص. ٩٣. ٩٤.

^{٢٦٣} نفس المصدر. ص. ٩٣.

جميع البارزانيين. ان هذا السلوك المزدوج أثار إستغراب الضابط الآذري فأشار في كتابه مرتين الى موقف ملا مصطفى هذا!

وفيما يخص زيارة ملا مصطفى ل طهران فيقول:

«مكث في طهران زهاء عشرين يوماً أجرى خلالها مذاكرات مع المسؤولين. كانت الحكومة تريد تجريد البارزانيين من السلاح سلماً ثم اسكانهم في احدى مناطق إيران وربما في أطراف همدان والظاهر ان الحكومة وافقت على قبول الاشخاص المحكومين سياسياً في العراق كلاجئين سياسيين ومنح بقية العشيرة الاراضي والاموال للاشتغال في الزراعة.

كان ملا مصطفى يصرح بقوله:

«اننا لسنا في حرب مع حكومة إيران وليست لنا أراضى في إيران ندافع عنها او عداا مع أحد هنا لنحمل السلاح ضده هذه ارض إيرانية ومن الطبيعي ان يحتلها الجيش ويخرجنا منها ونحن علينا ان لانتمسك بأرض لانتعود لنا. هناك طريق واحد لنا وهو ان ننتظر نهاية البرد وذوبان الثلوج لنعيد نساءنا وأطفالنا وشيوخنا الى العراق ونلجأ نحن الى روسيا وبعدها نعود الى العراق عندما تتاح لنا الفرصة لتحقيق أهدافنا. وكان يؤكد في الوقت نفسه بأن روسيا ليست المقر الصالح لنا وهو في كلامه يظل ينسب صفة (الرزالة) للحكومة الروسية مفسراً الكلمة بالشجاعة والادراك والانضباط والحنكة وما الى ذلك من تفاسير وكان يقول في روسيا من لا يعمل لا يأكل وأن هذه الدولة لاتناسب الشيوخ العشائريين الذين يعيشون على كد الآخرين الا انها المحل الامين لنا في الوقت الحاضر فإذا شئنا المحافظة على سلاحنا للاستفادة منه وقت الحاجة لبناء حكومة كردستان مستقلة فعلينا ان نتوجه الى هذه الدولة».

وبخصوص سفرته الى العاصمة طهران فقد حدثني عنها بما يلي:

«قال: نزلنا في مقر الفرقة الثانية في أحد القصور وخلال اقامتنا قابلت قوام السلطنة والجنرال رزم آرا وهو رجل شجاع جداً أما قوام السلطنة فهو أناني متكبر. وقد جرت محادثة بيني وبين شاهكم وبطريقته الخاصة قص علي مقابلته هذه: في ذات يوم وضعوا على رأسي

طشتاً (ألبسوه قبة) وعقدوا حبل طاحونة في عنقي (يقصد رباط العنق) وابتاعوا لي معطفاً أنيقاً على حساب الجيش الا ان العقيد الماكرغفاري كان يريد الاحتفاظ بالثمن لنفسه ويلبسي ملابسه القديمة وبالنسبة لي فلا فرق لدي ان لبست معطفاً قديماً او جديداً لكني احببت ان يفهم بأننا ولو كنا جبليين فلسنا بسطاء بحيث تخفي علينا هذه الامور فقلت له ايها السيد العقيد من العار على دولة كإيران لها هذا التاريخ المجيد ان تكسو ضيوفها ثياباً قديمة فأسرع بأخذي الى مخزن من مخازن الالبسة الغالية وقال اختر ماتريده والمعطف الذي ارتديه الآن مصدره هناك. بعد ذلك أخذوني الى قصر الشاه وفي غرفة الانتظار وجدت الجميع يتحدثون همساً وبالإشارات وكانوا دائماً يرددون سكوت سكوت ويشيرون بأيديهم الى الباب. فقلت ايها السادة الا تملكون لساناً؟ لماذا تتظاهرون بالخرس ثم تقولون سكوت سكوت وتتهامسون وتعضون عن الكلام بالإشارات حسناً انطقوا! فأشاروا الى بالسكوت مرة اخرى وكنت أفهم غرضهم لكنني رغبت ان ينطقوا فالشاه هو انسان ليس الا. ثم فتح الباب ورأيت جلالتة جالسا فتقدمت منه وسلمت عليه فأشار الى كرسي لأجلس عليه وما أن استقر بي المقعد حتى بادرت بأبيات من الشعر (.....) ثم قلت:

ياصاحب الجلالة نحن من رعاياكم وطاق كسرى في بغداد فتعال وأطلق سراح رعاياك.
ثم أضاف يقول بقيت اتحدث مع شاهكم ساعتين وقد تبينت انه مسرور جداً بوجودي، بعد هذه الفترة اردت النهوض للانصراف فقال اجلس فقلت لن انفض بعد الآن الا بأمرك.

وقد جرى المزيد من الحديث معه وتكلم حول موضوع اسكاننا في احدى مناطق إيران فأجبت اقسام بالله ياصاحب الجلالة إنك عظيم الكرم كثير الرحمة واني أقبل بكامل مقترحاتكم، لكن القرار يجب ان يتخذه شيخ أحمد فهو رئيس العشيرة. وتطرق الى قضيتكم وتحدث بخصوص تسليمكم انتم الضباط الستة (كنا عشرة من الملتحقين بملا مصطفى منهم نحن الضباط الستة من مراتب الجيش الايراني) قلت له قربان (كلمة يستخدمها الايرانيون كثيراً ل اظهار الاحترام) انا لم اقبض على هؤلاء حتى اسلمهم، سته ضباط في مقتبل العمر

لا يبلغ مجموع اعمارهم مائه عام، اسلم لكم بدلاً عنهم ثمانية عشر شاباً من عائلتي وعائلة الشيخ أحمد ومن عوائل الاخوة الآخرين، انكم لن تقبلوا ان نبتلي بسوء السمعة واللعنة من اجيل بارزان القادمة وان نضحى بالمكانة التي أوصلنا إليها وحفظها لنا الشيخ أحمد حتى هذه اللحظة.»^{٢٦٤}

وحول أوضاع البارزانيين يقول كاظم شاندرلي: «كان الوقت بداية الشتاء، برد الطقس كثيراً وبدأت الامطار والثلوج تتساقط بغزارة. اضطرت العوائل البارزانية المنتشرة في أطراف مدينة سقز ومراغه بالنزوح على عجل سيراً على الاقدام وسط برد لاذع وتحت وابل من المطر والنساء يحملن اطفالهن، اذ لم تكن لديهم حيوانات حمل الا ماندر. كان السير يستغرق اياماً وليال عبر هذه الطرق الطويلة، وكان لقدم الجيش الايراني أثر حاسم في تغيير رؤساء العشائر لولايتهم. فتعرضت العديد من العوائل البارزانية الى أعمال السلب والنهب فاستولوا على ماتبقى من القطعان ومن أمتعة بسيطة. لقد دب خوف كبير بينهم لهذا الانقلاب الفجائي نحو طهران فتسارع البارزانيون لترك هذه المناطق والنجاة بجلدهم. وقاد ميرزا آغا ره شو مفرزة لنجدة البارزانيين في (تقياباد) الذين تعرضوا لاعمال السطو على قطعانهم، الجميع كانوا يفرون نحو مناطق نغده شنوى.»

عندما علم حجي طه آميدى بإختيار الجمهورية الكردية أرسل أوامره الى كافة القرى في مناطق مراغه — كانت العوائل البارزانية قد اتخذتها ملجأ لها — بالرحيل فوراً والتوجه نحو ميآندواب. هنا ايضاً كانت العشائر التي انقلبت الى اسناد قوات الشاه، قد سدت الطريق امامهم، فأضطروا الى القتال مهما كلف الثمن لإنقاذ اسرهم، وأزاء الخوف من تزايد العداء ضدهم والطريق الطويل أصبح مستحيلاً انقاذ القطعان، فتركوها لإنقاذ حياتهم. كنت تجد بين طوابير العوائل العجائز والاطفال والنساء الحاملات يسرون بخوف وهلع على الطريق تحت الامطار والثلوج والمقاتلون يحمون هذا الطابور البائس من الجهات الاربع حتى يفلتوا من

القوى المعادية ، ولم يحملوا معهم خبزاً كافياً ، ووقع جرحى أثناء هذا الانسحاب ضمنهم فرزي پيندروي وكان عامل الزمن مهماً جداً ، إذ كلما مضى الوقت ، إزداد عدد العشائر الموالية للحكومة وكان هناك خطر سد الطريق نهائياً أمام لحاق هذه الاسر بتلك التي استوطنت مؤقتاً مدينة شنوى وأطرافها ، حيث يقيم شيخ بارزان مع قوة جيدة ، ولم تكن القوات الايرانية لتجروء الدخول فيها ، فضلاً عن ذلك ، فإنها كانت قريبة من الحدود العراقية . لقد حصل هذا النزوح بسرعة مدهشة وكان الهدف الوصول الى أطراف شنوى ، نغده وده شتى بيل لتشكيل كتلة مترابطة موحدة في مواقع يمكن الدفاع عنها مجتمعين حتى نهاية شتاء ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .

ويذكر كاظم شاندرى :

«نظراً لتشتت العوائل البارزانية في القرى المبعثرة ، فقد بقيت احدى العوائل المؤلفة من الايتام في قرية في أطراف مدينة مهاباد ، اذ كان الوالدين قد توفيا بمرض التيفوس ، لم يبلغ خبر انخيار الجمهورية الكردية هذه العائلة وكانوا يجهلون كون جميع البارزانيين في تلك المناطق غادروا نحو نغده وشنوى . قال خليل حاجي هه سنى : «جائي أحد القرويين وقال لي ماذا تعملون هنا ، لم تعد هناك جمهورية ولاقوات بارزانية في جبهة سقر ، الجميع غادروا وطلب مني أن احمل مالنا من أمتعة بسيطة فوق ظهر الحمار الذي كنا نملكه ونغادر القرية مع قطيعنا الصغير وقال لن يتعرض لكم أحد لأنكم أطفال يكفي ان لايجادوا معكم السلاح .

قمت بوضع متاعنا فوق ظهر الحمار وسقت القطيع أماناً مع اخوتي وأخواتي وعبرنا معبر سابلانخ ولم يتعرض لنا أحد ، ثم سرنا في طريق للمشاة بإتجاه قرية كه ريزى ومحمد شاه ، وفي الطريق تعرض لنا مجموعة مسلحة من رجال العشائر المواليين لجيش الشاه واستولوا على كل ما نملك من القطيع والامتعة التافهة ، لقد نزعوا من أرجلنا الاحذية وحتى اللباس الخارجي أخذوه منا ، جاء الي أحدهم وطلب مني حزامي أجهشت بالبكاء لكنه لم يرحم ، فأخذ يفك حزامي الا ان أخذه ثم تركونا وغادروا . لم يعد أماننا سوى السير شبه عراة وبلا أحذية مشينا وسط الاشواك وفي شتاء قارس لاندري أين نتجه وحل الليل وبعد مسيرة طويلة سمعنا نباح

الكلاب ثم شاهدنا النيران فأًتجهنا نحو القرية، أدخلنا أهل القرية الى إحدى المنازل قرب الموقد، لكن كان البرد القارس قد جمد قوانا ولم نتمكن من النطق، وعندما حل الصباح كانت شقيقتي وشقيقي قد فارقا الحياة، دفن أهل القرية موتانا، وكان الخوف من العشائر المعادية ماثلاً على الدوام، وبعد أيام تمكنت من اللحاق بالبارزانيين في نقده وانا شبه مشلول اذ لم اتمكن الوقوف على قدمي من شدة الالم.»

من التشتت إلى التجمع عبور نهر گادهر

عاد ملا مصطفى الى مهباد في ١٩٤٧/١/٢٩ دون الحصول من البريطانيين على الضمانات التي كان يريدتها. بعدها قابل السفير الامريكي (ألن) بطلب من الجنرال الايراني رازمارا، وعندما التقى به في شمران، شمال طهران، عبر له عن اعتقاده بعدم امكان عيش الكرد والاييرانيين معا بسلام ووثام وان أفضل حل للكرد هو ان يتركوا إيران، ولما سأله السفير أين يفكر في الذهاب قال: «إننا نرغب في الذهاب الى الولايات المتحدة»، ولم يشجعه السفير على ذلك.^{٢٦٥}

لكن مقابل رفض السفارة البريطانية إعطاء الضمانات اللازمة لسلامة ملا مصطفى، إقترحت الحكومة الايرانية ما سمي بـ (مشروع ألوند) بموجه يتم اسكان البارزانيين في المناطق الجبلية في الوند قرب هماوند.^{٢٦٦} وتتولى الحكومة الايرانية مصاريف النقل وضمان معيشتهم لستة أشهر. وتساعدهم في مزاولة الزراعة وعلى البارزانيين تسليم سلاحهم. قبل ملا مصطفى بالشروط من جانبه، لكنه قال ان القرار النهائي هو بيد شيخ بارزان. واعطيت له مهلة ٢٤ ساعة لمقابلة أخيه، ومعه ممثل عن وزارة المالية يحمل (١٠٠ ٠٠٠ تومان) مايقارب (٠٠٠ ١٨) دولار للنقل والتجهيزات ورسالة الى الجنرال هومايوني تتضمن أوامر بإسكان البارزانيين دون تأخير.

^{٢٦٥} رحلة الى رجال شجعان. دانا آدمز ثمندت. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. ص. ١٥٧. ترجمة جرجيس فتح الله الحامي.

²⁶⁶ William Eagleton Jr. La REPUBLIQUE KURDE. Editions Complexe. 1991. p. 195-199

لكن كان شيخ بارزان واضحاً في موقفه الرفض، اذ كان لا يثق بالحكومة الايرانية ووعودها. وكان يقول اننا لاننوي البقاء، سنعود الى موطننا حال ذوبان الثلوج، ولن نعتدي على أحد ولكننا سندافع عن أنفسنا إن هوجمنا.

أخبر ملا مصطفى الكولونيل غفاري بالموقف، وأخبر الأخير الجنرال هومايوني بأن البارزانيين سيقاثلون إن أجبروا على مغادرة الاراضي التي يسكنونها مؤقتاً. فضل الجنرال هومايوني لقاء مباشراً مع شيخ بارزان، فذهب الى نغده في ١٩ / ٢ / ١٩٤٧ مصطحباً معه الكولونيل غفاري دون سلاح، لقد كان يعرف أخلاق البارزانيين. والتقى بشيخ بارزان، وبقي الموقف البارزاني دون تغير، ويتلخص في:

. لا يريد البارزانيون البقاء في إيران.

. إن بقائهم وقتي تفرضه الثلوج الغزيرة على الطريق المؤدي الى الوطن.

— ليس في وسع النساء والاطفال الذين يعدون بالآلاف مغادرة الاراضي الايرانية في عز الشتاء.

— حال إنفتاح الممرات الجبلية المؤدية الى العراق سيعود البارزانيون وان لم تكن هناك ضمانات بريطانية.

. ليس في نية البارزانيين معاداة الحكومة الايرانية.

كان الموقف البارزاني منطقياً وكان من المستحيل التحرك الى العراق في هذا الفصل.

لكن الجانب الايراني تعمد التصلب في موقفه ولم يعر للناحية الانسانية أي إهتمام، واشترط الجنرال الايراني الشروط التالية وهي في الواقع شروط إجبارية للدخول في حرب:

. على البارزانيين مغادرة الأراضي الايرانية فوراً.

. تسليم السلاح والطلب من القبائل الاخرى ان تفعل نفس الشيء، أو

. اختيار القتال مع الجيش الايراني.^{٢٦٧}

انتهت المواجهة دون حل، بعدها وافقت مجموعة من البارزانيين الجنرال الايراني كحمية له حتى إيصاله الى مقره جنوب نغده، وأعلن الجنرال أنه سيحتل مدينة نغده بعد يومين. كان شيخ بارزان مصمماً على القتال إن هاجمه الجيش الايراني، وأعطى أوامره للبارزانيين بالدفاع المستميت إن هوجموا. وكان ينتظر حلول الربيع وذوبان الثلوج للعودة بالعوائل الى بارزان وتقديم نفسه للحكومة العراقية كمسؤول عن كل ما حصل مقابل ان تدع الحكومة الشعب المسكين يعيش في وطنه بأمان. عندما علمت حكومة الشاه بتصميم شيخ بارزان على عدم قبول الشروط الايرانية ورفض القاء السلاح عملت على محاصرة البارزانيين وثم القبض عليهم، كما عززت من اجل ذلك علاقاتها بأغوات عشيرة المامش.

«وقد كان عدد من الاغوات من عائلة قرني آغا مامش على إتصال بحكومة طهران التي كانت تمولهم وتسليحهم، في حين كان قادر آغا مامش على صلات جيدة بالبارزانيين. شعر البارزانيون بخطورة هذه الاتصالات بين الجيش الايراني والأغوات من عائلة قرني آغا وكانت الخطة المشتركة تهدف الى تسهيل عملية قدوم الجيش الايراني من مهاباد الى سهل لاجاني وبذلك يتم حصار البارزانيين، لكن البارزانيين علموا بتفاصيل الخطة قبل تنفيذها، فأعدوا قوة جيدة توجهت نحو عدد من قرى مامش المتوائمة وكانت القوة تحت قيادة ملا علي زارزوكي زبير ملا بارزاني وشيخ أومر شاندرى وسعيد ولي به گ وميرزا آغا ره شو وحال بابير كه لوكي وحدو پيريا وكانت الخطة البارزانية تتركز على درء الخطر قبل وقوعه وبأقل ما يمكن من الخسائر من خلال نزع سلاح المتوائمين مع الجيش الايراني في نفس الساعة المحددة.

أبلغ البارزانيون في ١٩٤٧/٢/١٩ الأغوات في قرية سيلوى في الديوانخانه، بحضور حسين آغا مع ولديه وابن قرني آغا وعدد آخر من الأغوات: إننا نشك في مواقفكم ونطلب منكم تسليم السلاح كي لا يحصل أي قتال ونشعر نحن بالأمان. ولكن هؤلاء الاغوات رفضوا إلقاء السلاح وهاجموا البارزانيين داخل الديوانخانه بالمسدسات والخنجر، قتل على أثرها ١١ من أغوات المامش كما جرح معظم البارزانيين وإتسعت المعركة فحصل قتال خارج الديوانخانه قتل

على أثرها إثنين من البارزانيين هما محمد ميرزا ميرگه سور وباقي كاني بوتي. واستطاع البارزانيون نزع سلاح قرية سيلوى. كما استطاعت هذه القوة أخذ عدد من الأغوات كرهائن ضمنهم على آغا ابن قه ره ني آغا وموسى خان زرزا، ولكن بعد فترة استطاع الاثنان الهرب والالتحاق بالحكومة. انتقلت جميع العوائل من سهل لاجاني الى أطراف (شنوى) و (ده شته بيل) مع حراسة مشددة على طريق (صوفيانى — جه به راقى) وعلى طريق (نه لوس — سهل شنوى). وما أن انسحب البارزانيون من سهل لاجاني حتى دخلته القوات الايرانية.

لم نشهد أي استقرار وكنا في حالة رحيل دائمة من قرية الى أخرى وكنا نقرب من الحدود العراقية. لقد قضى البرد على عدد من البارزانيين وكانوا يدفنون حيث يموتون، فدفنوا في سواحل بحيرة أورميه، في سهل لاجاني، وأتذكر غرق قروي من قرية ژاژوكوك في نهرگادر.

في عام ١٩٨٠، كنت برفقة فاخر نوري شيرواني، وهو نجل القائد نوري شيرواني، في سيارة تقلنا من نغده الى اورميه، وكنا نتقدم وسط هضاب منخفضة، وإذا بفاخر يشير الى هضبة نحو يسارنا، لم تكن بعيدة عن الطريق، قائلاً: «لقد دفن والدي في تلك الهضبة لوحده.» لقد أدركت ان العديد من البارزانيين لم يدفنوا في المقابر بسبب حالة الفوضى والقتال والترحال المتواصل في عام ١٩٤٧.

كنا نحن أهالي قرية شاندر وأهالي قرية بيكريس نؤلف طابوراً واحداً نسير في سهل شنوى الى سهل لاجاني فوق الثلوج، وبإقتربنا من قرية صوفيان، كان الليل قد حل والبرد اللاذع الذي كان يخترق أجسادنا أفقدنا كل مقاومة فأسرعنا الخطى هرباً من الموت برداً. وكنا نقول لأنفسنا أن أهالي القرية سيأتون الى نجدتنا وإنه عار علينا أن نترك الدواب والقطعان فريسة للذئاب. " ٢٦٨

كان السؤال الذي يطرحه كل بارزاني بعد اختيار جمهورية كردستان الديمقراطية هو ما العمل؟ ما مصير النساء والشيوخ والأطفال؟ كيف يمكن حمايتهم بين دولتين تعاديان الوجود البارزاني

على الأراضي التي تحتلناها؟ هل يمكن التضحية بالعوائل ومن أجل ماذا؟ هل يحتمل البارزانيون المزيد من التضحيات بعد الموت الجماعي الذي عصف بهم؟ وماذا عن مصير المحكوم عليهم بالاعدام؟ هذه الاوضاع تقتضي من القائد الحريص على مصلحة شعبه التضحية بذاته من أجل الغالبية، والتضحية تتطلب الشجاعة الفائقة، واتخاذ القرار امر صعب، والفرار سهل، ولكن شيخ بارزان كان قد وضع أولوياته في انقاذ ماتبقى من الشعب. فقرر العودة الى الوطن مخاطراً بحياته، وكان شديد التأثير بما حصل لهذه الأسر من موت وتشتت وإعتداءات بينما كان خطر الهجوم الايراني وشيكاً على مواقعهم، كما تأثر شيخ بارزان بما جرى من إنقلاب في ولاء رؤساء العشائر الكردية، وصعب عليه أن يهضم الإعتداءات على البارزانيين خاصة على العوائل، إذ كيف يمكن ان يتلاشى الاحترام بهذه السرعة للبارزانيين الذين دافعوا عن جمهورية كردستان وقدموا من أجلها التضحيات.

كانت السلطات العسكرية الإيرانية تحسب للبارزانيين حساباً خاصاً في تلك الظروف، فهي لم تجرؤ على مهاجمتهم وذلك لتفادي الخسائر في الجنود وكان همها الاساسي المباشر ترسيخ السيطرة على كردستان بالتدريج والقضاء على كل أثر للجمهورية الكردية، وإجراء إتصالات مع رؤساء العشائر وإستمالتهم الى جانبها وتسليحهم ومن بعد السعي إلى تطويق البارزانيين عسكرياً وضمناً إستسلامهم. خاصة أن الحكومة العراقية كانت قد إتخذت جميع الاجراءات للتعاون مع طهران.^{٢٦٩}

وكما شاهدنا فقد إهتم المعسكر الغربي بالقضية الكردية من زاوية الصراع مع المعسكر السوفيتي، واستخدم الاخير الورقة الكردية للضغط على الدول التي تقتسم كردستان وهي في عين الوقت دول متحالفة مع المعسكر الرأسمالي. وأصبح هذا الصراع من أهم ملامح العلاقات الدولية. فألإتحاد السوفيتي كان يعمل على توسيع رقعة نفوذه من خلال إستغلال الاحزاب الشيوعية وحركات التحرر الوطني في البلدان الخاضعة لنفوذ الاستعمار الغربي، في

حين كان الاخير يعمل على الحد من هذا النفوذ. وسعت الشعوب التواقة الى الانعتاق، إستغلال هذا الصراع بين العملاقين اللذان دخلا دون هوادة في سباق التسلح النووي. كانت شعوب الشرق الاوسط ذات وعي سياسي محدود وسريعة الانبهار بدعاية تعظيم الاتحاد السوفيتي والجنة التي أوجدها على الارض. كانت هذه الشعوب تفتقر الى حد كبير ملكة التمييز بين الدعاية والواقع، وقد ساهمت الدعاية المفرطة في المديح والتي كانت تبثها الأحزاب والمنظمات الموالية لموسكو في تعميق هذا المنحى الخطير في ذهنية الشعوب. وإخراج الشعوب من حالة اللامبالاة وزجها في ساحة النضال، كانت الدعاية الحزبية تعمل على إنباء الشعور القومي وتبجل النضال الوطني التحرري وتكيل بسخاء كلمات مفرطة في تعظيم الثورة والثوار وبالاخص للقائد الرمز والمنقذ وترفع من مقامه الى حد التقديس (صناعة الاصنام) فتتساق الجماهير وراءه دون معرفة واقعية باللعبة السياسية.

وأزاء تصاعد النضال القومي الكردي، اهتمت المخابرات العسكرية البريطانية بما يجري في كردستان، فأرسلت أحد عملائها لإستطلاع ما يحدث في الوسط الكردي في سوريا والعراق، وكان الهدف هو كيفية مواجهة مفعول الدعاية السوفيتية في كردستان، حيث كان الاكراد يعتبرون موسكو قبلة الشعوب المضطهدة وكان لبث راديو إيريقان، عاصمة أرمينيا السوفيتية، برامجه باللغة الكردية صدى عاطفياً عميقاً في السيكولوجية الكردية.

ويحتوي التقرير الذي أعده عميل بريطاني مؤرخ في ١٩٤٧/١/٢٧ تنبيهاً إلى مواقع الخطر الذي سينفذ منه نفوذ الشيوعية ويقترح كيفية مواجهتها، فيقول:

«يمكن أن تصبح المسألة الكردية أمراً محرّجاً لنا لو حاولت روسيا الاستفادة من الوضع الذي خلّقه في آذربيجان وإستغلال أكراد العراق. (...). إن الحركة القومية الكردية تزداد قوة... ماهو السبب؟ أعتقد أن السبب هو الإعتراف بالانتماء القومي. الكردي معتر بكونه كردياً. إنه معتر بنسبه القديم ومصمم على عدم الذوبان في البوتقة التركية والعربية والفارسية.

إن سياسة الصهر التي تبناها مصطفى كمال كانت السبب في إندلاع الثورات الكردية في تركيا بين الحريين. (.....) ويأخذ الاعتزاز بالانتماء القومي منحى مختلفاً في العراق وفارس. إذ يرفض الاكراد أن يكونوا رعايا للحكومة العربية والفارسية، لكنهم سيتغيرون لو عوملوا بإنصاف. في فارس لا يعتقد الاكراد أنهم يعاملون بإنصاف. وفي العراق يوافق الاكراد على أنهم يعاملون معاملة ليست سيئة كثيراً، لكنهم يعززون ذلك الى التدخل البريطاني لصالحهم ولا يثقون بالحكومة العربية. (....)

تكمن مصالح الشعب والحكومة البريطانية في إستتباب السلام والعلاقات الجيدة مع الشعوب في الشرق الاوسط، لذا فإن اي وضع يؤدي الى زعزعة السلم سيستغل من قبل جهة أجنبية اخرى وسيكون عاملاً في إنتشار العقائد الهدامة وعلينا بذل الاهتمام الكامل ويشير التقرير الى الاهمية العسكرية للأكراد في التاريخ:

«في القرن السابع عشر شاهدنا كيف ساعد الاكراد الاتراك ضدّ الفرس، الا يُحتمل أن يساعد الاكراد الروس ضدّ الفرس والاتراك في المستقبل القريب؟

ليس من الصعب فهم سعي الروس الى كسب الحركة الوطنية الكردية لصالحهم. الدلائل موجودة، ولو وضعنا هذه المؤشرات معاً ستصبح الصورة واضحة ومقنعة.

فبعد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وإعادة تعيين الحدود بقي ٢٠٠٠٠ من الرعايا الكرد داخل حدود أرمينيا السوفيتية. في هذه المستوطنة الصغيرة طور الروس الطموحات القومية الكردية من خلال الوسائل التي يملكونها وعملوا على إنشاء مركز يطفح بالمشاعر القومية الكردية، إن لهذا تأثير على جميع الاكراد أينما كانوا.

ليس من شك أن الاكراد يتأثرون بإطراد بالنفوذ الروسي وبالדعاية الشيوعية المعادية لبريطانيا.

وهناك دلائل على حدوث نفس الشيء في سوريا، فزعيم الحزب الشيوعي هو شاب كردي لامع يدعى خالد بكداش.

المعمل في مواجهة كل هذا؟ الفلاح الكردي رغم جهله وفقره هو مادة فقيرة للمحرضين الشيوعيين. إذ ينقصه الوعي السياسي وفي الواقع يتركز إهتمامه على الحبوب والقطعان. أما الاغوات وروؤساء العشائر الذين سمعوا عن البولشفية فهم يخافونها ويرون فيها معارضة لأسلوبهم في الحياة. (.....)

وبضيف التقرير:

لو ترك الاكراد لشأنهم فإنهم لن يتوخوا تغيراً راديكالياً. لكن السؤال هو هل سيتركون لشأنهم؟ الخطر ماثل. إذ يزداد عدد الاكراد الذين يميلون نحو روسيا سواء بإرادتهم أو رغم إرادتهم، إمتعاضهم الحالي من أوضاعهم هو السبب الذي يدفعهم نحو روسيا. ويتطلع البعض دون شك الى بريطانيا، لكن سياستنا لا تشجعهم على ذلك. ولو تمكنا من إقناع الحكومات التي تحكم الاكراد بأن تعاملهم وفق سياسة بناءة وتعترف بأن سياسة التذويب غير ممكنة، ولو عاملوهم بإنصاف، فإن الاكراد سيصبحون مواطنين صالحين في البلدان التي يعيشون فيها، وبهذا ستقل مخاطر تعرضهم لتأثير الدعاية الشيوعية.^{٢٧٠}

ما أن أخليت نغده من البارزانيين حتى تقدم الجيش الايراني لإحتلالها في ١٩٤٧/٢/٢٢، وأصبح مركز تجمع البارزانيين في مدينة شنوى وأطرافها وفي (ده شته بيل) وكانت هذه المناطق آخر ماتبقى من الأراضي المحررة من الجمهورية الكردية، ولم يجرأ جيش الشاه دخول الأراضي الواقعة تحت السيطرة البارزانية المباشرة. وقام ملا مصطفى مصحوباً بعدد كبير من القوات بجولة في أوساط العشائر المتاخمة للحدود العراقية للإطمئنان على عدم خيانتها للبارزانيين. وشملت جولته (مه ركه قهر) و (تيلگه قهر) للالتقاء بوجهاء العشائر من البه كزاده في قرية (أمبي) كما التقى برشيد به ك الهركي في قرية ماوانا بحضور عدد من وجهاء الشكاك. كانت قبيلة الهركي قد اعتادت لمئات السنين رعي قطعانها صيفاً في المروج التي تقع ضمن جبال

كردستان التي تفصلها الحدود الايرانية والعراقية وترحل القطعان نزولاً نحو الوديان الدافئة في الشتاء.

«كان الدواء الوحيد لمداواة جرحانا هي الاعشاب في حين كنا نستخدم الاقمشة والحرق لتغطية الجروح. ولم يكن هناك ولا طبيب واحد ناهيك عن الادوية، وعلاوة على ذلك كنا عرضة للحشرات مثل القمل والبراغيث التي تنقل المرض. ولم تكن لدينا مضادات للتخلص منها، فكنا نضطر الى وضع ملابسنا داخل الماء المغلي للتخلص من الحشرات لكن دون جدوى، إذ كانت منتشرة في المنازل وداخل الافرشة. كنا نفتقر الى أدنى مقومات الصحة والنظافة.»^{٢٧١}

ما ان بدأت الثلوج بالذوبان في الاراضي المنخفضة حتى بدأ الجيش الايراني بالتقدم نحو مناطق سكن البارزانيين، فاضطروا الى الرحيل والإقامة في قرى قارنى، قه لاتانى، وه زنى، ثم له بى وكوبكا، كما تمركزت القوات البارزانية في المرتفعات في تلك المنطقة تحسباً لأي هجوم مباغت. ومن جهة الشمال إزداد عدد القوات الشاهنشاهية ومركزها أورميه. وكان من المفروض ان تتحرك القوات الحكومية مع قوات المرتزقة الكردية والتركمانية من جبهة الجنوب والشمال بحركة كماشة لمحاصرة البارزانيين وضمان استسلامهم، وكانت القوات غير النظامية تدعى بـ (قه ره يخته).

كانت الاراضي التي يقيم فيها البارزانيون محاصرة. فمن الشرق تحدها بحيرة أورميه ومن الجنوب قوات الشاه في نغده وسهل لاجانى، ومن الشمال كانت القوات الايرانية في أورميه وضواحيها تستعد للهجوم ولم يبق من مخرج سوى الحدود العراقية، وفي هذا الوقت من العام كانت المسالك الجبلية المؤدية الى أراضي بارزان مغطاة بالثلوج وكان من المستحيل نجاة العوائل والاطفال ولذلك لم يكن هناك حل غير البقاء والدفاع المستميت أمام جيش الشاه.

وأزاء تزايد قوات الجيش الايراني وتشكيلات المرتزقة اضطرت العوائل البارزانية الى الانتقال نحو منطقة مهرگه قهر حيث كانت المواقع أكثر أماناً وتحصيناً.

بدأت الحملة الايرانية ضد البارزانيين في ١١/٣/١٩٤٧، فمن أورمية تقدمت القوات الحكومية مصحوبة بالدبابات والمدفعية لقطع الطريق على إنتقال البارزانيين شمالاً، فتحرّكت قوة شيخ أو مر شاندری برفقة قوة من الهركية التابعة لرشيد به گ الهركي بإتجاه الطريق العام الذي يمر من أورمية الى قرية ماوانا. واحتلت هذه القوة الوادي القريب من قرية كاني كه زان وذلك لمنع تقدم الجيش الايراني نحو الاراضي التي تسكن فيها عوائل بارزانية. ومن جبهة الجنوب. نغده — شنوی — شنت القوات الايرانية في ١٤/٣/١٩٤٧ حملتها الكبيرة بإمرة قائد العمليات العسكرية الجنرال رازمارا.

استطاعت القوات البارزانية ابداء المقاومة وإرغام الجيش الإیراني على التقهقر، لكن سرعان ما عاد الهجوم، ونظراً لتفاقم الضغوط على الجبهة في المرتفعات الجنوبية من أورمية فقد هرع ميرزا آغا بقوته لنجدة قوات شيخ أو مر كما كان من المفروض ان تتعاون قوة من البه گزاده مع القوات البارزانية لصد هجمات الجيش الايراني، لكن هذه القوة احتلت المرتفعات خلف خطوط الجبهة البارزانية. وكانت على صلة بالجيش الايراني ففتحوا نيرانهم على القوات البارزانية من الخلف، فوقع البارزانيون بين الجيش الايراني وقوات البه گزاده. وما ان اكتشفت القوة الهركية خيانة البه گزاده وتقدم الجيش الايراني حتى تركوا الجبهة وعادوا الى قراهم. لكن البارزانيون استطاعوا النجاة من الورطة، وأزاء اتساع حلقة عداء العشائر الكردية للبارزانيين اتضح انهم لن يستطيعوا الاعتماد الا على أنفسهم.

إن الفترة الزمنية الواقعة بين ١١ آذار وبداية شهر حزيران من عام ١٩٤٧ تميزت بقتال شبه يومي بين البارزانيين والقوات الايرانية مدعومة بالعشائر الكردية. وهنا يجب القول ان بعض العشائر كانت لاتعادي البارزانيين الا لتجنب انتقام السلطات الايرانية منها. كانت هذه أصعب فترة إذ كانت النساء والاطفال والشيوخ والمرضى تحت التهديد المباشر اليومي

للقصف الجوي والمدفعي. الجميع كانوا يعيشون حياة الجبهة دون استثناء. لقد أثبت البارزانيون أنهم قوة لا يستهان بها أمام جيش منظم، فقد كانت خسائر الجيش الإيراني والمرتزة في الأرواح والأسرى أكثر بكثير من خسائر البارزانيين في جميع الجبهات.^{٢٧٢}

ففي ١٦/٣/١٩٤٧ في جبهة نلوس قضى البارزانيون على عدد من الجنود ضمنهم ضابط وأسروا خمسة ضباط آخرين، إضافة إلى ٦٨ أسيراً في صفوف الجنود.^{٢٧٣}

بقي ضابط المدفعية أبو الحسن تفرشيان مع البارزانيين واتخذ مقراً له في مدينة شنوى حيث شيخ بارزان، ولم ينخدع بوعود العقيد به كغيره الذي جاء خصيصاً من نغده لاقناعه بالاستسلام للسلطات الإيرانية. فيقول:

«على بعد كيلومتران أو ثلاث من شنوى هناك قرية على نهر الكادر تسمى بـ (سنگان) (Singan) استقر فيها سبعة أو ثمانية من المقاتلين البارزانيين ونصبوا هناك رشاشاً. وكان الجيش الإيراني قد اتخذ موقعه في الضفة الأخرى من نهر كادر، وبدأ فجأة بإطلاق النار نحو سنان المسيطرة على مدينة شنوى، وكان دخول الجيش إلى القرية يعني سقوط حتمي لمدينة شنوى.

كانت عشيرة المامش والمنگور مكلفة بالاستيلاء على قرية سنگان بمساعدة الفوج الثالث للجيش. علمنا بوقوع الأحداث عند سماعنا دوي المدفعية، ولم يكن للجيش مبرر في الهجوم على البارزانيين فهم لم يريدوا القتال من أجل أراضي لا تعود لهم، وكانوا ينتظرون نهاية برد الشتاء لتركها إلى مكان آخر، وكان الجيش يعرف ذلك... بالنسبة للبارزانيين كان هجوم الجيش أمراً منتظراً.

جمعت على الفور عدداً من الأكراد المتمرسين على المدفعية وبعد تجهيز المدفع ذهبت لمقابلة شيخ بارزان، حيث كان بإمكانه رؤية الشيخ والدخول إلى منزله متى ما شئت بسبب

²⁷² William Eagleton Jr. La REPUBLIQUE KURDE. Editions Complexe. 1991.p.195-199

²⁷³ Ibid

الاحترام الذي كان يبيده لنا. رأيته في حالة غير طبيعية في أطراف الدار وقد أرسل الشيخ سليمان للدفاع عن سندگان. وطلب مني الذهاب لمساعدته. كان ملا مصطفى في مهرگه قهر حيث شرع الجيش بالتقدم من أو رمية نحوها.

ذهبت بالمدفعية الى وكان أول ما فكرت فيه هو اسكات المدفعية المقابلة، اذ كان صوتها مرعباً لمن لم يختبرها وتركت آثاراً مخيفة لدى عامة الناس، عند الوصول الى سندگان كانت خيالة المامش والمنگور في حالة هروب على منحدرات الجبل المطل على نهر گادر، وباطلاق مدفيعتنا القذيفة الاولى سككت مدفعية الجيش. يبدو ان خوف الجنود من مدفيعتنا اسكت مدفيعتهم. ثم راقبت الخيالة الذين مازالوا متفرقين بعيداً على منحدرات الجبل فانتهزت الفرصة المناسبة لأبدأ القصف ثانية. وكنت اتوخى بهذا تخويفهم وهرجم لتفادي المزيد من الاشتباكات والحيلولة دون وقوع المزيد من الضحايا. كان نهر الكادر فائضاً بالماء فتريث قليلاً كي يجتمع المهاجمون على ضفاف النهر، وكنت اعرف ان الخيول ترتبك وتتردد دائماً في النزول الى النهر وعبوره. فيجتمع الخيالة نتيجة لذلك عند بعضهم البعض. وهذا ما حصل. فما ان اجتمع الخيالة على ضفاف النهر حتى بادرت بإطلاق قذيفة تنوير انفجرت في الهواء فوق رؤوسهم، لم أرغب في القتل. وكان إنفجار القذيفة مثل صوت الرعد كافياً لهروب المامش والمنگور فغيروا إتجاه خيولهم ولاذوا بالفرار من شدة الخوف.....^{٢٧٤}

بعد فشلهم الاول هذا، استقر (خيالة الجيش) في قرية (نالوس) فكرنا في مهاجمتهم، وكان هناك عشرون بارزانياً يحاربون الجيش فنقلت المدفعية ليلاً الى موقع يمكن منه رؤية (نالوس) عند قرية صغيرة تسمى گەندول (Gendol) وانتظرت الفرصة المناسبة.

كان الفوج الذي أطلق المدفعية نحو سندگان والذي كان مصمماً على التقدم خلف الخيالة المحليين قد ترك نالوس بارتباك بعد تفرق خيالة المامش والمنگور واستقر في مرتفع يطل على سهل شنوى خلف نالوس، وبهذا حرّموا أنفسهم من الامكانات الموجودة في القرية مثل

الارزاق والماء... كان أمر الفوج (كلاش) قائداً للفوج المذكور، وأصدر للجنود أوامره بحفر الخنادق واتخاذ مواقعهم على هذا المرتفع. وركز موقع المدفعية في ذلك المربع.

في اليوم التالي كان الجو صحواً وسطح الارض يابساً قليلاً الا ان التراب الظاهر نتيجة حفر الخنادق كان لايزال رطباً وسواده يتراءى من بعيد، فكان هدفاً واضحاً لمدفيعتنا من مسافة تسع كيلومترات.

كان الفوج يتألف من حوالي ٣٠٠ جندي وعدد كبير من الخيول والبغال ومدفعين واربعة رشاشات ثقيلة وستة صواريخ وكمية من الارزاق جمعت كلها فوق التل داخل هذا المربع، واكتشفنا بعد أسر الفوج حالة من الذعر والهلع بينهم وحصلنا على مخططات وتقارير تشهد على الخوف والذعر، فقد حرموا أنفسهم من جميع الامكانيات المحلية بعد ترك نالوس، وبخاصة الماء لمدة ٢٤ ساعة، مع ان نهر الكادر كان يجري تحت أقدامهم لكن لم تكن لديهم الجرأة على الوصول الى ضفاف النهر.

سيطر البارزانيون البالغ تعدادهم ٢٠ شخصاً على نالوس بدون قتال، وانتشروا على المرتفعات المشرفة على الفوج، وكانوا يطلقون النار بين الحين والآخر من احدى الزوايا نحو الفوج، وخيل للفوج الذي اصابه الذعر بأنه محاصر من جميع الجهات، ولم يجزء حتى على الاتصال بالمركز العام لامدادات الجيش خلف الجبهة في (صوفيان) رغم ان الطريق الخلفي كان مفتوحاً للسيارات.

أخذت في الاعتبار تجمع الفوج فوق هذا التل مع حساب القوة المؤثرة للمدفع. ولكي نتسلط أكثر قررنا نقل المدفع الى أقرب نقطة ممكنة، فنقلناه تحت أنظار الفوج الى وسط السهل، لقد اصبحت هذه الخطة عملية بعد ان تفرق المقاتلون وحصل الارتباك في الفوج. ركزت المدفعية بجوار احدى التلال قريباً من الفوج، وانفجرت قذيفتنا الثانية بشكل مباشر على مدفعية الفوج وسط المربع، فانهار الفوج بهذه القذيفة وتفرق.

كنت اشاهد من خلال الناظر الجنود والحيوانات تتفرق وقد اتخذ كل واحد اتجاهاً معيناً في الهرب. ولمنع هروبهم أطلقت طلقة أمامهم في اللحظات المناسبة لكي يعودوا مرغمين الى وسط المربع ثم وصل أحد رفاقنا وهو محمد توكلي مع عشرة من البارزانيين الى اعلى التل واسروا الفوج بأكمله دون ان يتمكن أحد من الفرار، وسبق هؤلاء الاسرى بشكل عسكري منظم نحو شنوى، لم تكن خسائرهم كثيرة اذ حاولنا قدر الامكان ان لا يقتل أحد الا ان أمر الفوج (كلاشى) كان قد جرح جرحاً بليغاً ثم انتحر بعد ذلك. وإضافة الى السلاح الموجود في الفوج تم أسر سبعة ضباط وسبعة وعشرون ضابط صف وما يقارب ٣٠٠ جندي.

كان البارزانيون يقولون: «هذه معجزة شيخ بارزان ان تنهار قوات العدو بقذيفة واحدة، فقد أرسل الينا شيخ بارزان السلطان تفرشيان»

قابل ابو الحسن تفرشيان شيخ بارزان من اجل إطلاق سراح الجنود وضباط الصف، فوافق الشيخ على ذلك وأطلق سراحهم بمدة وجيزة في حين احتفظ البارزانيون بالضباط الاسرى.

بدأت الثلوج تذوب تدريجياً في السهول المنخفضة وترك البارزانيون مدينة شنوى بإتجاه الغرب نحو الحدود العراقية، وتم تدمير المدفعية التي غنمها البارزانيون من الجيش الايراني، وفي اليوم التالي دخل الجيش مدينة شنوى. كانت المقاومة البارزانية مصحوبة بالتقهقر البطيء، نحو الحدود مع تركيز على سلامة الخطوط الخلفية كي لا تقع العوائل في الاسر.

كانت هناك عشائر كردية متواطئة مع البارزانيين، مثل الهركيين، ولكي تنفادى العقوبات من السلطات الايرانية كانت تقوم بابلاغ البارزانيين عن مكان تواجدها في الجبهة وترتب معهم أمر فرارها. ٢٧٥

فيما كانت المعارك تدور بشكل يومي تقريباً ضد البارزانيين، قررت حكومة الشاه اعدام قاضي محمد وصحبه، ويقول السفير الامريكي (السن) الذي كان مهتماً بما يجري في كردستان:

«طلبت موعد مقابلة مستعجلة مع الشاه. فتم تدبير ذلك مساء. قلت للشاه بأني مهتم بخصوص كردستان، فأظهر دهشة وسأل عن السبب. فقلت ان إرسال (رازمارا) إليها يشير على ما يبدو الى إجراءات شديدة قد تتخذ ثم. فسأل: مالذي يدعوني الى الاهتمام الشديد بمجموعة من رجال القبائل تعاونوا تعاوناً وثيقاً مع السوفييت. قلت، انهم شعروا وكأنه لا بديل لهم. واشرت بصورة خاصة الى (قاضي محمد) بوصفه مثقفاً كردياً يمكن ان يحاول العمل معه. فقطب الشاه، وقال انه وضع الامور في يد (رازمارا) فقلت: وهذا ما يقلقني أكثر من أي شيء آخر.

وعندما سألتني الشاه بصراحة: «أتخشى بأني سأمر بإطلاق النار على (قاضي محمد) ؟». فقلت: أجل اني أخشى ذلك. فابتسم وقال مؤكداً: «لا تقلق، لن أقوم بهذا» فعبرت عن غبطتي وانصرفت الى منزلي.

وبعد يومين أو ثلاثة ايام قرأت في جريدة طهرانية أن (رازمارا) قد أصدر أمره بتنفيذ حكم الموت (بالقاضي محمد) وأخيه. وهم وضعوا أمام فصيلة جنود اعدام في ذلك الصباح.^{٢٧٦}

بعد اعدام قاضي محمد وأخيه وابن عمه في ١٩٤٧/٣/٣١ ساد جو من الارهاب والخوف في كردستان وتوسعت حملات الاعتقال، واضطر اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الى الاختفاء، وفي نفس الوقت ازدادت حدة هجمات الجيش الايراني على البارزانيين. ويقول تفرشيان:

«رأيت الجيش للوهلة الاولى يبدأ بمجوم منظم جداً، فقصف الطائرات مواقعنا بادی الامر، ثم قصفت المدفعية الجبهة، تحركت الدبابات وتبعها المشاة، وكانت الطائرات تحميهم على ارتفاع منخفض، الا ان مواقعنا كانت قوية جداً ومتسلطة على الجبهة، وبناء على اتفاق تلك الليلة كان من المفروض ان ننسحب من مواقعنا قبل بدء هجوم الجيش. وتم الاتفاق

^{٢٧٦} رحلة الى رجال شجعان في كردستان. ص. ١٦٠-١٦١. دانا آدمز شمدت. غربه وعلق عليه جرجيس فتح الله الخامي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

على اللقاء على قمة الجبل الآخر أو حسب تعبير الاكراد (شاخ) وذلك لعرقلة تقدم الجيش لمدة ٢٤ ساعة أخرى ولكي تتمكن العشيرة من جمع شملها لغرض الانسحاب. وفي الليلة التالية بعد ان ذهبت الى القمة الاخرى التفتت الى الموقع الذي تركناه فوجدت ما يناهز المائة من الحرائق المنتشرة في المزارع وظننت ان البارزانيين لم يخلوا تلك المواقع خلافا لاتفاق الليلة الماضية، لكن عندما التقيت بملا مصطفى وسؤالي عن الموضوع قال لقد خرجنا من تلك المنطقة وان هذه الحرائق انما هي نوع من حيل الحرب، فقوات الجيش سوف تتخيل بأن هناك عشرة أشخاص على الاقل في كل بقعة تشتعل فيها النيران ولذلك سيتصورون وجود ألف من المقاتلين وغداً بعد الانتصار سيعلمون انهم كانوا يقاتلون ظلنا.

هذه التكتيكات، أعنى الحروب والانسحاب واشعال النيران والهرب استمرت حتى انسحاب كافة العشيرة من مهرگه‌فهر.^{٢٧٧} وفي اجتماع بحضور ملا مصطفى وأخيه محمد صديق وآخرين من قادة الجبهات تقرر القيام بأقل عدد من الاشتباكات وصرف العتاد والاقتصاد في الارزاق والشروع بالانسحاب نحو (گادهر).

«وكان الامر المهم الذي شاهده اثناء هذا الانسحاب هو المعنويات العالية التي كان يتمتع بها البارزانيون في الشدائد. صعدنا في ١١ من شهر نيسان من عام ١٩٤٧ سلسلة جبال زاغروس على محاذة الحدود العراقية، وكان ارتفاع الثلج يزداد كلما صعدنا فيصل الى متر واحد في بعض الاماكن، كانت الثلوج منجمدة غالباً وكان البرد من الشدة بحيث قضى على عدد من البغال، الا ان هذه الظروف كانت تبدو وكأنها إعتيادية بالنسبة للبارزانيين، فكانوا ينقلون الاطفال والنساء من منزل الى آخر، وكانوا ينصبون الخيام ويهيئون الخبز وبعد استراحة عدة ساعات يعاودون السير، كانت ظروف صعبة لانتحملها نحن.

وكان الضباط الاسرى حملاً إضافياً لنا، فتحدثنا مع ملا مصطفى وحصلنا على موافقته في إطلاق سراحهم، اذ لم يكن لدينا طعام كاف، وكنا بدوافع انسانية نختتم بهم أكثر من اهتمامنا

^{٢٧٧} أبو الحسن نفرشيان. قيام أفسران خراسان. فصل كامل متعلق بالبارزانيين باللغة الفارسية. ص. ١٠٦. ١٠٧.

بأنفسنا، ثم تحدثت مع شيخ بارزان وصادف ان جاء في تلك اللحظة سيد من أهالي قرية زيوه وهي مركز منطقة مه گه فهر، ارسله الجيش لملاقاة شيخ أحمد، وتقرر تسليم الضباط الى هذا الشخص ليعود بهم.

في تلك الايام لم تصل ايادي الجيش الى البارزانيين، الا ان الطائرات كانت مرعجة جداً، كانت المنطقة مكسوة بالثلوج، وكانت تظهر عليها آثار سواد عبور العشيرة، كانت الطائرات تهددي بهذا الخط الاسود لمراكز تجمع القوافل وتقصفها وتطلق نيران الرشاشات عليها وهي في حالة الحل والترحال، وأرغمت نيران الرشاشات القوافل على التوقف وأوجدت بينهم خوفاً كبيراً. وقد كان المقاتلون وحملة السلاح في أماكنهم الآمنة في مؤخرة القافلة بعيداً عن المخاطر، في حين كانت النساء والاطفال والماشية والقطعان عرضة للمصاعب والمخاطر.

وبصورة عامة لم يكن البارزانيون يطلقون النيران على الطائرات، اذ تعلموا من خلال التجربة عدم جدواها بل هو مجرد فقدان للعتاد. لذلك كانت الطائرات سيدة السماء تحلق على إنخفاض ودون خوف الى حد كان يمكن تشخيص من كان في داخلها بوضوح. وأخيراً بعد وقوع ضحايا عديدة، أمر شيخ بارزان جميع المسلحين بإطلاق النيران دفعة واحدة بمجرد ظهور الطائرة، وفعلاً أصيبت إحدى الطائرات في الحملة الاولى، فابتعدت وانخفض ارتفاعها شيئاً فشيئاً ثم هوت في وسط سهل مه رگه فهر وشبت فيها النيران واحترق من كان فيها وتحولوا الى رماد. ظهرت علامات الحيرة علينا بينما بدا الفرح والسرور على البارزانيين بشكل لا يوصف. بعد هذه الحادثة كانت الطائرات تحلق على إرتفاع عال قاذفة بقنابلها ومطلقة نيران رشاشاتها بدون هدف ثم تعود أدراجها.

في اليوم الذي كان مقرراً فيه إطلاق سراح الضباط الاسرى، أبقى شيخ بارزان على واحد منهم كرهينة. هو الملازم الثاني نجل قائد الفرقة امان الله جهانباني، ويسبب أصله ونسبه كان الشيخ يعتقد بإمكانية تحذير قائد الفوج، فأرسل اليه رسالة مهدداً إياه بأن الرهينة سيقتل في حالة تكرار قصف طائراتهم للنساء والاطفال، وكان رأيهم انهم لن يهتموا بحياة هذا الضابط إن

كانت مصالحهم تتطلب ذلك. ولكن اتضح انهم اهتموا بالأمر. فكانت الطائرات تحلق على إرتفاع عال لغرض الاستطلاع، وتوقفت عن القصف الوحشي، وربما ايضاً بسبب الخوف من إطلاق النيران عليها.

كان لنا ايضاً نصيبنا من هذه القنابل، فقد اصابنا شظاياها فخذ أحد رفاقنا، عزت علي أصغري، الذي لازم الفراش، وكان علينا حمله في الجبال الوعرة وسط الثلوج والبرد، كان ذلك بمثابة مصيبة لنا، فحمل الجريح أمر مؤذ، اذ كانت آلامه شديدة الى حد لم نتمكن من حمله. حملناه في بادئ الامر على ظهر بغل الا انه لم يتمكن من تحمل ذلك، ثم مددناه على ظهره فتعالى صوته الى السماء، واخيراً هيننا له نقالة بواسطة بندقيتين وبطانية، لكنه استمر يشكو، ولم يكن هناك حل آخر. وبالقرب من الحدود راجعنا ملا مصطفى لغرض مداواته فدلنا على شخص كان بمثابة جراح القبيلة، ولم يكن لديه من أدوات الجراحة سوى آلة واحدة. إدعى الجراح ان بإمكانه إخراج الشظية في طرفة عين شرط ان يتحمل الجريح الألم. ولم يكن أمامنا غير ان نمسك رجله ويديه بكل قوة، والابقاء على فمه مفتوحاً، أخرج السيد الطبيب من داخل كيس التبغ الآلة التي رطبها بفمه وأدخلها في موقع الجرح، ثم اخرج الآلة من الجرح تحت صراخ صديقنا، وتمكن الجريح في اليوم التالي من الاتكاء على قدمه، ولم نرى طريقة لعلاجه غير ارساله الى العراق، فحملناه على النقالة الى الطرف الآخر من الحدود وسلمناه هناك. وبعد مدة التحق بنا في سجن أبو غريب في بغداد.^{٢٧٨}

كان رأي غالبية البارزانيين هو العودة الى الوطن وكان هذا ايضاً قرار شيخ بارزان، رغم معرفته بحكم الاعدام الصادر بحقه، في حين قال ملا مصطفى عندما سأله ضابط المدفعية ابو الحسن تفرشيان، انه علم بنيته في العودة الى العراق، أجابه ملا مصطفى انه إذا ما استسلم الى السلطات العراقية فانه سيعدم خلال ٢٤ ساعة في بغداد وقال متسائلاً: «كيف استطيع الذهاب الى العراق؟»^{٢٧٩}

^{٢٧٨} تفرشيان. ص. ١٠٩. ١١٠.

^{٢٧٩} تفرشيان. ص. ١١٢. ١١٣.

قال شيخ بارزان لمجموعة الضباط الشيوعيين الأذربيجانيين الستة وهم على حافة الحدود العراقية الإيرانية في لحظة الوداع نحو المجهول: «لم اشهد طوال حياتي رجالاً شجعان ومخلصين مثلكم، أتمنى لو كان لنا وضعنا السابق في بارزان وان تحولوا ضيوفاً بيننا، لكن للأسف ليس بوسعنا الآن عمل شيء، ولا نملك حتى رد الجميل لكم، سمعت انكم صمتم الذهاب الى روسيا فلم تتمكنوا، ويظهر انكم تودون البقاء مع البارزانيين. ارى من صالحكم الاستسلام للعراق، ليس لكم مكان لافي إيران ولا في تركيا، نحن ايضاً ليس لنا خيار آخر غير العراق. ملا مصطفى مع عدد من المسلحين قرروا ان يعودوا فيما بعد الى العراق ويحاربوا الحكومة العراقية حتى تضطر الى منحنا العفو العام ثم نسكن مجدداً في اراضي بارزان.»^{٢٨٠}

صمم تفرشيان ورفاقه في البداية على البقاء مع ملا مصطفى وبدأت العوائل بالعبور الى الجهة الاخرى من الحدود والاستسلام للعراقيين فيقول بشأن فراقه عن البارزانيين:

«ذهبت الى خيمة الملا مصطفى ليلاً في أعالي الجبال، فشعرت أنه غير مرتاح لقدمنا، وكان له الحق في ذلك لأننا أصبحنا من حملة البندقية فقط ولم نكن قادرين على توفير الطعام والملجأ لأنفسنا وكنا عبئاً ثقيلاً، في الوقت الذي كان المقاتل البارزاني نشطاً وباختصار كنا متطفلين عليهم.

وعلى سبيل المثال عندما سألنا الملا مصطفى في تلك الليلة عن محل نومنا قال: حسناً اذهبوا الى احدى هذه الخيمات واحصلوا على محل لكم، فظهر من هذه المكاملة القصيرة بأننا كنا نفكر بشكل مختلف تماماً. كنا ننتظر ان يهيء هو لنا الملجأ والطعام وما الى ذلك. بينما كان هو ينتظر منا أن لا نتوقع منه ذلك.

كانت لدى البارزانيين على تلك القمة ثلاث خيمات، وبعد التفقد لم يكن هناك مكان كاف لنا، كنت في تلك الليلة مصاباً بالزكام وارتفاع درجة الحرارة واستطاع اصدقائي أن يهيئوا لي مكاناً في احدى الخيمات، بينما بقي اصدقائي تحت الثلوج والبرد، فناموا وهم

جالسون، من الطبيعي أن النوم كان قاسياً وصعباً وسط الثلوج وعلى ارتفاع أربعة آلاف متر. في تلك الليلة أهلك البرد الشديد ثلاث خيول وكلبين بجوار الخيمة، وعندما استيقظت صباحاً شعرت بآلام في عنقي، وعلمت ان الثلوج تراكمت على رقبتى وان رأسي فقط كان داخل الخيمة وبقيّة جسدي كان خارجها.

اتفقنا في اليوم التالي على اننا لانتحمل هذه الصعوبات وقررنا بالاجماع الاستسلام الى العراق. كنا نشعر بأن الاعتبار الذي كسبناه انما كان نتيجة لقوة المدفعية اما الآن فقد تحولنا الى مقاتلين بسطاء نعيش عالة على غيرنا، إضافة الى اننا لايمكن ان نصل الى مستوى بارزاني واحد.

وبالرغم من الاخطار التي كنا نشعر بها استسلمنا الى العراق بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٧، وعندما ودعنا الملا مصطفى كان يظهر مرتاحاً من قرارنا هذا، وكأن حملاً ثقيلاً قد زال عنه. أبلغنا حرس الحدود العراقيين بأننا مستعدين للإستسلام بشرط أن يقبلونا كلاجئين سياسيين. فأرونا برقية موقعة من صالح جبر، رئيس الوزراء العراقي في حينه، ورد فيها: ان الحكومة العراقية تعامل الضباط الإيرانيين الرسميين وفق القوانين الدولية المختصة باللاجئين السياسيين.

كنا قد سلمنا بنادقنا للبارزانيين قبلاً... عبرنا الحدود بأمل وتحفظ ودخلنا خيمة حرس الحدود العراقية.²⁸¹

السنوات العجاف

كانت الحكومة العراقية قد اختارت قطعة كبيرة من الارض العراق في ديانا وطوقتها بالاسلاك الشائكة مع حراسة مشددة، فكان كل بارزاني يعبر نقطة الحدود ويسلم نفسه الى الحكومة العراقية. يؤخذ الى داخل هذا المعسكر في ديانا ويمنع من الخروج الا بإجازة من المسؤولين. في حين كان الرعاة مع قطعانهم يمنعون من الابتعاد عن المعسكر... وحسب إحصاءات الحكومة العراقية^{٢٨٢} فإن عدد الذين سلموا أنفسهم في ١٧ و ١٨ من شهر نيسان في عام ١٩٤٧ كان:

رجل	إمرأة	طفل	المجموع الكلي
١٥٥٠	١٦٨٦	١٣٢٩	٤٥٦٥

وإذا ما أضفنا (٥٦٠) شخصاً من الذين اختارهم^{٢٨٣} ملا مصطفى في البداية الى المجموع الكلي، يكون قد بقي على قيد الحياة من البارزانيين: (٥١٢٥) فقط، من مجموع (٠٠٠)، (١٠) شخص التجأوا الى كردستان - إيران - حسب المصادر الغربية.^{٢٨٤} أي ان ٤٩٪ منهم لاقوا حتفهم إما في المعارك أو بالامراض التي فتكت بهم في قرى كردستان في الفترة الواقعة بين نهاية عام ١٩٤٥ والى حين عودتهم الى گادهر في وسط شهر ابريل/نيسان من عام ١٩٤٧. وحتى لو اعتبرنا عدد اللاجئين الذي ورد في المصادر الغربية مبالغاً فيه بحوالي ألفين، تبقى نسبة الموتى ٣٠٪ وهي نسبة هائلة لقبيلة صغيرة. وهذا مادفع بشيخ بارزان الى المجازفة بحياته في سبيل إنقاذ ماتبقى من البارزانيين.

^{٢٨٢} ١. فاضل براك. مصطفى البارزاني - الاسطورة والحقيقة. بغداد. ١٩٨٩. ص. ١٣٧

^{٢٨٣} البارزاني والحركة التحررية الكردية. مسعود البارزاني. ١٩٤٥-١٩٥٨... ٥٩. ١٩٨٧

كان شيخ بارزان صريحاً عند استسلامه للسلطات العراقية، فقد قال لهم: ها أنا أسلم نفسي لكم، إنني المسؤول الاول عن كل ما حصل في السنوات الماضية من القتال ضدكم، أعملوا بي ما تشاؤون، وتركوا الشعب المسكين يعيش في وطنه، لاتمسوا أحداً غيري لأنني أنا المسؤول الاول واقول هذا علناً. ٢٨٥

وعندما أخذت السلطات شيخ بارزان في سيارة خاصة، توقفت بعد مسيرة بالقرب من صلاح الدين بانتظار وصول سيارات أخرى. أدرك شيخ بارزان أنهم قبضوا على أفراد آخرين من العائلة، بينهم صادق ابن شقيقه الذي كان مريضاً لا يقوى على السير، فالتفت الى المسؤول الذي كان يتولى نقلهم الى السجن وقال: قلت لكم انا المسؤول عن كل شيء، اتركوا هؤلاء وافعلوا بي ما تشاؤون. أنتم اناس بلا اخلاق. عاد الشيخ الى السيارة التي نقلته الى بغداد والبصرة. وفي ١٩٤٧/٤/٢٦ أودع السجن مع أفراد آخرين من العائلة، ضمنهم ولديه محمد خالد وجمال وشقيقه محمد صديق وابن شقيقه صادق بابو، وابن اخيه عبيدالله ملا مصطفى. وحكم على شيخ بارزان بالإعدام شنقاً.

في الواقع لم ينج من السجن او المنفى من سائر العائلة البارزانية سوى زوجة ملا مصطفى الأخيرة مع ابنها مسعود، إذ تدخل محمود آغا الزبياري لدى السلطات العراقية والتي سمحت له تقديراً لخدماته لها بأخذ ابنته الى قريته (نباخي) التابعة للواء الموصل. وينبغي الإشارة هنا الى ان مسعود بقي لدى جده حتى عودة ملا مصطفى من الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٥٨، وقضى سنوات تكوينه، وهي السنوات الثمان الاولى من عمر الطفل، والمعروفة في علم السايكولوجيا بـ The formative years — في كنف جده وخاله زبير محمود آغا الزبياري. وكان المحيط الاجتماعي هذا معادياً للحركة التحررية الكردية ولقيم وتاريخ بارزان. واتسمت نفس سنوات التكوين هذه بالنسبة لنا — المنفيين من العائلة البارزانية — بالعيش تحت رقابة أجهزة الامن والمخابرات العراقية، حيث خيم الخوف والقلق على مصير وحياة ذوينا في السجون، وتعود اولى ذكرياتي عن شقيقي صادق، وهو مكبل بالأغلال الثقيلة في سجن

البصرة، وشيخ بارزان في غرفة الاعدام، وفي المنزل، كانت الامهات يروين لنا قصص المعاناة وحياة التشرد وقصف القرى وحرقتها في كردستان، وكأنه حلم بعيد متواصل ومترايط مع حاضر المنفى. في البصرة - جنوب العراق - كانت درجة الحرارة ترتفع الى الخمسين مئوية في الصيف ولم نكن متعودين على مثل هذا المناخ. لكن سرعان ما تم الاختلاط باهالي البصرة الطيبين وبنيت علاقات صداقة قوية معهم وتعلم العديد من افراد العائلة البارزانية اللغة العربية. وعند بلوغ سن السابعة دخل الاولاد المدارس الابتدائية وساهم هذا في إيجاد جيل أكثر تعلماً من الجيل السابق.

أما ملا مصطفى مع إثنين من أبناء إخوته هما شيخ سليمان، ابن الشيخ الشهيد عبد السلام، وعلي محمد صديق فقد ودعا عوائلهم على نهر گادر في ١٥/٤/١٩٤٧. كان لملا مصطفى ثلاث زوجات، كذلك شيخ سليمان وقد تركوا النساء والاطفال في عهدة الاقارب. وغادروا مع قوة بارزانية معظم أفرادها من الشباب العزب أغلبهم دون سن العشرين للبقاء في الجبال في انتظار مجريات الامور في المستقبل القريب.

أما العسكريين الكورد، فقد إنقسموا إلى ثلاثة أقسام: ميرحاج أحمد وعبد الرحمن المفتي قرروا الذهاب الى الاتحاد السوفيتي. مصطفى خوشناو، عزت عبد العزيز، خير الله عبد الكريم ومحمد محمود قودسي قرروا الاستسلام للسلطات العراقية.

نوري أحمد طه، جلال أمين، بكر عبد الكريم ومحمد صالح، فقد قرروا عدم الإلتجاء الى آذربيجان وعدم الاستسلام للسلطات العراقية وبقوا فترة طويلة مختفين، فنجوا من الاعدام.

ومن الجدير بالذكر ان ملا مصطفى كان ينوي حتى قبل الإلتجاء الى آذربيجان السوفيتية معرفة الطريق نحو آذربيجان السوفيتية، فقد قام في بداية شهر آذار لإستطلاع طريق (صوماي) واجتمع برؤساء عشائر تلك المنطقة، الا انه لم يطمئن لوعود الاغوات. فعاد ادراجه. ٢٨٦

بعد عدة أيام من نقل العوائل الى مخيم ديانا، عبر ملا مصطفى مع القوة البارزانية الى داخل الحدود العراقية ثم توجه الى منطقة (مزوري) ولازمت هذه القوة المناطق الحدودية كإجراء أمني. وربما أراد ملا مصطفى من دخول هذه القوة البارزانية المسلحة الى أراضي بارزان ممارسة ضغط على الحكومة العراقية لتغير موقفها. إلا أن رأي بغداد كان قد استقر حسب الظاهر على ممارسة الارهاب والاعدامات. بقيت هذه القوة موزعة في قرى بارزان وحافظت على التحرك السريع من مكان الى آخر كي لا يهتدي العدو الى أماكن تواجدها، ولم ترغب السلطات إيلاء الموضوع أهمية كبيرة، إذ أرسلت الحكومة ردًا على طلب العفو من ملا مصطفى معاون الشرطة علي به گ والى^{٢٨٧} مصحوبًا بأحد البارزانيين كمترجم هو (ولي ابراهيم هه سني).^{٢٨٨}

أزاء موقف الحكومة المتعنت وتحشد قواتها، قرر ملا مصطفى مع رفاقه عدم إكمال البقاء في الجبال، وربما كانت تجربة خليل خوش Tى المأساوية هي التي حثته على المغادرة. وبهذا أصبح قرار اللجوء الى آذربيجان السوفيتية الخيار الوحيد الباقي أمامهم، خاصة ان شهر مايس أو شك على الانتهاء وأصبحت الطرقات الجبلية أكثر أمانًا. وكان يعرف يقينًا ان هذه القوة البارزانية التي ترافقه ستضمن له سلامة الطريق وتوصله الى حيث يريد نظرًا لتفانيها وشجاعتها. فبدأت المسيرة.

تميزت هذه المسيرة بما يلي:

- . كانت كل الاراضي التي مرت بها المسيرة هي أراضي كردستان.
- . واينما مروا زودهم القرويون بالخبراء العارفين بالطريق المؤدي الى آذربيجان.
- . ووفر القرويون للمسيرة كل ما يحتاجونه من الطعام أثناء مرورها بالقرى الكردية.
- . قطعت المسيرة حوالي ٣٠٠ كيلومتر.
- . استغرقت المسيرة اسبوعين.

^{٢٨٧} ن. م. ص. ٦٣. ٦٤

^{٢٨٨} قتله صدام حسين عام ١٩٨٣

«بعد أن تم تعيين أمراء للفصائل، تركت القوة أراضي بارزان ووصلنا أوساط قبيلة (هركى بنه جى) في ١٩٤٧/٥/٢١. قام سلاح الجوي العراقي إثر إخبارية من جواسيس السلطة بقصف قرية (درى)، فأستشهد إثنان وجرح ١٤ من أفراد القوة. وسلمنا إثنين من جرحانا الى السلطات العراقية نظراً لخطورة حالتهم. بعدها تحركنا الى قرية (بيدافى) الواقعة على الحدود العراقية التركية وكانت مكونة من حوالي ثمانية منازل وكان تعاون القرويين مثالياً، فقد حملوا في الليلة الظلماء ذاتها ما لديهم من معاول وفؤوس وحفروا سلاالم في الثلوج التي كانت جاثية على منحدر شاهق من الجبل مما سهل تسلقه. وبالإضافة الى ما قدموه من الطعام والارزاق للسفر وفتح طريق التسلق، فقد زودوا المسيرة بالأدلاء الذين يعرفون المسالك الجبلية خير معرفة. في اليوم التالي صعدنا الجبل، وتزحلق الكثيرون عند وصولهم الى الطرف الآخر نزولاً الى الوادي. بعد ذلك تابعنا المسيرة حتى وصلنا منتجع يسمى بـ (گهروكا به نانيا) — Geveroka Benanya. كانت الارض عراء بلا ثلوج في مضارب الخيام. ثم مشينا الى أن وصلنا قرية (ماى) وكانت مكونة من حوالي خمسة عشر منزلاً، قضينا الليلة هناك وقدموا لنا كل ما لديهم من إمكانات الطعام والارزاق. لقد كانوا في غاية الطيبة معنا.^{٢٨٩}

«ثم تركنا القرية صباحاً واتجهنا شمالاً ونحن نعبر المروج والسواقي الخلابة، واقتربنا من هضبة تقع بين (دزاگه فه رى) و (نافشار) لكننا لاحظنا ان الجيش التركي كان قد سد الطريق، الا ان أدلائنا قالوا ان هناك طريقاً آخر صعب المرور ولكنه مضمون السلامة. ولاتصلها القوات التركية، إنه طريق (نهيلآگه فه رى). في ١٩٤٧/٥/٢٣ تركنا جبل (اسنگهرا) وكان أدلائنا يسيرون أمامنا بثقة ويعرفون متاهات الجبال الوعرة. واستغرق ذلك اربع ساعات وعشرين دقيقة من السير الصعب في هذا الطريق الموحد. بعدها تسلقنا جبل (سپى ريز) وعندما علم الجيش التركي بتواجد البارزانيين، كان الوقت قد فات على التصدي لهم. فأطلقوا النيران من بعيد من أسفل الجبل. أصبنا قسماً من الراحة، وكنا نسعى لعدم البقاء ليلاً في المنتجعات

الباردة لتفادي المرض. كنا نغادر الاراضي الواقعة تحت السيطرة التركية ونتجه نحو الاراضي التي تسيطر عليها إيران ولكننا كنا دائماً في أراضي كردستان. وصلنا منتجعاً كانت قطعان عشيرة الهركية التابعة لـ (سيدي هرکی) ترتادها للكأ وأشعلنا النيران للتدفأة. ثم سرنا في ١٩٤٧/٥/٢٥ نحو قرية (جيرمی) المنعزلة على الحدود الايرانية وهناك قدم الاهالي الطعام والخبز بسخاء للجميع. وفي اليوم التالي اتجهنا الى قرى (البه گزاده).

وفي ١٩٤٧/٥/٢٨ تحركنا لعبور النهر الذي يقع بين (تلگه قهر و (ده شتا سومای) وصعدنا الجبل واتجهنا نحو (ده شتا سومای) ومررنا بعدد من القرى في السهل، ثم في ١٩٤٧/٥/٢٩ وصلنا قرية (سيرو) الواقعة قرب الحدود الايرانية التركية. وفي هذه القرية استأذن الأدلاء الذين رافقونا من قرية (باي) وعادوا الى قريتهم الواقعة تحت الاحتلال التركي. تابعنا الميسرة طوال الليل حتى وصلنا في ١٩٤٧/٥/٣٠ الى اوساط عشائر الشكاك التابعة لعمرخان شكاك، وتناولنا قسطنا من الراحة، أكلنا وجبة الصباح، وتزودنا بالطعام والخبز ثم تابعنا السير.

في الواقع كان تعاطف الاهالي مشجعاً ومشكوراً اذ قدموا كل عون لنا من الطعام والمعلومات والادلاء. كنا فيما بعد نسير على خط الحدود الايرانية التركية وفق ماتمليه علينا مقتضيات أمننا، ووصلنا في ١٩٤٧/٦/١ قرية ديلزيا، وكنا نتفادى البقاء في القرى، انما نذهب للتزود بالطعام ونغادر لمتابعة المسيرة على عجل. وفي الثلاث أيام التالية عبرنا عدداً من القرى ورافقنا الأدلاء لعبور وادي (كوتولی) وعبرنا النهر الذي كان ينحدر فيه من الطرف التركي نحو إيران، اذ كانت مياه النهر ضحلة. ووصلنا قرية (كه لت) في ١٩٤٧/٦/٥، أكلنا في القرية وبعد قليل من الراحة سرنا صعوداً على الجبل الذي يهيمن عليها، كانت الثلوج لاتزال جاثية على مواقع من الجبل، وفي أعالي الجبل شاهدنا جبلين شامخين الى الشمال، فأرسل ملا مصطفى يطلب بيجان الذي كان يعرف هذه المناطق وسأله عن هذين الجبلين فقال: اسم الجبل الشامخ الأكثر علواً (گری داغی مه زن) والاصغر منه يسمى (گری داغی بجوک) - انه جبل أرارات - وطريقنا يمر عند الجبل الاقل ارتفاعاً. وعندما سأله كم من الايام يقتضي الوصول اليه. قال خلال سبعة أيام.

نزلنا من الجبل وسرنا حتى وصلنا قرية (الندى) وقرية (بله سورى) وقرية (بله ره شى) في ١٩٤٧/٦/٦. وكالعادة بعد تناول الطعام وتزودنا بالخبز، سرنا بإتجاه منتجع مشهور يسمى بـ (كوستانا حاجي به گ) كان موقعاً خلافاً، ومن هناك نظرنا الى السهل، فوجدنا عدداً كبيراً من الخيام السوداء منصوبة فيه، فأتحدرنا بإتجاه هؤلاء الرحل ووصلنا عندهم في ١٩٤٧/٦/٧. بعدها تركناهم. وصلنا في الليل قريتين مهجورتين، مع كل ما في القرية من أرزاق، فقمنا بالطبخ لأنفسنا. كان أهاليها قد تركوها ولم نعلم السبب.

كانت الحكومة الايرانية على علم بمرور القوات البارزانية، فأرسلت بقواتها من (ماكو) للتصدي لنا. فحصلت معارك في ١٩٤٧/٦/٩، وعلى رغم اشتراك الطائرات الايرانية بالقصف، هزمت القوات الايرانية في المعركة خلال ساعة من الزمن، واستولى البارزانيون على بغال الجيش بمحولاتها وتم اسر عدد من الجنود، فقد كنا مسيطرين على مواقعهم ونرى جميع تحركات الجيش. كان علينا عبور نهر (ماكو) الضحل المياه قبل طلوع فجر اليوم التالي، وكان الطريق الى ماكو يمر بمحاذاة النهر، كانت الاراضي المحيطة بالنهر كثيرة الانحدار، لذا كان علينا العبور على الجسر وشق طريقنا بالقوة، وفي الليل هاجمت القوة البارزانية التي وصلت قرب الجسر على مواقع الحرس الايراني، فقضوا على عدد من الذين كانوا يتولون حراسة الجسر وهرب الآخرون. فتمت السيطرة على الموقع. لكن خمس دبابات تحركت لإعادة السيطرة الايرانية على الجسر ومنع عبور البارزانيين. وبدأوا بقصف الموقع، فجرح غالبية من كانوا فيه. فتركته القوات البارزانية الى الطرف الآخر مع الجرحى، ووصلت الدبابات فأحتلت الموقع، وهنا كان البارزانيون قد انقسموا الى قسمين، قسم كان قد عبر النهر والقسم الآخر لم يصل الى الحافة بعد. لم يصل فصيل شيخ سليمان وفصيل أسعد خوشقى. وساد القلق من جراء ذلك. إذ كان علينا في كل الاحوال عبور النهر بأسرع ما يمكن.

ذكر لنا أدلاؤنا بأن هناك موقعاً ملائماً للعبور ليس بعيداً عن المكان الذي جرت فيه المعركة، فتبعناهم حتى أوصلونا الى ذلك المكان، ولحسن الحظ وجدنا شيخ سليمان وأسعد خوشقى

قد عبروا النهر. فزال القلق على مصيرهم. نزعنا أحذيتنا وعبرنا النهر نحن ايضاً. وأطلقنا سراح ثلاثة أسرى من القوات الايرانية فعادوا الى مدينة ماکو.

اجتمع شمل قواتنا، وكان لدينا جريحان، مات أحدهم في الطريق، لكن القوات الايرانية فتحت علينا النار من بعيد وبادلناهم إطلاق النيران، لسوء الحظ استشهد محمد ملا محمد ميرگه سورى، وتركنا جثته على حافة النهر واتجهنا نحو قرية (هاسونى) حيث وصلناها عند الظهر في ١٩٤٧/٦/١٠ ويبدو ان القرويين خافوا منا، فتركوا قريتهم عن بكرة ابيهم، وعندما وصلناها دخلنا المنازل وبدأنا بتهيأة الطعام للجميع، دون أن نمس أي شيء يعود الى القرويين عدى الطعام وماحتاجه للأكل دون اسراف. تناولنا قسطنا من الراحة اذ لم يكن هناك أي خطر من القوات الايرانية لذا بقينا في القرية حتى اليوم التالي، وكنا نقرب من الحدود السوفيتية.

في ١٩٤٧/٦/١١ قامت الطائرات الايرانية بقصف القرية (هاسون) مما أدى الى استشهاد اثنين من البارزانيين، واصيب آخر بجروح بالغة. دفنا الاثنين في مقبرة (هاسون) وما أن بزغت الشمس في يوم ١٩٤٧/٦/١٢ حتى واصلنا السير صعوداً في الجبل المشجر الذي يطل على القرية (هاسون)، وفي الساعة الثانية عشرة توفي الجريح صالح ليرى على نبع الماء دفناه في الغابة، وكان هو آخر شهيد يقدمه البارزانيون في هذه المسيرة. وعادت الطائرات الايرانية القصف لكن دون وقوع أية ضحايا.

بعد الدفن تحركنا نحو جبل (گريداغ)، وفي ١٩٤٧/٦/١٣ وصلنا منطقة يتواجد فيها الرحل من عشيرة الجالالي التابعة لـ (عمر آغا). واستغربنا من موقفهم فقد واجهوا كل طلب منا بعبارة (لا يوجد)، كانوا لا يريدون إبداء أية مساعدة لنا مهما كانت بسيطة، وشعرنا بأن عمر آغا يريد استدرار عطف الحكومة بالكيد لنا. الا انه لم ينجح ولم نطمئن لوعوده الكاذبة.

عندما كنا بين هؤلاء الرحل، كان ميرحاج أحمد قد غادر مع عدد من الرجال للاتصال بالروس في أقرب نقطة حدود وطلب اللجوء منهم. وفي ١٩٤٧/٦/١٤، بالقرب من نهر آراز

وحيث كنا وسط خيام الرحل، عاد ميرحاج أحمد وذكر ان المسؤولين على الحدود قالوا: «سوف نتصل بحكومة باكو وننتظر الجواب منهم، اذ ليس من صلاحياتنا السماح لكم بدخول أراضينا، وقد يتأخر الجواب ثلاثة أيام أو أربعة.»

لم ننتظر الجواب، وبدأنا بالعبور في ١٥/٦/١٩٤٧ مستخدمين أخشاب وجلود الحيوانات المنفوخة الطافية، لحسن الحظ عثر أحد البارزانيين المدعو سليم خان بيدودي، على موقع ضحل المياه في ١٦/٦/١٩٤٧ وكان ذلك حدثاً في غاية الاهمية، اذ كان أكثرنا لايعرف السباحة، فأصبح العبور أسهل وأسرع للجميع ولم نضطر الى ترك سلاحنا. وفي ١٧/٦/١٩٤٧ عبرنا الى الضفة الاخرى من النهر، وسلمنا الاسلحة مع عدد من البغال والاحصنة لموظفي المخفر الحدودي، في حين تركنا قسم من الاسلحة في الضفة الايرانية.

كنا الآن تحت حماية جمهورية آذربيجان السوفيتية. لقد سجل المسؤولون في المخفر أسمائنا جميعاً ثم تم نقلنا بالسيارات الى موقع منعزل قريب من مدينة نقشيوان البعيدة عن نقطة الحدود بحوالي عشرين كيلومتراً. كان الوقت صيفاً قائظاً فعملنا عرائش (سبطانة) من اوراق الشجر للفيء. وكنا نأكل مرتين في اليوم وكانت الحصص قليلة. وبقينا على تلك الحالة مايقارب الاربعين يوماً. بعدها تم تقسيمنا الى مجموعات تتراوح بين عشرة الى خمسة عشر شخصاً وتوزعنا على القرى الآذربيجانية المنتشرة في قضائي Kelbeçer و Laçine. وألف ملا مصطفى وشيخ سليمان وعلي محمد صديق وسعيد ملا عبد الله وزياب درى بارزاني مجموعة واحدة سكنت في مدينة (شيش). كان الفقر واضحاً في المنطقة بسبب الحرب العالمية الثانية، وكنا نعاني من جهل تام باللغة.

بدأنا مع القرويين بالعمل في الحصاد والحراثة وحفر البساتين لمدة اربعة أشهر، ولم تفرق السلطات بيننا وبين اهالي القرى فيما يخص الرواتب، وشيئاً فشيئاً بدأنا نتعلم اللغة التركية. وفي احدى الايام وصلنا خبر من ميرحاج الذي كان في مدينة (آخده مى) يطلب منا الذهاب الى هناك. ووجدنا ايضاً ملا مصطفى وقد قدم من (شيش) ورفاقاً آخرين أتوا من قراهم، وذكر لنا ملا مصطفى انه سيذهب الى باكو مع رفاقه. وفي بداية الشتاء استدعينا

جميعاً فانتقلنا الى معسكرين قرب باكو. وألفنا فوجين على بحر الخزر، وكنا نتلقى التدريبات باللغة التركية من الضباط السوفييت. كان كاظموف المسؤول الاول للفوجين. استلمنا بنادق (برنو) وتدرّبنا على مدفعين (هاون) وفي بعض الامسيات كنا نشاهد أفلاماً سينمائية. ثم بدأنا بتعلم كتابة اللغة الكردية بالاحرف اللاتينية، اذ كان ميرحاج أحمد وعبدالرحمن مفتي آميدى ومحمد نجيم برواري واسماعيل بياني وفق حسن ايدلي وفق صالح وآخرون يقومون بتعليمنا، ولأول مرة بدأت بتعلم القراءة والكتابة على يد محمد نجيم برواري. كذلك بدأ البعض بتعلم الروسية بحماس، وفي باكو كان ملا مصطفى ورفاقه يتعلمون الروسية.^{٢٩٠}

نتيجة البعد عن الاهل والوطن، ان فقد البعض الآخر توازنه ونحن على سواحل بحر الخزر، منهم: مالخو وشقيقه ميرو كوركى، سيد بازي، صالح سبينداري، ابراهيم حسين خردني، عمر بازيد أركوشى، حسن سوار ليرى ومحمد عزيز ميّوگه سوري وآخرون. كما انتحر عمر شيخ مير زراري وعمر ايسومري نزاري في اوزبكستان.^{٢٩١}

بعد عدة أشهر من وصول البارزانيين الى جمهورية آذربيجان ومعاناتهم من الاهمال الرسمي، تم إعداد مذكرة، لاندري الاسم الحقيقي لكتابتها، وقعها ملا مصطفى،^{٢٩٢} مؤرخة في ١٥/١١/١٩٤٧. باللغة الروسية الى (باقروف) امين عام الحزب الشيوعي الآذربيجاني والمسؤول عن شؤون الشعوب الشرقية، نفتطف بعض مما ورد فيها:

(.....)

«ان الشعب الكردي يأمل تحت راية الديمقراطية وبرعاية (الاستاذ) الرئيس الكبير (ستالين) ان يبدد تلك الظلمة ويفتح طريق النضال امام هذا الشعب. وللشعب الكردي كذلك امل كبير بلطف الأب قائد الشعوب الشرقية الرفيق (باقروف)...»

^{٢٩٠} كاظم شاندرلي.

^{٢٩١} البارزاني والحركة التحررية الكردية ١٩٤٥ - ١٩٥٨. مسعود البارزاني، ص. ١٣٧ - ١٤٢

^{٢٩٢} رحلة الى رجال شجعان في كردستان. دانا آدمز شمادت. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. ص ١٦٥.

«خلال السنوات ١٩٤٣ - ١٩٤٥ وبعد معارك واصطدامات مسلحة عديدة اضطررنا الى اللجوء الى كردستان إيران مع ذوينا وعشيرة بارزان كافة. وفي كردستان إيران لاح لنا (نجم) ساطع احيا فينا الامل في الحياة الكريمة، هذا (النجم) هو تأسيس الحكومة الكردستانية الديمقراطية وقد شاركنا هذه الحكومة مع اخواننا الاذريجانيين في الدفاع عنها بقتال القوات الايرانية الفاشية في مدينة رضائية (اورميه) وفي اماكن اخرى، وكان ثمة ألف بارزانيين نصبوا أنفسهم حرساً وحفظة لحدود حكومتي اذريجان وكردستان المتحررتين، وفضلاً عن هذا فقد التحمت هذه القوات البارزانية مع العدو في سقز وسردشت واماكن اخرى وهزموه شر هزيمة في كل معركة خاضوها معه.»

وبعد الاشارة الى بعض الاحداث التاريخية لبارزان يأتي الى العلاقات بينه وبين ممثلي الاتحاد السوفيتي فينتقدهم:

«وقد تم انشاء هذه العلاقات الصحيحة في شهر ايار من العام ١٩٤٤ بين التنظيم الكردي الذي تمثل فيه البارزانيون والمعروفة باسم (جبهة الحرية). حيث كنت قد حققت في ذلك الوقت صلات وانشأت علاقات مع ممثلين من الاتحاد السوفيتي سياسيين وعسكريين. بعد ان احتلت إيران كردستان في الحادي عشر من شهر كانون الاول ١٩٤٦، حصل تغير في اوضاع المنطقة ونجم عنه بعض البرود بيني وبين المسؤولين السياسيين المحليين السوفييت رغم معرفتهم بالصدقة التي تربطنا وبحسن نوايانا، لا شك ان المسؤولين السوفييت كانوا قد تنبأوا بما سيحل، وعلموا بالكارثة التي ستحل بكل من جمهوريتي كردستان واذريجان. من هذه الكارثة كان نصيب البارزانيين السهم الاكبر ذلك لاننا كنا هناك لاجئين نازحين عن وطننا الاصلي اولاً، وثانياً لان رجالنا كانوا في خطوط القتال الامامية، واهاليهم موزعون في المنطقة دون رجالهم.»

ثم يشير الى ما حصل من معاناة نتيجة عدم تحذيرهم بما سيحصل رغم علم السوفييت بقدوم الكارثة فيقول:

«مع ذلك كله فاننا مازلنا نفتقد عطف الاتحاد السوفيتي علينا واهتمامه بحالنا فلم تنطق اذاعة موسكو وراڊيو اذربيجان بحرف واحد حول المعارك التي خضناها وحول ما عانينا.

لم نلاحظ اي اهتمام بنا من السوفييت، ولم يتكلف أحد المسؤولين بمقابلتنا وتفقد احوالنا او اظهار اي عطف والتفات الينا.»

«.....لم يخصص لنا موقع نعيش فيه. بل ابقينا على ضفاف النهر في الجانب الاخر من الحدود مدة طويلة كانت حياتنا نفسها مهددة بالخطر حتى اننا اضطررنا الى الاستغناء عن قسم كبير من اسلحتنا فتركناها للعدو.....وعبرنا النهر الى الاراضي السوفيتية.»

«في مدينة (ناخجيفان) ابعدوني عن اخواني ورفاقي مدة تزيد عن اربعين يوماً، كنت خلالها اشبه بسجين أعيش في غرفة. الا انني لم اتأثر بهذه المعاملة الشاذة غير اللائقة رغم تذكري لها وبخاصة صدورها من الاتحاد السوفيتي. وعند وصولنا الى مدينة شوفو عوملنا بعين المعاملة. وان كان بعض اصدقائي قد تلقى أفضل مني أنى أكن عظيم الحب والود لرفاقي. ولهذا احرص كل الحرص على توفير ظروف عيش أفضل لهم. انهم من صميم الطبقة الفلاحية عاشوا على التربة وعملوا فوقها. وهم لا يستأهلون هذا الوضع المزري. لاعمل ولاعيش حسن، انهم لا يملكون التجارب التي يملكها المواطنون السوفيت في مجالات الاعمال، وهم يفتقرون الى العلم والثقافة، واكثرهم الآن شبه عار ليس لديه منها مايكسو بها جسده، واكثرهم يعيشون في امكنة لاتليق بالبشر.»

«هؤلاء هم يمثلون الشعب الكردي المكافح في سبيل الحرية والديمقراطية، ناضلوا وضحوا وفارقوا ارضهم واهلهم ومقتناهم في سبيل ذلك، تركوا كل ذلك من اجل ان يهيئوا أنفسهم لاستئناف الكفاح مجدداً ان الذين لجأوا الى السوفيت هم تحت النظارة السوفيتية، لم يجيئوا لتجارة او كسب مادي او قدموا بخدعة. هم ممثلو الشعب الكردي وهو من شعوب الشرق وقد وضعوا ثقتهم بالاتحاد السوفيتي وبشخصكم الموقر انت الرفيق العزيز المسؤول عن شعوب

الشرق، من الضروري ان تتعرف على امورهم واحوالى، ومن واجبي ان اوضح لكم اوضاعهم واشرح مشاكلهم راجياً منكم العمل على سد حاجاتهم وتحقيق سؤلهم. ارجو من سيادتكم ان تفسحوا لي جانباً من وقتكم لمقابلتكم مع معرفتي كم ان وقتكم ثمين الا ان ظروفنا تفرض علينا هذه المقابلة ليتسنى لي اطلاعكم على اوضاعنا بشكل دقيق.»

ومن اجل خلق كوادر علمية وتقنية كردية للمستقبل اقترح ملا مصطفى في مذكرته المطالبات التالية:

- . جمع شمل البارزانيين في بقعة واحدة من الاتحاد السوفيتي.
- . فسح مجال العلم والتدريب على الاسلحة الثقيلة وفن القيادة.
- . اختيار عشرة من المتفوقين للتدريب في القوة الجوية.
- . فتح مجال التعليم في علوم التأريخ والجغرافيا والفيزياء والطب.
- الايعاز الى الاذاعة الآذربيجانية تخصيص قسم من الوقت لبث برامج باللغة الكردية ليرعب العدو ويرفع من معنويات الشعب الكردي.
- اصدار مطبوع دوري شهري باللغة الكردية لاهالي كردستان يتناول شؤون الثقافة والتورات الكردية التحررية واطهار معاناته وفضح اساليب القمع الوحشية التي ترتكب ضده.
- . المساعدة على ايصال الشكاوى الكردية الى هيئة الامم المتحدة.
- التعامل مع البارزانيين بمرونة ولطف وتأمين حاجات (٤٩٦) ليس بالشيء العسير على الاتحاد السوفيتي، وانه (ملا مصطفى) بدوئهم ليس شيئاً مذكوراً.
- . ان يلقي الشاب (عزيز عبد الله شمزيني) الرعاية والاحترام، انه من اسرة عريقة في النضال ومن ضباط الجيش العراقي، التحق بالقوات البارزانية اثناء المعارك التي دارت في السنوات ١٩٤٣ - ١٩٤٥ وابدى شجاعة ومؤهلات قيادية عالية. عدد آخر من شباب الكرد يدرسون في المعاهد السوفيتية منهم (رحيم قاضي زاده) وطلب ملا مصطفى في مذكرته ان يحيطه باقروف برعايته الابوية.
- الاعتماد على شيخ سليمان البارزاني، ابن اخ ملا مصطفى، حيث يسكنان معاً، اذ شارك

في جميع المعارك والمخاضات السياسية مظهرًا كفاءة وجدارة عملية مما جعله أقرب مساعد ورفيق لملا مصطفى، إذ في حالة غياب الأخير بإمكان السلطات الاعتماد على قابليات الشيخ سليمان.

فيما بعد حصلت خلافات عميقة بين ملا مصطفى وشيخ سليمان، أدت إلى محاولة لإغتيال واحد من مؤيدي شيخ سليمان هو البطل المعروف صالح كانيالنجي، إذ تعرض ليلاً لعملية إغتيال لكنه نجى بأعجوبة من موت محقق. ولا يزال الغموض يكتنف هذه الخلافات المؤلمة.

وورد في المذكرة: «اننا نطلعكم على هذه الوقائع بصفتكم أبا وقائداً للشعوب الشرقية، واتمنى كثيراً ان يتحقق أملى في رؤية قائد الشغيلة العالمية الرفيق ستالين لأرسم له صورة من مآسي الشعب الكردي».

تجاوبت السلطات مع بعض مطالب المذكرة، فتم جمع البارزانيين إلى موقع خاص بغية إجراء تدريبات عسكرية. دامت فترة التدريب العسكري السوفيتي تسعة أشهر ونال المتفوقون تدريباً أعلى بمستوى ضباط أو ضباط الصف. لكن دون تكليفهم بواجب، وتوقف التدريب العسكري فجأة بعد سنة واحدة.

خلال السنة الأولى من هذه الهجرة، لم يتمكن البعض من البارزانيين التآقلم مع الغربة، فعاد إلى مناطق بارزان أربعة من قرية (ارگوش) وواحد من قرية (زرارا) إلى أراضي بارزان، وقد عبروا نهر آراز من جديد، واستغرق وصول ميرخان زراري الذي غادر لوحده أكثر من ستة أشهر، كان ابن أربع عشر ربيعاً — وكان ينتقل من قرية إلى أخرى متظاهراً بالبحث عن عمل كراعي غنم، إلا أن وصل مسقط رأسه، لكنه بقي مشرداً في الجبال حين الاطاحة بالنظام الملكي عام ١٩٥٨.

وجدت من الضروري قول كلمة تتعلق بهذه المذكرة وذلك إمانة لوقائع التاريخ ولتفادي الوقوع في فخ الدعاية غير المسؤولة، إذ ورد في المذكرة ما نصه:

«في العام ١٩١٤، قام اخي الشيخ عبد السلام بتوزيع الاراضي الزراعية على الفلاحين توزيعاً عادلاً متساوياً، وبقي الحال كما رسم له الى الآن.....الخ»

الواقع كان شيخ بارزان (عبد السلام) في بداية عام ١٩١٣ يواجه الجيوش التركية الغازية، واضطر مع العديد من البارزانيين الى التوجه نحو مناطق شنوى - إيران - ولم يكن موجوداً في بارزان عام ١٩١٤. حيث كان قد قبض عليه غدرًا وصدر عليه حكم الاعدام شنقاً في كانون الاول ١٩١٤. لذا لم يكن هناك مجال للإهتمام بتوزيع اراضي على الفلاحين في عامي ١٩١٣ - ١٩١٤.

وفقرة اخرى تستدعي التصحيح حيث ورد فيها:

«القبيلة البارزانية - التي هي بعهدتي ومسؤولتي - هي واحدة من القبائل الكبيرة في كردستان، وتأريخها في النضال من اجل الحرية والتقدم طويل. ففي عام ١٨٩٤، قاد اخي الفقيد الراحل الشيخ عبد السلام انتفاضة هذه القبيلة ضد الحكم العثماني المتسلط ايام حكم السلطان عبد الحميد الثاني. فقد اسس ايام وجوده في استنبول العاصمة، منظمة سرية هدفها النضال من اجل تحرير الشعب الكردي. وقد نشطت هذه المنظمة ولقيت تعاوناً ومشاركة من سائر القبائل الكردية.....الخ»

حسب المصادر البارزانية وغير البارزانية لم نعرف ابداً ان الشيخ عبد السلام زار استنبول وشكل جمعية سرية ولم نسمع بانتفاضة بارزانية عام ١٨٩٤ ضد السلطان العثماني. ففي العام المشار اليه كان شيخ محمد والد شيخ عبد السلام لا يزال حياً يرزق وبعهدته جميع أمور المشيخة ووافته المنية عام (١٩٠٢؟) حسب ماورد على لسان عدد من المعمرين في منطقة بارزان، ولم يتسلم عبد السلام عهدة المشيخة الا بعد وفاة والده واغلب الظن جاء هذا الاقحام الخيالي بهدف تضخيم الاشياء لترك انطباع ايجابي لدى المعنيين، وقد لاحظت للأسف انه تم اضافات من هذا النوع الى تأريخ ملا مصطفى نفسه بعد وفاته عام ١٩٧٩. وأياً كان مصدرها فهي ملفقة.

كما ورد في كلمة اخرى القاها ملا مصطفى في ١٩٤٨/١/١٩ في اجتماع هام في باكو:

« كما قامت في ١٩١٨ انتفاضة الشيخ احمد البارزاني بدعم وتأيد وتوجيه حزب (وحدة الجبهة الوطنية) ». ص. ١٨٥ - ١٨٦.

كل هذه العبارة موضع استغراب، اذ لم اسمع اطلاقاً بانتفاضة في العام المذكور وانه وجد حزب تحت الاسم المذكور قاد الانتفاضة البارزانية! ولذا نحذر المهتمين من المؤرخين الملتزمين عدم الوقوع في فخ التزوير وأن لايفتح المجال لتقديم تاريخ مزور للامة الكردية كما يشتهي ويعمل من أجلها بعض القادة الكورد.

بارزان: الأرض المستباحة

بعد دخول شيخ بارزان السجن في ٢٦/٤/١٩٤٧ والحكم عليه بالاعدام من قبل سلطات بغداد، ظن الكثيرون انه سيلقى مصير سلفه الشيخ عبد السلام. ثم نفت الحكومة جميع أفراد العائلة البارزانية الى المدن الجنوبية من العراق: كربلاء والبصرة. وساقوا الآخرين الى المنفى أو وزعوا على قرى كردية في أفضية شيخان ومخمور وكويسنجق. وألقي القبض على أكثر من ألف بارزاني، وهو أكبر عدد من البارزانيين يدخلون السجون العراقية دفعة واحدة في الموصل وكركوك واربيل (هولير). لقد تم إنزال عقوبة جماعية بكل قبائل بارزان دون استثناء.

اظهرت الحكومة العراقية قصر نظرها باصدار حكم الاعدام على الضباط الكرد الاربعة، وذكر لي شهود عيان ممن تسنى لهم زيارتهم في السجن، انهم كانوا مكبلين بالاغلال الثقيلة وقد فقدوا من وزهم، وكتب هؤلاء بعد ان ابلغوا بحكم الاعدام وصيتهم الاخيرة الموجهة الى الشعب الكردي وهي عموماً ذات شقين:

أ. دعوة الشعب الكردي الى الاتحاد ومواصلة النضال من اجل التحرير.

ب. ان لا يتبع الشعب الكردي الجهالة بل يحاربها بكل قواه.

يتضح من وصيتهم ان هؤلاء الضباط حذروا الشعب الكردي من الطاعة لقيادة جاهلة. ولم يتم قياديو الحزب الديمقراطي الكردستاني بواجبهم في ايصال هذه التوصية الى الشعب الكردي حسب مقتضيات الامانة، وهم أنفسهم لم يعيروها الاهتمام الكافي، ولكن المؤسف ان هذه الوصية استخدمت في فترات الصراع الداخلي التي عصفت بقيادات الحزب الديمقراطي الكردستاني في فترات مختلفة.

وجاء هذا التحذير من الضباط الاربعة الى الشعب الكردي قبل ساعات من تنفيذ حكم الاعدام وهو يدل على منتهى الشجاعة والاخلاص وقد وضعوه في إطار ذكي، اذ مع تحذير الشعب الكردي في عدم الانصياع لقيادة غير مؤهلة والذي يعكس مرارة تجربتهم، لم يذكرها بالاسم لكي لايسعدوا حكومة اصدرت حكم الاعدام عليهم.

واجه هؤلاء الضباط الموت بشجاعة نادرة وهم بهذا الموقف أصبحوا رمزاً للتفاني وموضع فخر للأمة الكردية برمتها. وتم اعدامهم في ١٨/٦/١٩٤٧ في بغداد.

أما فيما يخص حجي طه آميدي فقد حوكم مع عدد من أنصاره بالسجن المؤبد. وصودرت جميع ممتلكاتهم. وصدر الحكم بالإعدام على صالح عبد العزيز واحمد عبد اللطيف ومصطفى طاهر آغا وسعيد طاهر آغا — مات في السجن — وجميل بهاء الدين وسعدالله أمين وداوود يوخنا. اما النساء والاطفال فقد عادوا من ديانا الى العمادية، وأضطروا الى دفع أجور للحكومة للسماح لهم بالسكن في منازلهم المصادرة ودفع أجور للعمل في الحقول المصادرة. وتفادى الناس زيارتهم خوفاً من السلطات.

وحكم بالسجن المؤبد على سعدالله أمين وابابكر سعيد واسماعيل محمود ومرخاي يوخنا ومحمد صديق علامة وعثمان لطيف وأحمد زينل سبينداري ومحمد زهري وحسين سبينداري وخال اقدل وأحمد إلياس. أما نعمان أمين فقد تعرض الى السجن والمنفى مراراً.

وفي معسكر ديانا لم يبق من أفراد القبائل البارزانية سوى النساء اللاتي فقدن كل معيل وقلة قليلة من الفقراء الرعاة مع ماتبقى من الاغنام والماعز اخلت الحكومة سبيلهم، وعادوا الى قراهم المهدامة. لقد تمزقت العوائل شر تمزيق، فكنت تجد أفراد نفس العائلة اما مسجونين في السجون العراقية أو أحد أفرادها لاجئاً في روسيا. ومن المؤكد أن مصير الفئة التي عادت الى اراضي بارزان كان الأسوء على الاطلاق.

من الصعب إعطاء رقم دقيق لمجموع البارزانيين الذين عادوا الى أراضي بارزان لعدم وجود إحصاءات في هذا الحقل، لكننا قد لانجافي الحقيقة كثيراً، إذا ما اعتبرنا ان عدد الذي عادوا

الى مناطق بارزان ومعظمهم من النساء والاطفال لم يتجاوز الـ ٢٠٪ من أصل (١٠٠٠٠) ألف شخص غادروا بارزان الى كردستان - إيران - في شهر تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩٤٥. وقد لفت نظر معظم الاجانب الذين زاروا تلك المناطق ندرة السكان في قرى بارزان، منهم البريطاني Lee Dinsmore والامريكي William Eagleton.

يشير ارشيف بريطاني الى ندرة الناس في القرى والارياف فيقول:

إن مايعت على الدهشة خلال هذه الرحلة القصيرة - رحلة قام بها Lee Dinsmore في ٢ الى ٥ من شهر آب / اغسطس من عام ١٩٥٣ أي بعد ستة أعوام من عودة الاقلية البارزانية الى أراضيها - هو ندرة الناس، القرى مهذمة والارتباط بخطوط المواصلات الرئيسية وبالنشطة التجارية نادر. «ان هذه الظاهرة مرتبطة بالإحساس بالانفصال وتساهم الى حد كبير في ولادة شعور لدى السكان بأنهم ليسوا جزءاً من العراق.....وحديثاً سمحت الحكومة بعودة الاكثرية من المنفيين الى قراهم، انهم فقراء، ولايملكون غير الجبال وتغلب عليهم المرارة.... لقد عاد محمد آغا الى القرية الصغيرة ميرگه سور في العشرة أيام الماضية. وفي القرية مركز شرطة فيه ٣٠ شرطي، لكن لم يبق في القرية شيء سوى ثلاثة أو اربعة منازل. وقد عبر لي بصراحة عن الحاجة الى مساعدة الاكراد، وقال انه لايملك نقود ليبدأ بالعمل الزراعي.....»^{٢٩٣}

ويذكرالقنصل الامريكي السابق في إيران William Eagleton الذي زار بارزان هو الآخر والتقط صور للقرية عام ١٩٥٥: «لا شك ان بارزان احرقت مرات عديدة، لكنها عانت هدماً كاملاً بعد سقوط جمهورية مهاباد...كنت مهتماً بالبارزانيين أكثر فقد كان لإسم ملا مصطفى صدى في ذلك الوقت. وقد تردد محمد آغا ميرگه سوري وابنه في التقاط صور لهم على خرائب منازل البارزانيين، إذ لأحد يستحق ان يأخذ مكانة شيوخ بارزان."

²⁹³ Kurdistan in the Shadow of History. Susan Meiselas. Random House New york. page: 200

²⁹⁴ . Ibid page:201

فعلى سبيل المثال، في قرية (كانيا ديري) أعادت النساء بناء أكواخ على أنقاض المنازل القديمة وعملن في الحراثة ورعي الأغنام، في حين كان الجوع يهددهن وكن عرضة للانتقام الأغوات الحاقدين على بارزان وقيمها الروحية واذ يعلمون ان لا أحد سيدافع عنهن فتمادوا في الظلم والسلب والسرقات ولم يرحموا أحداً كما سنرى.

كانت قوات الشرطة العراقية قد أعادت بناء مراكزها في معظم القرى البارزانية الهامة وأحكموا قبضتهم على الاهالي وكان هناك (حلف غير معلن) مؤلف من الاغوات والشرطة، وكانوا هم الحاكمين الفعليين. كانت المنطقة برمتها ارضاً مباحة يمارس فيها الاغوات الظلم والاستغلال والانتقام من البارزانيين الذين عادوا الى موطنهم. وهنا نذكر القليل من هذه المظالم لكي يعرف القاريء كيف عاش البارزانيون تلك الفترة السوداء من تأريخهم.

عادت (حفصة خان) أرملة (ولي به گ) مع ابنتها (أحمد) وبنتها (رقية) وشقيقة زوجها (حليمة) وزوجة ابنتها (آيشى مع بنتها الصغيرة) الى قرية (ريزان) الواقعة على حافة نهر (روكوجك). وكان زوج (حفصة خان) قد استشهد في مخفر مبرگه سور عام ١٩٤٥ — كما نوهنا في الفصول السابقة — عادت وبنت كوخاً لها في القرية، وفقدت الأم كل أثر لابنتها الأكبر (سعيد ولي به گ) أحد القواد البارزانيين المعروفين ضمن المجموعة البارزانية التي التجأت الى روسيا. كانت العائلة مؤلفة من أربع نساء وشاب واحد. وكان البارزانيون يحترمون هذه العائلة التي قدمت العديد من الشهداء، وكان أحمد رغم صغر سنه، — دون السابعة عشر عاماً — ذكياً مهتماً بشؤون الناس وحريصاً على مواساتهم. أرادت امه تزويجه لكي يخلف وريثاً، فطلبت يد فتاة من قرية (صفتي) في منطقة نزار، فقبلت الفتاة وأهلها تزويجها، وكان الوقت صيفاً قائظاً، ونام العروسان على سطح البيت، وقبل انتهاء اسبوع على الزفاف، أرسل أغوات الزيار مفرزة خاصة. صعد رجالها على سطح البيت خلصة وقتلوا بالرصاص الشاب (أحمد) وهو في الفراش مع زوجته. وعندما استفاقت والدته وعمته على صراخ وبكاء الزوجة، صعدن الى السطح، لكن العصابة كانت قد غادرت، وكان أحمد ينزف دماً غزيراً وقد فارق الحياة. ولم يتحقق حلم والدته في ان يخلف ابنتها وريثاً. لقد ساد حزن

عميق مصحوباً بالسخط في أوساط البارزانيين سواء في المنفى العراقي أو في قرى بارزان، وتألّم شيخ بارزان وهو في غرفة الاعدام في البصرة عند علم بالنبأ. وبقيت السلطات الحكومية لا تحرك ساكناً وكأن شيئاً لم يكن. وكان على الام الثكلي ان تكتم حزنها، وبمقتل (احمد) لم يبقى في العائلة غير النساء.^{٢٩٥}

وفي قرية بارزان نفسها، حيث توجد سلطة حكومية مدنية، كان العجوز البارزاني (بابيزدين) يعتبر ممن يتمتعون بالاخلاق البارزانية الاصيلية. وكان شجاعاً لا يخاف. فأرسل أغوات الزيبار عصابة وضعت له كميناً في (شيغا دلان) جنوب بارزان، وكان (بابيزدين) الهرم على ظهر دابته يعود من دلان الى بارزان. وقتلته بالرصاص. ولم يعرف ابنه (ملا حسن) بمقتل والده إذ كان لاجئاً في الاتحاد السوفيتي.

لقد شكّلت أعوام الثلاثينات والاربعينات والخمسينات مرحلة تاريخية حاسمة في المجتمعات الشرق أوسطية، ضمنها المجتمع الكردي، إذ ساد فراغ كبير في الحركة التحررية الكردية. فالجماهير كانت تتشوق الى الانعتاق والتحرر. كان هناك دور يبحث عن بطل. وهنا تكمن الخطورة، فنظراً للاحتلال العسكري وحرمان الشعب الكردي من حقوقه وحالة الاضطهاد والنظرة الشوفينية الاستعمارية والشعور العميق بالذل والمهانة لدى الجماهير الكردية، والتي كانت تتقرب وتنتظر بروز (القائد المنقذ). تعتبر هذه الحالة خطيرة جداً في حياة الشعوب، خاصة الشعوب التي ينقصها الوعي السياسي وحيث تنفشي الأمية. في هذه الحالة قد تنجر الشعوب وراء شخصية ذكية يرتدي عباءة القومية فتتقاد له كالقطيع، تمجده وتعظمه بأغانيها وزغاريدها وتصبح أداة طيعة اعتقاداً منها بأنه يعمل بإخلاص على إنقاذها من حالة الذل. كما إن القائد الانتهازي الذكي يتمكن من استغلال حالة الجماهير هذه لمصالح ذاتية ويبيني أمجاده وبطولاته فوق أكتاف آلاف الضحايا من أبناء الشعب.

يجد المضطهد دائماً سعادة في رؤية مضطهديه وقد أذلوا. لقد ذاع صيت عدد من الأكراد لكونهم قتلوا أفراد من الشرطة الذين ساموا سكان القرى صنوف العذاب، ولأدوا بالفرار إلى

الجال، وكان القرويون يقدمون لهم كل ما يحتاجونه من طعام، اعترافاً بفضلهم في الثأر لهم. والشرطي كان يعكس سلطة الحكومة المركزية وهيبتها وظلمها. وسرعان ما قامت الجماهير بتأليف الأغاني المفرطة في المديح لهذا (المنقذ) وتمتع هؤلاء بشعبية كبيرة من بينهم (خوله بيزه) في أطراف السليمانية. إن مجرد ضرب رموز السلطة في حد ذاته كان يعتبر من الأعمال البطولية والتي تثير حماس وإعجاب الجماهير، ولم يكن هناك أي اهتمام بالنوايا والدوافع الحقيقية لـ (قاتل البوليس) فقد كان القضاء على شرطي كاف لوحده نيل التقدير الشعبي. نفس هذا النمط من الاستعداد الذهني للانبهار كان سائداً على النطاق السياسي في المجتمع وضمن الأحزاب السياسية الكردية والعربية.

وفيما يخص الوضع العام في أماكن أخرى من كردستان يقول تقرير بريطاني: «لاتشير التقارير عن تدهور جدي في الوضع الأمني في لواء اربيل، بينما استمر اضطراب الأوضاع في مناطق بنجوين وچوارتا من لواء السليمانية نتيجة لأعمال قاطع طريق يدعى (خوله بيزه). منذ ثمان سنوات وهذا الرجل مختلف في الجبال ويعزى إليه قتل ١٠٠ شرطي إضافة الى عدد من المدنيين. وقد بذلت السلطات العراقية جهداً كبيراً للقبض عليه ولتوهِ امسكت بشقيقه وعدد من النساء التابعات له، لكنه استطاع النجاة دوماً بسبب الدعم الذي يلقيه من القرويين وقربه من الحدود الإيرانية. ويعتقد ان شيخ لطيف وشيخ بابا علي، ولدي شيخ محمود زعيم الانتفاضات في اعوام ١٩١٩، ١٩٢٣، ١٩٣٠ يحمونه. بدأ خوله بيزه في عام ١٩٤٩ يحظى باهتمام يتجاوز الاهتمام المحلي، خاصة بعد مقتل أحد القضاة على طريق بنجوين في شهر أيار/مايو عام ١٩٥٠ فمنجزاته حديث رئيسي في لواء السليمانية والناس معجبون به كـ (روبن هود) كردي. وقد عانت هيبة الحكومة جراء أعماله.»^{٢٩٦}

كان من الممكن ان يتحول خوله بيزه الى بطل قومي لو التفت حوله العناصر الحزبية المثقفة وقامت بدعاية واسعة له ولو كان هو شخصية ذكية وله عشيرة موالية ولو تبني المطالب

²⁹⁶ FO: 371 182 000 XC: 132 947. British Embassy Baghdad. 2nd October, 1950. Secret. No: 218.

القومية لشعب كردستان. لكن خوله بيزه كان شخصية بسيطة لا تهتم بالسياسة، وكان الاعجاب به واحترامه نتيجة للمقاومة التي ابدتها ضد رموز سلطة غاشمة تذلل الشعب وتضطهده. ولم تكن الاحزاب الكردية قادرة على التحالف معه لضعفها المفرط بعد إختيار جمهورية مهباد وتفرق شمل القوات الكردية واستسلامها والتجاء البارزانيين الى آذربيجان السوفيتية. كل هذا أبقى خوله بيزه في إطار محدد.

لا شك أن الاضطهاد أينما حل يستدعي مقاومته، ويبدو أن الأرشيف البريطاني يقرب نموذج ملا مصطفى من نموذج خوله بيزه، ويشير أرشيف بريطاني وهو بمثابة رد على ماورد في الصحافة العراقية من مبالغات فيما يخص القضية الكردية: «الاشارة رومانسية فيما يخص (الجنرال) بارزاني. لقد استطاع ملا مصطفى جمع مجموعة وحشية شجاعة تضم بعض الساخطين، وباستغلاله تضاريس المنطقة الوعرة استطاع مقاومة قوات الشرطة والجيش لمدة طويلة. أما قاطع الطريق خوله بيزه فانه منذ فترة يقاوم قوات الشرطة في جوارته. وهل سنشهد في المرحلة القادمة (جنرال) خوله بيزه؟ وأكرر انني لم اسمع باشتراك RAF في العمليات ضد ملا مصطفى، وفيما يتعلق بالخمسة آلاف رجل الذين رافقوه الى آذربيجان السوفيتية كما زعم، قد يكون حتى هذا العدد مبالغاً فيه».^{٢٩٧}

ويشير الارشيف الى أن ملا مصطفى التجأ الى روسيا ليس حباً بها انما اضطراراً: «الحقيقة كان عليه ان يختار بين الموت أو روسيا»²⁹⁸.

باختصار بلغ عدد قتلى البارزانيين بيد عصابات الاغوات المعادين لقيم بارزان الثلاثين قتيلاً، كلهم كانوا مدنيين بلا سلاح، قتلوا اما في منازلهم وهم نيام أو خلال كدحهم في حقولهم أو بصحبة قطعانهم. وتحولت اراضي بارزان الى مسرح لأعمال النهب والسلب والحكومة غير مهتمة بما يجري. كان البارزانيون في نظر الاقطاعيين يستحقون هذه المعاملة. ومن الجدير بالذكر ان شيخ رشيد لولان رغم خلافاته مع البارزانيين لم يقيم بأعمال انتقامية ضد البارزانيين كما كان يفعل أغوات الزيار.

²⁹⁷ FO.371/82000 XC/ 132947

²⁹⁸ FO.371/82000 XC/ 132947

وفي قرية (كولكا) عندما آن وقت إلتقاط حبة السسي، في نهاية ربيع عام ١٩٥٢ غادر القرويون الى الجبال للعمل، ضمنهم فتيات القرية، وكان قد كمنت عصابة من السورجيين في طريق هؤلاء القرويين من كولكا، فأختطفوا فتاة إسمها (نسيما) لاتزال حية ترزق، فجروها عنوة.. وأخذت هي تتوسل بالقرويين أن يهرعوا الى نجدتها. لكنهم لم يجرؤوا على منعهم من إختطافها. من ضمن هؤلاء الرجال، صالح كولكي لم يمالك نفسه أمام هذا الاعتداء الصارخ. فحمل بندقيته المخفية. وكمن لهم في الطريق. والفتاة تصرخ وتبكي، والمختطفون يجرؤنها ويضربونها. صرخ فيهم ان يتركوا الفتاة لحالها لكن العصابة لم تهتم بتحذيراته، وهنا أطلق صالح كولكي رصاصة أصابت رئيس العصابة فأردته قتيلاً ولاذ الآخرون بالفرار، وعادت (نسيما) الى أهلها، لكنها إنتقلت مع أمها الى قرية أخرى بعيدة عن كولكان خشية تكرار الاعتداء.

وكان قد التجأ الى الجبال محمد حكيم هوستاني لكن دوافعه كانت تختلف ولم يكن من طراز ونبل صالح كولكي، وأيضاً جيج بالندي، كان وجودهم في الجبال رادعاً الى حد ما أمام تمادي المعتدين.

وبقي صالح كولكي شريداً في الجبال مثل ما رواه الروائي يشار كمال ذو الشهرة العالمية في روايته الرائعة (مد النحيف)، وبقي طريد العدالة الى أن انهار النظام الملكي عام ١٩٥٨. كان انساناً خلوفاً ونبيلاً لا يقبل الضيم وحريصاً على الدفاع عن كرامة البارزانيين ان تعرضوا للاعتداء. وكان لوجوده في الجبال أثر في تخويف الأغوات من التمادي في الظلم. (خوله بيزه) في مناطق السليمانية كان يقوم بنفس الدور لوقف أعمال التجاوزات بحق المساكين من أبناء القرى. يذكرنا هذا بظاهرة (روبن هود) في المجتمع الإنجليزي في القرون الوسطى، واشتهر بشجاعته وفروسيته وبإسراعه إلى مساعدة المحتاجين ومناصرة المظلومين عندما يكونون في حال خصام مع الأسياد الذين يستخدمون السلطة بطريقة غير عادلة ولا شرعية. ربما هذه الظاهرة موجودة في كافة المجتمعات في مراحل معينة من تطورها التاريخي، وقد كانت هذه الظاهرة، _ سلطة اقطاعية ظالمة وحكومة متواطئة وفلاح فقير يثور ضدها - موضع اهتمام

الروائي العالمي المعروف يشار كمال في روايتين (ممد النحيف) و (ممد الصقر) ولاقت رواجاً كبيراً وترجمت الى العديد من اللغات الأوروبية والعالمية.

تواصلت عمليات قتل الرجال في مناطق بارزان، وكان الهدف منع بروز أية شخصية تكون مرجعاً يلتف حوله البارزانيون. لقد كان ملا حبيب بيداروني شخصية ذكية، فوضع الاغوات له كمينا قرب قرية بيدارون وقتلوه بالرصاص. وكان اثنين من أولاده في الاتحاد السوفيتي.

اضافة كانت مخافر الشرطة في المنطقة البارزانية تشكل عبئاً إقتصادياً ثقيلاً على كاهل الفلاحين والرعاة. فقد اعتاد الشرطة كيل الاتهامات جزافاً ضد بعض القرويين و ثم إعفائهم من العقوبات إذا ما قدموا أغنامهم أو نقوداً أو ألبان حيواناتهم أو عسل نحلهم. وكانت مفارز الشرطة تجول القرى وتفرض إقامة اللوائم وكثيراً ما أوقفوا واحتجزوا في مخافهم رجال القبائل بتهم إخفاء السلاح، ناهيك عن الشتائم والاذلال، ولا يفرج عنهم الا بعد تقديم رشاي من ذويهم.

وفي قرية آسته، ونظراً لصعوبة بناء اصطبل لحيواناتهم، فقد التجأ عدد من الرعاة الى الكهوف لقضاء فصل الشتاء. وكان الاطفال يعتنون بالقطعان في احدى الكهوف المعروفة المطللة على نهر (روكوجك) يسمى كهف (فقي عبد الرحمن) نسبة الى البطل البارزاني الذائع الصيت ابان عهد شيخ عبد السلام، والكهف يوفر الدفء للرعاة والقطعان فصل الشتاء ويطل على وادي (سيل) العميق الغور. وفي احدى الليالي أغلقت عصابة مسلحة مؤلفة من ثمانية رجال باب الكهف، في حين دخل عدد منهم الى الداخل، وفاجأوا الصبية بالضرب والتهديد بالقتل وساقوهم خارج الكهف ثم ربطوا أيديهم وشدوهم الى جذع شجرتين وقالوا لهم: لو سمعنا صراخاً منكم سنقذفكم الى قعر الوادي. ثم عادوا الى الكهف واختاروا (٢٥) رأساً من خيرة القطيع، ثم تركوا الصبية مشدودين، وقبل المغادرة قالوا للرعاة: نحن هنا خلف هذه الصخرة نراقبكم، ان حاولتم الصراخ أو الافلات سوف تقتلون بالرصاص. ثم كانت عبارة الاستهزاء الاخيرة: أنتم لاتعرفوننا... لكن لاشيء يغيب عن شيخ بارزان انه كاشف الاسرار... كانوا يقهقهون ويسخرون. كان الرعاة الصبية يبكون خوفاً وهلعاً. وبقوا مربوطين

الى جذع الشجر حتى طلوع الشمس في اليوم التالي. وعندما اقتربت ساعة الظهر، كانت قرية آسته تنتظر رجوع الرعاة لأخذ الطعام لليوم التالي، لكن لم يظهر الرعاة، فبدأ القلق يساور آبائهم، فخرج البعض الى أطراف الكهف، فوجدوا ماتبقى من القطيع تائهاً مشتتاً دون رعاة، فأخذوا ينادون بصوت عال مرددين أسماء الرعاة فسمع ذلك الراعيين المشدودان، فنادوا بأنهم لا يستطيعون الحراك، فجاءهم القرويون وفكوا رباطهم. وعلموا ان اللصوص نهبوا القطيع.

ولترك الكلام لعمر بيرى الذي تعقب الحادث:

«كنت أعرف أن أغوات الزيار هم الذين قاموا بهذا العمل، لكن تقديم الشكوى ضدهم الى الحكومة كان بلا فائدة. لذا فضلت متابعة الامر بنفسى، علمت من الآثار أين أقتاد اللصوص الاغنام، فعبرت النهر مع شقيقي حسين والتقيت (بشوكت آغا) الذي كان متعاطفاً مع بارزان في قرية (بيراكه برا)، قال لي:

«ليس لدي علم بذلك، لكنني أظن أن هذا من عمل الأغوات خلف جبل بيرس.»

فتركته ووصلت الى قرية (هوكى) حيث يسكن (أحمد آغا زيارى) وأهديت له رأس غنم وشرحت له على انفراد ما حصل، فرد:

«لا أعلم شيئاً حول الحادث لكنني سوف أحقق في الموضوع، انني أغادر اليوم الى الموصل.»

فتركته وذهبت الى قرية (نباخي) حيث يسكن (محمود آغا الزيارى)، أهديته رأس غنم، ورحب بي كثيراً وحلف بأغلظ الايمان بعدم علمه بالحادث، لكنه وعد بكشف اللصوص.

وبما ان قريتي كانت بعيدة فلم أستطع العودة فقد كان الوقت متاخراً، جاء الآغا الى الديوانخانه وجلسنا حتى وقت متأخر من الليل، ثم غادر (محمود آغا) الى البيت، ولم يبقى في الديوانخانه غير اربعة من الخدم. إضطجعنا أنا وشقيقي حسين للنوم، لكن الخدم لم يناموا، وبدأوا بالحديث عن المغامرات وأعمال النهب والسلب التي قاموا بها في القرى. كانوا

يتلذذون بحديثهم هذا. لفت انتباهي كلامهم، ولدهشتي بدأوا بالحديث عن سطوهم على قطع (عمر عباس آسته ي) وتكلموا بالتفصيل عما فعلوا والطريق الذي سلكوه مع الاغنام.. وكانوا لا يعرفون هويتي ويعتقدون بأننا نيام... قمت من النوم وجلست معهم فسألوني من أين أتيت... قلت أنا من الهركية - كنت أتكلم بلهجة الهركية فقلت: -

«إبتعت بندقية لخادم محمود آغا.. جئت لكي أحصل على ثمنها...»

إكتشف مقدم الشاي (جايجي) مايدور بيننا من حديث فأبلغ الآغا في نفس الليلة بإفشاء السر وأن حراسه الثرثارين لم يعرفوا (عمر عباس آسته ي) فقصوا عليه كل ما قاموا به.

في صباح اليوم التالي جاء محمود آغا الزبياري عصبياً ومهدداً:

«كيف تجرأت على القيام بهذا العمل في ديوانخاني. جئت للتجسس داخل بيتي، ليس من شأنك كشف اللصوص...»

قلت له:

«ان الله هو كاشف اللصوص.»

إزدادت عصبيته وأخذ يهدد بالقتل ويتفوه بألفاظ قدرة... لكنه كان مضطراً للقبول بإعادة عدد منها وأخذ أكثرها... وكان الشرط ألا أفشي الحادث لأحد وألا أقدم شكوى ضده للحكومة.²⁹⁹

كان محمود آغا قد عين نائباً في مجلس الاعيان في بغداد كي يكف عن السرقات وتلك كانت سياسة البريطانيين لاستمالة الأغوات، ومع هذا تمسك بأعمال السلب والسطو على قطعان الرعاة وظلم الفلاحين، وكانت قرى المسيحيين وقرى بارزان هدفاً مفضلاً له. وعانت قرى (دهفهري، كه شكافا، شولي، جهمى ستي، جهمى شرتا، سيانا، دهركهنا، آزاخا، آراموش، هيئتوت) من السرقات والاعتداءات المتكررة، كما قتلت عصابته كل من صادق

²⁹⁹ رسالة مؤرخة في ١٩٨٦/١/٦ من شهود العيان أنفسهم

شيخ سني وابراهيم محمد جندي، عند محاولتها السطو على قطعان قرية (هيتوت) إذ دافع هؤلاء عن أنفسهم وقطعائهم. كما تعرضت قرى (كانيا ميرا) و (جهلكي) و (باوانا) الى السطو وسرقة الاغنام. ٣٠٠

وتشير الارشيفات البريطانية بوضوح الى أعمال السطو والسرقات هذه:

«لقد تعرض قضاء دهوك الكردي التابع للواء الموصل خلال العام الجاري لأعمال لاقانونية متفرقة عكّرت صفو الامن. (...) كما أفادت شكاوى عديدة تتعلق بالغدر والاعتصاب قام بها محمود آغا الزبياري. (...) ومما تجدر الاشارة اليه هو ان متصرف الموصل كفوء بما فيه الكفاية لإتخاذ إجراءات رادعة لوقف هذا الملاك اللص رغم كونه عضواً في مجلس الاعيان.» ٣٠١

كانت قرى المسيحيين وقطعائهم في نمله هدفاً مفضلاً لعصابة محمود آغا الزبياري، وعرف عنهم قولاً ذا مغزى يعكس مدى معانات الرعاة من أعمال السطو على قطعائهم:

"لقطعائنا ثلاث أعداء: الأوبئة، الذئب، ومحمود آغا الزبياري.

لا يزال الفلاحون والرعاة في المنطقة يذكرون بإعجاب وإمتنان موقف سعيد قزاز متصرف لواء الموصل فقد عمل على وقف أعمال النهب والسطو التي كان يقوم بها الاغوات في بادينان، وفي احدى الجولات التفقدية اصطحب معه محمود آغا الزبياري وزارا شوكت آغا في قرية بيراكه برا. هنا بادر سعيد قزاز شوكت آغا بسؤال مقصود:

«أين هم أولادك الثلاثة؟»

. فرد شوكت آغا:

«فتاح في الحقل وبدر الدين يتفقد القطيع وخسرو في البستان.»

هنا التفت سعيد قزاز الى محمود آغا قائلاً:

٣٠٠ شهود عيان من نفس القرى المذكورة

٣٠١ FO: 371 182 000 XC: 132 947. British Embassy Baghdad. 2nd October, 1950. Secret. No: 218.

«هل سمعت ... كلهم منهمكون في أعمالهم العادية، يجب إتخاذ ذلك قدوة لك. كفى القيام بالسرقات، الا تخجل؟، بينما أنت وحسب الشكاوى التي تقدم ضدك، لست مهتماً بأي شيء سوى سرقة أغنام الفقراء. وقال بالكردية مهنتك هي (آغاي بز دز) ومعناها أنت «آغا سارق المعز»

وهدهد بالسجن مرة أخرى إن لم يكف عن هذه الاعمال.^{٣٠٢} واصل أغوات الزيار الانتقام من البارزانيين وكانوا يختارون الأشد اخلاصاً لشيخ بارزان لقتلهم ف (جيج بازي) المشهور، قتل أغوات الزيار أربع من أولاده واحداً بعد الآخر، واقتادوا والدهم جيجو الهرم وشده وسط بيدر كالشور ليدور برجليه العاريتين فوق اكوام الاشواك. كان جيجو هذا مغنياً شعبياً مشهوراً ومحترماً في الوسط البارزاني، كما تعرض أنصار بارزان في عقره إلى الإضطهاد ولم يتمكن العديد منهم العودة إلى عقره.

وفي مدينة البصرة، عندما سمح لأول مرة لعدد من أفراد العائلة البارزانية بزيارة ذويهم في سجن البصرة، انتظروا في قاعة خاصة حتى مجيء شيخ بارزان ورفاقه. وعندما جاؤا، كانت السلاسل الحديدية الثقيلة تشد أرجلهم وكانوا يحملونها بأيديهم وهم يتقدمون خلف شيخ بارزان، وأمام هذا المشهد انفجر الزوار في البكاء والنحيب ولم يتمالكوا أنفسهم، وهنا بادر صادق بابو، مازحاً:

«عليكم ان تشرحوا بمشاهدة هذه الاغلال التي تربطنا، فهذا دليل على اصالتنا، الا تعلمون ان الجياد الاصيلة يصعب السيطرة عليها، لذا ينبغي ربطها ربطاً محكماً.»

كان شيخ بارزان دائم القلق على تشتت البارزانيين في المنافي والسجون وتسلط الاغوات على الأقلية البارزانية التي عادت الى قراها. قصد عدد من البارزانيين شيخ بارزان وزاروه في السجن، وطلبوا منه أن يقبل بتسجيل أراضي تابعة لهم على اسمه، لكي يفوتوا الفرصة على مساعي أغوات الزيار تمليك أراضي في بارزان. وشرحوا له ضرورة قبوله بذلك. فكر شيخ بارزان، وبعد برهة قال:

^{٣٠٢} م. ف. ق. زيباري. وهو شاهد عيان.

«لا أجد حكمة في قبول ذلك. إنني أفهم قلقكم، لكن ما أخشاه هو بعد غيابي، قد يدعي أولادنا بملكية هذه الاراضي، ولذا أفضل تفادي ذلك.» رفض شيخ بارزان إقتراحهم، إذ كان يريد حماية الشعب من أي إنحراف قد يحصل لدى أولاده، وقد أحبه الشعب لتفانيه وصدق علاقاته بهم، وحرصه على حمايتهم من جور قد يحدث في المستقبل على يد أفراد من عائلته. قضى شيخ بارزان سنوات السجن الطويلة في قراءة القرآن والصلاة والصوم، وكان شديد الاهتمام لكي لا يفقد البارزانيون معتقدتهم وخصوصيتهم أو الوقوع في شباك اليأس. فأوعز الى عدد من كوادر الطريقة والعارفين بتراث بارزان، بالعمل في الوسط البارزاني آخذين في الاعتبار الظروف السرية لهذا النشاط. وشمل هذا:

أ. بث مبادئ الطريقة في صفوف المنفيين من البارزانيين.

ب. بث مبادئ الطريقة بين السكان في مناطق بارزان.

وكان هناك كادر كاف للقيام بالمهمة. وقد برز في مناطق بارزان عدد من المریدین اعدادوا ثقة الشعب بتغير الاحوال مستقبلاً وان حالة الظلم والقهر لن تدوم. وكان هؤلاء من اصحاب الفضائل والاخلاق العالية، وموضع ثقة الشعب التامة. من ضمنهم حسن حاجي دوري، محمد دوري، نبي زراري، شيخ أومر زراري، حس بيداروني، مامد كانيا ديري، عبد الرحمن بيري، حسين بيري، عمر عباس بيري، مام هاج وشقيقه جهرخو ماميسكي، محو تاتكي، نبي تاتكي، ره شو بيخشاشي، ره شو خال همزه شيخ سيدي، عبد الله ملا شيني، حه م كوركه ي. هؤلاء حافظوا على الوحدة البارزانية وأغنوها بتعاليمهم. وبصلاية اخلاقهم اعدادوا للبارزانيين الامل بالنصر. التقيت بالعديد من البارزانيين الذين عاشوا في تلك الظروف الصعبة وبالاجماع ذكروا الاهمية القصوى لهذه الصفوة من كوادر الطريقة في بث روح التضامن والصبر على المشقات.

كما برزت فئة اخرى أوكل امرها الى خورشيد وهو ابن اخت شيخ بارزان، وكانت مهمتها تتركز أكثر على البارزانيين في المنافي والشتات. ومن خلال هذين الاتجاهين اللذان يلتقيان في الولاء لشيخ بارزان تم ضمان حفظ القيم البارزانية وصيانتها من الانحلال.

والجدير بالذكر، ان عدداً من المتشربين بالتراث البارزاني كانوا ضمن المجموعة التي التجأت الى الاتحاد السوفيتي، وكان لهم دور كبير في الالتزام بالقيم البارزانية، منهم: محمد شاكر بارزاني، إبراهيم ره ش دولمري، طه ره ش بيروخي، گورگو حسين بابكي، مالخو شاندري، يوسف صفتي، عارس بيداروني، شكر سيلكي، حسن سيلكي، عبد الله مركى بارزاني، مه لحه م وه لات ژيري، على آغا خيرزوكي، ابراهيم شيخو ليري، مراد بڠياني، سين ليرييري، وصالح كانيالنجي. هؤلاء كانوا يذكرون البارزانيين الشباب بماضيهم ومعتقدهم. وقد كانوا موضع احترام كبير.

ولابد هنا من ذكر شيء عن أخلاق البارزانيين في هذه الفترة العصيبة، والقصة التالية تعكس بصدق الروابط البارزانية الداخلية. دورى قرية بارزانية تقع على هضبة عالية يحدها من الشمال جرف عميق الغور، عادت العوائل القليلة من ديانا الى القرية وأعادوا بناء أكواخهم. ونظراً لشحة الطعام فقد لجأ البعض الى الصيد. وقام حسن دوري بصنع عدد كبير من الفخاخ لصيد الحجلى ونصبها في المنحدرات المطلّة على وادي دورى. وفي كل صباح كان يعود وكيسه مليء بالحجلى. وعند وصوله الى المنزل في القرية كان يوزع بالتساوي على جميع القرويين، تماماً كما كان يوزع على أعضاء أسرته. لقد كانت القرية قليلة العدد. وظل يعمل ذلك لبرهة من الزمن.

وفي إحدى الأيام كعادته، أتى بكيسه وأخذ يوزع الحجلى على الجميع دون إستثناء. هذه المرة قالت له زوجته مريم، ألا ترى أن الطعام شحيح وانت لديك أطفال، لماذا لا تحتفظ بالحجلى لنا، وإذا ما أراد القرويون أكل الحجلى فما عليهم إلا صنع فخاخ ونصبها كما تفعل أنت.

إمتعض حسن دوري من هذا الموقف لزوجه وأعتبره أنانياً لا يليق بالبارزانيين. حزن ولم يقل شيء. وفي اليوم التالي غادر الى المنحدرات وعندما عاد الى القرية وضع كيسه وأخذ يوزع الحجلى على أعضاء أسرته دون زيادة. إندهشت زوجته وقالت له:

«أين البقية من الحجلى؟»

أجاب: «عائلتنا مؤلفة من ستة أشخاص وهذه ستة حجلى.»

ألحت عليه زوجته لكي يقول لماذا نقص عدد الحجلي هذه المرة خلافاً للمرات السابقة.
فقال:

« كانت الحجلي الزائدة رزقاً لجيراننا من أهل القرية، كل فرد له حجلي واحدة، لكنك لم تقتنعي بالقسمة المتساوية، ولذا لم تقع حجلي أخرى في الفخاخ لايحوز أن نطمع في رزق الآخرين.»

وظهر فيما بعد ان حسن دوري أخرج الحجلي الزائدة وأطلقها سالمة في الفضاء، ولم يأخذ ما زاد عن حاجة أسرته. عندها فهمت زوجته مريم المغزى العميق لرد فعل حسن دوري وعادت الى تأييد وجهة نظره، فأخذ يأتي بالحجلي من جديد ويقتسمها أسوة بين جميع أفراد القرية، كما لو كان الآخرون جزء لا يتجزأ من أسرته.

رغم الحر الشديد في سجن البصرة، لم يستخدم شيخ بارزان الثلج في شربه، وكان يرسل شقيقه بابو بانتظام، ويطلب منه ان يواصل ولديه (عثمان) و (نذير) قراءة القرآن وختمه.
كما كان يذكر عدم ثقته بالسلطات:

«اننا نواصل رجائنا الى الله وشكوانا اليه لا الى غيره.^{٣٠٢}

بعد سنوات في البصرة كتب صادق وعبيدالله رسالة الى الحكومة العراقية يطلبون فيها نقلهم الى الموصل، وفعلاً وافقت الحكومة على طلبهم فنقلوا الى سجن الموصل. وكان ذلك حدثاً هاماً اذ استطاع العديد من البارزانيين ومن المتعاطفين زيارتهم بمصاريف اقل. كانت حياة السجن رتيبة مملة ولتفادي ذلك قرر صادق وعبيدالله استغلال الوقت في التعلم والقراءة، ولم تكن الكتب ممنوعة على السجناء، فحصل صادق بابو على اعداد كبيرة من الكتب العربية والمترجمة من اللغات الاخرى واتفقوا اللغة العربية كتابة وحديثاً. وأعادوا قراءة البعض من هذه الكتب مرات عديدة. بينما نقلت الحكومة شيخ بارزان الى سجن بغداد ولم تسمح له بالاقتراب من كردستان. لكن كانت الزيارات منظمة الى جميع السجناء من العائلة البارزانية، سواء في الموصل أو بغداد. في حين كان جميع البارزانيين الذين سجنوا بعد استسلامهم عام

^{٣٠٢} رسالة موجهة الى شقيقه بابو مؤرخة في ١٩٤٨/٥/٩ من سجن البصرة. وموقعة (احمد البارزاني) والرسالة بخط يد صادق بابو.

١٩٤٧ قد أطلق سراحهم وكان معظمهم قد عادوا الى منطقة بارزان، للعيش في قراهم القديمة وهم يواجهون ضغوط من الشرطة العراقية وظلم الاغوات.

مثل كل من صادق وعبيدالله الجناح السياسي في العائلة البارزانية، وكان الزوار الذين يتصلون بهم هم من دعاة الحقوق القومية الكردية. كان العديد من الوجهاء في بادينان يزورونهم مثل عبد العزيز حجي ملو وقد ارتبط بعلاقات متينة مع بارزان حتى مقتله عام ١٩٥٩. والعديد من المتعاطفين من عقرو والشيخان يزورونهم. كان هناك نشاط سياسي محدد يتركز في كيفية مواجهة ظلم الاغوات في مناطق بارزان عن طريق تقديم الشكاوى للادارة الحكومية وبالاخص لدى المتصرفين النزيهين والذين يعطفون على الشعب.

ونظراً لسلوكهم المثالي فقد كان يسمح لصادق وعبيدالله بالزيارات وتديد ساعات الزيارة حسب رغبتهم وتم نقل اثنين من البارزانيين الذين بقوا في السجن الى نفس الردهة التي يسكن فيها صادق وعبيدالله وكانوا موضع احترام جميع مدراء السجن.

وفي ١٩٥٥/١٢/٤ صدرت الارادة الملكية بإعفاء جميع افراد العائلة البارزانية عما تبقى من مدة محكوميتهم، باستثناء شيخ بارزان الذي ظل في سجن بغداد بعد نقله من البصرة. وبعد الافراج عن صادق وعبيدالله، لم تسمح لهم السلطات بالبقاء في الموصل، انما نفتهم الى بغداد. وبالتدريج تم ايجاد العلاقات بين صادق وعبيدالله وقيادة الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان.

كان قادة الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان يعلقون آمالهم على الدعم السوفيتي وكانوا يطلبون من ملا مصطفى في رسائلهم بالحاح الاتصال بالمسؤولين السوفيت لتسهيل مهمة وفد لزيارة موسكو، لأنهم بحاجة الى توجيهات ملا مصطفى وارشادات (الرفاق السوفيت).^{٣٠٤} على العموم كانت العلاقات مع الحزب الشيوعي العراقي في تلك الفترة ودية، فقد كان الاثنان في خط معاد للاستعمار والامبريالية ويناصرون المعسكر الاشتراكي والحركة البروليتارية العالمية.

^{٣٠٤}رسالة من جلال الطالباني الى ملا مصطفى. البارزاني والحركة التحررية الكردية ١٩٤٥-١٩٥٨. مسعود البارزاني. ١٩٨٧. ص. ٢٣٠. ٢٤٠

واتفق الحزبان على ضرورة وجود حزب ديمقراطي طليعي لكردستان باعتباره ضرورة تاريخية والعمل على تقوية الصلات وتبادل الآراء والقيام بالاعمال الثورية المشتركة والدعاية لصالح القضية الكردية في الخارج. وكانت هناك نقاط خلاف والجدل متواصل بينهم يتمثل في موقف الحزب الشيوعي العراقي في الابقاء على فرعهم في كردستان، ويمكنه ان يقوم بعمل مزدوج، ينتظم أعضائه في صفوف الحزب الطليعي الكردستاني وفي صفوف الحزب الشيوعي، وكان وجهة نظر الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان، ان ذلك عمل خاطيء ولامبرر له، فما دام حزب طليعي كوردستاني قائم فلا حاجة لوجود فرع حزب شيوعي عراقي يعمل تماماً كما يعمل الحزب الطليعي الكوردستاني السائر على هدي الماركسية اللينينية.^{٣٠٥}

وذكر جلال الطالباني في رسالته الى ملا مصطفى رئيس الحزب: «واود ان اخبركم بان الدعايات الاستعمارية الواسعة ضد الاتحاد السوفيتي في كردستان وعدم وجود اذاعة للسوفييت باللغة الكردية وعدم بيان موقف الاتحاد السوفيتي تجاه كردستان علناً وعدم ذكر شيء عن الكورد وكردستان من جانب الاتحاد السوفيتي يشكل موقفاً حرجاً لنا ويؤثر تأثيراً سيئاً على قسم من الجماهير الساذجة وعلى المثقفين البورجوازيين الكورد الذين اخذوا يتململون ويسألون لم لايساعد الاتحاد السوفيتي الكورد كما يساعد العرب؟ لم لا توجد إذاعة كردية في حين توجد إذاعات بجميع اللغات؟ ولم...؟ ولم... الخ.»^{٣٠٦}

كانت وجهة نظر القياديين من امثال ابراهيم احمد، حمزه عبدالله ونوري احمد طه سلبية فيما يخص ملا مصطفى. واعتبروه شخصاً لاينسجم مع الافكار التقدمية واحترام دستور الحزب، وكان نوري احمد طه صريحاً ويذكرهم بتجربة ضباط هيوا الفاشلة مع ملا مصطفى خلال اعوام ١٩٤٤ - ١٩٤٧. في حين كان ابراهيم احمد الذي أطلق سراحه في ١١/٣/١٩٥١ بعد قضاء عامين في السجن معارضاً لرئاسة ملا مصطفى من بعيد، وكان يتسائل عن مدى حكمة تقديمه في الدعاية الحزبية كـ (بطل تحرير كردستان وهو في موسكو) وهل يرضى ملا مصطفى وهو لا يعلم شيئاً عن التغيرات الهامة التي اجريت في دستور ونظام واسم الحزب.

^{٣٠٥} نفس المصدر. ١٩٨٧. ص. ٢٣٠. ٢٤٠.

^{٣٠٦} نفس المصدر. ص. ٢٣٠. ٢٤٠.

في كل الاحوال استمرت الدعاية الحزبية في تعظيم شخص ملا مصطفى لكسب ولاء الجماهير الكردية ولمواجهة المد الشيوعي ايضاً. ان هذه الشريحة الوطنية المثقفة لم تكن مخلصه في صناعة الدعاية لشخص ملا مصطفى انما استخدمته في المنافسة السياسية، لقد تعمدت هذه الشريحة المثقفة لقله ثقتها بالنفس الى الاحتماء ببطل يخفف من شعورهم بالضعف. وكانت الدعاية وسيلة ناجحة لتضخيم صورة البطل المنقذ الذي لا يقهر فأمعنت في كيل التبجيل والاطراء.

أول من نجح في الاتصال بالبارزانيين من المنفى الروسي هوشيك سليمان، فقد استلم ابنه البكر عبد السلام رسالة مسجلة عن طريق البريد العادي عام ١٩٥٥ عندما كانت عائلته تسكن بغداد في شارع طه. وأكثر الظن أن مجهولاً أتى بالرسالة وثم وضعها في البريد من داخل العراق خشية الافصاح عن اسمه. ثم إستلمت عائلته رسالة ثانية باليد من طشقند، عن طريق قبيلة هركي الرحالة، وقد سلمها سرا (عزت سليمان به گ ده رگه له وكان والده مع شيخ سليمان) سلمها الى عبد السلام في أبريل، إذ كانت العائلة قد إنتقلت من بغداد الى أبريل.

وفي المناسبة الثانية حصل الاتصال عن طريق جلال الطالباني عام ١٩٥٧، فقد استغل مناسبة المشاركة في مهرجان لاتحاد الشباب الديمقراطي ليلتقى بملا مصطفى وعدد من رفاقه في موسكو واليه يعود الفضل في ثان تبادل رسائل واخبار وصور بين افراد العائلة البارزانية في المنفى العراقي والبارزانيين في المنفى الروسي. ويذكر جلال الطالباني بشأن أول لقاء مع ملا مصطفى في موسكو: «كنت احرص على البقاء في الفندق على امل ان يصلني شيء من الحزب الشيوعي أو يتصل بي ملا مصطفى. وفي احد الايام تحت اثنين تقدما نحوي وكلماني بالروسية فاكدت عدم معرفتي لها وبعد سؤالني عن هويتي، قلت لهما انني عراقي وكردني، فقالا نحن جئنا من اجل الالتقاء بصديق اسمه جلال الطالباني، قدمت لهما نفسي وسألتهما عن هويتهم، وبعد تشاور، ذكرا كلمة السر المتفق عليها مع مهدي هاشم النجفي، وهي (القبح) وقدمنا نفسيهما لي، وكان احدهما اسعد خوشه في من رجال البارزاني المقربين، رافقتهم الى شقة وهالني الالتقاء بملا، ولا يمكنني وصف مشاعري تجاه تلك اللحظة، كان ملا مصطفى

حليق الشاربين، وصورته الوحيد تلك انا الذي وزعتها. جلست معه في غرفة مجاورة وتحدثنا كثيراً وتطرقنا الى وضع عائلته ومصائر أولاده وبناته، خصوصاً ابنه صابر، رحمه الله، الذي ولد ولم يره وهو قتل لاحقاً في بغداد....»^{٣٠٧}

ونصح ملا مصطفى الطالباني بالعمل على توحيد الحزب الذي كان قد تعرض الى انشقاق، جناح حمزة عبد الله وجناح ابراهيم احمد، كما شجع على ايجاد العلاقات مع العشائر الكردية وان لا يقتصر الاتصال بالاتحاد السوفيتي بل السعى الى الاتصال بالغرب عن طريق بابا علي شيخ محمود، وهو وزير سابق. وثم تم تعيين عناوين للاتصالات في المستقبل في طشقند وموسكو وايضاً عبر السفارة الروسية في دمشق.

كانت آثار الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي تنعكس على مواقفهما من الشعب الكردي في جميع أجزاء كردستان. وكانت بريطانيا قلقة من عاملين هامين يدخلان في إطار الحرب الباردة هما: انتشار تأثير الشيوعية في المجتمع الكردي وبروز القومية الكردية. وقد انجرت امريكا الى الاهتمام بالقضية الكردية من خلال الصراع والمنافسة مع المعسكر الشيوعي.

"....."

«5 — ان الشائعات السنوية عن عودة ملا مصطفى مدعوماً بالسلح والاسناد الروسي لم تنتشر هذا العام مع ذوبان الثلوج كما هي العادة، انما بدأت هذه الشائعات في شهر تموز/يوليو وآب/اغسطس، بعد أنباء الاعتداء الذي قامت به كوريا الشمالية. وهناك بعض الشك في كون ملا مصطفى على اتصال بأقربائه وأنصاره في العراق. لكن الشائعات حول عودته هي شائعات ظرفية ليس لها مغزى يختلف عن السنوات السابقة.

٦ — لقد ادى الغاء حالة الطوارئ في شهر كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٩ الى احياء بعض النشاط الدعائي للحزب الشيوعي العراقي وقد يعزى هذا الى كون أحد زعمائه النشطين من أصل كردي. (يعني بهاء الدين نوري) توزع الآن المنشورات الشيوعية بشكل رئيسي في بغداد

وكردستان وليس في جنوب العراق. لكن ليس هناك ما يدل على سعة تأثيرها. وقد غاب كلية خلال عام ١٩٥٠ ذلك النوع من الغليان السياسي الذي أثارته الشيوعية في مدينة السليمانية والذي تميز به عام ١٩٤٨. ولم تشر التقارير عن اضطرابات عمالية في حقول النفط في كركوك.^{٣٠٨}

وفيما يخص منطقة بادينان وقوة الحركة القومية الكردية فيها فقد ذكر نائب القنصل في الموصل بأن المنطقة شمال الموصل هي تحت السيطرة التامة. وقد حصلت قلاقل عشائرية صرفه، لكن الادارة في الموصل تسيطر بصورة عامة على الجبال النائية وعلى السهول، وقد تم اخضاع الحركة القومية الكردية وسط هذه القبائل.

ويشير الارشيف ذاته الى ان الحركة القومية الكردية في لوائي السليمانية واربيل تأخذ شكل شكاوى ضد الفساد وعدم اهلية حكومة بغداد واهمالها المصلحة الكردية ولكن لم تتضح دلائل على نشاط قومي جدي خلال عام ١٩٥٠.^{٣٠٩}

وفي برقية سرية اخرى، مؤرخة في ٦ نيسان/ابريل ١٩٥١ من السفارة البريطانية في بغداد حول الوضع الامني في كردستان تشير الى:

«2- في لواء السليمانية لايزال قاطع الطريق خوله بيزه حراً، وآخر عمل قام به في شهر كانون الاول/ديسمبر هو الاقدام على قتل عدد من أفراد الشرطة، وربما كان ذلك انتقاماً لاعدام شقيقه قبل ايام من وقوع الحادث. واعتقل متصرف السليمانية الشيخ لطيف في ٢٨ من شهر ديسمبر، وهو الابن الاصغر للشيخ محمود المشهور بسبب الشبهات من انه يقدم العون الى خوله بيزه. ولطيف الآن يعيش تحت الإقامة الجبرية في جنوب العراق. هذا الاعتقال لم يولد اي رد فعل من جانب الشيخ محمود ولا من انصاره.

³⁰⁸ FO.371/82000 XC/ 132947

³⁰⁹ FO.371/82000 XC/ 132947

٣ — في نهاية شهر تشرين الاول/اكتوبر ألقى القبض على ٣٠ شيوعياً في السليمانية، وفي شهر آذار/مارس اعتقل عدد آخر في كركوك والسليمانية واربيل. وفي كلا المناسبتين عثر على مطبوعات شيوعية. في المناسبة الثانية اظهرت الدلائل وجود نشاطات تخريبية أكثر جدية وتتضمن معلومات حول الجيش العراقي وقوات الشرطة في الشمال، لكن رغم ذلك فاننا لانزال نعتبر ان ما يسمى بالنشاط الشيوعي لا يشكل البتة خطراً، وذكر متصرف اربيل للمستشار الشرقي بان هذا يشكل تنفيساً للاحباط الذي يشعر به الشباب، وان الوجهاء الرجعيين يشجعون هؤلاء الشباب ويستخدمونهم في خصوماتهم الدائمة واحد ضد الآخر.^{٣١٠}

في الواقع كانت الحكومة العراقية قلقة من التدخل السوفيتي واثارته للکرد، وطلبت من الحكومة البريطانية الاسراع في تسليم الجيش العراقي وتأهيله لمجابهة احتمالات نشوء الفوضى في كردستان.^{٣١١}

لقد أثار الاهتمام الأمريكي بالقضية الكردية قلق بريطانيا: «هناك انطباع بأن أمريكا تسعى الى المزايدة على الروس في نيل تعاطف القومية الكردية. ولم تؤثر زيارة الشيخ بابا علي الى أمريكا في الخريف الماضي للحيلولة دون انتشار هذا الانطباع. لقد لوحظ الاهتمام الأمريكي بكردستان من قبل الحكومة العراقية ومن راديو موسكو على السواء. فموسكو من جهتها استنتجت ان أمريكا تنوي استخدام كردستان كقاعدة ضد روسيا، وأن أمريكا مصرة على أخذ دور بريطانيا في الشرق الاوسط.»^{٣١٢}

كان الاستماع الى راديو ايريفان واسعاً بين الاكراد كافة، وكانت الدعاية الشيوعية نشطة من خلال الاحزاب الشيوعية المحظورة في الشرق الاوسط. وقد قرر البريطانيون:
أ. اقناع الامريكان بعدم إبداء اهتمام لالزوم له بالاكراد.

³¹⁰ British Embassy. Baghdad. 6th April, 1951. (1025/11/51)

³¹¹ British Embassy. Baghdad. 6th April, 1951. (1025/11/51)

³¹² FO.371/82000 XC/ 132947

ب . تحذير الحكومة السورية من عواقب سياستها الراهنة تجاه الاكراد.

ج — دراسة فكرة البدء في البث باللغة الكردية. وقد اتفق البريطاني Bevin والأمريكي Palmer في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية على الامتناع عن اعطاء انطباع يوحي بان حكومتيهما مهتمتان بالاكراد. واتفقا على تبادل كل المستجدات في هذه القضية.^{٣١٣} وفي الواقع تكلم السفير البريطاني مع رئيس الوزراء السوري حول خطورة الغاء حقوق الاقليات، مع الاشارة بشكل خاص الى الاكراد، واقترح منح اجازة لاصدار صحف باللغة الكردية. لم يأخذ الوزير السوري الملاحظة برحابة صدر وأشار الى احتمال ادارة هذه الصحف من قبل الشيوعيين حال السماح لها بالصدور. وستنشأ صعوبات حيال الاقليات الاخرى التي تعيش في سوريا.^{٣١٤}

كانت وجهة نظر بريطانيا ان الحركة القومية الكردية لاتشكل خطراً، لكن في حالة وقوع غزو روسي فان الاكراد في العراق وإيران سيدعمون القوات الروسية.^{٣١٥} وحسب المصادر البريطانية فان البث الوحيد باللغة الكردية يأتي من روسيا، اضافة الى البث باللغة الكردية من طهران. واذ تتوفر أجهزة الراديو في قرى كردستان إيران فان البث الروسي يصيب هدفه تماماً وينبغي لبريطانيا العمل على بث برامج باللغة الكردية كعملية مضادة للدعاية الروسية.^{٣١٦}

ويقول K.S. Butler المسؤول عن D.R.I. : «ان حاجتنا للقيام بعمل مضاد للدعاية الروسية امر واضح، فمن أجل بث دعاية مؤثرة في الوسط الكردي علينا اخذ تطلعاتهم القومية في الحسبان ونحن لسنا في وضع يسمح لنا بكيال الوعود لهم، خاصة للمحافظة على علاقاتنا مع الحكومة العراقية التي تتحسس لهذا الأمر. والطريقة الفضلى هو ان تتولى إذاعة بغداد الرسمية هذه المهمة ولكنها الآن غير قوية بما يكفي للوصول الى تلك

³¹³ FO: 371 91252

³¹⁴ FO: 371 91252

³¹⁵ Memorandum prepared by H.A.A. Hankey. 18th April, 1950.

³¹⁶ Memorandum prepared by H.A.A. Hankey. 18th April, 1950.

المناطق حتى وان أمكن الاعتماد على الدعاية الحكومية في العمل الدعائي البارع.»

«يعتمد راديو طهران على محطة صوت امريكا في بثها الى المنطقة، لكن محتوى البرامج ليس على المستوى المطلوب.»^{٣١٧}

وجاء في برقية من القنصل البريطاني في دمشق والذي زار منطقة الجزيرة الكردية لتوه: «... لا أتفق مع ما ورد في صفحة ٩ من الرسالة ومفادها ان نشاطات عائلة بدرخان لاتسبب قلقاً للحكومة السورية. ان لدي انطباعاً بان السوريين يراقبون الزعماء القوميين الكرد بشكل جدي وبالاخص شخص جلادت بدرخان، الذي ينظر اليه خطأً كما أظن على انه رفيق طريق.»^{٣١٨}

وكان رأي القنصل البريطاني في دمشق متفقاً مع وجهة النظر السورية فيما يخص الاكراد وانهم في الوقت الحاضر لايشكلون خطراً جدياً على سوريا، فهم مقسمون بين خمس دول، والخلافات القبلية تحول دون توحيدهم. لكن هناك مؤشرات على تأثير الدعاية الشيوعية ولو ببطء كما ان الوضع العالمي يمنح المنطقة الكردية اهمية استراتيجية اضافية. وفي نظر القنصل البريطاني، ان اية خطوة يتخذونها لمكافحة الدعاية الشيوعية في الاوساط الكردية تحمل المجازفة. فقد يحث ذلك القوميين الكرد على الاقتناع باهميتهم كقوة سياسية قادرة على حصاد المنفعة من خلال استغلال الصراع بين الشرق والغرب. ويشير القنصل الى انه اذا ما اعتبرنا ان المنطقة الكردية ذات اهمية استراتيجية فمن غير المحبذ اهمالها بذريعة ان الاكراد نظراً لبعدهم عنا ليسوا مصدر قلق لنا.^{٣١٩}

كانت وجهة نظر الحكومة البريطانية «ان الاكراد متخلفون ومنقسمون على أنفسهم والدول التي تقتسمهم تسيطر عليهم سيطرة تامة بالاخص تركيا، لذا فانهم لايشكلون قوة تؤثر في مجرى الاحداث، ولكن قد تكون الدعاية السوفيتية قد أوجدت لديهم نوعاً من الانسجام والانضباط وهذا ما كان ينقصهم حتى الآن.» ويعترف البريطانيون بأنهم والامريكان

³¹⁷ K.S. Butler. I.R.D. 26th April, 1950

³¹⁸ FO.371/ 82000 XC 132 947 British leagation Damascus. 16th November, 1950

³¹⁹ FO.371/ 82000 XC 132 947 British leagation Damascus. 16th November, 1950

ليسوا في وضع يمكنهم من منافسة الاتحاد السوفيتي في مجال التقرب من الاكراد، اذ بإمكان الروس تغذية الآمال في ايجاد كردستان موحدة في حين «نحن لانستطيع سوى تكرار النصيحة لهم بالفاهم مع حكوماتهم».³²⁰

وفي برقية سرية من القنصلية البريطانية في دمشق مؤرخة في ٢٩ ايلول/سبتمبر ١٩٥٠، وبعد لقاء مع الدكتور جلادت بدرخان، أشارت الى الحوار الذي جرى معه فيما يخص الدعاية الروسية: «أكد جلادت بدرخان ان لدى روسيا ورقة قوية تستخدمها في دعايتها الكردية، فهم يستطيعون الاعلان عن تأييدهم لكردستان مستقلة. في حين يصعب على الدول غير الشيوعية مواجهة هذا التحدي....» و اضاف بدرخان : «انه استمع بدقة الى البث الكردي من راديو ايرفان والمركز على انتقاد الحكومة الايرانية. وتساءل، لماذا لا يوجه الروس دعايتهم لأكراد تركيا، اذ سيكون أثرها أكثر فعالية في تركيا مما هو في إيران». وعبر جلادت بدرخان عن ضرورة قيام البريطانيين بحملة دعاية مضادة باللغة الكردية أو الايعاز الى الحكومات الصديقة في المنطقة للقيام بذلك».³²¹

ليس من شك ان الدعاية الشيوعية في العراق كانت تكسب التأييد الشعبي باستمرار رغم كامل سريتها. والواقع كان الحزب الشيوعي العراقي من أكبر التنظيمات العراقية، وفيه نخبة من المخلصين للمبادئ الماركسية اللينينية وكانت الدعاية التي تبث على الصعيد الشعبي وهذا ما آمن به الكثيرون هي حتمية إنتصار الثورة الاشتراكية العالمية وانهيار الرأسمالية العالمية. وكان الانطباع السائد ان تلك حتمية تاريخية لا مفر منها. وكان العرب والاكرد يتوقون الى ظهور ابطال بين صفوفه مثل لينين وستالين وماوتسي تونغ وجواهر لال نهرو وهوشي منه وجمال عبد الناصر وتيتو، اي شخصية قوية تقود ثورة الشعب الى النصر وكانت الجماهير مستعدة للانقياد والتضحية في سبيل الانعتاق من الظلم والاستغلال.

يمكن اعتبار معظم السياسيين من عرب واكرد من المعارضين للحكم الملكي في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية من الجيل الذي آمن بمبادئ التحرر الوطني، سواء كانوا ذوي

³²⁰ E 1822/12. 25th October, 1950.

³²¹ FO.371/ 82000 XC 132 947 . British leagation Damascus. 29th september, 1950

منحى قومي أو اشتراكي. وكان هناك التزام كبير بالقيم الثورية وروح التضحية والفداء. وقد كان ضمن هذا الجيل السياسي الكردي حمزة عبد الله وعوني يوسف ثم جاء الجيل اللاحق المتمثل في جلال الطالباني والذي كان لا يزال طالباً في الاعدادية عندما شرع في النشاط السياسي بحماس كبير.

وفي الحقيقة هؤلاء هم بناء تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني الذين ناضلوا في ظروف تكتنفها المخاطر. ورغم ما كان يعانيه ملا مصطفى – الذي كان رئيساً للحزب – والبارزانيون في المنفى الروسي من مرارة البعد عن الوطن والاهل، الا انهم كانوا في مأمن، وكان بناء الحزب في المدن مثل بغداد وكركوك واربيل والسليمانية يعيشون في خطر يومي، وقد كانت لجهود شخص حمزة عبد الله يساعده عوني يوسف في وضع اسس الحزب وترسيخه وتوسيع قاعدته في بداية ولادة الحزب امر لا يستطيع نكرانه أحد. وكان حمزه عبدالله قد رتب مع ملا مصطفى ما يحتاجه من امور في مهاباد عام ١٩٤٦ تخص نشاطه، فعلى سبيل المثال كان يحتفظ باوراق بيضاء موقعة من قبل ملا مصطفى، وكان يرسلها حمزة باسم ملا مصطفى ويطلب من الشخص الفلاني الاتصال بـحمزة.^{٣٢٢}

كانت الدعاية الحزبية تعظم شخص ملا مصطفى وتحيطه بهالة اسطورية وتوحي للجماهير الكردي بأنه هو (منقذ) الشعب الكردي من العبودية والاستغلال، وقد زودت المسيرة البارزانية الى الاتحاد السوفيتي مادة غنية للدعاية الحزبية، كما ساعد وجود ملا مصطفى في الاتحاد السوفيتي بالذات الى جلب الاحترام لشخصه، فقد كانت موسكو (قبة) الشعوب المضطهدة في العالم. وقد شكل وجود البارزانيين في المعسكر الاشتراكي عامل قوة للحزب الديمقراطي الكردستاني في الداخل وامام تحدي المد القومي العربي، اضافة كانت هناك حاجة سايكولوجية الى الشعور بالمساواة مع الشعوب الاخرى التي انجبت قادة عظام أوصلوا شعوبهم الى الاستقلال، وان الشعب الكردي ليس مستثنى من هذه الظاهرة. كانت الدعاية الحزبية تغذي هذا الشعور وتضخمه بشكل متواصل. لقد بدأ الحزب دعايته سواء عن سذاجة أو

^{٣٢٢} لقاء مع شمس الدين مفتي في امستردام، هولندا، ١٢/٣/٢٠٠١ وهو شاهد عيان.

قلة تجربة بـ (شخصنة الحزب) ظهرت آثارها السلبية فيما بعد. كما ان الحزب اعتبر وجود ملا مصطفى وآخرين معه في الاتحاد السوفيتي فرصة جيدة لبناء علاقات سياسية مع موسكو والحصول على الدعم من المعسكر الاشتراكي. وكمعظم الاحزاب في تلك الحقبة من الزمن، كانت عظمة الحزب تستمد عظمتها من القائد، والشعب العظيم هو الذي يقوده قائد عظيم. وليس من شك ان لمثل هذه الدعاية غير المسؤولة سلبياتها. وهي بالتأكيد مسؤولة في خلق النزعة الدكتاتورية لدى الزعيم أو القائد. هذه الدعاية هدفها التخلص من مشاكل وتحديات آنية لكن على حساب المصالح الاستراتيجية على الامد البعيد. وهي ليست من نوع الدعاية التي توظف الوعي السياسي وترفع من مستوى المجتمع ثقافياً، انما هدفها الحصول على تأييد الشعب والطاعة المطلقة منه وزجه في خضم النضال. ويصعب على الشعب الذي يعاني من الاضطهاد التمييز بين قيادة مخلصة وبين قيادة تستغل ظروفه لأغراض شخصية. وعندما تدرك ماهية القادة (أبطال التحرر الوطني) يكون الوقت قد فات. وتحول (القائد المنقذ) الى طاغ يدوس كرامة الشعب. منطقة الشرق الأوسط تعج بهذه النماذج من القادة والحكام.

الدعاية دائماً لعبة خطيرة في مجتمع نسبة الامية فيه عالية ويفتقد الى اسس راسخة من المؤسسات والممارسة الديمقراطية.

العودة الظافرة إلى بارزان نهاية العهد الملكي

كان الغرب قلقاً بشكل عام من تنامي (الخطر الشيوعي) واندفاع الروس باتجاه المياه الدافئة خاصة بعد ان سكنت مدافع الحرب الكونية الثانية. فنفت الشرق الاوسط كان موضع اهتمام كلي للغرب الرأسمالي. اذ شكل ولايزال شريان الصناعات الحديثة. فبعد تهديد الرئيس الامريكى هاري ترومان لستالين لكي يسحب قواته من إيران، ركز السوفييت اهتمامهم شرقي المتوسط: اليونان وتركيا، في وقت كانت بريطانيا تقلص من التزاماتها الخارجية. هنا ايضا تدخل الرئيس الامريكى لمساعدة هاتين الدولتين. وبهذا ولد مشروع ترومان. Truman Doctrine وكان الهدف هو سد الطريق امام النفوذ السوفيتي في شرقي المتوسط، ولهذا الغرض تم تشكيل قوة من الاسطول البحري والذي سبق ايجاد الاسطول السادس للبحر المتوسط، واستخدمت الطائرات الامريكية قواعد عسكرية في ليبيا وتركيا والمملكة العربية السعودية، وبهذا تم ايجاد حضور عسكري امريكى فعال في الشرق الاوسط.

كانت اوروبا تسعى الى اعادة بناء صناعاتها التي هدمتها الحرب، ولم يكن هذا البناء متاحاً دون نفط الشرق الاوسط. وكتب وزير الدفاع الامريكى James V. Forrestal مذكرة الى الرئيس ترومان في ١٩٤٨ يقول فيها: «من دون نفط الشرق الاوسط ليس لبرنامج اعادة بناء اوروبا غير القليل من الحظ في النجاح.» أما الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون فيقول: «لقد كان الشرق الاوسط في الماضي نقطة التقاء بين آسيا وافريقيا واوروبا. والآن يمثل نفطه

شريان حياة الصناعات الحديثة، ومنطقة الخليج الفارسي تمثل القلب الذي يضخ النفط، والممرات البحرية في الخليج هي بمثابة الوريد الذي يمر من خلاله دم الحياة.³²³

ان تأميم شركة النفط الانكلو ايرانية من قبل مصدق عام ١٩٥١ والمشاعر الشعبية المناهضة للغرب واحتمال وصول حزب توده الى الحكم ووقوع إيران تحت النفوذ الروسي، ان قام ال CIA ومخابرات غربية اخرى بمساعدة الجنرال زاهدي للاطاحة بمصدق بعدها اعيد الشاه الى عرشه. وبعودة إيران الى حظيرة الدول التابعة للغرب أمكن توحيد الخط الشمالي بتحالف عسكري بين تركيا، العراق، ايران وباكستان مع بريطانيا دعي بـ (حلف بغداد) وتحول فيما بعد الى حلف السنتو CENTO وكان هدف الحلف منع التغلغل السوفيتي نحو الخليج.

كانت هذه الاحلاف العسكرية موجهة ضد الحركة التحررية الكردية، ومنحت هذه الاحلاف الحكومات نوعاً من الثقة بالنفس، وبهذا الصدد يشير ارشيف بريطاني مؤرخ في شباط/فبراير ١٩٥٧ الى مايلي:

«ان السياسة المتبعة والاكثر تسامحاً تجاه الاكراد والتي يشهد عليها السيد F. Arson A.D. Parsons ربما تكون نتيجة ازدياد الثقة بالنفس والتي هي من ثمار حلف بغداد. فكون تركيا داخل الحلف المعادي للشيوعية الى جانب الدولتين الاخرين حيث توجد اقليه كردية كبيرة فيهما، يبدو لهذه الدول ان الحلف يشكل ضماناً للحيلولة دون انتقال عدوى الحركة الكردية الى اكرادها عبر الحدود....³²⁴»

وفي عام ١٩٥٦ امم الرئيس المصري جمال عبدالناصر قناة السويس وقاوم العدوان الثلاثي المؤلف من اسرائيل وبريطانيا وفرنسا الهادف الى إعادة السيطرة على القناة واخضاع ناصر، ونتيجة لهزيمة العدوان كان ان طغى نفوذ عبدالناصر والمذ القومى في العالم العربي، وكان له اثره

³²³ Richard Nixon. The Real War. Warner Books. 1980. p.74 .

³²⁴ . پارسون كان سكرتيراً في السفارة البريطانية في انقره وقام بجولة في كردستان تركيا زار خلالها ١٠ مقاطعات كردية وكتب تقريره حول هذه الزيارة. راجع الارشيف

الحاسم في المد القومي الكردي وفي تعزيز الحركة التحررية المناهضة للاستعمار في بلدان العالم الثالث، شعر العرب في كل مكان بانهم استعادوا كرامتهم الوطنية من المحتل فقامت المظاهرات الصاخبة في معظم العواصم العربية وتفاقم التأيد من الدول النامية ضد الاستعمار الغربي، واشترك الشعب الكردي في المظاهرات التي نظمت تأييداً لموقف الرئيس جمال عبدالناصر. وقام عمال النفط في الكويت بحرق الانابيب والآبار النفطية. لقد كان لانتصار مصر في استعادة السيطرة على القناة وهزيمة قوات التحالف الغربي ان اصبحت الارادة الاستعمارية بالشلل، فتقلص بالتدريج دور بريطانيا وفرنسا في الشأن الدولي.

وانقسمت المجتمعات العربية الى معسكرين: الشعوب في معسكر مناهض للاستعمار وعماله في المنطقة. والحكام الذين يعتمدون في بقائهم على الاجنبي. وازدادت الهوة بين الاثنين. وكان لتجربة جمال عبد الناصر في الانقلاب الذي اطاح بالملك فاروق عام ١٩٥٢ اثر مشجع في اوساط الجيوش العربية لاحداث التغير من خلال الانقلابات العسكرية والقضاء على الحكام المؤتمرين بأوامر الاستعمار الغربي.

ففي العراق كانت ثلاث تيارات سياسية تتطلع الى القضاء على الحكم الملكي: التيار الشيوعي وهو اقوى التيارات واكثرها تنظيماً. التيار القومي العربي. التيار القومي الكردي. وكانت شريحة من الضباط الوطنيين في الجيش العراقي تتحسس الغليان الشعبي ضد النظام الملكي والطبقة السياسية المرتبطة به وكانت تتحين الفرص المناسبة للقيام بعمل عسكري ينهي الملكية والتي ارتبط وجودها بالدعم البريطاني.

كان الفلاح في كردستان يعيش حياة عبودية وفقير مدقع وتحت سوط الاقطاع والبيروقراطية الموالية للمتنفذين، ونظراً لعدم تنظيم الفلاحين فقد كانوا بلا حول أو قوة أمام الاغوات، وكان السخط يتراكم عندهم، وانعكس هذا السخط في الشعار الذي رفعوه ضد (الاستعمار والاقطاع) كأعداء للطبقة الفلاحية والعمالية. والجدير بالذكر ان نشاط الحزب الشيوعي العراقي قد أوجد درجة معينة من الوعي الطبقي في المجتمع الكردي وكان له أثر في مناطق

بارزان، وبالأخص ميّرگه سور، وكان فاخر ميّرگه سوري — الذي ذاع صيته فيما بعد، في معارك هندرين الظافرة — على إتصال بالحزب الشيوعي، في حين كان شقيقة الاكبر حسين يميل نحو شخصيات الطريقة — استشهد الأخير صيف عام ١٩٦٣، وهو يتصدى للحملة البعثية الاولى في الهضاب الجنوبية لبارزان.

في الاعوام الاربعة الاخيرة من الحكم الملكي كان نوري سعيد رئيساً للوزراء، ازداد استبداداً في سياسته وبعداً عن الاحساس بفقر الشعب ومعاناته وتم اخماد أصوات السياسيين والطلبة على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم وسأقت السلطات مجموعات من الشيوعيين والناصرين والقوميين الى السجون ومعسكرات الاعتقال، وكان للشيوعيين النصيب الاكبر من الوافدين الى السجون، وقد اثبتوا صلابة في مقاومة التعذيب وعدم الافشاء بالاسرار الحزبية، مما جعلهم موضع احترام في المجتمع العراقي. وكان الرأي العام العراقي يقف ضد الحكم البريطاني والاسرة المالكة والحكومة المتمثلة في شخص نوري سعيد، كما كان هذا الرأي العام ضد حلف بغداد الذي يربط العراق بسياسات ومصالح «الغرب الاستعماري» ضد روسيا «نصيرة الشعوب المضطهدة» كما جر التنافس بين «ناصر ونوري سعيد» على الوحدة العربية الى تعاضل نفوذ ناصر وأصبح نوري يعتبر عدواً وخائناً للشعوب العربية ومكروها لدى الشعب العراقي. وكان الشعب الكردي ساخطاً مرتين، فقد كان يشعر بكل السخط الذي يحمله الشعب العراقي تجاه الحكومة الى جانب شعوره العميق بالاضطهاد القومي، وقد ترك اعدام الضباط الاربعة الذين سلموا أنفسهم الى سلطات بغداد عام ١٩٤٧، اثراً عميقاً في الذاكرة الجماعية الكردية. ودخل السجون الملكية حمزه عبدالله، كما قضى ابراهيم أحمد حوالي سنتين في السجن. وصدر في هذه الفترة كتابان عن مأساة البارزانيين الأول بعنوان (إمارة بهدينان) لصديق الدمولوجي والثاني (بارزان المظلومة) لمعروف جياووك، وكان لهذين الكتابين أثر في إلقاء الضوء على تاريخ البارزانيين. والمؤلفان متعاطفان مع بارزان وحركتها. ونظراً لما عاناه البارزانيون على يد حكومات بغداد وقبل ذلك على يد الحكم التركي من ظلم ودمار، فقد كانوا موضع احترام وتقدير الجماهير الواعية من العرب والاكراد.

باختصار كان الشعب العراقي يعاني من فقر واضطهاد وكبت، عبر عن نفسه في المظاهرات الجماهيرية الحاشدة التي نزلت الى الشوارع معبرة عن فرحتها بعد اعلان راديو بغداد عن القضاء على الحكم الملكي في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ من قبل مجموعة عسكرية أطلقت على نفسها (الضباط الاحرار) بقيادة الجنرال عبد الكريم قاسم، ولم تكن لهم خبرة سياسية البتة.

في الاسبوع الاول من شهر تموز ١٩٥٨ لبث الحكومة العراقية الملكية طلب الملك حسين ملك الاردن، بارسال قوات عراقية للتمركز شمال الاردن كإجراء احتياطي لمواجهة عدوى الاضطرابات التي اجتاحت لبنان والتي قد ينتقل عدواها الى عمان. وكان الاردن عضواً في الاتحاد العربي الهاشمي الذي اقيم في بداية العام مع العراق. وكان الملك فيصل الثاني والوصي ينويان السفر مع رئيس الوزراء صبيحة ١٤ تموز الى تركيا لحضور اجتماعات حلف بغداد. انتهز الضباط الاحرار هذه المناسبة فتحرك اللواء العشرين من جلولاء في ليلة ١٣/١٤ تموز لينحرف عن التوجه الى الاردن ويتقدم نحو العاصمة بغداد. وفي الساعة الثالثة من فجر يوم ١٤ تموز أعلن العقيد عبد السلام عارف أمر الفوج الثالث، توليه قيادة اللواء العشرين واعتقل أمر الفوج الثاني الذي رفض الاشتراك في الانقلاب.

وفي الساعة الرابعة صباحاً كان اللواء في طريقه الى العاصمة، فاحتل الفوج الاول الضفة اليسرى من دجلة ضمنها بغداد الكبرى، جانب الرصافة، وبمساعدة الضباط الاحرار في حامية بغداد تم احتلال مقرات وزارة الدفاع ورئاسة اركان الجيش، ودائرة البريد والبرق المركزية وغيرها من المراكز الحساسة بسرعة، وتمت السيطرة بسهولة ايضاً على معسكر الرشيد الذي يقع على الطرف الجنوب الشرقي من بغداد، والمطار العسكري المجاور. وألقي القبض على الفريق (رفيق عارف) رئيس اركان الجيش الذي كان يغط في نومه في منزله داخل معسكر الرشيد. ٣٢٥

وكان من اهداف عبد السلام عارف احتلال قصر الرحاب ومنزل نوري السعيد، ودار الاذاعة، ومقر قوة الشرطة السيارة ومعسكر الوشاش المجاور لقصر الرحاب ومطار بغداد. وقبض على نوري السعيد المذعور وهو هارب ومتلبس بلباس امرأة في اليوم التالي من الانقلاب وقتل ثم سحلت جثته في شوارع بغداد. اما في القصر الملكي فقد رد حراس القصر على نيران المهاجمين، لكن معنويات الوصي عبدالاله إنهارت اثناء الحصار والتراشق بالنار، وبعث بأمر فوج الحرس الملكي العقيد (طه بامرني) وهو من أصل كردي، ليأمر الحرس بوقف إطلاق النار، واقتحم الثوار القصر الملكي في الساعة السابعة صباحاً، وأرسلوا رسولاً الى الطابق الاعلى يأمرهم العائلة المالكة بالنزول الى تحت. ثم امرهم ان يديروا شطر الجدار فحصدتهم النقيب (سبع العبوسي) بنيران رشاشته في الساعة السابعة والنصف، في حين كان نبأ القضاء على النظام الملكي قد اذيع بحماس على لسان عارف من اذاعة بغداد قبل ذلك بساعة من الزمن.^{٣٢٦}

ما ان تلقت الجماهير النبأ حتى هرعت الى الشوارع وهي لاتصدق من شدة الفرح نبأ القضاء على النظام الملكي، كانت الفرحة التي هي أقرب الى الهستيريا الجماعية، وكان الكبت النفسي الماحق والقمع قد اوجدا استعداداً سايكولوجياً قوياً لارتكاب اعمال وحشية ضد كل ما يخص النظام الملكي ورموزه. كانت الهتافات العالية واعمال العنف وسحل الجثث مؤشراً على مدى كثافة حالة الكبت الطويلة والتنفيس الجماعي الذي وجد في الانقلاب المناسبة للتخلص من رواسبها. كان الشعب العراقي بأغلبيته المطلقة عرباً وكرداً مع التغيير وبحماس شعبي منقطع النظير. ولا شك ان التأييد الجماهيري العارم للانقلاب ردع كل تدخل أجنبي ضد الحكم الجديد.

أما في كردستان فقد تم القاء القبض على العديد من الأغوات الأكراد الذين مارسوا صنوفاً من الاستغلال والقتل ضد الفلاحين. وفعلاً كانت هناك حركة فلاحية معادية للإقطاع

الكردية ومنظمة الى حد لا بأس به، وقد دب الرعب في أوساط الأغوات الكرد من جراء هذا التيار الشعبي اليساري العارم ضد ممارساتهم.

وبالنسبة للبارزانيين مثل هذا التغير نقطة انعطاف نحو جمع الشمل: إطلاق سراح شيخ بارزان من السجن وعودة البارزانيين من الاتحاد السوفيتي.

كان معظم افراد العائلة البارزانية اما في بغداد أو اربيل عند حدوث الانقلاب. ورحب هؤلاء بالتغيير، وقد كان يوم ١٩٥٨/٧/٢١ يوماً تأريخياً، اذ بعد حوالي اثني عشر عاماً خرج شيخ بارزان من سجن بغداد. وتوافدت الوفود الشعبية عربية وكردية لتهنئته. ثم زار شيخ بارزان الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ليهنئته على الانتصار وليؤكد دعمه لثورة تموز. ثم سمحت له الحكومة بالعودة الى بارزان مع جميع المنفيين من اعضاء العائلة البارزانية. واستقبلته الجماهير الكردية في كركوك واربيل اروع استقبال. وتجلت الاخوة العربية الكردية في التأييد العارم للثورة، كما أكد الدستور المؤقت الصادر في ٢٧ تموز في مادته الثالثة ان العرب والكرد شركاء في الوطن الواحد. اعتبر الاكراد هذا الاعلان انتصاراً كبيراً بعد عقود من الحروب الظالمة التي كانت تهدف القضاء على هويتهم.

عندما عاد شيخ بارزان الى مسقط رأسه، استقبلته الجماهير بدموع الفرح. وكان البعض من البارزانيين قد حرموا على أنفسهم شرب الماء البارد مادام شيخ بارزان يعيش في السجن ويعاني من القيظ، محو تاتكي، الذي قضى ١٢ عاماً محروماً من مياه الينابيع العذبة عاد ليشرب ماء النبع البارد، وجاء لإستقبال شيخ بارزان وهو لا يتمالك دموعه. وبدأت القرى تفرغ سكانها، نساء ورجالاً ووجهتهم بارزان للترحيب بشيخهم والذي بدا بعد كل هذه السنوات في صحة جيدة. قرية بيديال المسيحية رحبت بقدوم الشيخ ضمنهم الاخوان شمو وسوره اللذان قضيا كل هذه الاعوام مشردين في جبل شيرين بسبب المدفع الذي صنعوه في حرب عام ١٩٤٥. وانتعشت قيم الطريقة من جديد في اوساط البارزانيين. ولكن بقي ان يسمع الشيخ من البارزانيين أنفسهم ما حل بهم خلال السنوات الاثني عشر الماضية. لم

يسمع غير قصص الظلم والاعتداءات من الاقطاعيين الكرد والادارة البوليسية في المنطقة، وهاله عدد المقتولين الابرياء على يد اغوات الزبيار. ولم يكن امامه غير السماح بتشخيص المسؤول والانتقام منه في الوقت المناسب وعدم المساس بالابرياء.

ثم جاء الوجهاء الاكراد من مختلف مناطق كردستان الى بارزان للترحيب بالشيخ ضمنهم مناصر بارزان الوفي عبد العزيز حاج ملو المزوري، وجاء تحسين الايزدي، امير الايزديه الى بارزان، وكذلك جاء عبد الله آغا شرفاني وآخرون على رأس الوفود، فما ان يغادر وفد حتى يحل وفد آخر.

وفي تاريخ ٢٩/٨/١٩٥٨ أبرق ملا مصطفى من جيکوسلوفاكيا برسالة تهنئة الى عبد الكريم قاسم يطلب فيها السماح له بالعودة مع رفاقه: «..... وما كان يوم ١٤ تموز الا فجراً جديداً حقق آمالنا وشوقنا للعودة الى الوطن العزيز لخدمة شعبنا والدفاع عن جمهوريتنا الفتية، فراجعنا سفير الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة في جمهورية رومانيا الشعبية وفي جمهورية جيکوسلوفاكيا الشعبية في أولى أيام الثورة لمنحنا جوازات السفر للعودة إلى الوطن ولكن لحد الآن لم نتلق جواباً منها. " ٢٢٧

رد عبد الكريم قاسم بالموافقة في ٣/٩/١٩٥٨ وطلب منهم مراجعة سفارة الجمهورية العربية المتحدة في براغ لتسهيل عودتهم، وان جميع التدابير اتخذت لاصدار العفو وعودة جميع المواطنين. ٢٢٨

قام ابراهيم أحمد بتسوية معاملات جوازات السفر لملا مصطفى واسعد خوشهفي وميرحاج أحمد، ومع وفد يضم ابراهيم أحمد ونوري أحمد طه وصادق بارزاني وعبيدالله بارزاني غادروا بغداد لمرافقة ملا مصطفى ورفاقه في العودة عن طريق القاهرة وبعد لقاء بجمال عبد الناصر وصل العائدون في ٦/١٠/١٩٥٨ الى بغداد وكان الاستقبال الذي اعد له استقبالا شعبيا

٢٢٧ البارزاني والحركة التحررية الكردية. الكرد وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مسعود البارزاني ص. ٥٥.

٢٢٨ نفس المصدر السابق. ص. ٥٦.

ورسمياً حافلاً تملؤه التهتافات تعكس فرح الشعب العراقي بكافة قومياته بهذه العودة الطافرة.

وفي اليوم الثاني بعد عودته استقبله عبد الكريم قاسم. ويبدو ان السنوات الطوال التي قضاها في الاتحاد السوفيتي لم تغير اسلوب تعامله الديبلوماسية فقد ابدى امام عبد الكريم قاسم الكثير من «المجاملة التي تخرج احياناً عن حدود القواعد السياسية المألوفة. ومما يذكر ان (ملا مصطفى) تعرض لنقد شديد من قيادة الحزب في بغداد بسبب تماديه في مظاهر التبجيل التي حفلت بها مقابلته الاولى لـ (عبد الكريم قاسم) اثر عودته من المنفى.^{٣٢٩}

لا شك ان ملا مصطفى كان منبهراً بهذا الاستقبال الذي شارك فيه الشعب العراقي بأحزابه وقومياته المختلفة وقد لعب الحزب الشيوعي العراقي دوراً بارزاً في حشد جماهير المستقبلين اذ كان أكبر حزب سياسي عراقي من حيث عدد المؤيدين والتنظيم الجيد. وربما ظن الشيوعيون العراقيون ان وجوده اثني عشر عاماً تقريباً في الاتحاد السوفيتي قد قربه الى الفكر الشيوعي وبالأحرى سيكون قريباً من الخط الشيوعي وسياساته.

كانت التهتافات والتصفيق بحياته وببطولاته تعلو مع كل وفد يأتي للترحيب به. وأصبح الرجل الثاني بالنسبة للأكراد بعد عبد الكريم قاسم.

في هذه الفترة من الحماس كانت نشوة النصر طاغية على العواطف الشعبية، فأغاني تمجيد الزعيم لاقت رواجاً لدى الشعب، وتغنت معظم المغنيات والمغنين العراقيين بعبد الكريم قاسم وأحاطوه بالحب والتقدير والاعجاب المبالغ فيه، وقد حذى الأكراد حذو العرب بالنسبة لملا مصطفى غناءً وشعراً ونثراً ورقصاً. فليس من شك ان الافراط في المديح لعبد الكريم قاسم مثل: (الزعيم الاوحد، قاهر الاستعمار والاقطاع، القائد المنقذ، محبوب الجماهير، القائد العبقري، هادم قلاع الامبريالية واحلافها العسكرية، لا زعيم الاكريم) إذ مهما يكن الانسان متواضعاً ويعرف قدراته، لكنه عندما يسمع يومياً كلمات وأغاني التعظيم لشخصه، يصعب عليه تفادي شعوره بأهميته القصوى بالنسبة لهذه الملايين الهادرة في الشوارع إعجاباً وانبهاراً

^{٣٢٩} العراقي في عهد قاسم. ابريل دان. ص. ١٧٤. ١٧٥.

بشخصه. وان هذه الجماهير لاتساوي شيئاً من دونه. فيصاب بمرض جنون العظمة مما عزز المناخ السياسي المساعد لظهور الدكتاتوريات في المجتمع العربي والكردى. ومن إحدى السمات الملزمة للدكتاتور، خاصة عندما يمسك بالخزينة، فإنه يهتم بتكوين (فريق مساعد) يتميز بالرداءة والمذلة والتبعية والنفاق. وتراجع صفات الابداع والصراحة والصدق. ويصبح التغيير مستحيلاً إلا باستخدام القوة.

أدرك ملا مصطفى أهمية الدعاية التي قام بها قادة الحزب في غيابه وتأثيرها الطاغى في المجتمع الكردى الحديث العهد بالدعاية وأثرها في تمتعه بشعبية طاغية تفوق كل ما كان يتوقعه. وأدرك ان الدعاية تحيل اللامعقول الى معقول. ولا شك انه وجد سداجة مفرطة في الوعي الشعبى وان المواطنين مستعدون حتى تصديق المستحيلات، وكان يتمتع بذاكرة قوية وخيال خصب وكان متحدثاً بارعاً يثير حماس المجتمعين حوله من خلال أحاديث تتعلق بدوره في هذه المعركة او تلك. وكانت له قدرة هائلة في سرد تفاصيل الاحداث وتسلسلها بحيث يشعر المستمع إنه فعلاً أمام مشهد مثير.

قال سكرتير الحزب حمزه عبدالله بشيء من الامتعاض أن الملا مصطفى حدثه: «كانت قواتنا قد وصلت سواحل نهر آراز وكانت الدبابات الايرانية تطاردنا، وكانت دبابة واحدة قد انفصلت عن البقية لتتولى أمر مطاردي شخصياً، هذه الدبابة أزعجتني وأهكتني ولم تترك لي فرصة الاختفاء لساعات، فاضطرت على التوجه نحو صخرة كبيرة، لكن مع هذا لم تتوقف الدبابة عن متابعتي، فكنت ادور والدبابة تدور ورائي الى أن أصيب قائدها باليأس والتعب واضطر في النهاية الى الاقتناع بان فرص القبض علي أوقلتى هي من قبيل المستحيل، فعادت الدبابة أدراجها تجر أذيال الخيبة». ٣٣٠

وعندما عاد ملا مصطفى الى بارزان وشاهد هذا الاعجاب الطاغى بعبد الكريم قاسم وبالانقلاب الذي قاده ومايوغز اليه من فضل، لم يعجبه ذلك. لكنه استطاع التغلب على عبد الكريم قاسم ببساطة وسحب من تحت قدميه البساط دون أية مجازفة أو بذل جهد كبير.

ففي مجالس ضم عدداً من ابناء العائلة البارزانية، تحدث حديثاً شيقاً مليئاً بالاثارة والجميع كانوا يستمعون اليه بحيث لاتفوتهم كلمة واحدة من حديثه، قال:

«كل الناس يعتقدون ان عبد الكريم قاسم هو قائد الانقلاب الحقيقي.. لكن هذا ليس صحيحاً.. ومن الافضل ان لانفشي السر الا للموثوقين.. فعندما كنت في موسكو إستدعني القيادة السوفيتية وكلفتني بالتخطيط للانقلاب في بغداد، ترثت في تلبية طلبهم. لكن في النهاية قدمت لهم شروط معينة، وعندما وافقوا لبيت طلبهم، بعدها أفلتني طائرة خاصة هبطت بي بالقرب من بغداد سرا وفي الليل حيث التقيت بالضباط الاحرار وشرحت لهم تفاصيل الخطة وكيفية تنفيذها.. وقد أعجبني من ضمن الضباط الاحرار شخص عبد الكريم قاسم، فأستمعوا الى ما قلته ونفذوا الخطة... لكن طه البامرني أبى ان يستسلم فكان يطلق النار بضراوة والمهاجمون لا يستطيعون اقتحام القصر الملكي ووجدوا أنفسهم في وضع سيء للغاية... ولم يكن بالامكان التخلي عن الانقلابيين في وضع كهذا، فأضطرت الى التدخل شخصياً... اذ كان فشل الانقلاب وارداً... فتوجهت صباحاً الى القصر الملكي.. وناديت طه البامرني بعصية:

(طهالوك) - يقال ذلك عند التوبيخ - ان يكف. وناديت بصوت عال، هل تعرف من أنا؟ ما أن تعرف طه البامرني على صوتي وتيقن من وجودي بين الضباط الاحرار.. حتى بادر الى وقف إطلاق النار معتذراً لما بدر منه، وبذلك تم ضمان نجاح الانقلاب وتم تسليم كل شيء الى عبد الكريم قاسم ومن جانبي عدت الى موسكو على متن نفس الطائرة.^{٣٣١} وهكذا انتشرت شائعات في الوسط الشعبي المفرط في السذاجة من ان مدبر الانقلاب الحقيقي هو ملا مصطفى وليس عبد الكريم قاسم.

بقي اعادة البارزانيين الباقين ومعظمهم في جمهورية اوزبكستان السوفيتية، ولهذا الغرض عاد اسعد خوشفي وميرحاج أحمد الى موسكو لعمل كافة الترتيبات الرسمية لاعادة البارزانيين وزوجاتهم واطفالهم. كما تشكل وفد آخر ضم شيخ لطيف شيخ محمود ولقمان ملا مصطفى

^{٣٣١}مصدره ملا مصطفى نفسه. ولايزال عدد كبير من الحضور على قيد الحياة يعيشون في صلاح الدين وفي مناطق بارزان.

بارزاني ومواطنين عرب عراقيين لزيارة البارزانيين في فيروفسكي . اوزبكستان . ثم عاد الوفد الى طشقند.

ولابد من التنويه بأن مير حاج أحمد عقراوي ما أن ساهم في عودة جميع البارزانيين الى أرض الوطن، حتى إعتزل السياسة كلية وأنضم الى شيخ بارزان وبقي معه حتى النهاية.

بلغ عدد البارزانيين الذين ماتوا في جمهوريات الاتحاد السوفيتي خلال فترة وجودهم هناك، (٢٨) شخصاً. كما فضل (٨) منهم وكانوا متزوجين ولديهم اطفال فبقوا هناك.

اولئك الذين كانوا يدرسون في روسيا تم جمعهم في موسكو، والذين في اوزبكستان تجمعوا في فيروفسكي. وسهلت السلطات الحكومية امور الفيزا والنقل بالقطار أولاً ثم ببخرة تتسع للعائدين جميعاً وقدمت منحة (١٠٠) دولار امريكي لكل شخص.

تم نقل الجميع الى ميناء اوديسا - اوكرانيا - وفي ١٩٥٩/٤/٢ ابجرت بهم البخرة گروزيا في البحر الاسود نحو مضيق بوسفور والبحر الابيض المتوسط ووصلت ميناء بور سعيد المصري في ١٩٥٩/٤/٦ ثم البحر الاحمر وفي ١٩٥٩/٤/١٦ وصلت البخرة ميناء الفاو. كان عدد النساء المتزوجات من البارزانيين الذين اختاروا العودة ١١٢ امرأة مع الاطفال، وبقي عدد آخر من المتزوجات رفضن المجيء مع أزواجهن. وعلى الساحل كانت جماهير البصرة الحاشدة، نساء ورجال يرحبون بعودتهم ويعبرون عن فرحتهم. وكان قد جاء لاستقبالهم ملا مصطفى وصادق بارزاني وآخرون، ودفعت الحكومة العراقية مبلغ (٢٠) دينار لكل فرد من طاقم البحارة الروس وشكرتهم على هذه البادرة الطيبة.

وبعدما نقلهم قطار خاص من البصرة الى بغداد. وكان الاستقبال الشعبي حاراً وقلبياً اينما مر القطار، ووصلوا أربيل في ١٩٥٩/٤/١٨ واستقبلهم الاهالي بحفاوة منقطعة النظير. ومن ناحية ثانية، كان عدداً كبيراً من البارزانيين قد قدم من مناطق بارزان الى أربيل لاستقبال ذويهم بعد غيبة دامت مايقارب ١٢ عاماً. وكانت هذه أكثر اللحظات ايقاظاً لمشاعر الشوق العارم بين الآباء والابناء، بين الزوج والزوجة، وبين الاخوة والاقرباء. وذكر لي عزيز

مامل ليريري قصة التقائه بأبيه:

«ما ان وصلنا أربيل حتى خرجت متلهفاً يدفعني الشوق والحنين لرؤية والدي وأصدقائي وأقاربي، خرجت لأبحث عنه بين جموع المستقبليين البارزانيين... وجدته بين المستقبليين وهو يدور باحثاً عني وعن المعارف الآخرين من قريتنا... تعرفت عليه فوراً... لقد هدته السنون واثقلته الهموم، ضعف بصره وثقل سمعه، لكنني تريثت ولم أفصح عن نفسي. اذ كنت أخشى عليه ان لا يتحمل صدمة اللقاء بإبنه الوحيد. دنوت منه وقلت له:

من انت؟

أجاب: انا مامل من قرية ليرير.

قلت:

لماذا اتيت ؟ هل لك اقرباء من بين العائدين؟

أجاب: نعم... جئت لأرى ابني الوحيد عزيز.

قلت:

وان رأيته ... هل ستتعرف عليه... بعد هذه السنوات الطوال؟

أجاب:

كيف لا أعرفه.... سأعرفه من سماع صوته.

كنت وجهاً لوجه أمامه، وكنت اتمالك نفسي بصعوبة كي لا أفصح عن هويتي بسرعة، فقد كانت طاقة هائلة من الشوق تدفعني نحو تقبيل يديه. ثم واصلت معه الحديث وهو لم يتعرف علي. وقلت:

إطمئن، ان ابنك علي قيد الحياة وبصحة وسوف تراه بعد لحظات.... قال:

عسى الله ان يحقق ماتقول... ثم نظرت اليه ... لم اعد اتمالك ضبط عواطفني...فهويت عليه واحتضنته وقلت له. انا عزيز ابنك.... انفجرت باكياً... هو الآخر أخذ يبكي ويرتحف كالريشة وهو لا يصدق عينيه. وبعد لحظات استطاع ان يخرج بصعوبة من حنجرته بعض الكلمات.... قال:

الآن الموت حق.... لا أريد أكثر من هذا، لقد تحققت امنيتي في الحياة... هذا ما كنت اطلبه من رب بارزان... استجاب الرب لدعائي.....

كان يشدني الى صدره. ويغمري بدموعه.... زوجتي واطفالي كانوا واقفين يراقبوننا... ثم قدمت له زوجتي وأطفالي الصغار بعدان هداً بكاءً.

كان عزيز هذا مختفياً في الجبال بعد القضاء على مقاومة خليل خوشهفي في نهاية الثلاثينات، وكان البوليس قد قبض على والده وشده الى جذع شجرة بلوط من رجليه وترك جسده يتدلى، وكانوا يضربونه بالسوط ويرشون عليه الماء البارد لكي يدلم على مكان ابنه.

ملا حسن بابيزدين بارزاني. عندما التقى بأقربائه... لم يجد والده... فأخذ يبحث عنه ويسأل بالحاح اين هو.. وكان صعباً على أقربائه المستقبلين افساد هذه المناسبة... لكنهم اضطروا لقول الحقيقة... والدك قتله الأغوات... قال كيف وقد كان هراماً؟... أخبروه بما حصل... لكن أقربائه من جانبهم طلبوا منه... اين أخوك عثمان بابيزدين... اضطروا الى قول الحقيقة المرة... لقد توفي في الاتحاد السوفيتي.... ودفن هناك..

سعيد ولي به گ الذي كان قد وصل بالطائرة قبل عودة البارزانيين... كانت الخيبة تنتظره. فقد قتل شقيقه الوحيد، الذي لم يكن قد تجاوز السبعة عشر عاماً؟

الاخوين عزيز (عظو) وعبد الرحمن ملا حبيب... كانوا يبحثون عن ابيهم.... فلم يروه... فسألوا إخوتهم.... كان الجواب لقد قتله الاغوات...

كانت مناسبة اختلط فيها الفرح الطاغي بالحزن والغضب من جراء ما حل بذويهم على يد الاغوات. ولم يكن هناك شخص واحد لم تصبه نكبة أو موت أحد ابويه أو زوجته أو اطفاله أو ذويه.

كان المد القومي والمد الشيوعي في عنفوانه بعد ١٤ تموز، وكان قادة الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان يكدحون لكي لا يكتسحه هاذان التياران، وكان هناك ثلاث شخصيات

بارزة تقف على رأس الحزب هم: ملا مصطفى وحمزه عبدالله وابراهيم أحمد. ومن سوء الحظ لم تكن هناك اوجه شبه بين هؤلاء الثلاثة. فلم يتمكنوا من الانسجام لمصلحة الشعب الكردي ومن اجل ترسيخ الديمقراطية في العراق. كانت العوامل الثقافية والآيديولوجية والطموح الشخصي تجعل أحدهم لا يستسيغ الآخر بل سادت بينهم علاقة نفور متبادلة. وفي مثل هذا الجو المشحون بالتوتر والشك، لم يعد لدستور الحزب اهمية، فالقوة في مثل هذه الظروف هي التي تقرر. وانفجر الصراع في عام ١٩٥٩ بين ملا مصطفى وحمزه عبدالله، سكرتير الحزب وواحد من أهم بناء التنظيم وذلك في أصعب السنوات من عمر الحزب. وقد أرسل ملا مصطفى مجموعة مسلحة من البارزانيين الى مقرات الحزب في بغداد وكويسنجق فسيطر عليها وتم طرد عدد من أكفأ الكوادر.. وحسب ما أعلن، فان حمزه عبدالله قد تبنى «نهجاً تابعاً لسياسة الحزب الشيوعي وجعل من الحزب الديمقراطي الكردستاني كأنه فرع من فروع الحزب الشيوعي....»^{٣٣٢}

لقد انتقد البعض هذا العمل اللاديمقراطي تجاه سكرتير الحزب: «ان الصيغة التي عولج بها الخلاف ليست في تصوري الصيغة المثلى لحل مثل هذه الخلافات وأعتبرها قاسية.» هذا ما كتبه مسعود البارزاني. في حين صرح ابراهيم أحمد، السكرتير المقبل للحزب بعد طرد حمزه: «بعد عودتي - كان في زيارة لأفريقيا - علمت بأن ملا مصطفى قد ارسل ٥٠ الى ٦٠ مسلحاً بارزانيا الى مقر الحزب في بغداد وكويسنجق. وطرد جميع الرفاق وسيطر عليهما.... طلبت من الرفاق عقد اجتماع أوكونفرانس لكي نرفض ما قام به ملا مصطفى، وان لا نسمع كلامه، إذ ليس لديه حق طرد اعضاء في الحزب وبالأخص استخدام السلاح، لكن الرفاق لم يجرؤوا على القيام بذلك....» وعلى أي حال فقد قبل ابراهيم أحمد أن يحل محل حمزه عبدالله في ظروف مخالفة لنظام الحزب، وكان لهذا اثر كبير مستقبلاً في عدم احترام دستور الحزب واللجوء الى القوة في حل الخلافات.^{٣٣٣} ومن المؤسف انه لا تتوفر لدينا وجهة نظر حمزه عبدالله ولا وجهة نظر ملا مصطفى في تفاصيل هذا الانقلاب.

^{٣٣٢} البارزاني والحركة التحررية الكردية. الكرد وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مسعود البارزاني. ص ٨٢.

^{٣٣٣} خمس ساعات مع ابراهيم أحمد. باللغة الكردية. عام ١٩٩٥. دكتور حسين محمد عزيز. مطبعة باران. ص ١٨.

لكن من المؤكد ان الخلافات بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني كان له أثر اضعاف الحزبين أمام النزعة الدكتاتورية لعبد الكريم قاسم. وكما أثبتت الاحداث اللاحقة، فإن الصراع بين مختلف الاحزاب في العراق والتقرب من السلطة على حساب الآخرين، ساعد الحكام في بغداد على تعميق الاستبداد وترسيخه في ممارساتهم للسلطة السياسية ومن ثم مصادرة الحريات وضرب الاحزاب على إنفراد.

وفي النهاية أصبحت الاحزاب العراقية نتيجة لضيق أفقها السياسي ومصلحتها الحزبية وعدم التزامها المخلص بالديمقراطية وبالوحدة الوطنية والتعلق للسلطات في بغداد، فريسة سهلة للحكام المستبدين في شق وحدتها وإدخالها في دوامة الانقسامات الداخلية وتآليب بعضها ضد البعض في تناحر لا طائل من ورائه.

ويرى كل متتبع لتاريخ العراق الحديث في التغيرات السياسية وبالأخص تلك التي حدثت في النصف الثاني من القرن العشرين، مؤشراً على الابتعاد عن اسس الديمقراطية واحترام ارادة الشعب. وقد لاقت ثقافة عبادة الفرد رواجاً كبيراً في اوساط الجماهير العربية والكردية. وكان كل انقلاب جديد مؤشراً على ولادة المزيد من العداء للممارسة الديمقراطية وتفاقم الحكم الفردي والتحول السريع نحو النظام الدكتاتوري الشمولي.

لقد تميز العراق تميزاً واضحاً عن بقية دول الشرق الاوسط بكثرة تشرذم وسقوط نخبه السياسية وفشلها في ايجاد الاستقرار والرفاه في المجتمع العراقي رغم توفر الثروة النفطية، لقد سقط بعض القادة كأفراد، في حين أسقط آخرون شعوبهم معهم. فبسقوط عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ عانى الحزب الشيوعي العراقي من نكسة هزت أركانه. فالمؤامرات والدسائس والانفراد بالسلطة جزء لا يتجزأ من طبيعة العمل السياسي في العراق وهو ما ميز تاريخ نخبه الحاكمة. هذا الوضع السياسي أتى بالحن للشعوب: عرباً واكراداً وآشوريين وكلدان وتركماني، وتحول العراق الى ساحة يسقط فيها السياسيون واحداً بعد الآخر، وحتى الذين قاموا بالانقلابات أوالتغيرات السياسية واعدين بحياة ديمقراطية لأبناء الشعب عموماً، لم يحققوا اي انجاز ديمقراطي في المجتمع وسقطوا في النهاية. نظام عبد السلام عارف وشقيقه، عبد الرزاق

النايف وعدد كبير من شخصيات ووزراء البعث ومن قيادات الحزب الشيوعي العراقي ماتوا تحت التعذيب أو اغتيلوا، كذلك سقطت القيادة الكردية في النهاية ابتداء من حمزه عبدالله، ابراهيم أحمد وملا مصطفى نتيجة صراعاتهم الداخلية، وسقطت الثورة الكردية — ١٩٧٥ - بقرار من قائدها بسبب تراكم السلبيات. ومعظم هؤلاء خلفوا بممارساتهم اللاديمقراطية رواسب سلبية نعاني من نتائجها الوخيمة الى اليوم، وقد مهد ذلك الطريق الى كوارث لاحقة وبرز ظاهرة صدام حسين وإقامة النظام الشمولي (دولة الارهاب) الذي أعاد بالاجتماع عقوداً الى الوراء. وهذا النظام آيل الى الإخيار رغم تمسكه بالحكم مستنداً الى أجهزته القمعية المعروفة بوحشيتها على النطاق العربي والعالمي.

لكن هذا البحث، هو مادة كتابنا اللاحق إنشاء الله.

جنيف . سويسرا. آذار ٢٠٠٢.

الملاحق

الملحق رقم (١)

المعاهدة التي وقعت بين الحزب الثوري الارمني (طشناق) والعصبة الوطنية الكردية (خويون)

في ٢٩ / ١٠ / ١٩٢٧

السادة الموقعين من الطرفين،

السيد فاهان بابازيان، المطلق الصلاحية من حزب طشناق من جانب، والسيد شيخ علي رزا أفندي من باولو، الدكتور شكري سكبان بك، مصطفى شاهين بك — رئيس عشيرة برازي، حاجو آغا — رئيس عشيرة هويركي، امين آغا — رئيس عشيرة رامان، كريم روستم بك من السليمانيه، ممدوح سليم بك من وان، جلادت عالي بك بدرخان، الجميع في اللجنة المركزية من العصبة الوطنية الكردية "خويون" من الجانب الآخر.

تثميناً منهما للمشاعر الاخوية الحارة المشتركة بين الشعبين، واقتناعاً منهما بضرورة التعاون التام بين الشعبين الآريين ولضمان بقائهما. ونظراً للطموحات المشتركة في الاستقلال السياسي حيث يناضل من اجله كلتا الامتان.

فقد توصلا الى المعاهدة السياسية والعسكرية الحالية واتفقا على مايلي: .

المادة ١ — يعترف الطرفان بشكل متبادل، بحق كردستان وارمينيا الموحدة في الاستقلال، ويتعهدان على الكفاح بكل الوسائل للدفاع عن هذا الحق.

المادة ٢ — يواصل الطرفان النضال دون تميز في الاراضي التابعة لارمينيا او كردستان. ضد العدو المشترك من اجل تحرير بلديهما.

ويجرى تحديد الحدود بين الامتين وفق المبادئ التالية: .

أ. عدد السكان الاصليين من الكرد والارمن المتواجدين قبل حرب ١٩١٤ يكون اساس هذا

التحديد.

ب — آخذين في الاعتبار المبادئ الاثنية والقانونية المنصوص عليها في معاهدة سيفر، المادة ٨٩ من المعاهدة والذي يمنح ولايات وان، بتليس وارضروم الى ارمينيا، باطل ولا يعمل به. فيما يعترف الطرفان بحقوقهما المتبادلة في الولايات المذكورة.

س — عند تعيين الحدود يجب ان يأخذ الطرفان في الاعتبار المصالح السياسية والاقتصادية والدفاع الطبيعي للبلدين.

المادة ٣ - كون المعاهدة تحالفاً هجوماً ودفاعياً بين المتعاهدين، ضد العدو المشترك المتمثل في الأتراك الطورانيين، يلتزم الطرفان، في حالة وقوع عدوان على أحدهما او على الاثنين معاً، التعاون لرد العدوان.

يقاوم الطرفان بصورة جماعية كل المبادرات التركية الهادفة الى اخلاء اراضيها المشتركة بتحريض من جهات اجنبية..

المادة ٤ — يتعهد الطرفان القيام بحملة دعائية مؤثرة سواء شفهاً او كتابياً، وذلك لنشر فكرة التعاون الارمني الكردي وترسيخ ذلك في اوساط الشعبين...

المادة ٥ - حزب طشناق يتعهد القيام بالدعاية للقضية الكردية من خلال اجهزته المختصة في الدوائر السياسية والرأي العام في اوروبا وامريكا..

وفي الوقت ذاته يكافح ضد جميع استفزازات وحملات الدعاية التركية الطورانية.

المادة ٦ — يتعهد حزب طشناق بتمويل العصبة الوطنية الكردية خويون مؤقناً ومساعدتها معنوياً وفنياً وتزويدها بالاختصاصيين في مهام التنظيم وفي مجالات اخرى.

المادة ٧ — حزب طشناق يساند العصبة الوطنية الكردية خويون في مهامها الضرورية لدى الدول الاوروبية وفي امريكا، وايضاً لدى الدول والشعوب المهتمة مباشرة بمصيره وذلك لكسب تأييدهم للقضية الكردية.

المادة ٨ — يكون لحزب طشناق لدى اللجنة المركزية للعصبة الوطنية الكردية خويون، ممثل دائم وعام، وذلك لديمومة الاتصال بين المنظمين وفي حالة الضرورة يشارك في المداولات في اللجنة المركزية لـ خويون، لكي يأخذ دوره في جميع المهام ويضمن تعاوناً وثيقاً..

المادة ٩ — نظراً لعدم الاعتراف بحقوق ارمينيا وكردستان في الاستقلال وعلى اراضيها المشتركة، يعتبر الطرفان، حزب طشناق والعصبة الوطنية الكردية خويون انهما في حالة حرب مع تركيا، وعليه يلتزم الطرفان المتعاقدان بعدم الدخول في اية علاقة مع تركيا ولا حتى من خلال طرف ثالث، دون تفاهم مسبق بين الطرفين.

المادة ١٠ — حزب طشناق وعلى اساس العلاقة المشتركة، يضم قواته العسكرية الى القوات الكردية العاملة ويجهد في الحصول على الاسلحة والعتاد الضروري للقيام بالعمليات المشار اليها.

وسوف يعين حزب طشناق ملحقه العسكري لدى اللجنة المركزية — خويون او لدى مركز القيادة الحربية الكردية. ويرافقه الفنيون ويأخذ الملحق العسكري ومرافقوه الفنيون دورهم في المداولات وفي العمليات كرفاق ومساهمين.

المادة ١١ — وفيما يتعلق بالسياسة العامة وتنفيذ القرارات التي اتخذت بموافقة الجانبين، فتقوم بما لجنة مشتركة مؤلفة من الحزبين، هذا وفي حالة الضرورة يعزى الى واحد او الى عدة وفود ينتمون لواحد من الحزبين.

المادة ١٢ — يتولى حزب طشناق تقديم المساعدة المالية والمعنوية للدورات التي ستقام لتهيأة منظمين ودعائيين وفنيين كرد..

المادة ١٣ — ويلتزم الطرفان المتعاقدان وعلى اساس المعاهدة الحالية، ابرام اتفاقات في فترة لا تتجاوز العام، تختص بمسائل النقل والكمارك والموانئ وحقوق الاقليات وتبادل السكان اضافة الى جميع المسائل التي لم تتناولها المعاهدة الحالية.. كما ان الطرفين سيأخذان في الاعتبار مسألة التوصل الى ايجاد كونفدرالية ارمينية كردية..

المادة ١٤ - يلتزم الطرفان باقرار الحصة من الديون العامة والتي تأتي من الاراضي التي يعهد بها اليهما. ويعترف الطرفان كذلك بكل الامتيازات المتعلقة بسكك الحديد والمناجم وغيرها التي منحت الى الدول الاجنبية.

المادة ١٥ — وفيما يتعلق بالخلافات، سواء في مجال تفسير البنود او الامور التي بقيت خارج المعاهدة الحالية، يلجأ الطرفان المعنيان في كافة الاشكالات الى هيئة تحكيم، بعد اتفاق

مشارك عليها من الطرفين..

المادة ١٦ - المعاهدة العسكرية السياسية الحالية تبقى سراً. وإذا ما وجد طرف ضرورة إفشائها جزئياً أو كلياً الى طرف ثالث، لا يجوز ذلك الا بموافقة مسبقة من الطرف الثاني المتعاقد..

المادة ١٧ — المعاهدة الحالية تنظم العلاقة بين البلدين الى نهاية الكفاح المشترك من اجل حريتهما واستقلالهما..

لا يمكن ادخال تغييرات او اضافات على المعاهدة الحالية الا بموافقة الطرفين..

المادة ١٨ - تدخل المعاهدة العسكرية والسياسية الحالية حيز التنفيذ بعد التوقيع عليها من قبل الطرفين المتعاقدين..

المادة ١٩ - كتب نص هذه المعاهدة باللغة الفرنسية وطبع منها نسختين.

صدر في بيروت في ٢٩ / ١٠ / ١٩٢٧

الحزب الثوري الارمني طشناق

العصبة الوطنية الكردية خويون

الملحق رقم ٢

ملحمة Jûl

دار الزمان دورته يا معشر الاخوان دار علينا الزمان
لم أكن واعياً لهذا الزمان ولا لألغازه...!
مشيت هائماً على وجهي في Gêra Gerdîya ... (اسم موقع في الجبل)
إنه جبل زوزان...
في أعاليه منتجعات باردة... وعند قدماته يقع سهل بيسكا الحارق
ألا ليحل الخراب مدينة نافشار...
حيث إمتطى خيلهم ٧٠٠ من فرسان كمال باشا
وتقدموا حتى وصلوا قدمات الجبل.. وعلى حافات السهل المنبسط نصبوا خيامهم
العراق يحيط بالطرف الجنوبي للجبل ... والقضاء التركي في شماله..
من Maweta حتى الاطلالة على Girane ... (قرى الكهرديين)
جميع الممرات والمنافذ المؤدية الى الجبل
هي الآن تحت قبضة الجندرمة الترك، وآخرون يقبضون رواتبهم من حكومة العراق
آه ... أيها الفلك المشؤوم... لاحول لي ولا قوة...
خلف هذا الجبل يقع القضاء التركي ... ومن قمته حتى قاعدته
نصب الجندرمة الترك خيامهم...
ألا ليحصد الموت آل Memedê petew و Kerîmê Kelêtî .. (شخصين)
عملوا كمخبرين للأتراك)
فقد دلّوا مفارز الجندرمة الترك إلى مخابىء نساءنا وأطفالنا نحن الثوار..

خليل خوشه في بعيد عنا... في Cîyayê Resh (الجبل الاسود) المطل على قرية (أوليا) وكان لا يعلم شيئاً عن مجريات المعارك
 حارسنا... نحن الثوار ... كان إبريق الشاي على يمينه ... وأمامه الإستكانه (قدح للشاي) ومع إطلالة الفجر بدأ قصف المدافع ... وانهمال الرصاص على عوائلنا...
 إرتفع الدخان والغمام من مواقعنا... ومن كل صوب تعالى...
 صراخ الاطفال والنساء... وقد أصابهم الهلع....
 البندقية التي كان يمسك بها أحمد نادر من نوع جامبيزار... وتلك في يد عبدالله من نوع آلمان
 أحمد نادر يناشد عبدالله ثلاث مرات: .. عليك بالمقاومة ...
 أقسم بإسم مولاي .. أن لامفر لنا في هذه الدنيا... غير والد جمال والنجدة من والد لقمان..
 عند الفجر يهب نسيم بارد في Gêra Gerdîya .. بندقية أحمد نادر من نوع جامبيزار ..

وتلك في يد عبدالله من نوع آلمان ...
 لم يبدي أحمد نادر صموداً طويلاً في المعركة ... إذ إخترق الرصاص خاصرته...
 وتطاير عود السيكاارة الذي كان يحمله في حزامه الى نصفين...
 عبدالله ينادي أخاه ثلاث مرات... ماذا حل بك...؟ أحمد نادر يرد : لاتواصل الحديث ...
 أخي لاتواصل الحديث... لقد أصدر قلم القدر حكمه ... تصور ...
 أقسم لك ... بإسم مولاي (يعني شيخ بارزان) أن الرصاصة قطعت عود السيكاارة في خاصرتي...

أمام حاكم هذه الاحداث والمنعطفات... ليس لنا حول او قوة...
 كنت أتوقع .. إنني ببندقيتي الجامبيزار .. وأنت ببندقيتك الالمان ... سنقاتل ..
 في Gêra Gerdîya قتال الأزمنة الغابرة... مثلما قاتل الامام علي ...
 وصحابة الرسول في وادي Sîseban ... كنت أظن ان الوقت قد حان لنكون يداً بيد ..
 لكن خاب ظني ... فقد أراد الحاكم أن تكون هذه مناسبة الوداع الاخير...

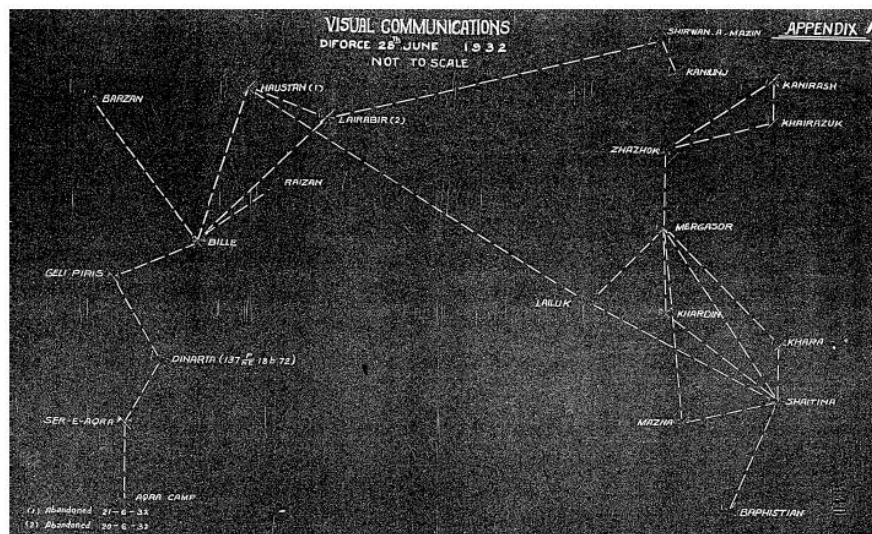
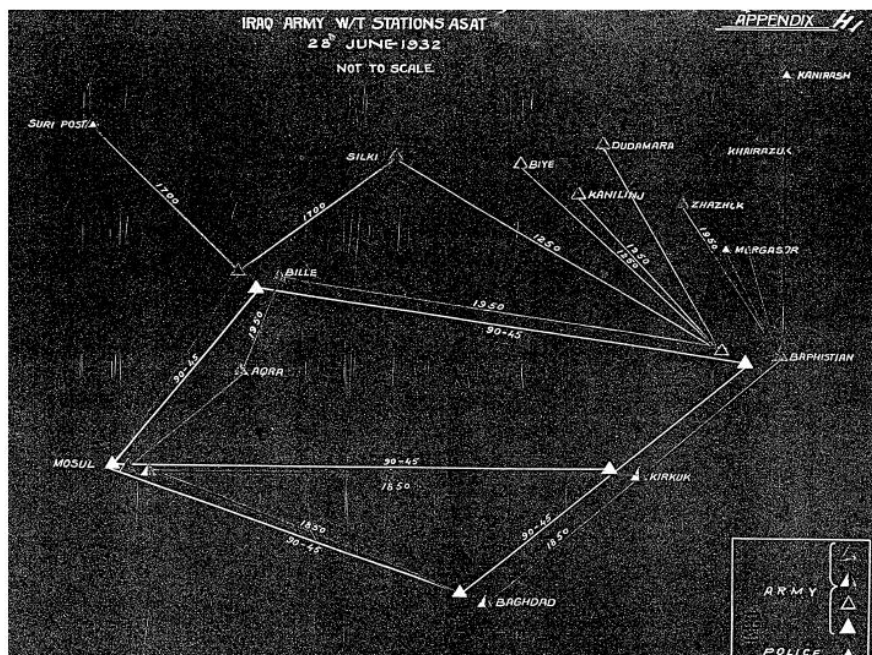
في Gêra Gerdîya ... تعالى أنين الجرحى... إلهي أنت الساهر وحامي حقوق
الضعفاء...

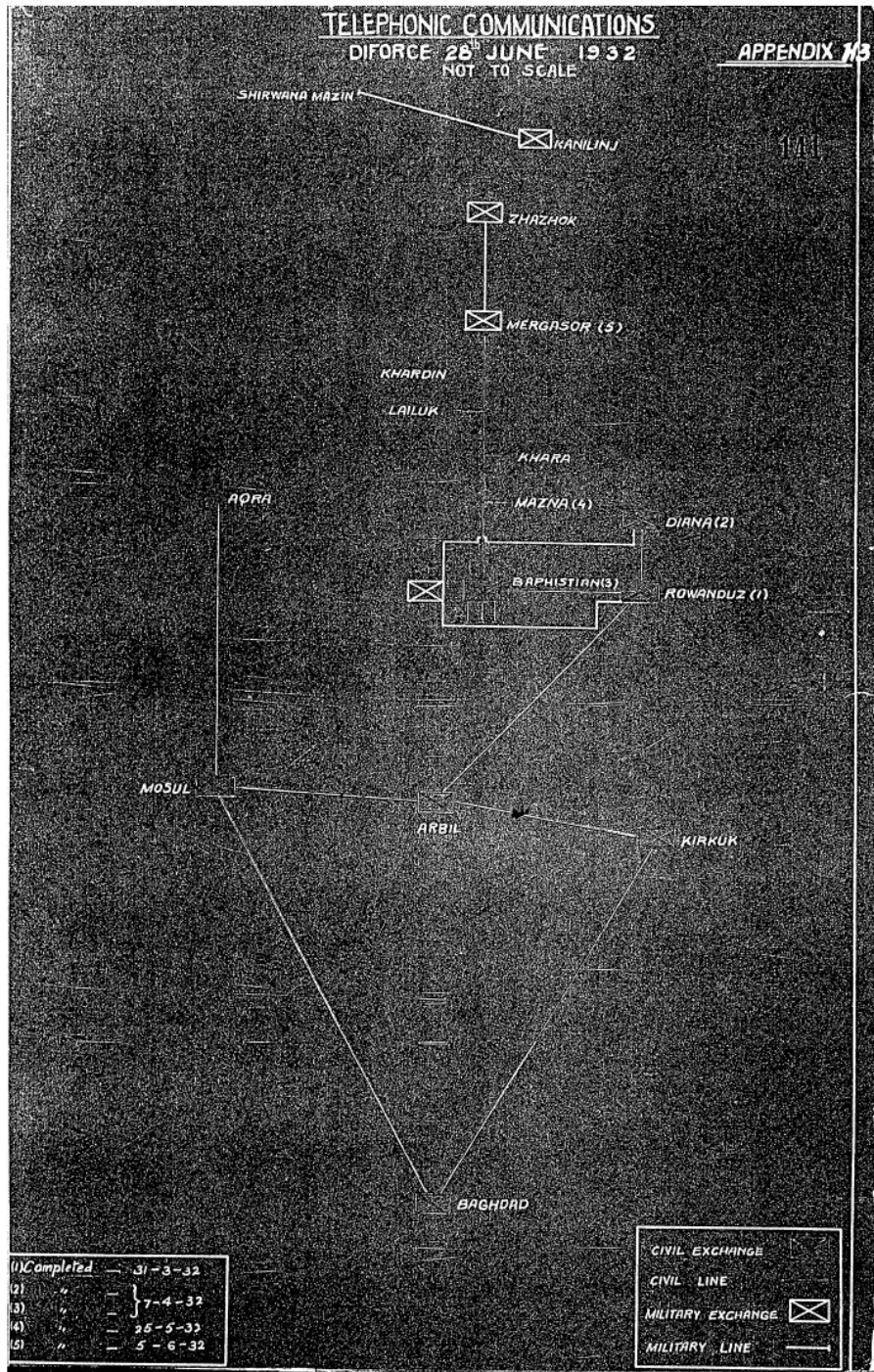
تركنا جبل Gerdîya واتجهنا نحو قبيلة سالارا... وصلنا نحال وبيتكار....

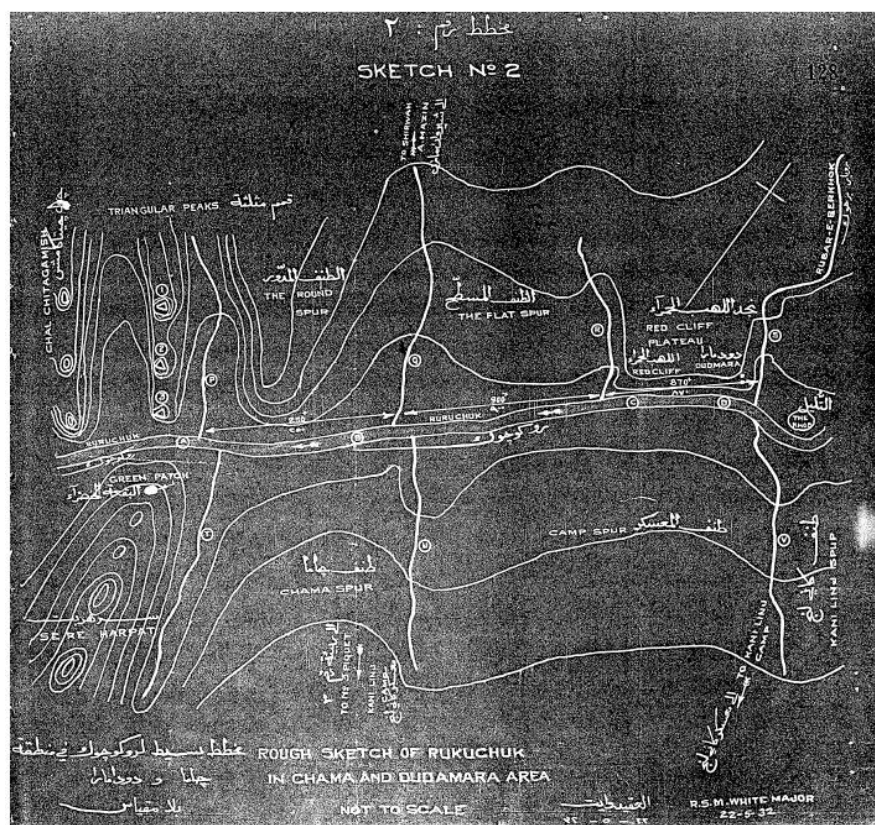
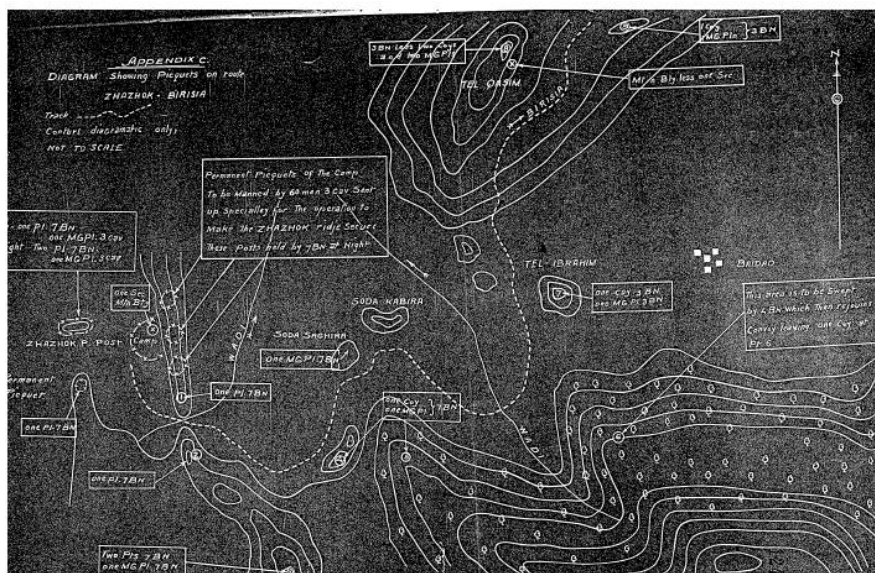
خرائط الاحتلال



William Eagleton Jr. La REPUBLIQUE KURDE. Editions Complexe. 1991







الصور



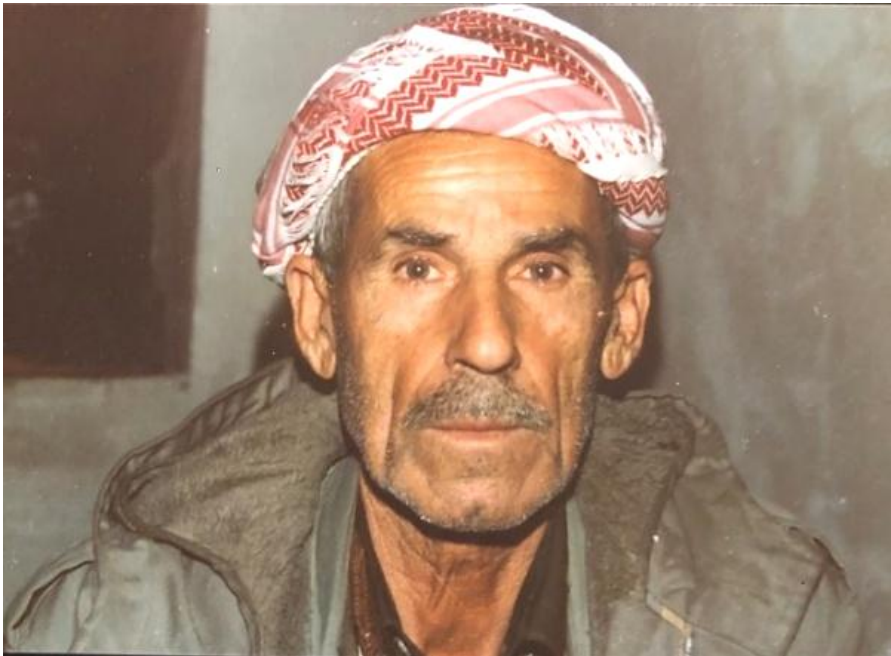
شيخ بارزان الخامس (أحمد)



الشيخ أحمد البارزاني



المعروفين في الصورة: فتاح آغا هرقي، نعمت آغا هرقي، أسعد فتاح آغا، محمد صديق البارزاني،
ويتوسطهم شيخ بارزان (الشيخ أحمد)



صالح كولكي



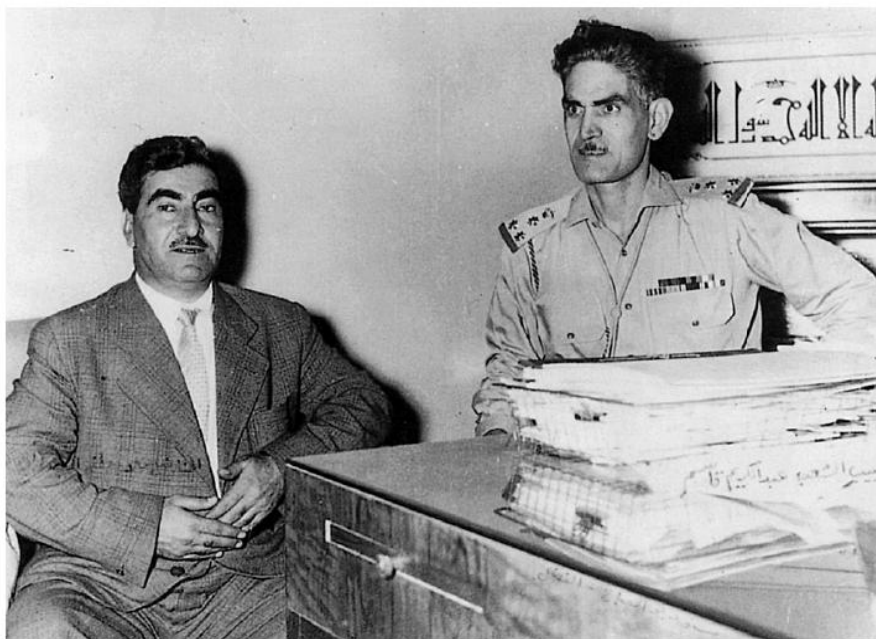
خوله بيزه



كاظم شاندرى- يجنى القطن- آذربيجان السوفيتية، ١٩٤٩



شيخ بارزان بصحبة ضباط بريطانيين يتفقد طائرة بريطانية حطت في بلي.



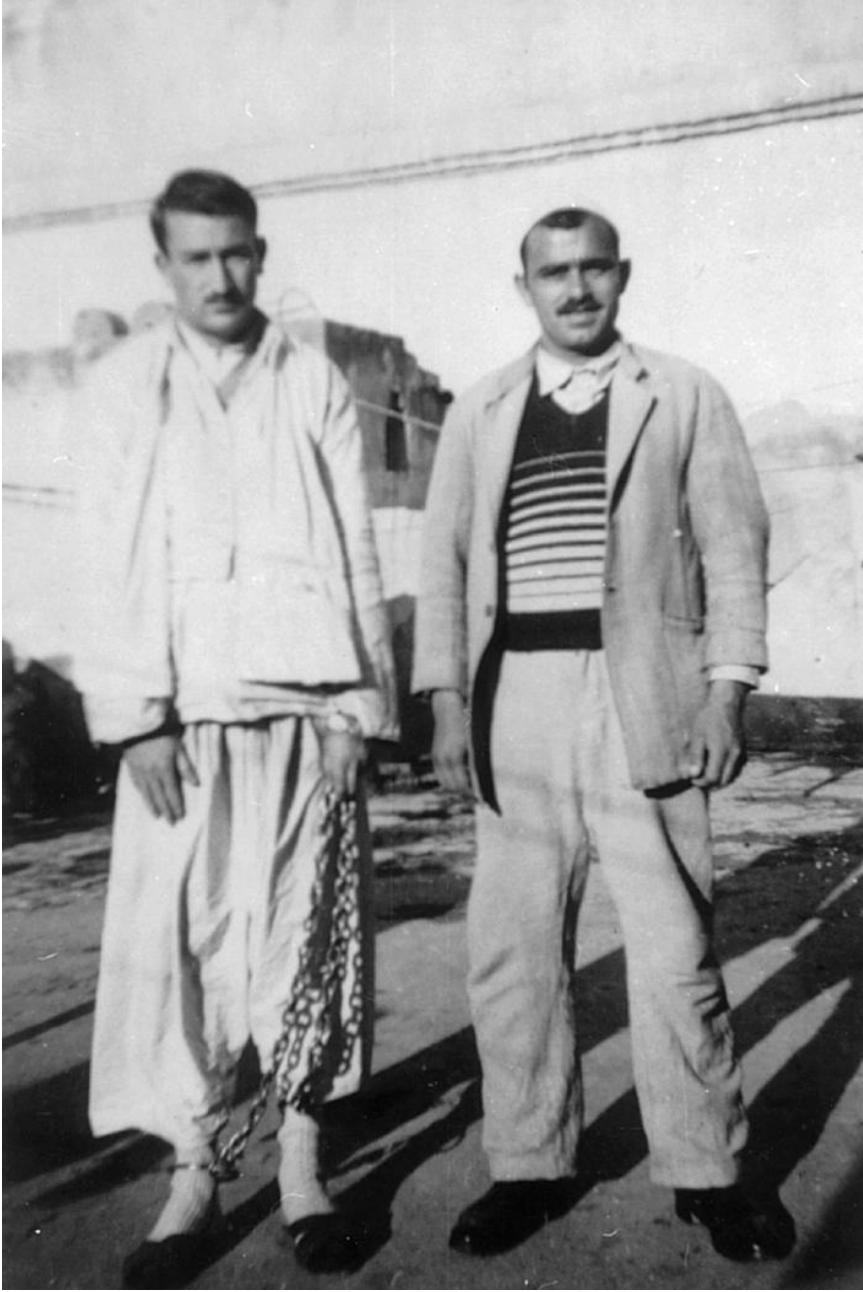
الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وملا مصطفى ١٩٥٨



ملا مصطفى بزي جنرال والاثنتين في الوسط: الرائد عزت عبد العزيز ونوري أحمد طه، مهباد ١٩٤٦.



من اليسار إلى اليمين: محمد خالد شيخ أحمد، عبيدالله ملا مصطفى، جمال شيخ أحمد،
صادق شيخ بابو، سجين بارزاني لم نعرف اسمه، سجن البصرة، ١٩٥٠



جمال نجل شيخ بارزان (الشيخ أحمد) مع سمائل كاني بوتلي، سجن البصرة، ١٩٥٠



الواقف علي محمد وبجانبه الشيخ أحمد جالساً- في المنفى التركي-١٩٣٢



الشيخ محمود الحفيد



الشيخ محمود الحفيد يتوسط عدد من رجاله المسلحين



الشيخ في الأسر البريطاني



من اليمين إلى اليسار: وهاب آغا جندباني، محمد آغا ميترگه سوري وأحمد

مصطفى كانيالنجي في المنفى بعد العودة من إيران



دكتور سعيد أحمد نادر



صادق بابو بارزاني وملا أحمد بيخشاشي - سجن الموصل، ١٩٥٣



جهة اليمين جبل ژۆيل JUL حيث قتل أحمد نادر كما ورد في الكتاب وفي الملحمة



شيخ بارزان (الشيخ أحمد) مع عدد من الضيوف المستقبليين في كركوك



عمر دبابة يستقبل شيخ بارزان (الشيخ أحمد) بعد اطلاق سراحه من السجن - كركوك، ١٩٥٨



صالح علي كانبالنجي المساهم في معظم المعارك التي خاضتها بارزان منذ الثلاثينات من القرن الماضي